موسوعة أعلام المغرب

تنسيق وتحقيق

محمد حجي

أستاذ التاريخ بجامعة محمد الخامس سابقا

الجزء الخامس

1101 - 1150 هـ

دار الغرب الإسلامي

موسوعة
أعلام المغرب

تتألف من تسعة نصوص تراثية يُنشر بعضها لأول مرة وتترجم لأبرز الشخصيات المغربية حسب تسلسل سنوات وفياتهم من بداية الاسلام إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري.

1 ـ 1400 هـ / 622 ـ 1980 م

نشر المثاني
لأهل القرن الحادي عشر والثاني

تأليف

محمد بن الطيب القادري

القسم الثالث

تحقيق

محمد حجي أحمد التوفيق

معه

تذكرة المحسنين
بوفيات الأعيان وحوادث السنين

لعبد الكبير الفاسي

العشرة الأولى من المائة الثانية عشرة

العام الأول منها

ابراهيم بن حسن الكورانى الشهرزوري

فمنهم أبو إسحاق إبراهبم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني المدنى، أصله من شهرزور من جبل الكرد [1]. وفى *القاموس* شهرزور مدينة زور بن الضحاك. وقال فى زور إنه ملك بنى شهرزودر انتهى.

وقال عبد الحق في *اختصار اقنباس الأنوار* للرشاطي: شهرزور نهر من بلاد أذربيجان. نم قال وأنشدنا الففيه الحافظ أبو علي الصدفي قال: أنشدنا أبو محمد السراج لنفسه:

وعــدت بأن تزوري كلَّ شــهــر ... فزوُري قد نقضَّى الشهرُ زُوري [2]
وشــقـةُ بيننا نـهـر المـعـالى ... إلى البلد المسـمى شـهـرزور
وشـهـر صدودك المحتوم صدقٌ ... ولكن شهـر وصلكِ شَهْرُ زُورِ [3]

قال أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي في *فهرسته* فى حق صاحب الترجمة ما نصه: نشأ ببلده وقرأ هنالك ومهر في المعقولات والعربية، تم قدم بغداد وأفام بها ثم ارتحل الى دمشق ثم إلى مصر ثم الى الحجاز وأقام بالمدينة المنورة طالبا طربق الإرادة على بد الشيخ صفي الدين أبى العباس أحمد القشاشي، وإليه ينتسب فى الطريق وهو الذى أقام بزاويته بعده. وتوفى فى نامن [4] وعشرين من رجب سنة إحدى ومائة وألف، ودفن بزاوبته بالمدينة المشرفة. وولد سنة خمس وعشرين وألف. وله مؤلفات كثيرة في فنون شتى. ومن مؤلفاته: *تكميل التعريف لكتاب التصريف*؛ *وحاشية شرح الأندلسية* للفيصرى فى العروض؛ *والنبراس لكشف الالتباس الواقع في الأساس*؛ *والجواب العتيد لمسألة* [5] *أول واجب ومسألة التقلبد*؛ *وضياء الصباح فى شرح بهجة الأرواح*؛ *وأجوبة فى مسألة تقبيل اليد* [6] *والمصافحة خلف الصلوات*؛ *والمتمة* [7] *للمسألة المهمة*؛ *والفول الجلي في تحقيق قول*

1) في س: الكراد.
2) صحف هذا البيت فى س. فكتب شطره الأول: وعدت تزور كل شهر
3) سفطت الأبيات كلها من ط.
4) فى س: نان
5) فى س: فى مسألة
6) فى س: تعبيل الله وهو تصحيف.
7) فى ط: المتممة.

الإمام زيد بن علي؛ وتحقيق التوفيق بين كلام أهل الكلام وأهل الطريق؛ وقصد السبيل الى توحيد الحق الوكيل؛ وشرح العقيدة المسماة بالعقيدة الصحيحة؛ وإشراق الشمس بمعرفة [8] *شرح الكليات الخمس؛ وبلغة* [9] *المسير الى توحيد العلي الكبير؛ وعجالة* [10] *ذوى الاشباه بتحقيق إعراب لا إله إلا الله؛ والقول المبين في مسألة التكوين؛ وإنباه* [11] *الانباه عن تحقيق اعراب لا إله إلا الله؛ وإضافة العلام* [12] *بتحقيق مسألة الكلام، والإلماع المحيط بتحقيق الكسب والتوسيط* [13] *بين طرفي إفراط وتفريط؛ ومسلك الاعتدال الى فهم آية خلق الأعمال* [14]*؛ وإتحاف الذكي* [15] *بالتحفة المرسلة إلى النبي، ومرقاة الصعود الى صحة القول بوحدة الوجود؛ وغاية المرام في مسألة ابن الهمام؛ ونبراس الإيناس* [16] *بأجوبة سؤالات* [17] *أهل فاس؛ ومسلك السداد الى مسألة خلق* [18] *أفعال العباد؛ وإمداد ذوي الاستعداد لسلوك مسلك السداد، وإتحاف الخلف بتحقيق مذهب [أهل]* [19] *السلف*، وغير ذلك. ويروي عن مشايخ كثيرين مذكورين في فهرسته، واعتماده على الشيخ الفشاشي [و] [20] الذي عول عليه في علم الظاهر وقرأ عليه ببلده وأكثر عنه هذا الشيخ الامام ملاً محمد شريف بن ملاً يوسف القاضى ابن القاضي محمود بن ملاً كمال الدين الكردي الكوراني الشاهدي [21] الدويني [22] الصديقي. ويروي أيضا عن الشيخ سلطان المزاحي المصري والشيخ عبد الباقي الحنبلي والشيخ نجم الدين بن محمد بن الشيخ بدر الدين محمد ابن الشيخ رضي الدين بن محمد العامري الغزى ثم الدمشقي الشافعي وغيرهم. انتهى كلام صاحب الفهرسة المذكورة [23].

8) في المخطوطات الثلاث: بتعريف
9) في ك و س: نقله.
10) في ك: علاجة.
11) في ط: انتباه.
12) في ط و س: العلم.
13) في المخطوطات الثلاث: الكسب الوسيط.
14) في ط: الأفعال
15) في ك و س: الزكي.
16) في ك: الأنفاس.
17) في ط: مسألة
18) في ط و س: أخلاق.
19) ساقط من س .
20) ساقط من س و ك.
21) في ك و س: الشناوي
22) في المخطوطتين السابقتين: الرويسي.
23) في م: انتهى كلام أبي عبد الله محمد الطيب الفاسي.

وقد أغفل رحمه الله تعالى بيان مسائل شنيعة [24] معروفة عن صاحب الترجمة [ذكرها عنه أئمة عصره] [25].

فمنهما القول [26] بأن القدرة محدثة [27] توثر فى أفعال العباد وأن قيدها بأقدار الله تعالى قدرها، وألف فى ذلك ثلاث رسائل لنصرة قوله ورد على إمام الحرمين في ذلك قال الشيخ [قال الشيخ السنوسي في شرح الكبرى] [28] والذي يقطع به تنزبهه هو وغيره من الأئمة مما نقل عنهم من شبه ذلك، وأصل ذلك إنما صدر عنهم في مناظرة مجادلة لإفحام خصم قويت منافرته للحق فاحتالوا لسوقه للحق بتدريج. والمعلوم عن إمام الحرمين كما فى *الإرشاد* له تصحيح مذهب أهل الحق. ولما تمسك صاحب الترجمة بالقولة المذكورة وانتصر لها فوقع في أمر شنيع فقيض الله من أهل عصره من انتصر للحق وبينه وأوضح برهانه.

[وقد انتصر الأئمة للرد عليه في ذلك منهم الإمام سيدي المهدي بن أحمد الفاسي وقد ألف رسالة في الرد عليه بما لا مزيد عليه] [29].

ومنها أنه ألف فى تصحيح مسألة الغرانيق التي [يذكرها بعض فى تفسير] [29] سورة النجم [30].

قال فى *النبذة*: وسمعت أنه ألف تأليفا في شبيه المعدوم [ينتصر به للمعتزلة] [31] ثم سمعت أن له تأليفا في [آبة] [32] إيمان فرعون لعنه الله وكذا سمعت أن له تآليف متعددة فى إحياء أمور أمثال هذه وندرتها في هذا الزمان الذي رق فيه الدين وعم الجهل والتقليد وعجمة الصدر وقلة اليقين واتباع كل ناعق انتهى. وتلطف أبو سالم عن أشياء نحو هذه نسبت الى صاحب الترجمة والى شيخه القشاشي فدفعها عنهما فانظرها. وأما مسألة خلق الأفعال فقد ألف في الرد عليه فيها سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي وولد عمه الحافظ الضابط المتقن المحقق محمد المهدي بن أحمد الفاسي [صاحب الشروح الثلاثة على *دلائل الخيرات* وغيرها من التآليف المحققة] [33] فألف كتابا سماه *النبذة اليسيرة واللمعة الخطيرة في مسألة خلق الأفعال الشهيرة*، وقد أحاط بنقل كلام أئمة أهل السنة فيه وأحسن

24) في ك: شنعت عليه
25) لم يرد فى ط.
26) فى ط: انه يقول.
27) فى ط: الحادثة
28) فى ك: قال الشيخ اليوسى.
29) ما بين معقوفتين زيادة فى ط
30) فى م و ط: الحج.
31) زيادة فى ط.
32) ساقط من ط.
33) زيادة في م

في الرد على صاحب الترجمة ونقل في إجماع الأمة على كفر من نسب الاختراع لغير الله وخرج ما نقل عن إمام الحرمين [في ذلك على أحسن وجه. والفصل في ذلك هو فول الشيخ السنوسي في شرح *الكبرى* ونصه: وما نقل عن إمام الحرمبن][34] من أن له قولا بأن القدرة الحادثة تؤثر في الأفعال [لكن لا] [35] على سبيل الاشتمال [36] كما يقوله القدرية بل على أقدار قدّرها الله تعالى فهو قول مرغوب عنه لا يصح القول به ولا تقليده [إن صح ذلك عنه][37] لفساده قطعا وعدم جريه على السنة عقلا ونقلا. ثم قال السنوسي: وأنا أعجب من القول الذي نقل عن الإمام كيف يصح أن يقوله مع ما أكثر فى الإرشاد وغيره من الأدلة لتصحيح المذهب الحق وهو مذهب الأشعري ومبالغته في النكير [38] والنضليل لمن بعتقد أن للقدرة الحادثة أثراً مّا. انظر تمامه [فى شرح الكبرى وقد نقله سيدي المهدي المذكور بتمامه مع نصوص الأئمة القاضية ببطلان ما ظهر من صاحب الترجمة وبين بدعته. وقد نصر فول سيدي المهدي المحققون من أئمة وقته كالشيخ الإمام أبى علي الحسن بن مسعود] [39] اليوسي، ومن جملة ما كتبه على الكراسة المشتملة على تأليف أبي عبد الله المهدي المذكور ما نصه: فقد وقفت على هذه الكراسة المجموعة والنبذة الموضوعة فألفيتها محتونة فى مسائل الجبر والقدر على الجملة المقنعة لأهل البصيرة، بل الخلاصة الممتعة لكل طيب السريرة، فجازى الله جامعها خيرا لقد صدع عن الخبر اليقين غير ذى مَنْن، وأطلع الصبح المبين لذي عبنين وحرر ما يجب اعتقاده وقرر ما يضمحل به انتقاده، مع لطائف لأهل الإشارات تهون على النفوس الجموح ما عسى أن يطرقها من الاستبعادات [40] فما في هذه الكراسة هو الأمر المعول عليه والحق المرجوع البه انتهى المراد منه. وكتب أبضا بعض أهلنا إلى سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رسالة بعلمونه بقول صاحب الترجمة وبطلب أن يجيبهم مما فتح الله علبه فى ذلك فأجابهم بما نصه ومن خطه نقلت:

لبسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه. من الحسن بن مسعود البوسي الى السادات الفضلاء الفادة النبلاء الفقهين النبيهبن الأربين الحسنيين الشريفين المنيفين أبي محمد سيدى العربي وأبي محمد سبدي عبد السلام أبني الطيب القادرى الحسني والفقيه النببه سيدي المهدي بن أحمد الفاسى سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. هذا وقد بلغنا كتابكم الكريم وما ذكرنم فيه من نزول تلك النازلة الغريبة واستنجادكم إياي في الكلام علبها جزاكم الله تعالى خىراً في النصح لأنفسكم ولعباد الله نعالي وقد كنت قبل اليوم رأيت شيئا من تآليف ذلكم الرجل في درعة أوقفنى عليها أستاذنا

34) زيادة فى ط.

35) لم يرد فى ك و س.

36) فى ط. الاستقلال.

37) لم ترد فى ك و س.

38) فى ط: التعكير.

39) ما بين معقوفتين زيادة في ط.

40) في ك. الاستعادات.

أبو عبد الله ابن ناصر رحمه الله واستنهضنى للكلام علهيا فهممت تم وهبت (41) فى عوائق، واليوم إن شاء الله أشتغل بها ونقرر ما هو الحق من الطريقة [الأشعربة](42) ونتعرض إن شاء الله لكل ما احتج به على نحلته جملة وتفصيلا، وقد انتحى لإحياء بدعة قد أمبتت منذ زمان، وتصدى لإثبات شرك الأفعال ثم لاثبات شرك الوسائط جملة نعوذ بالله منه ومن هفوته، وهي نزغة لم يجدِ الشيطان لإبدائها أحسن من لسان هذا الرجل المنسوب إلى العلم والإمامة [وهكذا كان معظم البدع والنحل برزت واشتهرت على ألسنة رجال بعتقد فيهم فقبلت منهم] (43) فتنحل الى البدع نسأل الله السلامة من مثل ذلك وأن بجنبنا من كل بدعة وكتب عقب كلام سيدي الحسن اليوسي السابق على الكراسة [والرجل المذكور هو صاحب الترجمة أحد المخاطبين بالرسالة المذكورة فبما كتبه على هامشها بخطه: وممن انتصر للرد على صاحب الترجمة](44) الإمام سيدي محمد بن احمد الفسنطيني بما نصه:

الحمد لله الذي حرس سماء العلم بنجوم العلماء، وأرسى أرضه أن تميد بصحيح الرواية عن القدماء، وحفظ طريقه من كل شيطان رجيم، بكل ذي فهم سليم، قائم بالحق داع إلى الصراط المستقيم، فغدت سماء العلم بنجومها محروسة، وأرضه بجبالها مرصوصة، وطريقه بالداعى الى الهدى مخصوصة. وصلى الله على مولانا محمد القائل وما ينطق عن الهوى: بحمل الدين من كل خلق عُدُولُه، وعلى آله. وصحبه الذين أظهروا الدىن وأبطلوا عنه شبه المضلين حتى سهل مطلبه وعذب مشربه. وبعد فقد طالعت الموضوع المسمى بالنبذة اليسيرة واللمعة الخطيرة فوجدنه اسما طابق مسماه، ومؤلفا نور الله قلب مؤلفه ومن شرك الشرك حماه، فلا غرو إن كان مهديا لهداية الله له وتوفبمه إياه. ولقد حمى بسيوف براهينه حرمة التوحيد وحماه، وطعن بمشرفيات دلائله فى نحر كل من رام أن بلغب الحق هواه، وأحرق بنور بصيرته كل جهول لا بعرف منطوق الحق ولا يصحح فحواه، فما اشتمل علبه ذلك الموضوع هو الحق الصريح الذي لا يعول إلا علبه، والمعتمد الصحيح الذى لا بلتفت إلا إليه، فما هو إلا كمباء السعادة وإكسير النجاة، والذي يرفع الله لمعتقده في الجنة درجات. فلا يعدل عنه ذو عقل سليم، بل من استولى عليه سلطان الهوى وغدا [بعقرب نفسه لسليم أي لمدمع] (45):

كضرائر الحسناء قلن لوجهها　　　حسداً وبغيا إنه لذميمُ

اللهم أمتنا على توحيدك، واهدنا إلى سلوك سبيل نبيك، وامنن علينا بما مننت به

41) فى ط: دهيث.

42) ساقط من ك.

43) ما بين معقوفتين ساقط من ك و س

44) ما بين معقوفتين زائد فى م وط.

45) في ك: يعرف نفسه، وفى س: يعرض نفسه لسلم أي لمربع.

على أوليـائك، إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم أنبيائك، وعلى آله وأصحابه خواص حضرتك وأصفيائك، وكتب محمد بن أحمد القسنطيني [46] لثلاث خلت من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين بعد الألف انتهى من خطه.

والحاصل أن صاحب الترجمة ظهرت منه شنائع وبدع، وقوى علبه الرد في ذلك، وأجمع مشايخ فاس على الرد عليه، إلا أن منهم من اقتصر على الرد وبيان الحق فقط، ومنهم من شنع عليه حتى إني رأيت بظهر الورقة الأولى من *النبذة اليسيرة* بخط مؤلفها ما نصه: الحمد لله، بلغنا أن المشرفي المذكور بمحوله الذي ألف في المقالة المذكورة المردودة بهذا بعث نسخة من تأليفه ذلك لأهل تنبكتو من بلاد السودان فكتبوا له سورة الكافرون جوابا عن كتابه والله الموفق سبحانه. انتهى بنصه.

وأما مسألة الغرانيق فألف فيها صاحب الترجمة رسالة سماها *اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية*، وقد رأيتها ومضمنها الكلام على ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم قال: (أَفَرَأَيْتُمُ ٱللاَّتَ وَٱلْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى تِلْكَ الغَرَانِيقُ العُلاَ). القصة المشهورة عند المفسرين وصحح صاحب الترجمة حديثها، وهو حديث باطل وقصة موضوعة.

قال عياض في *الشفا*: هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سالم [ومثله للبزار][47] متصل. وقد نفى القصة غير واحد من حذاق المفسرين كأبي حيان والبرهان البقاعي وغيرهما، ولو سلم صحة حدينها جدلاً لكان خبر آحاد معارض بالقاطع وهو وجوب العصمة فلم تبق عبرة به.

والحاصل أن هذه القصة ليس لها وجه أصلا وقد قام ببيان ذلك ورده وبسط شنائعه بهذا وأزيد الإمام الأوحد شيخ الجماعة المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، فألف رسالة تعرض فيها لكلامه مفصلا حتى لم يترك عليها غبار، وجزم ببطلانها، إلا أنه تلطف معه في العبارة كما فعل معه في مسألة الكسب السابقة، وذلك منه حرص على نفعه ورده إلى الحق بألطف إشارة وأبين عبارة وإطفاء للبدع قبل شيوعها، إذ بالملاجَّة تزيد شيوعا واشتهارا فيبتلى بها ضعفة اليقين مع أنه بين ما في ذلك من المنع والاستحالة ولم يلن له عند المسارة بل غلطه عليه ولم يسامحه في شيء مما يستدعيه المرام ويقتضيه المقام حتَّى زال الوهم والرين، ووضح الصبح لذي عينين. وقول شيخ شيوخنا أبي عبد الله المسناوي: وكان رأي شيوخنا فيه أي في صاحب الترجمة مختلفا في كيفية الرد عليه، فمنهم من سلك مسلك الملاطفة والشفقة، ومنهم من سلك مسلك الغلظة والرد والزجر ليعترف بقدره

46) في م: القسمطيني.

47) زيادة في م.

وما أدب به من كلامهم. وأما رد كلامه فقد اتفقوا عليه بأنه بلغ من الشناعة والبشاعة والخروج عن السنة غاية ذلك. وأما تناء صاحب الرحلة عليه، بعني أبا سالم العياشي، وتناء غيره عليه من الأئمة ممن ألف الفهارس وغيرهم فالمقام اقتضى ذلك، إذ ليس ذلك المقام مقام الرد والبحث عن القدح والتجريح والتعديل وبيان من تكلم أو اتهم أو رمي بشيء من البدع وتحقيق المسائل وإنما هو عد الأشياخ وذكر أسانيدهم ومروياتهم وأشياخهم ومؤلفاتهم. وقد طلب القاضي عياض مع جلالته من الزمخشري الإجازة مع اشتهار اعتزاله وبدعته وتعصبه، وفي رجال الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث الصحيحة المحتج برجالهم فإنهم قد خرّجوا عن كثير من المبتدعة غير ما رووا من بدعتهم واحتجوا بهم وقد ترجم لهم الأئمة وأثنوا عليهم بالحفظ والضبط وبينوا بدعتهم فبنحط من روايتهم ما رووا مما هو دعي إلى بدعتهم، ومن الشيوخ من كان لا يبين ما رمى به بعضهم بل بنفر عن مطالعة كتابه وكلامه ويحذر من النظر فيه وكذلك فعل بعضهم بمن رمى من الصوفية وكان بقول إن فهمه قبيح وكلامه في علم الباطن وطريق القوم وبعض مسائل الاعتقاد والله أعلم بحقيقة حال ذلك [48] ونحو هذا، ذكره الشيخ زروق وغيره في كتب الحاتمي وما ضاهاها فإنه قال في كتابه *عدة المريد* لما تكلم في تقسيم العلوم وذكر علم التصوف والأحوال وأن أعلى ما يطالع كتب ابن عطاء الله وما نحا نحوها ما نصه: وأما كتب الحاتمي وما جرى مجراها فلها رجال، لهم في الحقائق مجال، وعندهم في التمييز مقال، فلا شتغل بها في البداية إلا غوي، ولا في النهاية إلا خلي، ولا في التوسط إلا ذكي يأخذ ما بان رشده ويسلم ما وراء ذلك لبسلم من آفاته، وقد أولع بها قوم فضلوا وأضلوا وفارقوا العمل بما توهموه فزلوا، وربما ادعوا بما فهموه وتنسموه حالا لأنفسهم فافتضحوا بشواهد الأحوال كما قيل:

مَن تحلّي بحليْة لبس فيه   كذَّبتهُ شواهدُ الامتحان

ولما تكلم في *قواعده* على ما حذّر الناصحون منه من الكتب جملة وعلى ما حذروا من مواضع منه ذكر أن من جملة أمثلة القسم الأول كتب الحاتمي كلها أو جلها *الفتوحات* وغيرها، فانظر ذلك فيه إن شئت. ونقل شيخ شيوخنا المحقق محمد العربي بن بوسف الفاسي في كتابه *مرآة المحاسن* في الفصل التاسع من الباب الأول أن والده المذكور كتب في رسالة كتبها لبعض أصحابه: ولم تزل تطالع كتب ابن عطاء الله وما شابهها لأنها أقرب للتعريف والجمع على الله، ودع ما سواها ككتب الشيخ الحاتمي والشيخ ابن الفارض لأنها تسد عنك باب الفتح.

وقال المناوي في ترجمة الشيخ عمر بن الفارض من *طبقات الصوفية* بعد أن ذكر

48) ورد ما تقدم بعبارة مخالفة في م نصها:
[وقال الشيخ شيوخنا أبو عبد الله المسناوي في كتابه الذي سماه جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر ما نصه. وكان رأي شيوخنا فيه، أي صاحب الترجمة، مختلفا. فمنهم من كان على مذهب صاحب الترجمة وقد أجاز لغير واحد منهم، ومنهم من كان لا يرى ذلك بل ينفر من مطالعة كلامه ويحذر من النظر في تأليفه ويقول إن علمه قبيح وكأنه يعني كلامه في علم الباطن وطريق القوم وبعض مسائل الاعتقاد].

جماعة ممن اختلف فبهم من الكفر الى القطبانية، وعد منهم ابن الفارض والحاتمى وابن سبعين وتلميذه الشستري وغيرهم، ما نصه: والذي أذهب إليه وفاقا لبعضهم هو أنه يجب اعتقادهم (49) وتعظيمهم ويحرم النظر في كتبهم على من لم يتأهل لتنزيل ما فيها من الشطحات على قوانين الشريعة المطهرة وقول بعض جهابذة الفقه والأثر: لا يؤول إلا كلام المعصوم لا غيره وإن جل قائله فهو غير معتبر، وقد ملأ ذلك القائل كغيره كتبه الفقهية والحديثية بتأويل النصوص والوجوه واعتنى بالجمع بين الكلامين المتناقضين وتنزيل الخلاف على حالين متغايرين انتهى باختصار وتلفيق.

وقال في ترجمة الشيخ الحاتمي: وأقوى ما احتج به المنكرون عليه أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم، ويرده قول الإمام النووي في *بستان العارفين* إنه يجب تأويل أفعال أولياء الله التي قد ينكر ظاهرها. قال النووي وإذا وجب تأويل أفعالهم وجب تأويل أقوالهم إذ لا فرق انتهى باختصار. وقال الشيخ زروق في آخر الباب السابع من *قواعده*: التوقف في محل الاشتباه مطلوب، أي التوقف فيما لا يتبين وجهه من خير أو شر، ويبنى الطريق على ترجيح الظن الحسن ويبنى عند موجبه وإن ظهر معارض حتى قال ابن فورك رحمه الله: الغلط في إدخال ألف كافر أهونُ من الغلط في إخراج مومن واحد بشبهة ظهرت منه، ثم قال: وقال قوم: ما أدى إليه الاجتهاد جزم به، ثم أمر الباطن إلى الله تعالى، فمن ثم اختلف في جماعة من الصوفية فسردهم وذكر منهم من تقدم ذكره، ثم قال: وقد سئل شيخنا أبو عبد الله القوري وأنا أسمع فقيل له: ما تقول في ابن العربي الحاتمي؟ فقال: أعرف بكل فن من أهل الفن من ذلك، فقيل له: ما سألناك عن هذا. قال: اختلف فيه من الكفر إلى القطبانية. فقيل له فما ترجح؟ قال: التسليم. قلت لأن في التكفير خطرا، وتعظيمه ربما عاد بالضرر من جهة اتباع السامع لمبهماته وموهماته، والله أعلم انتهى بتغيير مَّا وقال في بعض شروحه على الحكم العطائية: قلت لشيخنا أبي العباس الحضرمي: إنهم ينكرون على ابن العربي الحاتمي، فقال: والله إنه ليستحق الإنكار. لكن ممن هو أعلى منه لا ممن هو في السناديس انتهى (50). وقال في بعض آخر: ذكر لي أن النووي سئل عنه فقال: الكلام كلام صوفي، وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسئلون عما كانوا يعملون.

ووقفت على جواب للشيخ ولي الدين العراقي في المسألة مدار كلامه على أنه يتكلم في الكلام بما يعطيه ظاهره ولا يتعرض للقائل لاحتمال أن يكون مراده غير ظاهره أو تاب من ذلك قبل موته انتهى. وقال في شرح نونية الششتري بعد نقله ما قاله شيخه القوري في ابن العربي من ترجيحه التسليم ما نصه قلت: وذلك لأن التعرض للتكفير مخطئ ويتعذر إثبات مزيته مع ما ظهر به مضر وعلى ذلك يحمل ما وقع من عز الدين بن عبد السلام من

49) في س : اعتماده.

50) هنا في ك طرة، نصها:
[جمع سداس وهو الطاق المفتوح في الميضة التي يتغوط فيه ويسقط في جوفه البول والغائط وسمي سنداسا لأنه يسد على الغائط والبول كما تسد الباب على ما يجعل في داخل جوفها].

انكاره واعتقاده مخالف لإنكاره. انتهى باختصار وتلفيق مًّا كلام [الشيخ المسناوي رحمه الله ونقلته بتمامه لما جمع من النقول المفيدة والفوائد العديدة سيما ما يتعلق بصاحب الترجمة وقصارى أمره أن يكون ممن ينحو منحاهم لو سلم من التصريح بالاعتزال، وقد نحا منحى طريق الحاتمي شيخه صفي الدين] (51) القشاشي وشيخه الشناوي وكثير من المشارقة ممن هم من الطريقة الحاتمية.

من حوادث السنة

استبدال النعال الصفر بالسود

ومن حوادث هذا العام [ما قيده بعضهم في ثاني وعشرين ربيع الأول نهى السلطان مولاي اسماعيل عن لبس السباط الأسود ومنعه في سائر أقطار المغرب وأمر](52) الناس بلبس السباط الأصفر وترك لبس السباط الأسود فتركوه، وأما ما يزعم بعض الناس أنه إنما أحدث لبس السباط من زمن استيلاء النصارى على العرائش فلما أخذت أحدثوا لباس السباط الأسود حزنا عليها، والذين أحدثوه هم أهلها الذين أُخرجوا، وتبعهم الناس في ذلك ليس بصحيح ومما يجزم ببطلانه أني رأيت سباط الولي الصالح سيدي علي الصنهاجي شيخ المجذوب وزمنه أقدم من استيلاء العدو على العرائش بكثير وهو أسود عند قوم يتبركون به مذخر عندهم [إلا أن يكون في الأصل غير أسود وأسود بطول الزمان] (53).

خروج ركب الحاج ومعه الحسن اليوسي

وفي عشرين من جمادى الثانية خرج ركب الحج ومعه سيدي الحسن بن مسعود اليوسي بقصد [الحج](54) وجهه إليه أمير المؤمنين.

عزل القاضي العميري عن فاس

وفي يوم الجمعة عاشر شعبان عزل القاضي سيدي سعيد العميري عن قضاء فاس العليا وولى مكانه سيدي عبد الواحد (55) البوعناني.

شق جوف امرأة عليلة بمكناس وشفاؤها

ومن العجب [ما رأيته مقيدا بخط بعضهم والله أعلم بحقيقته:](56) أن امرأة جسيمة مرضت بمكناس شق جوفها فعالجها بعض الأطباء وأخرج منه علة ووزن فيها خمسة وثلاثون رطلا وعاشت المرأة بعد ذلك وشفيت من علتها وكان ذلك في هذا العام.

51) ما بين معقوفتين زائد في ط

52) ما بين معقوفتين مستدرك أيضاً من ط.

53) زائد كذلك في ط.

54) زيادة في م. وفي الحوليات.

55) في ط: عبد الله.

56) إضافة من ط

العام الثاني من العشرة الأولى

محمد الخرشي

فمنهم الشيخ الكبير، العالم الشهير، سيدي محمد الخرشي *صاحب الشرح* الكبير والصغير على *مختصر خليل*، والصغير أكثر تداولا بالمغرب من الكبير. قال أبوعبد الله محمد الطيب بن محمد الفاسي في فهرسته: الشيخ الفقيه المشارك العلامة ملحق الأحفاد بالأجداد أبو عبد الله محمد بن الشيخ عبد الله الخرشي المعروف نسبه [قال أبو عبد الله الطيب الفاسي في بعض مقداته: ويعرف أهله] (57) بأولاد صباح الخير، روى عن أبيه وعن الشيخ ابراهيم اللقاني وعن الشيخ على الأجهوري. وقال فيه أبو سالم في *رحلته*: الشيخ العالم الناسك الورع المتقشف الزاهد المتعفف مدرس المالكية، سمعت عليه أوائل كل من الكتب السنة وأجاز لي وللجماعة (58) انتهى بنصه.

ولصاحب الترجمة *شرح على صغرى الشيخ السنوسي* بعثه بعد الفراغ من تأليفه إلى أمير المومنين السلطان المظفر الهمام مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني بتحفه به ويهنيه مع ذلك بفتح العرائش الذي كان على يده وعن أمره [في سنة الترجمة هذه] (59) ويذكر له فرحه بذلك، وأجابه المولى المذكور بمكتوب بديع [من إنشاء بعض أدباء وقته] (60) ونص الحاجة منه وفى صحبه هذا الكتاب بلغتنا تحليتكم الأثيرة، ومنحتكم التى هى أنفع مكتسب وأنفس ذخرة، وهى شرحكم الأبهر للعقيدة الصغرى التي هي من أجل العقائد، وتحليتكم جيدها من غرر المباحث بما هو أجمل من درر القلائد، فوقع ذلك منا موقع الاغتباط، وارتبطت أغراضه الأنيقة بجواهر القلوب غاية الارتباط، فلكم من معنى بعيد إلى الأفهام قرب، وذي عجمة من ألفاظ المشايخ عرِّب، ومبحث ناقص من مباحث المهمات كُمِّل، وجاد على المستفيد بأمتع مما منه أمل. وكأيِّن نقرر من تقرير، وتحرر من تحرير، طالما اعتاصت خباياه على الماجد النحرير. ولطائف معان أزال عن جمال محياها اللثام، ووضع جرائدها المستصعبة على أطراف التمام. إلى غير ذلك من المطالب اللطيفة، والفرائد المستحسنة المنيفة. نقبل الله تعالى في ذلك أعمالكم، وبلغ من جميع الخيرات العاجلة والآجلة آمالكم، آمين يا رب العالمين. غير أنه حفظكم الله ربما وقعت فيه بعض مسائل للنظر فيها مجال، وللبحث فيها موضع عند من أجاد النظر وأجال، وأرجو بحسب سلامة الطوية، وكرم هاتكم الأخلاق الطاهرة الزكية، ان لا بأس بذكر الواحدة منها لتعرض على هاتكم الأنظار (61) وتختبر بمعيار الفكر ممن حواه ساحكم الأحفل من جهابذة النظار.

57) استدراك من ط.

58) في ك: والجماعة.

59) فى ط و س: فى السنه التى قبل هذه.

60) فى م. من إنشاء بعض أدباء وقته عن إذن من ساعده فى ذلك من علماء حضرته

61) فى ك: الأقطار

ففي مبحث أقسام الحكم العقلي بعد تعريف كل منها وذكر سر العدول فيها عن المصادر إلى الأوصاف المشتقة منها كما ذكره المصنف في بعض كتبه ما نصه وأما ما وقع لأبي محمد عبد القادر من أن هذه المصادر لا تعرف كما صرح به علماؤنا فهو شيء غير معروف عندهم ولا ندري من هؤلاء الذين يمنعون تعريف المصادر بل كتبهم مشحونة بذلك كتعريف المؤلف الألوهية بالاستغناء والافتقار إليه وهو مصدر، وتعريف ابن عرفة التقليد بانه اعتقاد جازم بغير دليل، وتعريف الزكاة على أنها مصدر بأنها إخراج جزء من المال، وتعريف المازري وغيره الطهارة بأنها إزالة النجاسة أو رفع الحدث بالماء، وتعريف النحويين التثنية بأنها ضم اسم إلى مثله وغير ذلك. فإن هذا الكلام الانتقادي تنعلق به على وجه الاختصاص في الأقتصار ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: أن ما ذكره أبو محمد من ان هذه المصادر يعني الوجوب وقسميه لا تعرف هو الأمر المشهور المعروف المتعاطى بين الخاص من أئمة الصناعة والجمهور قال ابن عرفة في الفصل الرابع من الباب الأول من الكتاب الأول من كتابه الذي حاذى به *طوالع البيضاوي* ما نصه: المسألة الأولى في تصوراتها يعني الوجوب وما معه بديهية، وفيها لا يمكن تعريف شيء منها إلا ببيان دورية لا يمكن تعريف واحد منها إلا بسلب الآخر عنه انتهى. وتتبع كل ما لأئمة الفن في ذلك يطول، فراجع كلام الفخر في *المباحث المشرقية* وأقره ابن الرقام في الملخص وسلمه الأثير الأبهري وغيره وكلام السعد في *المقاصد* وشرحه والعضد في *المواقف* وغير ذلك، وقد بلغت المسألة من الشهرة إلى أن كانت مذكورة في مثل الحواشي *الياسينية على شرح المصنف*، وما شأنه ذلك يجل عظيم قدرك عن إغفاله والتوقيف فيه فضلا عن التصميم على إنكاره.

المبحث الثاني: [62] أن تقرير تعاريف هذه الحقائق وإنكار ما ذكره أبو محمد يقتضي اعتقاداً أن هذه المطالب نظرية وأن تعاريفها المذكورة حقيقية وأنها مع ذلك صحيحة وكل ذلك محل منع. أما الأول وهو أنها ضرورية غنية عن الكسب بتصريح غير ما واحد من أئمة الفن بذلك، كما قبل فيما تقدم عن ابن عرفة انها بديهية، وقال السعد: تصورات هذه المعاني يعنى الوجوب وما معه ضرورية حاصلة لمن لم يعرف طرق الاكتساب وكذا في المتعدد من شروح الطوالع وغير ذلك. وأما الثاني وهو أن تعاريفها غير حقيقية فلتصريح جماعة من أئمة الفن أيضا بذلك قال السعد عقب ما سبق ما نصه: قد تعرف تعاريف لفظية ولذلك لا يتحاشى أن يقال الوجوب امتناع قبول [63] العدم وقال في الشرح بعد أن ذكره: إنها ضرورية، وقد يقال على سبيل التنبيه الوجوب اقتضاء الشيء الوجود الى آخر كلامه. وقد حرر المحقق النصير الطوسي في شرح *الإشارات* إلى الأعراض الذاتية لموضوعات العلوم

62) في ط: المبحثان الثاني والثالث طويناهما اختصاراً

63) في ك: قبل.

إذا ذكرت أولا قبل التصديق بموجودها لا تعرف إلا بحسب الأسماء دون الماهيات والحقيقة وبسطه يوقف عليه في محله، وتبعه على ذلك تلميذه القطب الشيرازي في أوائل *شرح أصل ابن الحاجب* والسعد في *شرح الرسالة الكاتبية*: وظاهره ان هذه المطالب هى الأعراض الذاتية لموضوع علم الكلام التى نثبتها المتكلم فى مسائله فبما يفيد ثبوتها من صحيح الأدلة، ولهذا قال في محل المقاصد:

تمـــدها الأحكام لا نزاع ووجـــوب الجـــواز الامـــتناع
تقع في المحمول من مسائله فـــهي مبـــاديه ومن وســـائله

وهذا نظير ما قال ابن الحاجب في *الأحكام الشرعية* وقرره جماعة من شروحه ومحشيه وأقروه، وأما الثالث وهو ان التعاريف المذكورة لهذه المطالب على تقدير أنها حقيقة هي غير صحيحة. فما سبق عن الفخر وغيره من أنها دورية لا يمكن تعريف شيء منها إلا بسلب غيره عنه وذلك ظاهر بأدنى التفات فإن تعريف الواجب بأنه الذي لا يتصور في العقل عدمه تعريف له بامتناع العدم واستحالته، وكذا يقال في تعرىف الجائز بأنه الذي يصح في العقل وجوده وعدمه لأن الصحة بمعنى سلب الامتناع ونفى الاسنحالة. وأما تعريف المستحبل بأنه الذي لا يتصور في العقل وجوده فتعريف للشيء بنفسه لأن عدم التصور المأخوذ في تعريفه هو معنًى الامتناع والاستحالة المعروفة فكان تعريفه بذلك تعريفا له بنفسه، لكن لما كانت التعاريف المذكورة لفظية بحسب التنبيه والنعريف اغتفر فيها ذلك كما قال السعد وغيره.

وليس كل ما يُغتفر في اللفظي يغتفر فى الحقيقى لأن الاول من قبيل التصديقات والإخبار عن مسمى اللفظ المجهول بأنه هو مسمى اللفظ المعنى نقبل المنع وتقام عليه الأدلة النقلية عن أهل الوضع بخلاف الثاني على ما قال ابن الحاحب وغيره. وللسيد الشريف في *شرح المواقف* مزيد تحربر تتأكد مراجعته.وبتحقيق هذه النبذة يضمحل الانتقاد الذى أشرتم اليه من أن تصدبر التعاريف المذكورة بالنفى متعقب من حت إن النفي يجب اجتنابه في التعارىف. وما درَى هذا المنتقد أن ذلك الاجتناب إن ثبت عنهم إنما هو في التعاريف الحقيقية للأمور الوجودية دون اللفظبة وتعاريف للأمور العدمية والاعتبارات العقلية، وليته درى بأي شيء يعرف المصنف وبنبوعه كالمقترح والشرف الفهري التنزهات وأوصاف السلوك كالقدم مثلا.

المبحث الثالث: أن مقتضى ما ذكره في التعقب على أبى محمد يفهم أن معنًى التعريف عندهم هو خاص بالمصادر المذكورة لا بتجاوز إلى الأوصاف المشتقة منها وأنه مع ذلك عام فى كل مصدر غير مقصور على الوجوب وصاحبيه، ولذلك جيء فى النقص بخصوص المصادر دون أوصافها وعمم فيها بذكر التفليد والطهارة ما معهما، وكلا الأمرين

غير مسلم. أما الأول فلأن المصدر متوس(64) من وصفه ولازم له فامتناع تعريفه لتعذره كما ذكره الفخر الرازي وغيره امتناع لتعذر وصفه، لأن تعذر الأعم واللازم تعذر للأخص والملزوم. وتصريحهم بامتناع تعريف المصدر تلويح جلي بامتناع نعريف وصفه المشتق منه. وبالجملة فالفول بأنهم إنما منعوا تعريف الوجوب والإمكان والامتناع دون الواجب والممكن والممتنع مما لا معنى له ولا قائل به وليس في كلام أبي محمد ما يدل عليه وإنما مقصوده كما تقدم بدلالة السياق منع كل من المصدر والوصف المشنق منه من الأمور الثلاثة. وأما الثاني وهو أن المنع عام في كل مصدر غير مقصور على الواجب وصاحبيه حتى يتوجه النقص بتعريف التقليد والطهارة فهو غير مراد لأبي محمد ولا لغيره من الأئمة وليس في كلام واحد منهم ما بفهم ذلك العموم ولا بوهمه بادنى وجه لأن السياق دال على أن الكلام في الوجوب وما معه تم في الإتيان بكلمة الإشارة من كمال بيان الغرض على أتم وجه ما [لا](65) بحتمل معه [حمل](66) لفظ المصادر على العموم في كل مصدر مصدر حتّى تندرج الألوهية والزكاة، وإن أمكن ذلك الحمل مع ترك الإشاره على ضرب من التأويل ونوع من التساهل انتهى ما قصدنا من إيراد المكنوب السلطانى المذكور.

وفد أجل السلطان المذكور مكان صاحب الترجمة قدر مكانته وأطنب في مكاتبته تعظيما لقدره وتنويها بأمره فمن ذلك قوله في صدر المكتوب المذكور: إلى كبير فقهاء عصره، وإمام أئمة الأقطار والأمصار لا خصوص قطره الفسيح ومصره، خاتمة المحققين وبقية سلف المؤيدبن والموفقين وقدوة المجتهدين ونخبة المنقطعين لخدمة المعارف والمتجردين، النسمة الطاهرة، والبركة الباطنة والظاهرة، ذي السنن الأنوري والعرفان الأبهرى أبي عبد الله الشيخ محمد الخرشى المالكى الأزهري. أعلى الله مقامه، وأعانه على ما فيه من تهذيب المفاصد الدينية أقامه، ومتع المسلمين بإنشاء أثره، ومنَّ عليه من الكمالات العلمية والعملية بقضاء جمبع وطره، السلام عليك أيها الفجر اللامع والبحر الذي طيب المعاطش وقرط المسامع، ولازالت نفحات الفتوحات تترادف عليكم وتتوالى، وأنوار عوارف المعارف تتكاثف بهاتبكم الأرجاء الأريجة وتتلالا. هذا وإنا أيها الماجد الدار، والقطب الذي عليه بين أفاضل وقته المدار، منذ ولانا الله أمور عباده وأفامنا فضلا منه لحياطة دينه وكلاءة بلاده، لم نزل نجهد في جمع الكلمة بحسب الإمكان، ونجد في حسم مادة البغى بكل محل من الآفاق المغربية ومكان، ونحتفل بطهارة أديم الأرض من وضر الشرك، ونبنهل في استئصال شافة أهل الضلالة والجهالة والإفك، حتى أسعف الإسعاف والحمد لله بنيل ذلك

64) في ك: متوهم.

95) غير وارد فى س.

66) استدراك من س و ط.

المؤمل، ولم يكن إلا على حسن الثقة بالله في تحصيل ذلك الأرب المعول. انتهى ما تعلق الغرض به من الرسالة المذكورة، وهي طويلة جدا في غاية الاتقان والتدقيق.

والموجود في التقاييد أن صاحب الترجمة توفي في هذا العام عام اثنين ومائة وألف. وفي فهرسة سيدي الطيب الفاسي أنه توفي [في ذي الحجة](67) سنة إحدى ومائة وألف.

محمد بن عبد الكريم الجزائري

ومنهم الفقيه الأديب الشريف الحسني محمد بن عبد الكريم الجزائري. أخذ عن عدة شيوخ من المشارقة والمغاربة منهم الشيخ سعيد قدورة [شارح *السلم* في المنطق] (68) وهو عمدته، والشيخ عبد القادر الفاسي، والشيخ الحسن اليوسي وأبو عبد الله السّوسي الجزيّري المتوفي سنة ثلاث وعشرين وألف والقشاشي والأجهوري والشيخ محمد الزرقاني والبابلي وغرس الدين الأنصاري والشبراملسي والفكون والزمزمي والقيلوبي وزين العابدين الطبري والشيخ علي الحلبي والشيخ يوسف الفيشي والغنيمي والشيخ أحمد المنوي والشهاب الأفندي والصفي الشامي وشيخه الشنوي والشنواني وأحمد السنهوري وشمس الدين محمد بن محمد الفيشي نسبة الى قبيلة بكسر الفاء، في مشايخ كثيرين عد منهم في *المنح البادية* نحو [كذا وكذا] (69) شيخا. وكان قدومه لفاس سنة ثلاث وثمانين وألف [فلازم بها الشيخ عبد القادر الفاسي](70) وكان ذاكرا للأدب والتواريخ حسن المجالسة ممتع المحاضرة [وفد على السلطان مولانا إسماعيل وأكرمه مرارا وكان يجله ويعظمه](71)، توفي بفاس سنة اثنتين ومائة وألف ودفن خارج باب الجيسة. وبنى على قبره بيت بروضة ابن جلول عن يسار المار اذا أعبدت الطريق الممرور عليها لحارة المرضى، وترك ولده الخير الأفضل سيدي عبد الكريم هوالآن في قيد الحياة، كان الله لنا وله.

وفي *محاضرات* سيدي الحسن اليوسي: حدثني الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الجزائري قال: حج بعض الأشراف فلما وقف على الروضة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قال:

إنْ قِيلَ زُرْتُمْ بِمَا رَجَعْتُمْ؟ ... يَا أَكْرَمَ الرُّسْلِ مَا أَقُولُ

بالقاف المعقودة، فسمع من الروضة المشرفة بتلك اللغة:

قُولُوا رَجَعْنَا بِكُلِّ خَيْرٍ ... وَاجْتَمَعَ الْفَرْعُ والأُصُولُ

---

68) استدراك من ط.

69) استدراك من ط أيضاً

70) زيادة في ط.

71) زيادة في ط كذلك.

أحمد بن محمد الشريف التونسي

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الشريف التونسي. في بعض المقيدات: الفقيه العالم الدراكة، قرأ على منسبخة فاس [وسمع من] (72) أبي عبد الله محمد المرابط الدلائي شارح *التسهيل* وسيدي عبد القادر الفاسي وولده أبي عبد الله محمد وغيرهم. وكان فقيها مدرسا عالما بأحكام الوثائق وعللها. وكان رفيق سيدي محمد مبارة الأصغر في سماط عدول فاس القرويين وفي الأخذ عن الشيوخ. وبصفه بالأخلاق الحسنة والسيرة الممدوحة المستحسنة. وكان القاضي بردلة ينوه بقدره ويقدمه على أترابه من أبناء عصره ويعترف له بصحة النسب ورفعة الحسب، وربما أنابه في أحكام القضاء. توفي سابع عشر جمادى الثانية عام اثنين ومائة وألف ودفن بإزاء سيدي على حماموش خارج باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس الأندلس قرب مصلى العيد.

محمد بن أحمد الحريشي

ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الحريشي الفاسي. ذكر أن له شرحا *على مختصر خليل* لم يكمل وشرحا *على شمائل الترمذي*. أخذ عن أبي العباس المزوار [ثم] عن أبي محمد عبد القادر الفاسي و[أخذ عنه](73) العالم النوازلي أبو عبد الله محمد حمدون بناني، توفي أوائل ذي الحجة عام اثنين وتسعين ومائة وألف.

الحسن بن مسعود اليوسي

ومنهم الإمام الكبير، المحقق السهير، أعجوبة الدَّهر، ونادرة العصر، سيف السنة القائم عن وجود أهل عصره، بجزيل المنة، أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي. قال في *محاضراته*: أنا الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف وهو أبو القبيله ابن داوود ابن يدراسن بن يلنني. فهذا ما نعد من النسب. ثم قال: وأما اليوسي فأصله اليوسفي كما مر من أن يوسف هو أبو القبيلة ويسقطون الفاء في لغتهم.

قلت: وهذا أعجب، فإن جده يوسف هذا هو رابع الآباء ومع قربه من زمنه تفرع منه خلق كثيرون فإن القبيلة اليوم كبيرة جدا ولا عجب من أمره الله.

كان صاحب الترجمة رحمه الله عالما ماهرا في المعقول والمنقول بحرا زاخرا في المعارف والعلوم، وخص عن أهل عصره بالصدع بالحق بين يدي [خليفه](74) الوقت اعتناء به ومبالغة في نصحه ومحبته فيه راجيا منه أن يكون على سيرة الخلفاء.

---

72) في ط . أحد عن

73) في م: ولازمه.

74) في م: أمير.

وقياما منه بالذب عن الدين [وحماية للرعية وحرصا على سنن المهتدين][75] توتر في ذلك قضايا متعددة. وأقبل الناس عليه إقبالا عظيما، فكان حيثما قرأ أطبق الناس عليه وغص عليه المجلس بالخلائق، ما لا يتفق لغيره، مع استمالة العامة إليه، فكان بسبب ذلك لا يدعه [السلطان] [76] يتقرر في موضع، بل يأمره بالرحيل لموضع اخر فيكثر الناس عليه أكثر من ذلك وهلم جرا. ودخل مدينة فاس ودرس بها مرارا، فمنها سنة تسع بمثناة وسبعين بموحدة وألف إذ خربت الزاوية البكرية فأقبل طلبة العلم للأخذ عنه. وتخلّف عن مجلسه [جماعة من المشاهير] [77] وما منهم بصدد التعليم إلا من هو محتاج لمجلسه، فقال فى ذلك بيتين واعتذر عنهما في *محاضراته* بقوله: ولكن للنفس فرطات، ولابد لها أحيانا من سقطات. قال: فمن ذلك قولي:

مَـا أنْصَـفَتْ فَـاسٌ وَلاَ أعْـلاَمُـهَـا ... علْمِى وَلاَ عَـرَفُـوا جَـلاَلَـةَ مَنْصِـبِى

لَوْ أنْصَفُـوا لَصَبَواْ إلَىَّ كَمَـا صَبَـا ... رَاعِي سِنِينَ إلَى الْغَـمَـامِ الصَّيِّبِ

فمنهم من أنصف وأذعن واعترف بما له عليهم من المنن، ومنهم من بمقتضى البديهة أنكر، ثم عند التأمل اضمحل ذلك واندثر، ومنهم من ضج فامتطى مطية التقريع، فصرح في نظمه بأمر شنيع، ولم يفع لذلك [المسمع][78] التفات واغتبطوا به اغتباطهم بالأهل والشبيبة وصحة الأبدان، فكان حلوله فيهم حلول القطر زمن المحل وبقية صرفت بين النحل [فتحقق][79] أمره أنه كما نبههم عليه، ولمح فى شعره إليه، من قول القائل:

وَحَـدِيثُـهَـا كَـالْقَطْرِ يَسْمَـعُـهُ ... رَاعِي سِنِينَ تَتَـابَعَتْ جَـدْبًا

فَـأَصَـاخَ يَرْجُـو أنْ يَكُونَ حَـيَـا ... وَيَقُـولُ مِنْ فَـرَحٍ أبَا رَبَّا

قال فى *المحاضرات*: وإنما استسألت واستغفرت الله من المدح والافتخار لأن ذلك مباح فى الشعر مسلوك في سائر الأعصار والأمصار. وهذه القضية أظنها من أسباب تأليف كتابه *المحاضرات* الذي لم يسبق لمثله، ضمنه التعريف بنفسه وأفصح عن معان كثيرة، وتخلص لوجوب عدم الإذعان لأهل المناصب، ومنه الحسد ونقل محفوظات كثيرة نظما ونثرا في العزلة والصبر على الأذى والإعراض عن السفهاء والتأسف على ذهاب ذوى الفضل وخلو الدنيا من أهل العلم والجود والكرم.

---

75) غير وارد فى ك وط.

76) فى م الأمير

77) فى ط: قوم.

78) في م: لقوله.

79) فى م. فسمعوا.

فمن ذلك قول القائل:

ذَهَبَ الّذينَ إذَا رَأَوْنى مُـقْـبِـلاً ... هَشُّـوا وَقَـالُوا مَـرْحَبـاً بِالمُقْـبِلِ
وَبَقِـيتُ فِي خَلْقٍ كَـأَنَّ حَـدِيثَـهُمْ ... وَلَغُ الكَلاَبِ تَهَـاوَشَتْ فِي مَنْهَلِ

ومن ذلك:

مَضَى دَهْرُ السَّمـاح فَلاَ سَمَاح ... وَ لاَ يُرْجَى لذي كَـرَم فَـلاَحُ
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ مُسخُوا كلاَباً ... فـلبس لَدَيْـهِمُ إلاَّ النُّبَـاحُ
وَأَضْحَى الظُّرْفُ عِنْدَهُمُ قَبِيحاً ... أَلاَ واللّـهِ إنَّهُمُ الفِـبَـاحُ

فأشفى الغليل راجيا الفلبل وأطال جدا لما بين به آفة القال والقيل، جزاه الله جزاء المتقين وأدام أمثاله حماية للسنة والدين.

ومن المحكي أن بعض أعيان علماء (80) فاس أرسل له بطاقة فبها جواب عن قوله السابق: ما انصفت فاس الخ، والجواب المكتوب فيها هو هذه الأبيات:

بَلْ أَنْصَـفَتْ فَـاسٌ وَمِنْ إنْصَـافِـهَـا ... أَبَداً سُـقُـوطُ المُـدَّعي وَ المُـعْـجَب
تَنْفِي الدَّجَـاجِلَ آجِـلاً بَلْ عَـاجِـلاً ... فَكَأَنَّهَا هِيَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدَةُ بَثْرِبِ (81).

فلما قرئت عليه لم يجبه، لكن كتب له لفظة: «سلاما» وحدها، فلما ردَّت البطاقة لمرسلها ورأى ذلك [أعجبنه] (82) واعترف ببراعة الجواب وبين لأصحابه أنه يشر لقوله تعالى: «*وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما*». وكان من جملة من حضر [المجلس] (83) جدنا أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسنى فأجاب عن الأبيات المكتوبة فى البطاقة بهذه الأبيات وهي من نظمه ونثره وغزله فقال:

---

80) هنا فى ك طرة نصها:
وقفت فى بعض التقاييد أنه الإمام المجاصي، وذكر بدل البيب التاني فى الأصل بيتا آخر نصه.

مِثْلُ المَدِينَةِ أَخْرَجَتْ أَثْقَالَهَا ... إذْ أُبْرِزَتْ أَثْقَالَهَا لَمْ تَرْسُبِ

وأجابه أيضا العلامة سيدي محمد بن عبد الفادر الفاسي رضى الله عنه بقوله:

بَلْ يَعْـرِفُـونَهُمْ فَـاسْـتَـيْـقَنُوا ... جَـهْلَ الّذي يَقْـفُـوكَ غَـيْـرُ مُكذَّبِ
تُخْـزَى الدَّجَـاجِلُ عَـاجِـلاً أَوْ آجِـلاً ... فِى فَـاسَ وَهْىَ طَرِيدَةٌ مِنْ يَثْـرِبِ

81) الشطر الثانى مكسور، وهنا طرة أخرى فى ك نصها:
المجيب المذكور هو سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسى. ولما وقع الجواب المذكور وهو: بل انصفت الخ، بيد أبى علي، طالع به شيخ الجماعة أبا محمد سيدي عبد القادر الفاسى فقال له: البادئ أظلم وأنت أزلت جلباب الوقار وأبحت عذارك لمعارضتك الأحداث وإصغائك لمقال من لم يساوك فى علم ولا سن.

82) فى م: أخجلته.

وقياما منه بالذب عن الدين [وحماية للرعية وحرصا على سنن المهتدين][75] توتر في ذلك قضايا متعددة. وأقبل الناس عليه إقبالا عظيما، فكان حثما قرأ أطبق الناس عليه وغص عليه المجلس بالخلائق، ما لا يتفق لغيره، مع استمالة العامة إليه، فكان بسبب ذلك لا يدعه [السلطان] [76] يتقرر في موضع، بل يأمره بالرحيل لموضع اخر فيكثر الناس عليه أكثر من ذلك وهلم جرا. ودخل مدينة فاس ودرس بها مرارا، فمنها سنة تسع بمثناه وسبعين بموحدة وألف إذ خربت الزاوية البكرية فأقبل طلبة العلم للأخذ عنه. وتخلفت عن مجلسه [جماعة من المشاهير] [77] وما منهم بصدد التعليم إلا من هو محتاج لمجلسه، فقال في ذلك ببيتين واعتذر عنهما في *محاضراته* بقوله: ولكن للنفس فرطات، ولابد لها أحيانا من سقطات. قال: فمن ذلك قولي:

مَا أَنْصَفَتْ فَاسٌ وَلاَ أَعْلاَمُهَا ... عِلْمِي وَلاَ عَرَفُوا جَلاَلَةَ مَنْصِبِي
لَوْ أَنْصَفُوا لَصَبَوْا إِلَيَّ كَمَا صَبَا ... رَاعِي سِنِينَ إِلَى الْغَمَامِ الصَّيِّبِ

فمنهم من أنصف وأذعن واعترف بما له عليهم من المنن، ومنهم من بمقتضى البديهة أنكر، ثم عند التأمل اضمحل ذلك واندثر، ومنهم من ضج فامتطى مطية التفريع، فصرح في نظمه بأمر شنيع، ولم يقع لذلك [المسمع][78] التفات واغتبطوا به اغتباطهم بالأهل والتسبيبة وصحة الأبدان، فكان حلوله فيهم حلول القطر زمن المحل وبقية صرفت بين النحل [فتحقق] [79] أمره أنه كما نبههم عليه، ولمح في شعره إليه، من قول القائل:

وَحَدِيثُهَا كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ ... رَاعِي سِنِينَ تَتَابَعَتْ جَدْبًا
فَأَصَاخَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَيًا ... وَيَقُولُ مِنْ فَرَحٍ أَيَا رَبَّا

قال في *المحاضرات*: وإنما استسألت واستغفرت الله من المدح والافتخار لأن ذلك مباح في الشعر مسلوك في سائر الأعصار والأمصار. وهذه القضية أظنها من أسباب تأليف كتابه *المحاضرات* الذي لم يسبق لمثله، ضمنه التعريف بنفسه وأفصح عن معان كثيرة، وتخلص لوجوب عدم الإذعان لأهل المناصب، ومنه الحسد ونقل محفوظات كثيرة نظما ونثرا في العزلة والصبر على الأذى والإعراض عن السفهاء والتأسف على ذهاب ذوي الفضل وخلو الدنيا من أهل العلم والجود والكرم.

75) غير وارد في ك وط.
76) في م: الأمير.
77) في ط: قوم.
78) في م. لقوله.
79) في م: فسمعوا.

فمن ذلك قول القائل:

ذَهَبَ الّذينَ إذَا رَأوْني مُقْبِلاً ... هَشُّوا وَقَالُوا مَرْحَباً بالمُقْبِلِ
وبَقِيتُ فِي خَلْقٍ كَأنَّ حَدِيثَهُمْ ... وَلَغُ الكِلَابِ تَهَاوَشَتْ فِي مَنْهَلِ

ومن ذلك:

مَضَى دَهْرُ السَّمَاح فَلاَ سَمَاح ... وَ لاَ يُرْجَى لذي كَرَم فَلاَحُ
رَأيْتُ النَّاسَ قَدْ مُسِخُوا كِلاَباً ... فلسس لَدَيْهِمُ إلاَّ النُّبَاحُ
وَأضْحَى الظُّرْفُ عِنْدَهُمُ قَبِيحاً ... ألاَ واللّه إنَّهُمُ القِبَاحُ

فأشفى الغلبل راجبا القلبل وأطال جدا لما بين به آفة القال والقيل، جزاه الله جزاء المتقين وأدام أمثاله حماية للسنة والدين.

ومن المحكي أن بعض أعيان علماء (80) فاس أرسل له بطاقة فيها جواب عن قوله السابق: ما انصفت فاس الخ، والجواب المكتوب فيها هو هذه الأبيات:

بَلْ أنْصَفَتْ فَاسٌ وَمِنْ إنْصَافِهَا ... أبَداً سُقُوطُ المُدَّعِي وَ المُعْجَبِ
تَنْفِي الدَّجَاجِلَ آجِلاً بَلْ عَاجِلاً ... فَكَأنَّهَا هِيَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدَةُ يَثْرِبِ (81).

فلما قرئت عليه لم يجبه، لكن كتب له لفظة: «سلاما» وحدها، فلما ردَّت البطاقة لمرسلها ورأى ذلك [أعجبته] (82) واعترف ببراعة الجواب وبين لأصحابه أنه يشير لقوله تعالى: «*وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما*». وكان من جملة من حضر [المجلس] (83) جدنا أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسنى فأجاب عن الأبيات المكتوبة فى البطافة بهذه الأبيات وهي من نظمه ونتره وغزله فمال:

---

80) هنا فى ك طرة نصها.
وقف فى بعض التقاييد أنه الإمام المجاصى، وذكر بدل البيت الثانى فى الأصل بيتا آخر نصه.

مِثْلُ المَدِينَةِ أخْرَجَتْ أنْقَالَهَا ... إذْ أبْرَزَتْ أثْقَالَهَا لَمْ تَرْسُبْ

وأجابه أيضا العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الفاسى رضى الله عنه بقوله:

بَلْ يَعْرِفُونَهُمْ فَاسْتَيْقَنُوا ... جَهْلَ الّذي يِقْفُوكَ غَيْرُ مُكَذَّبِ
تُخْزَى الدَّجَاجِلُ عَاجِلاً أوْ آجِلاً ... فِي فَاسَ وَهْيَ طَرِيدَةُ مِنْ يَثْرِبِ

81) الشطر الثانى مكسور، وهنا طرة أخرى فى ك نصها:
المجيب المذكور هو سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. ولما وقع الجواب المذكور وهو: بل انصفت الخ، بيد أبي علي، طالع به شيخ الجماعة أبا محمد سيدي عبد القادر الفاسي فقال له: البادئ أظلم وانت أزلت جلباب الوقار وأبحت عذارك لمعارضتك الأحداث وإصغائك لمقال من لم يساوك في علم ولا سن.

82) فى م. أخجلته.

مَـا أَنْصَـفَتْ فَـاسٌ وَلاَ مِنْ شَـأْنِهَـا ... إِنْصَـافُ ذِي شَـرَفٍ جَلِيلِ المَنْصِبِ
يَا أَهْلَ فَـاسٍ مَـا الَّذِي أَغْنَاكُمُ ... عَنْ نَبْلِ غَـبْتَ مِنْ غَـمَـامٍ صَـيِّبِ
فَلَقَـدْ سَـقَطَتْ وَمَـا صَـدَّقَتْ وَإِنَّهُ ... مِنْ شَـأْنِ نَفْسِ المُـدَّعِي وَالمُـعْـجَبِ
لاَ تَتْـعَـبَنَّ فَـدُونَ مَـا حَـاوَلْتَـهُ ... خَـرْطُ القَـتَـادِ وَامْـتِطَاءُ الكَوْكَبِ
أطرق كـذا هَذَا الإِمَـامُ مُـعظم ... فِي سَـائِرِ الدُّنْيَـا بِغَـيْـرِ تَعَـجُّبِ
فَـلأَنْتَ تُطْفِئُ نُورَ رَبِّكَ جَـاهِداً ... بِالنَّفْخِ بُغْـضـاً كَـالْجَـهُولِ المُـذْنِبِ
أو كـالذي رام الصـعـود إلى العـلا ... بأتانه العـرجـا ولم يسـتـوجب
لا تعـجـبن إذا الأكـارم حلقت ... غمرا فكم من ماجد لم ينجب] (84)

ومدحوا صاحب الترجمة بأمداح كثيرة وأثنوا عليه بأنظام خطبرة. فمن ذلك قول جدنا عبد السلام بن الطيب القادري يمدحه ويصف حالة حلوله حينئذ بفاس مخاطبا له:

حَـيِـيَتْ بِكَ الأَرَضُـونَ مُنْذُ حَلَلْتَـهَـا ... وَحَـيِـيتْ بِنُورِ هُدَاكَ كُلُّ نُفُـوسِ
أَنْتَ الَّذِي أَنْهَلْتَ مِنْ بَحْـرِ الْهُـدَى ... فَـسَـقَـيْتَ مِنْهُ مُـرِيدَهُ بِكُؤُوسْ
أَنْتَ الَّذِي لَمَّـا رَقِـيتَ سَـمَـا الْعُـلاَ ... نَارَتْ لَنَا بِسَنَاكَ كُلُّ شُـمُـوسِ
قَـدْ جِـئْتُ بَحْـراً مِنْ عُلُومٍ زَاخِـراً ... مُـتَـضَلِّعـاً مِنْهُ بِكُلِّ نَفِـيسِ
قَـسَـمـاً بِمَـرْوَةَ وَالصَّـفَـا وَبِزَمْـزَمٍ ... قَسَمَ التُّـقَى وَالبِرِّ غَـيْـرَ غَـمُـوسِ
مَـا حَـازَ ذُو عِلْمٍ وَلاَ ذُو هِمَّـةٍ ... كَـلاَّ وَلاَ دَانَى مَـقَـامَ السُّـوسِي

فأجابه بأبيات تأتي إن شاء الله في ترجمته. ومما نظمه صاحب الترجمة في شأن من يؤذيه من علماء أهل سجلماسة:

حَيِّ الأَحِـبَّـةَ عَنِّي أَيْنَمَـا ذُكِـرُوا ... وَخُصَّ مِنْ جِيـرَتِي قَـوْماً هُمُ الْغُـرَرُ
وَلاَ تُحَيِّ لِئَـامـاً قَـدْ عَـهِـدْتُهُمُ ... سَـجِـيـهِ فِـيـهِمُ الإِيذَاءُ وَالضَّـرَرُ
وَقُلْ لِذَاكَ السِّـجِلْمَـاسِيِّ إِنَّ لَنَا ... عِرْضاً مَصُوناً فَلاَ تَهْتِكْهُ يَا غَدَرُ
إِنَّ المُنَافِقَ لِلْعَـوْرَاتِ مُلْتَـمِسٌ ... وَالمُومِنُونَ إِذَا مَا اسْتَبْصَرُوا عَذَرُوا
وَلَيسَ مِنْ عَجَبٍ إِنْ كُنْتَ مُنْتَهِساً ... لَحْمَ الوَرَى فِعْلَ كَلْبٍ لَيْسَ يَنْزَجِرُ
فَـإِنَّ أَسْـلاَفَكَ الأَرْذَالَ قَـدْ أَكَلُوا ... لَحْمَ الْكِلاَبِ فَـذَاكَ الْفِـعْلُ مُـدَّخَـرُ
أَهْلُ سِجِلْمَاسَةَ الأَبْذَوْنَ إِنْ نَطَقُوا ... وَأَلْوَمُ النَّاسِ أَحْلاَمـاً إِذَا افْـتَـدَرُوا
لَوْلاَ الأَكَـارِمُ آلُ المُـصْطَفَى نَزَلُوا ... بِأَرْضِـهِمْ آخِـرَ الأَزْمَـانِ مَـا ذُكِـرُوا

84) الأبيات الأربعة الأخيرة ساقطة من م و س.

وحق لمن يؤذي [مثل] (85) صاحب الترجمة أن يقال فيه أكثر من هذا لأنه من العلماء العاملين والسادات الكاملين، وقد أفنى نفسه في الذب عن الشريعة وحرر فصولها وأسس أصولها المنيعة، فلقد كان سيفا من سيوف الدين، وصارما بفري هام الملحدين، ومقمعا للطغاة (86) المفسدين. ومن بديع احتراسه تصريحه بأن بلدة هذا الشخص إنما شرفت بأهل بيت الرسول ولا شك أن سجلماسة بلدة مشرفة بآل البيت الكرام، ومنحهم الله بهم من منائح الفضل العظيم، بل وسعد بهم بلاد المغرب حتى أقام الله منهم الخلفاء(87) الذين أطفأ بهم نيران الفتن، وتدارك بهم الضعفاء والمساكبن فأزال عنهم المحن، ومن وقف على ما وقع من الفساد في المغرب قبل ظهور هؤلاء الشرفاء تحققه علما، وأحاط بصحته جزما، وقد ذكرنا بعضا منه فيما تقدم مفترقا فى السنين، فليراجع. وكان ورود هؤلاء الشرفاء على سجلماسة أواسط المائة السابعة كما ذكره سيدي ابراهيم بن هلال فى مناسكه.

وكان صاحب الترجمة آية في المعقول والمنقول وإليه المرجع فيهما، وآية في النبل والإدراك مع الحظ الوافر فى الأدب وحفظ دواوين الشعر، يستحضر ديوان أبي تمام وأبي الطيب والمعري ويسرد قصائدها عن ظهر قلب، ومدحه الشيخ الإمام الورع الزاهد سيدى أحمد العطار المراكشي الأندلسي بقصيدة مطلعها:

صَدَدْتَ وَالصَّدُّ مِنْكَ غَيْرُ مَعْهُود … وَبالوصال قَصَرْتَ كُلَّ مَمْدُود
فَمَا اجْترَامي وَمَا أمْسَيْتُ مُشْكِياً … بِنَقْضِ عَهْدٍ وَلاَ إخْلاَفِ مَوْعُود
حَتَّى نَظمتَ (88) عُقُوداً منْ حُلاَكَ حَكَتْ … شَمَائِلَ ألْحَسَنِ ألرِّضَى ابْنِ مَسْعُود
فَتىً لَهُ قَدَمٌ فِى ألفَضْلِ رَاسِخَةٌ … وَمَنْزِلٌ فِي ألعَفَافِ غَيْرُ مَجْحُود

وأجابه بقصيدة [مطلعها قوله:

ما نفحة الأرض من أرجائها عود](89)

ولصاحب (90) الترجمة مراسلات ومحاورات مع السلطان المظفر الهمام أبي النصر المنصور بالله أمير المومنين مولانا إسماعيل بن الشريف الحسنى السجلماسي، ووقفت على رسالة من ذلك نصها.

85) زياده فى م.
86) فى س و ط: العتاة
87) في م. الملوك
88) كذا فى م وهو الأنسب، وفي ك قصت.
89) ما بين معقوفتين ساقط من ط.
90) هنا يبتدئ بتر طويل في ط لبضع صفحات، وسننبه على نهايته.

بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم، ورضي الله تعالى عن الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلى خليفتنا أمير المومنين الإمام قطب المجد ومركزه، وفخار الفخار ومئزره، وأساس الشرف الفادح ومنبعه، ومناط الفضل الشامخ ومجمعه، السلطان الأعظم، الأجل الأفخم مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف لازلت أعلامه منشورة، وأيامه على العز واليمن مقصورة، وسلام على مولانا ورحمة الله تعالى وبركاته. هذا ولا زائد عندنا سوى المحبة لسيدنا وغاية التعظيم والإجلال، والدعاء له بصلاح الحال، وذلك بعض ما أوجبته يده علينا المبسوطة بالبر والإحسان، والتفضل والامتنان، والتوقير والاحترام، والإنعام والإكرام، مع ما له علينا وعلى غيرنا من الحقوق التى أوجبتها منزلته السلطانية، ومثابته العلوية الفاطمية، فكتبنا هذه البطاقة، وهي فى الوقت منتهى الطاقة، وكنا كثيرا ما نرى من سبدنا التشوف إلى الموعظة والنصح، والرغبة في افتتاح أبواب الربح والنجح، فأردنا أن نرسم لسبدنا بعض ما إن وفق [91] للنهوض إلبه رجونا له ربح الدنيا والآخرة، والارتقاء إلى الدرجات الفاخرة، ورجونا وإن لم نكن أهلا لأن نعظ أن يكون سيدنا أهلا لأن يتعظ، وأن يحتمي من جمبع المذام ويحتفظ. فليعلم سيدنا أن الأرض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له، والناس كلهم عبيد لله تعالى وإماء له والسلطان واحد من العبيد، وقد ملكه الله تعالى عبده ابتلاء وامتحانا، فإن قام علبهم بالعدل والرحمة والإنصاف والإصلاح فهو خلفة الله في أرضه وظل الله على عباده وله الدرجة العالية عند الله تعالى، وان قام بالجور والعنف والكبرياء والطغيان والإفساد فهو متجاسر على مولاه[92] في مملكته ومتسلط ومتكبر في الأرض بغبر حق ومتعرض لعقوبة الله تعالى الشديدة وسخطه. ولا يخفى على سيدنا حال من تسلط على رعيته يروم تملكهم بغير إذنه [93] كيف يفعل به يوم يتمكن منه، تم نقول إن على السلطان حقوقا كثيرة لا تفي بها البطاقة، ونقتصر منها على ثلاثة هي أمهاتها: الأول جمع المال من حق وتفريقه في حق. الثاني: إقامة الجهاد لإعلاء كلمة الله، وفي معناه تعمير الثغور بما تحتاج من عدد وعدة. الثالث: الانتصاف للمظلوم من الظالم، وفي معناه كف كل يد عادية علبهم منهم ومن غيرهم. وهذه الثلاثة قد اختلت كلها في دولة سبدنا، فوجب علبنا تنبيهه لئلا يعتذر بعدم الاطلاع أو بالغفلة، فإن تنبه وفعل فقد فاز وفى ذلك صلاح الوفت وصلاح أهله وسبوغ النعمة وشمول الرحمة، وإلا فقد أدينا الذي علبنا.

أما الأمر الأول فليعلم سيدنا أن المال الذي يجبى من الرعية قد أعده الله تعالى للمصالح التى ينتظم بها الدين وتصلح الدنيا من أهل البيت والعلماء والقضاة والأئمة والمؤذنين والمجاهدين والأجناد والمساجد والقناطر وغير ذلك من المصالح، ومثال هؤلاء

91) فى س: وقفنا، وهو تصحيف.

92) فى س: على الله تعالى.

93) فى ك و م: بغير أمره

كأيتام لهم ديون قد عجزوا عن [الوصول إلى] قبضها إلا بوكيل، ومثال الرعية مثل المديان والسلطان هوالوكيل، فإن استوفى الوكيل الدين بلا زيادة ولا نقصان وأداه إلى اليتامى بحسب ما يجب لكل فقد برئ من اللوم ولم تبق عليه تباعة للمديان ولا لليتيم وحصل له أجران: أجر القبض وأجر الدفع، وإن هو زاد على الدين الواجب بغير رضى المديان فهو ظالم للمديان، وإن نقص بغير موجب فهو ظالم لليتيم وكذا إن استوفى الديون وأمسكها ولم يدفعها لأربابها فهو ظالم لهم. فلننظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جرُّوا ذيول الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا المخ ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا، أما الدنيا فقد أخذوها، وأما الدين فقد فتنوهم عنه وهذا شيء شهدناه لا شيء ظنناه، ثم إن أرباب الحقوق قد ضاعوا ولم نصل إليهم حقوقهم. فعلى السلطان أن يتفقد الجباة ويكف أيديهم عن الظلم ولا يغتر بكلام من يزين له الوقت، فإن أكثر الدائرين به طلاب الدنيا لا يتقون الله ولا يتحفظون من المداهنة والنفاق والكذب، وفي أفضلَ منهم قال جد سيدنا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: المغرور من غررتموه، وأن يتفقد المصالح ويبسط يد الفضل على خواص الناس وأهل العلم والدين والخير ليكتسب محبتهم وثناءهم ونصرهم كما قيل:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً ... يدي ولساني والضميرَ المحجبا

وقد جُبلت النفوس على حب من أحسن إليها، ولا يهملهم فيتمنوا غيره ويتطلبوا دولة أخرى كما قيل:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ ... نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه ... يريد سواها فهو يهوى انتقالها

وليعلم سيدنا أن السلطان إذا أخذ أموال العامة ونثرها في الخاصة وشيد بها المصالح فالعامة يدعون له ويعلمون أنه سلطان وتطيب قلوبهم بما يرون من إنفاق أموالهم في مصالحهم وإلا فالعكس، وأيضا السلطان متعرض للسهام الراشقة من دعوات المظلومين من الرعية، فإذا أحسن إلى الخاصة دعوا له بالخير والسلام والبقاء فقابل دعاء بدعاء والله الموفق.

وأما الأمر الثاني فقد ضاع أيضا، وذلك أنه لم يتأت في الوقت [الآن](94) عمارة الثغور وسيدنا قد غفل عنها. فقد ضعفت اليوم غاية. وقد حضرت بمدينة تطاون (95) أيام

94) في م: «إلا». ومثله في *الاستقصا*.
95) في م: تطاوين

مولانا الرشيد رحمه الله فكانوا إذا سمعوا الصريخ تهتز الأرض خيلا ورماة. وقد بلغني اليوم أنهم سمعوا صريخا(96) من جانب البحر ذات يوم فخرجوا يسعون على أرحلهم بأيديهم العصي والمقالع، وهذا وهن في الدين، وغرر على المسلمين، وإنما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة وتكليفهم الحركة (97) واعطائهم (98) العدة كسائر الناس. فعلى سيدنا أن يتفقد السواحل كلها من القلعية (99) إلى ماسة ويحرضهم على الجهاد والحراسة بعد أن يحسن إليهم ويعفيهم مما يكلف به غيرهم ويترك لهم خيلهم [ورجالهم] (100) وعدتهم ويزيدهم ما يحتاجون اليه، فهم حماة بيضة الإسلام ويتحرى فيمن يوليه تلك النواحي أن يكون أشد الناس رغبة في الجهاد ونجدة في المضايق وغيرة على الإسلام [وأهله] (101) ولا يولي فيها من همته ملء بطنه والاتكاء على أريكته.

وأما الأمر الثالث فقد اختل أيضا لأن المنتصبين للانتصاف بين الناس هم العمال في البلدان وخدامهم [و](102) هم المشتغلون بظلم الناس. فكيف يزيل الظلم مَنْ يفعلُه؟ ومن ذهب يشتكي سبقوه الى الباب فزادوا عليه فلا يقدر أحد أن يشتكي. [فلْيتَّقِ سيدنا دعوة المظلوم] (103) فليس بينها وبين الله حجاب، وليجتهد في العدل فإنه قوام الملك وصلاح الدين والدنيا. قال الله تعالى: «*إن الله يأمر بالعدل والاحسان [وإيتاء ذي القربى] وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون*». وقال تعالى: «*ولينصرنَّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز*». ثم ذكر المنصورين وشرائط النصر فقال: «*الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر*». فضمنَ تعالى للملوك النصر وشرط عليهم هذه الأمور الأربعة، فمتى اختل عليهم أمر الرعية وتسلط عليهم من يفسد عليهم الدولة علموا أن ذلك من إخلالهم بهذه الأمور، فكان عليهم الرجوع الى الله تعالى وتفقد ما أمرهم به ورعاية ما استرعاهم إياه. وقد اتفقت حكماء العرب والعجم على أن الجور لا يثبت معه الملك ولا يستقيم، وأن العدل يستقيم معه الملك ولومع الكفر، وقد عاش الملوك من الكفرة المئين من السنين في الملك المنتظم والكلمة المسموعة والراحة من كل منغص لما كانوا يتحافظون عليه من العدل في الرعية استصلاحا لدنياهم، فكيف بمن يرجو صلاح الدنيا والدين [والآخرة]. وقال بعض الحكماء: الملك بناء والجند أساسه. فإذا ضعف

96) في ك و س: يفزع.

97) في م: الحركات

98) في م: وإعطاء

99) في م. قلعية.

100) زياده في ك.

101) كذلك زيادة في ك

102) زيادة في م و س.

103) في م. فليتق الله سيدنا، وليتق دعوة المظلوم.

الأساس سقط البناء. فلا سلطان إلا بجند. ولا جند إلا بمال. ولا مال إلا بجباية، ولا جباية إلا بعمارة. ولا عمارة إلا بالعدل، فالعدل أساس الجمع، وصنع أرسطاطالبس الحكيم للإسكندر الشكل المستند عنه وكتب عليه: العالم بستان سياجه الدولة، الدولة سلطان تعضده السنة، السنة سياسة يسوسها الملك، الملك راع يعضده الجيش، الجيش أعوان يكفلهم المال، المال رزق يجمعه الرعية، الرعيه عبيد يقودهم العدل، العدل مألوف وبه صلاح العالم، العالم بستان انتهى. وقال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راعٍ فالإمامُ راع وهو مسؤولٌ عن رعيته). وقال صلى الله عليه وسلم: (إن رجالا يخوضون في مال الله بغير حق لهم النارُ يوم القيامة). وقال صلى الله عليه وسلم أو كما قال: (ما من والٍ يلي ولاية إلا جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان. فإمَّا عدل يفكّه وإما جورٌ يُوبقه). وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: رأيت عمر على قتب يعدو به بعيره بالأبطح فقلت: يا أمير المؤمنين، أين تسير؟ قال: بعير شرد من إبل الصدقة أطلبه. فقلت: أذللت الخلفاء من بعدك. فقال لا تلمني، والذي بعث محمدا [بالحق] عليه السلام لو أن عنقا ذهبت بشاطئ الفرات لأُخذ بها عمر يوم القيامة، ألا إنه لا حرمة لوالٍ ضيّع المسلمين، ولا لوال (   ) [104] المؤمنين، وقد رأى رضي الله عنه شيخا يهوديا يسأل على الأبواب فقال عمر: ما أنصفناك، أخذنا منك الجزية مادمت شابا ثم ضيعناك اليوم. وأمر أن يجرى عليه قوته من بيت المال. وليعلم سيدنا أن أول العدل أن يعدل في نفسه فلا يأخذ لنفسه من المال إلا بحق وليسأل العلماء عما يأخذ وما يعطي وما يأتي وما يذر، وقد كان بنو إسرائيل يكون فيهم الأمير على يد نبي، فالنبي يأمر والأمير ينفذ لا غير، ولما كانت هذه الأمة المشرفة انقطعت النبوءة بنبينا خاتم النبيئين صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه النبيئين، فلم يبق إلا العلماء يقتدى بهم. قال صلى الله عليه وسلم: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل). فكان حقا على خلفاء هذه الملة أن يتبعوا العلماء ويتصرفوا على أيديهم أخذا وعطاء. وقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستُخلف أبو بكر رضي الله عنه وكان قبل ذلك يبيع ويشتري بالسوق لعياله، فلما بويع أخذ متاعه إلى السوق على عادته حتى رده علماء الصحابة وقالوا له: إنك في شغل بأمر الخلافة عن السوق، وفرضوا له ما يكفي عياله وجعلوا المال على يد أمين، وكان هو وغيره فيه سواء يأخذ منه بما اقتضته الشريعة لنفسه ولغيره، وهكذا سيرة الخلفاء الراشدين من بعده. فعلى سيدنا أن يقتدي بهؤلاء الفضلاء، ولا يقتدي بأهل الأهواء [105] ويسأل من معه من الفقهاء الثقات كسيدي محمد بن الحسن وسيدي أحمد بن سعيد وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون الله ولا يخافون في الله لومة لائم، فما أمروه به مما ذكرناه ومما لم نذكره فعله، وما نهوه عنه انتهى. هذا سبيل النجاة إن شاء الله تعالى، نسأل الله أن يرزق سيدنا توفيقا وتسديدا، وإرشادا وتأييدا، وأن يصلح بوجوده البلاد والعباد وأن يحسم بسيفه أهل الزيغ

104) بياض في م.

105) في ط و س: بأهل الهَوى

والفساد آمن والحمد لله رب العالمين. وكتب العبد الفقير الذليل الحسن بن مسعود اليوسي تاب الله عليه آمين. انتهى.

والأحاديث التي ذكر كلها في *الصحيح* بالألفاظ التي ذكر وبغيرها إلا أن قوله: ما من وال الخ الذي عزاه المنذري *لصحيح ابن حبان* من رواية إبراهيم بن هشام الغساني عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من والي ثلاثة إلا لقي الله مغلولة يمينه فكه عدله وغله جوره انتهى. وأورد المنذري في ترغيبه أحاديث كثيرة في هذا المعنى. وأما حديث: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، فقال السيوطي في *الدر المنثور*: لا أصل له. نعم أخرج صاحب الترجمة الأربعة عن أبي الدرداء: علماء أمتي ورثة الأنبياء، وسيدي محمد ابن الحسن المجاصي المذكور في كلامه تأتي ترجمته في العام الذي بعد هذا، وسيدي أحمد بن سعيد هوالمجلدي تقدمت ترجمته في العشرة العاشرة من المائة الحادية عشرة. وكان الخليفة مولانا إسماعيل المذكور يثني عليه خيرا، ومما يحكى عنه في ذلك أنه كان يقول: علماء الوقت على أربعة أقسام: قسم لا يخاف إلا من الله ولا يخاف منا، يعني نفسه. وقسم يخاف من الله ومنا، وقسم يخاف منا ولا يخاف من الله، وقسم لا يخاف من الله ولا منا، ويمثل للقسم الاول بصاحب الترجمة [وتركنا ذكر أصحاب التماثل الثلاثة إذ كل نفس بما كسبت رهينة، عليكم أنفسكم لا يضركم مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُم] (106).

وقد فاز صاحب الترجمة [بدينه فلم يتحمل بشيء من غمزات المسلمين إلا ما سعى لهم في المصالح وارتكاب المخاطرة في إرشاد السلطان إلى ما هو واجب عليه بأشد من الخطاب المتقدم في الرسالة المنقولة مشافهة] (107) حيث سعى للمسلمين في المصالح ونصح الخليفة المذكور غير ما مرة وقد راجعه برسالة أخرى أطول من هذه (108) جوابا عن ما نعته به بطانة السلطان الذين يلونه ويقربون منه، واجتمع معه وشافهه، وقضاياه(109) معه كثيرة. وكان صاحب الترجمة غاية في الجود والسخاء وجامعا لكثير من الأخلاق العظيمة. وقد (110) استعار منه عمنا الأرضى النزيه الأديب الفقيه الصوفي أبو العباس أحمد ابن الفقيه العدل الأرضى عبد القادر القادري الحسني نسخة من *قوت القلوب* لأبي طالب المكي كان يملكها وخاطبه بهذين البيتين:

أَحَبْرَ ألمومنين أتيتُ قصداً ... لِبابك كي أُحصلَ مِن نصيبِ
وها قلبِي بجوع الجهل يفنَى ... وعندك سيدي قوتُ القلوبِ

106) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

107) زيادة في م وط

108) هنا في هامش م طرة نصها: يدل خطابها أنها جواب عما بحثه به من يوالي السلطان في كلام الشيخ صاحب الترجمة في هذه الرسالة وغيرها، والتعرض لجلب جميع ذلك يطول جدا وان كان لا يخلو من فوائد والله أعلم.

109) في م و س: وقضياته.

110) في ط حكى لنا ولده أبو عبد الله محمد بن العالم أبي العباس أحمد أن أباه المذكور استعار من صاحب الترجمة..

فأرسله إليه في الحين وقال له: هو لك وبَتّاً هبته إياه منجزاً[111] ولما رحل صاحب الترجمة للحجاز سنة إحدى ومائة ونزل طرابلس ومر بدار سيدي أحمد بن عبد الله إذ كان مع الركب المغربي حينئذ حاجا، فترجل سيدنا أحمد عن دابته ودخل عليه بعد الإستئذان، وكانت لهما معرفة إذ كان صاحب الترجمة حيث كان بفاس يأتي إليه ويطلب منه الدعاء يستشيره، فأذن له فدخل عليه الى الدار التى هو نازل فيها وقام إليه فتلقاه [112] وفرح به وقال له إنى هممت أن آتيك وبعثت بعض الطلبة بسأل عن منزلك فآتيك، ثم انصرف سيدى أحمد إلى منزله. فذكر ذلك [عم والدنا] أحمد بن عبد القادر القادري في *رحلته*. [ولصاحب الترجمة *فهرسة* جيدة وقد أشار فيها لعلوم كثيرة وفوائد غزيرة، ولما أشار إلى علم التاريخ قال فيه ففد يقع في الدول من أول المملكة الإنسانية، وقد يخنص بخبر دون غيره، وقد يختص بالدولة الإسلامية، وقد يكون في أعمال الأعيان ووفياتهم، وقد يكون في اختطاط البلدان أو المساجد والرباطات ونحو ذلك، وكل ما يحتاج فيه إلى شيء من أمور الشرع كتاريخ سكة معلومة أو مكيال معلوم أو مسجد عتيق أو التقى فلان من الرواة بفلان أو مكان التقائه، أو كون فلان من المتقدمين أو المتأخرين أو من الصحابة أو لا وغير ذلك، فهو داخل في العلوم الشرعية وما سوى ذلك فخارج عنه غير أنه إن أفاد فائدة أُخرى كالاعتبار والاستبصار وكالاهتزاز لوصف محمود بسماع أخبار من اتصف به من صلاح أو عبادة أو زهد أو شجاعة أو حلم أو سخاء ونحوه وغير ذلك من المصالح فهو محمود. انتهى.

وأتينا بهذه النبذة لما فيها من المناسبة لهذا الكتاب. ومن فوائده الجليلة أنه ذكر حقيقة الإقراء فقال: الإقراء تصحيح المتن وحل المشكل والزيادة على هذا ضررها أكثر من نفعها. قال ولابد أن يدرج فيما ذكر من تصحيح المتن أو حل المشكل التنبيه على النقص أو الحشو وتوجيه ما يحتاج الى التوجيه ونحو ذلك، فهذا وظيفة الإقراء، وهذا كله للمبتدئ. وأما غيره فيعامل بما يليق به، وان لم يكن ماهرا طبيبا فضرره أكثر من نفعه والله أعلم.وقضياته في العلم كثيرة جزاه الله عن المسلمين خيرا] [113].

ولد صاحب الترجمة سنة أربعين وألف ونشأ في ديانة وعفة وصيانة، قال في *فهرسته*: وسافرت إلى بلاد القبلة للتعلم فبعد أن ختمت القرآن العظيم الختمة الأولى سافرت مع معلمي القرآن فذهبت معه الى زيارة الولي الصالح أبي الطيب بن يحيى الميسوري ومن معه في بقعته من الصالحين فزرناهم، ثم ذهبنا لزيارة الشيخ أبي يعزى، ووقع في سماعي أن الناس يطلبون الحوائج عنده فحضر في عقلي ثلاث حوائج، وهي العلم، والمال، والحج وذلك مبلغ عقلي في صغري. أما اثنتان فقد حصل منهما ما لا أنكره من فضل الله تعالى له الحمد

111) في ط أيضا: وسمعته من غير ولد عمنا المذكور من أقاربنا بهذا الوجه أو قريب منه والله أعلم.

112) في ط: يتلقاه

113) ما بين معقوفتين زيادة في ط.

والمنة، وأما الثالثة فنرجو من فضل الله أن يمن بها علينا مبرورة متقبلة وسببا للفوز برضاه، ثم قال: وكنت أطالع *المورد العذب* للجوزي و*بحر الدموع* له فأطالع حكايات الصالحين كأويس القرني وابراهيم بن أدهم وإبراهيم الخواص وغيرهم فانتقشت تلك المآثر في عقلي ووقعت حلاوتها في قلبي فكان ذلك بذرا (114) لما أنعم الله به على من الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها والتسلم لهم انتهى.

ثم تصدر للأخذ عن المشايخ:

فمنهم الحسين بن محمد المدواني قرأ عليه القرآن ومنظومة الرقعي، وكان دأب هذا الشيخ كتب اللوح من القرآن ثم القراءة فيه ثم محوه وهكذا إلى أن مات.

ومنهم الشيخ العلامة الزاهد أبو بكر بن الحسن التطافي، قرأ عليه ختمه من *القرآن* وحضره في *الرسالة* و*مختصر خليل* و*جمع الجوامع* و*الخلاصة*. والتطافي ممن أخذ عن الشيخ الإمام العلامة المدرس الفهامة المحقق الحافظ الزاهد الورع مولانا عبد الله بن على بن طاهر الشريف السجلماسي الحسني.

ومنهم الأستاذ الصالح أبو العباس أحمد الدراوي إمام القصبة السجلماسية وكان ظاهر الصلاح وظهرت له كرامات.

ومنهم قاضي سجلماسة الفقيه المشارك سيدي محمد بن عبد الله الحسني، حضر عنده جملة من الرسالة والصغرى والفلصادي وكان محمود السيرة في ولايته.

ومنهم أبو فارس عبد العزيز الفلالي، قرأ عليه *الألفية* لابن مالك ولاميته *والخزرجية*.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد التجمعتي قرأ عليه [*ألفية* ابن مالك *والقرآن*، وله تحقيق في مهمات النحو.

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد التجمُّعتي. قرأ عليه] (115) جملة من *مورد الظمآن* ومن *مختصر خليل* وغيره.

ومنهم الشيخ الإمام الماهر العلامه قاضي القضاة أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني [صاحب الحاشية على الصغرى](116) حضر عنده جملة من مختصر السنوسي في المنطق و*محصل المقاصد*(117) لابن زكري وتقدمت ترجمته عام اثنين وستين وألف.

ومنهم سيدى محمد المزوار المراكشي، قرأ عليه جملة من *تهذيب مختصر السنوسي*، وكان من مشاهير وقته في فنون العلم.

114) في ط: بدءاً

115) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

116) زيادة في ط

117) صحف في المخطوطات فكتب: مختصر المقاصد.

ومنهم الإمام العالم محمد بن ابراهيم الهشتوكي، قرأ عليه *تنقيح القرافي* في الأصول وجملة من *مختصر خليل* و*مورد الظمآن*.

ومنهم الإمام الماهر سيدى عبد العزيز بن أحمد الرسموكي، فرأ عليه جملة من *مختصر خليل*.

ومنهم الأستاذ الولى الصالح سيدى مَحمد بن ناصر الدرعى، وتقدمت ترجمته، قرأ عليه *التسهيل* وحضره في جملة من *المختصر* والتفسير و*المدخل* و*الإحياء* والبخاري و*الشفا* و*طبقات* الشعراني ومواعظ ووصايا وأخذ عنه عهد الشاذلية. قال صاحب النرجمة: وانتفعت به ظاهرا وباطنا.

ومنهم العلامة سيدي أحمد بن على بن عمران السلاسي ثم الفاسي، تقدمت ترجمته، سمع عليه *كبرى السنوسي*.

[ومنهم الفقيه الفاضل أبو العباس أحمد بن سعيد. حضره في مختصر خليل وفرأ عليه *رسالة الاسطرلاب*، وتقدمت ترجمته](118).

ومنهم خاتمة النحاة الشيخ أبو عبد الله محمد المرابط بن مَحمد بن أبى بكر الدلائي، قرأ عليه *نلخيص المفتاح* ومواضع من *الخلاصة* وصدرا من تفسير الفرآن وأجازه في فنون، تقدمت ترجمته.

وتذاكر مع غير هؤلاء كالشيخ أبى محمد عبد القادر الفاسي، وتقدمت ترجمته. وكالشيخ أبى عبد الله محمد بن سعيد السوسى المرغيثي وتقدمت ترجمته. ذكر ذلك كله في فهرسته [ونص ما أجازه به سيدي عبد القادر الفاسى كما في فهرسة](119) صاحب الترجمة:

الحمد لله الذي شيد بالعلماء أركان الإسلام، وجعل ذكرهم تاجا على مفرق الأيام، والصلاة والسلام على سيد الأرسال الكرام، وعلى آله وأصحابه الأعلام، وبعد، فقد طلب منى الأخ في الله الفقيه العلامة، المحقق الفهامه، الصدر الأوحد، والعالم المفرد، ورئيس القراء والمتهيي(120) للمناصب العلمة السنية الشماء الباذل في إيصال النفع لطالبيه غاية المجهود أبو على الحسن بن مسعود السوسى، يسر الله مرغوبه، وأجزل من سعادة الدارين حظه ومطلوبه، أن نجيزه فيما لنا من مقروء ومسموع، ومجاز من مفرد ومجموع، فأحبت دعواه، وساعفنه فسما تمناه، ففلت: أحزت الفقيه المذكور، الحبر المشهور، فيما بصح لى وعني روايته على الخصوص والعموم، من كل منتور ومنظوم، بما اشتملت عليه *فهرسة* شيخ شيوخنا أبي العباس بن علي المنجور، و*فهرسة ابن غازي*، والمنشوري، وابن الزبير، بإجازة

118) ما بين معقوفتين ساقط من ط

119) زيادة من ك و س.

120) كذا فى ط و م، وفى س و ك: المنتهي

عمي ابي زبد عبد الرحمان بن محمد الفاسى، وأبي عبد الله محمد العربي، وهما عامتان عن شيخهما الإمام القصار وعن غيره من أشياخهما وبإجازة شيخهما القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم، وهى عامة أيضا عن المنجور، وبسماعى عن غيرهما من أشباخي أبي العباس المقري، وأبى عبد الله الجنان، وأبي محمد عبد الواحد بن عاشر. والله ينفع الجمبع ويبلغ من محبته ومعرفته غاية الأمل، قال ذلك وكتبه عبد القادر بن علي بن بوسف الفاسى غفر الله ذنبه، وأصلح قلبه، وستر عببه، آمبن، أول جمادى الأولى عام واحد وتمانين وألف، وصلى اللّٰه على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ولصاحب الترجمة مؤلفات منها *زهر الأكم في الأمثال والحكم*. وله *حاشية* جليلة على مختصر الشيخ السنوسي في المنطق وشرحه، وله تأليف كبير في الهيللة وله إسمان أحدهما منهاج الإخلاص (121) من كلمة الاخلاص والآخر: *مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص؛ والقول الفصل فى تمييز الخاصة عن الفصل؛* وكتاب المحاضرات جعله كالجواب عما أجاب به بعض أهل فاس عن بيتيه السابقين وهما: ما أنصفت فاس ولا أعلامها علمي الخ وسلك فيه سبيل التلطف والإرشاد لسبيل التصوف؛ *وديوان* فى الشعر ساجل به فحول البلغاء من المتقدمين؛ *وحاشية على شرح الكبرى؛ والقانون فى ابتداء العلوم*، *وشرح على قصدته الدالية* في مدح شيخه ابن ناصر، وله شرح على جمع الجوامع سماه *الكوكب الساطع* ولم يكمل، بلغ فيه إذا الفجائية، *وحاشية على تلخيص المفتاح* لم تكمل، *وتقييد فى قضة العكاكزة* تضمن فضحتهم وببان خروجهم من الدين، وله كلام فى كرارس مع قاضى سجلماسة الشيخ عبد المالك النجموعتي فى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت علم كل شيء، وقد كانت قراءته كلها فتحا ربانيا كما أخبر هو عن نفسه في *فهرسته*، وجال في المغرب فقرأ في الزاوية البكرية وبمراكش ودرعة وسجلماسة. قال بعض تلامذته: وقد حدثني بعض الثقات أن جميع من لقيه من الأشياخ يتعجب من إدراكه وتحصيله وإتقانه ويقول: يكون لهذا الرجل شأن عظيم في الإدراك السليم، ومما كتب له به أستاذه أبو عبد الله بن ناصر:

أَبَا عَلِيٍّ جُزِيتَ أُلخَـبْـرَ وَالنِّعَـمَـا ... وَنِلْتَ كُلَّ أُلمُنَا [منْ] رَبِّنَا قَـسَـمَـا

يَا مَرْحَبًا بِكَ كُلَّ أُلرَّحْبِ لاَ بَرِحَتْ ... قَـرَائِحُ أُلفِكْرِ مِنْكَ تَجْتَنِي حِكَمَـا

ولما خاطبه الشيخ بهما أخذ علمه في الزيادة وفاض بحره، وعظم في الرتبة قدره، ومن ملحه أن بات عنده جماعة من الفقهاء فأرسل إليهم مع ظرف الطعام هاذين البيتين:

كُلُوا واعْـذرُوني فـي أُلتَّـخَلُّف إِنَّنى ... رَأَبتُ أُتِّبَـاعَ الطِّرْفِ لَيْسَ منَ الظَّرْفِ

وَأَحْسَنُ ظرْفي تَرْكُ ضَيْفى كَمَا بَشَا ... وَلَيْسَ ارْتِقَابُ أُلطَّرْفِ منْ شِيمَ الظَّرْفِ

121) في م و ط: منهاج الخلاص.

وَمِنْ عجب نظمه قوله لاهل فاس لما لم يذعنوا له:

عَلَى رِسْلِكُمْ يَا أَهْلَ فَاسٍ فَإِنَّنِي فَتىً لَسْتُ بِالْفَدْمِ الْغَبِيِّ وَلاَ الْغُمْرِ
أَنَا الصَّارِمُ الْمَاضِي وَيَارُبَّ نَافِثٍ يُخَلَّفُ فِي الْبَحْثِ الْأُدْبَم وَلَا يُفْرِي

وكان قدومه من الزاوية البكرية الى فاس وسكناه بها آخر المحرم سنة تسع وسبعين وألف، وبقي بها إلى سنة أربع وثمانين ثم ارتحل عنها ورجع إلى فاس فدخلها أيضا فى شوال عام خمسة وتسعين. قال تلمذه العلامة أبوعبد الله بن زاكور: فأقام بها أياما، ونقع بها إلى كل ظمآن إلى رؤيته أواما، وأعاد نيران الجوانح على الأفئدة بردا وسلاما، فلازمت منه بحرا زاخرا، ونظمت من نفبس فوائده لؤلؤا فاخرا، وتألقت من أسراره فى تلك المدة ما أعددته لنوائب الأيام. ولما ظفرت بالاجتماع به، وأبان لي عن وجوه خزائن الأدب وعروبه، سألته أن يشفع لي ذلك بطريقة شيخنا الذي سهل لمريد الحقيقة المسالك، وجلى بأنوارها دياجر الخطب الحالك، من ليس لفضائله حاصر، أبي عبد الله سيدي مَحمد بن ناصر، قدّس اللّه روحه، وبرد ضريحه، فانظرني لغد ذلك اليوم فبات سهري يذوذ عن ورد جفوني سوار النوم، شغفا بمنار تلك الطريقة، وكلفا بمجاز تلك الحقيقة، مخاطبا بقولى، واصفا سهر ليلي.

عَنْ نُورِ هَدْيِكَ ثَغْرُ الدَّهْرِ مُبْتَسِمُ يَا وَاحِداً وَرَدَتْ مِنْ بَحْرِهِ أُمَمُ
هَشتْ لِلُقْيَاكَ فَاسُ إِذْ حَلَلْتَ بِهَا وَفَاسُ لَوْلاَ سَنَا وُجُودكُمْ عَدَمُ
فَزَهْوُهَا بِكَ يَا مَوْلاَيَ مُنْتَظِمُ وَأُنْسُهَا بِكَ يَا مَوْلاَيَ مُلْتَئِمُ
أَبْهَجْتَ عَبْدَكَ إِذْ وَافَاكَ مُكْتَئِباً إِنَّ الْجَوَى بِكَ يَا مَوْلاَيَ يَنْحَسِمُ
وَافَاكَ يَطْلُبُ نَهْجَ النَّاصِرِيَّةِ إِذْ فِي النَّاصِرِيَّةِ نَصْرٌ لَيْسَ يَنْصَرِمُ
وَاهاً لَهَا رَغْبَةٌ مَا كَانَ أَنْفَسَهَا بِمِثْلِهَا تَسْتَعِدُ الْأَيْنُقِ الرُّسُمُ
أَمْهَلْتَهُ لِغَدٍ فَبَاتَ فِي سَهَرٍ يُنْجِدُهُ الْوَجْدُ إِذْ أَعْوَزَهُ الْحُلُمُ
يُخَاطِبُ اللَّيْلَ كَيْ تَفْتَرَّ هِمَّتُهُ عَنْ ثَغْرِ صُبْحٍ فَيَبْدُو لِلْمُنَى عَلَمُ
يَا عَنْبَرَ اللَّيْلِ كَافُورَ الصَّبَاحِ أَعِدْ قَدْ كَادَ يَلْحَقُنِي مِنْ طُولِكَ الْهَرَمُ
إِنْ لَمْ تَجُدْ لِي بِصُبْحٍ صِحْتُ مِنْ أَسَفٍ وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ
لاَزِلْتَ مِقْبَاسَ عِلْمٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ إِذَا بَدَتْ ظُلُمَاتُ الْجَهْلِ تَزْدَحِمُ

فساعدني رضي الله عنه في إنجاز مرغوبى، وقضاء مطلوبى، ولم أزل طائفا بكعبة أنواره، وقاطفا ما راق من أزهار العلم ونواره، إلى أن ودّع راحلا، وأعاد بستان الأماني قاحلا. انتهى كلام ابن زاكور.

ولا شك أن الشيخ ابن ناصر هو عمدة صاحب الترجمة. قال في فهرسته: وهذا الشيخ هو الذي أخذنا عنه العهد والورد وإليه ننتسب، وكل من نذكره سواه فإنه على طريق انتفاع ما. انتهى.

وفي *المحاضرات*: وكان من حديثي معه أنه لما تهيأ للحجة الثانية أمرني بحاجة قضيتها له، وسافرت إليه من الزاوية البكرية فرأيت منه إقبالا خارجا عن المعتاد، وشيعته إلى أن جاوز سجلماسة بمرحلة، وألهمت اتخاذ الدعاء له ورداً بعد صلاة الصبح ببعض الطريق، فلما قفل من حجه ذهبت إليه وجعلت أطلب منه في خلوه، فقال: أما الدعاء فإني في سفرتي هذه ما دخلت مقاما ولا مزارة ولا توجهت إلا جاء الله بك في لساني بهذا الدعاء: اللهم اجعله عبنا يستقى منها أهل المشرق وأهل المغرب، فكنت أتعجب بما استحققت هذا الدعاء، قال ولما صنعت القصيدة الدالية في مدحه وتهنئته بالحج أدخلها إليه ولده الفقيه الناسك الفاضل أبو محمد عبد الله بن مَحمد، فخرج الي وقال: يقول لك الشيخ: جعلك الله عينا يستقى منك أهل المشرق وأهل المغرب. قال وهذا اللفظ يحتمل الدعاء والخبر نسأل الله تعالى أن يحقق لنا ذلك انتهى باختصار. لكن قوله وكل من نذكره سواه فإنه على طربق انتفاع ما هذا منه رحمه الله استغراق في شيخه المذكور، وإلا فقد انتفع بغيره كما ذكر هو نفسه في *فهرسته*، لكن شأن أهل الطريقة لا ينتسبون إلا لمن فتح لهم فيها على يده أداء لحقها وغبطة بها وخوفا من غيرة أشياخهم الذين فتح الله لهم على أيديهم أن يفرطوا معهم في حقوق الأدب والله أعلم.

وما خصه به الشيخ ابن ناصر من الدعاء هو كذلك رسم له في القدر واهتدى اليه الشيخ بخصوصه بنورانيته. قال ابن عطاء الله: متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك [ولبعضهم في هذا المعنى:

لو لم تردِ نيل ما أرجو وأطلبه   من فَيض جودك ما علمتني الطلبا]

ثم إن المحققين على أن الدعاء لا يكون سببا لشيء وإنما يطلب من المرء لإظهار العبودبة. قال ابن عباد في *شرح الحكم*: لم يأمر الله تعالى عباده بالطلب له في السؤال منه إلا لبظهر افتقارهم إليه ومثولهم بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون ذلك إظهارا لعبودبتهم وفياما بحق ربوبية ربهم، لا لأن يتوصلوا به الى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فبه منفعة. وهذا فهم العارفبن بالله تعالى. وبدل على هذا المعنى ما يذكره المؤلف الآن وهو قوله كيف يكون طلبك اللاحق، سببا فى عطائك السابق، جل حكم الأزل، أن ينضاف الى العلل. [وصاحب الترجمة سبق له من الله فى قضائه وقدره أن بكون بالحالة التى بدا بها أمره من أول شأنه الى وفاته قبل أن بوجد في الوجود لا بدعاء الشيخ له، وهذا أمر عام فيه

وفي غيره] (122) وكان والده الشيخ مسعود رأى في نومه ورد عيني ماء إحداهما له والأخرى لولد عمه علي والد العلامة سيدي عثمان البوسي، قال غير أن عين علي كنا نستقي بها في بلدنا وعيني خرجت إلى ناحية أخرى، وكانت العين التي هي لي أقوى ماء وأكثر فيضا، ثم فسر ذلك بمولودين بنتفع بهما، فكان الأمر كذلك. ثم إن صاحب الترجمة عظم به النفع للمسلمين، وأحيى الله به السنة والدين، وتأديبه بالعلم الظاهر اندرج فيه التأديب بالعلم الباطن، فنفعه أعم، وحاله أتم. قال في *المحاضرات*: حضرني الآن كلام فأردت أن أنبه عليه وعلى طرف منه فإن شرحه يطول. وذلك أنا بعد وفاة الأستاذ ابن ناصر لم نزل نسعى في نفع الناس بتعليم ما يحتاجون إليه من دينهم أوراد النوافل والأذكار التي يتزودون بها لمعادهم ويتحببون بها ويتقربون إلى ربهم عاملين في ذلك على وجه المواخاة والمعاونة على البر والنصيحة لا على وجه المشيخة، وعلى وجه التعليم والإرشاد لا على وجه التربية، ثم إنه جرى على ذلك ما عادته أن يجري من كلام مذكر أو منتصح، وأخبرني بعض أصحابي أنه جرى كلام بينه وبين بعض القضاة المتصدرين للتدريس فتكلم له القاضي في شأني وقال له على وجه النصيحة فيما زعم فما ألجأ فلانا إلى تلقين الأوراد؟ فهل رأيتم مريدا بشروط الإرادة قط؟. فلما حدثني بذلك قلت له: أما أنا لم نر مريدا كذلك، وكيف نراه إلا أن يتداركنا الله برحمته. وقد كان الشيخ زروق يحكي عن شيخه أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي أنه كان يقول لهم: لو فتشتم من أقصى الأرض إلى مغاربها على مريد صادق في أحواله لم تجدوه، فكيف بالعارف الكامل، ومع ذلك فانتقاص الزمان وانتقاص أهله لا يوجب انقطاع الدين ولا ارتفاع النصيحة، فإن هذا النقص سار في الدين وفي العقول وفي الأوقات وفي الإمامة الكبرى والصغرى وفي النصيحة وغير ذلك، وهو قضاء جار أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قبل كونه في الأحاديث الكثيرة، وإليه يشير القائل:

هذا الزمان الذي كنا نحاذره ... في قوْل كعب وفي قول ابن مَسْعود
إن دام هذا ولم يحدث له غِيَرٌ ... لم يُبْكَ ميتٌ ولم يُفرح بمولود

هذا وياليته دام، فإن الأمر لا نزيد إلا شدة، والخير إلا إدباراً حتَّى ينقرض انقراضا. غير أن المعتبر في كل زمان ما هو فيه، وحكم الله جار في كل بحسب حاله، والدين مستمر والحق ظاهر حتَّى يأتي أمر الله. ثم يلزمك أيها الناصح في مثل هذا مثل ما يلزمنا، وما كان جوابك فهو جوابنا، فإنك تصدرت للتعليم فهل رأيت بعينك متعلما على شروط التعليم المعتبرة أو رأيت نفسك على شروط المعلم وعلى من يجلس إليك شروط المتعلم فإن تجد ذلك صحيحا ظاهرا وباطنا فتصدر وإن وجدته مختلا فكيف يحل لك أن تتصدر، وارتفاع الشرط يوجب ارتفاع المشروط، وقد قال معلم لا توتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها فإن

122) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

أجاب بأنه ارتكب أخف الضررين أو أن العلم أمنع جانبا من أن يصل إلى غير أهله ونحو ذلك فذلك هو جوابنا بعينه والله المسؤول والموفق أن يجاوز عنا بعفوه ويتغمدنا برحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه، انتهى.

والمراد من جلب هذا الكلام بيان حال صاحب الترجمة هل كان من أهل التربية وأئمة الطريق أو مقصورا على تعليم العلم فقط، فبان أنه كان من أهل النصح والتذكير والتعليم والإرشاد لا على وجه التربية وفيه تصريح بالرد على من نسب له التربية في الطريقة، اللهم إلا أن يحصل ذلك لمتعلمه ضمنا بأمر وجداني [من آثار الانفعال للعلم والانقياد للعمل به والمواعظ وحسن الإلقاء وبروزه من القلب - كما قيل - إن الكلام إذا برز من القلب ولج القلب، وإذا خرج من مجرد اللسان لم يجاوز الآذان] (123). وبقي مستورا بالعلم. وقد سمعت بعض أشياخنا يثني على العالم الكبير سيدي دارس بن اسماعيل دفين روضة الأنوار خارج باب الفتوح من فاس - حرسها الله - ويقول إنه من أهل الولاية الكبرى إلا أنه ستره العلم [بمعنى أنه يحصل من السماع منه والتأدب منه ما يحصل من معنى التربية] (124). وكان لصاحب الترجمة أصحاب وأتباع وإقبال من الناس، ولا يكون مجلسه إلا غاصا بالأعيان. وكان محققا للدراية والرواية، له عارضة كبيرة في النقل والتحقيق. وحكي لنا أنه بقي في تدريس تفسير الفاتحة بفاس نحو ستة أشهر. وهو ممن يستحق أن توضع مجلدات في ترجمته، إلا أن هذا القدر هو المتيسر لنا على قدر قصورنا، والله الموفق.

وتوفي - رحمه الله - عقب قفوله من الحج يوم الاثنين خامس عشر ذي الحجة متم عام اثنين ومائة وألف، ودفن [بازاء داره] (125) بموضع يعرف [بقرية] تمزيزيت بقرب قرية صفرو على [أقل من] مرحلة من فاس. ونقل بعد نحو عشرين سنة إلى موضع آخر هنالك فوجد كما دفن - رضي الله - على ما حكي.

[ووقع مثل هذا للشيخ الجزولي فإنه نقل من مدفنه أولا إلى مراكش بعد مدة تزيد على سبعين سنة فوجد كما دفن] (126) ومثل هذا معلوم وقع لغير واحد من الأولياء نفعنا الله بهم.

---

123) ما بين معقوفتين زيادة في ط.

124) ساقط من ط أيضا.

125) ساقط كذلك من ط.

126) ناقص من ط أيضاً.

من حوادث السنة

فتح مدينة العرائش

ومن حوادث هذا العام فتح مدينة العرائش(127) ، وذلك أن أمير المومنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الخليفة مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف الحسنى السجلماسي وجه إليها الجيوش مع وزيره القائد عبد الله الرويسي (128) وأكثر عليهم من الأمر بالقتال ونسب إليهم عدم النصح، وألحوا بالقتال على من بها من الروم إلى أن اقتحموها عنوة وفتحوها وغنموا أهلها. [ومما كتب به مولانا اسماعيل إلى قائده عبد الله الرويسى ما نصه بعد البسملة والتصلية: خديمنا القائد عبد الله بن حمدون الرويسي سلام عليك ورحمة الله وبركاته وأصلح الله رأيك وسهل علينا فى فتح العرائش وجعله على يديك. واعلم أنك عندي ممن لم يتهم في خدمتنا ومن انصح الناس إلينا وتحب الخير إلينا أكثر من جميع الناس، وليس عندي في خدامي مثلك ولا أعز منك كما تعلم منى ما ذكرته لك. ثم الآن ظهر لي أنك غير ناصح لدين الإسلام حيت وجهتك الى فتح العرائش ولم تقم بالواجب الذي عينته عليك.

ويجب على من ولاه الله أمر المسلمين مثلنا إذا ولي أميرا على القتال أن يكون من أهل النجدة فى القتال، ومن أهل المحبة في نصر دين الإسلام ومحو دين الكفار.

فاخترناك عن غيرك ووجهناك لذلك لظننا أن فيك ما وصفناه لك، والآن خاب المظنون فيما نويناه فيك، والله هو حسبي وحسبك ونعم الوكيل. وإن أردت أن نقدم عليكم بنفسى وما يكون ما ينوب المسلمين من الكلفة أنت المتحمل بإثمه فأنا فاعل ذلك، وليس أنا أفضل ممن فعل ذلك قبلى ولا أنت أفضل من سيف الدولة ولا أبى فراس وابن حمدان الذين قاموا بما وجهناك إليه عند غيرنا. في 13 من ذي القعدة عام 1100.

فلما قرأ الروسي هذا الكتاب بكى وقال هو وصفني بما ذكر في خدمته لم يسألني لأن ذلك من فعل الخلفاء لأمرائهم، وحيث وصفني بعدم النصح للإسلام أخذت في نفسى عليه. ثم تقلد سيفه وما نزعه حتّى فتحت، واشتد في القتال ليلا ونهارا وما نام ليلة إلى أن فتحت. انتهى] (129) فجيء أولا بمن كان بها من المقاتلة أذلة سوى من هو ساكن بها وممن هرب فى البحر فبلغ عدتهم إلى ألف وسبعمائة. فمنَّ مولانا إسماعيل على طاغيتهم وأطلقه فقط وأرسله الى بلاده، فصده بذلك إيصال الخبر. ثم أمر بمجيء من بقي من سكانها من الروم فجيء بهم عن آخرهم إلى مكناس بنسائهم وذراريهم، ولم يحضرني الآن تحقيق عددهم. وأما الأموال والأقوات والسلاح فبدا للمجاهدين فى ذلك ونهبوه ولم يتأت إلى أمير المؤمنين جمعه وتخميسه لعدم الحصر فيه فعفا عمن فعل ذلك ووكل أمره الى الله، ولم

127) لم يرد خبر فتح العرائش في ط ولا م.

128) هكذا وردت ـ بياء التصغير ـ مكررة فى هذا النص. والمعروف أنه الروسى.

129) هذه الرسالة وما بعدها مما كتب بين معقوفتين زيادة في س وكتبت في هامش ك.

يحصل له منه إلا المدافع والمهاريز، واكتفى بفوز الفتح والأسر وقيل في فتحها قصائد وأنغام، فمن ذلك قول جدنا عبد السلام بن الطيب الفادري الحسني:

علا عرش دين الله كل عرائش ... وهُدَّ بنصر الله حصنُ العرائش
وكل عريش منه ثُلَّ عروشُه ... ورُجَّتْ به رجًّا صواعق نابش
وأسلم للإسلام من بعد كفره ... بوقع سيوف لا برشوة رائش
أتاهم من الإيمان جيش مؤيَّد ... فناجزهم ما ببن رَامٍ ورائش
وثار عليهم كل شهم عَشَمْشَم ... وكل كمي مسرع الضرب باطش
عَلوْهُم بأسياف أسالت رؤوسهم ... فصاروا سريعا بين سارٍ وطائش
وباشرهم حوش البزاة بغاتها ... وقد أثخنوهم فيه إثخان فاتش
فما لبثوا أن طالبوا الأمن في الوغَى ... وذلوا لدين الله ذلة داهش
وهان عليهم كل هول وهائل ... وربقة أسر بعد طول تهارش
نبذناهم من ذلك الحصن بالعدا ... فباءوا بخزي في الحفيفة فاحش
أبَنَّاهُمُ من بينه بين بائس ... وأنَّى لهم بعد النوى والتشاوش
ترى كلهم في الأرض بادي ذلة ... كسيفا كئيبا بالُه غير ناعش
بساق بأيدي الجيش سَوْقَ مَهانةٍ ... يهزّ حشاه الخوفُ هزة راعش
بَعَضٌّ يَداً أو ينتف الرأس واللحى ... لأن لم يمُت من قبلُ موتَ الهَوارش
كأنهم الغربانُ قصّ جناحها ... وبُلّت بوبْل من سَواكب حافش
هنيئا بعز المومنين وجمعهم ... وإذلال أهل الكفر أهل الفواحش
هنيئا بنصر الله أمةَ أحمدٍ ... وإمدادهم منه بجُنْدٍ مباطش
بهذا ليهنا عيشُ كل موفق ... بهذا ليفرح دائما كل عائش
لنا النصر والبشرَى لنا بإمامنا ... هزبْر الوَغَى غَيظ العدُوّ المناقش
أبو النصر اسماعيل ناصرُ ديننا ... وحَامِي الحمَى بالمُرْهفات البواطش
زعيم أساطين الشرَى وهمامهم ... وسيدُ أقْيالِ الوَرَى دون خَامش
مليكٌ له يمنٌ به صار كلّنا ... يروح ويغْدو في أجل معابش
مبارك ميمونُ النقيبةِ في الثرَى ... له الفتح في أوساطها والهوامش
أباد حصونَ الكفر بالسيف والقنا ... وما أذعنت من قبله لبشائش
فَسَلْ عامري معمورة عن فتوحه ... وسل طنجةً من قبل هذا العرائش
لقد كان دَيْناً فتحُها فانفضَى به ... كذلك ما في الأرض من كل هامش
به سعدت أهلُ المغارب كلها ... فبالشرق من جراه لهفة عاطش

نعم إنه من نَبْــعَــة نبــويَّة — وفـرع زكي طيّب النشـر عـارش
لذاك ملوك الأرض طراً تهــابُهُ — فكلهمُ مــا بين مــدهي وداهش
ومــا التـرك إلاَّ في دواه دهتْـهُمُ — صـدورُهُمُ جَـاشَتْ بأعْظَم جَـائشٍ
له سطوةٌ في أرضنا هاشــميــةٌ — يذوب لها قلب الحَسود المُخَادش
ليـهنك يا فـخْـرَ الملوك وذُخـرَهَا — من الله تأبيــدٌ علي كل حــائشٍ
لك الفتح مـمـدودٌ فجـاهدْ عـدوَّنا — وحُشْـهم وما أوفَى لهم كلُّ حـائشٍ
فـلا تخْشَ حَـيـاً مـا حَـيـيت فـإنَّهُ — لك النصـرُ عند المُلتَقَى والتَّـهارش
ودام لكل المــسلمــين ظلالُكُم — ودُمنا به في طَيِّـبَـاتِ المـعـايش

غزو العكاكزة

ثم بعد فتح العرائش غزا مولانا إسماعيل الطائفة المبتدعة المعروفة بالعكاكزة المجتمعين من قبائل بلاد تادلا ونواحيها، ورئيسهم الداعى إلى بدعتهم الذبن اجتمعوا عليه يعرف بالحطاب، وتقدم التنبيه على التقييد الذي ألفه سيدي الحسن اليوسي في بيان بدعتهم وضلالهم، فراجعه، لأن بيان ذلك هنا يستدعى طولا، ولما غزاهم مولانا إسماعيل قتل ممن لم يستتب ويرجع عن بدعتهم ثلاثة وستين، وذلك في أوائل ذي الحجة (130).

عزل عبد الواحد البوعناني عن قضاء فاس

وفي سابع عشر جمادى الثانية عزل سيدي عبد الواحد البوعنانى عن قضاء فاس الجديد وتولى مكانه الفقيه إبن رضوان الفلالي. وكان سيدي عبد الواحد المذكور تولى الفتَوى بفاس الإدريسية [قبل عزله عن القضاء بيومين] (131)

نزول رعدة فيها حجر كالرمان

وفي ثامن وعشرين من رمضان نزلت رعدة نزل فيها حجر مثل الرمان إذا هرس وجد في بطنه دم وأصابت بعض الزرع فأهلكته، ويقال إنّه نزل معها حبات، ويخلق ما لا تعلمون.

130) ورد حبر غزو العكاكزة مختصرا في ط.
131) ساقط من ط.

--- *** --- ***--- **تذكرة المحسنين** --- *** --- ***---

الحسن بن مسعود اليوسي

الشيخ الإمام العلامة المشارك الأصولي المعقولي المنطقي البياني العروضي المبارك الجليل أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، مغيّر بتصرف لسان العامة من اليوسفي نسبة إلى يوسف وهو أبو قبيلتهم بن داوود بن يَدْراسَنْ الذي هو أبو قبيلة آيت يدراسنْ يوم الاثنين الثالث والعشرين من الحجة الحرام من السنة بعد قدومه من الحج يوم الأحد السابع والعشرين من شوال السنة، ودفن ببلاده بتامزازت قرب صفرو.

سليمان بن إبراهيم العثماني

وثاني عشر ملوك الدولة العثمانية السلطان سليمان بن إبراهيم.

العام الثالث من العشرة الأولى

محمد بن الحسن المجاصي

فمنهم القاضي الشهير، الفقيه العلامة المدرس المفتي النافذ البصير، الخطيب البليغ الواعظ، المحقق المحرر الحافظ، أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي [به شهر، وفى بعض التقاييد: المغراوي من مغراوة الجزائر] [132] لم يبينوا حاله فى القضاء وإنما ينسبونه للعلم والتدريس [وتقدم وصف الحسن اليوسي له في رسالته][133] ولى قضاء فاس الإدريسية آخر جمادى الثانية عام تسعة وسبعين وألف بعد عزل حمدون المزوار. وفي ثامن وعشرين من رجب أربعة وثمانين وألف [ولي خطبة مسجد القرويين] [134] بعد أن عزل عنها سيدي محمد البوعناني وفى رابع القعدة من عام ثمانية وثمانين عزل عن القضاء والخطبة والفتوى. وولى القضاء والخطبة والإمامة والفتوى مكانه العربى بردُلة، ثم طلب صاحب الترجمة من بردلة أن يوليه بعض ما ولي[135] فامتنع فأخذ صاحب الترجمة في التدريس في القرويين من غير ولاية إلى أن ولاه مولانا اسماعيل قضاء حضرة مكناسة الزيتون. وسبب ولايته قضاء فاس أن أمير المومنين مولانا الرشيد بن الشريف الحسني رفع حكما إلى قاضي فاس حمدون المزوار فلم يتضح له بما يحكم به [136]وطال أمر الخصمين وهما ينتظران القاضي فيما يحكم به بينهما وهو يقول لهما لم أجد الآن نصا في المسألة أمهلوني حتَّى أنظر ما أحكم به بينكما. فوشي به إلى مولانا الرشيد وقالوا له: إنّ أحد الخصمين المحكوم عليهم قبها من أصهاره، فظن مولانا الرشيد أنه يداهنه فعزله، وقال لا أولي على أهل البلاد [137]إلا من كان غريبا ليس من أهلها فيكون الناس عنده سواء ولا يداهن أحدا. فنظر إلى الطلبة الذين في المدارس فلم يجد فيهم أنجب من صاحب الترجمة، ففي الحين ولاه قضاء فاس، فسلك فيه مسلكا حسنا. وكفى به أن سيدي الحسن اليوسي ارتضاه للمشورة لما كتب الرسالة المتقدمة في ترجمته إلى مولانا إسماعيل فراجعها. [وهذه المسألة مما اختصت بها فاس فما ولي أحد من أهلها ولاية إلا وكان بعض أهل تلك الخطة في أشر حال ونفاق، وما ولي أحد خطة من غير أهلها إلا وكان أهل تلك الخطة بخير، فإذا أساء فيهم سهل عليهم الشكاية به، بخلاف إذا كان الوالي منهم فإنه يصعب عليهم الشكاية به من نفاق من هو ينافقه منهم. وما أراده السلطان من اتخاذ القاضي غريبا هو من أسباب

---

132) زيادة في ط.

133) ساقط من ط.

134) ساقط أيضاً من ط.

135) في ط: أن يتركه معه في فتوي فاس أو خطبة مسجدها المذكور.

136) عبارة ط: رفع إليه بعض مسائل من الأحكام المتعلقة بنسبة من له الشرف بفاس، فكلف بها قاضيه حمدون المزوار....

137) في ط: على قضاء فاس.

العون على العدل وتيسره، وما زال أهل العدل يحتاطون لذمنهم بالعزلة. وانظر فعل القاضي ابن محمود فإنه حكى عنه في *التشوف* انه لما ولي قضاء فاس اتخذ زياتا بمكناسة بقضي منه الضرورات لئلا تكون له مخالطة مع أحد من أهل ولايته بوجه مًّا. انظر لفظه فقد طال عهدي به، وكان صاحب الترجمة من أهل التثبت فى الأحكام والتحري.

ومما حكي لنا في ذلك أنه كان إذا أشكل عليه وجه الحكم قيده وضرب الأجل للخصمين حتَّى يفرغ لتأمله وكان مظنة فراغه يوم الخميس فيمضي الى شيخه إمام الجماعة أبى محمد عبد القادر ابن على الفاسي ويذاكره فيه بمحضر من يتفق له حضوره من العلماء حتَّى يتضح الأمر.

[فإذا فرغ بتأمله يوم الخميس مع بعض الفقهاء وما رجح] فيحفظه وبحكم به على الخصمين وهذه سيرة عالية تدل على قوة الديانة فجزاه الله خيرا عن شريعة نبسه وعن علمائها المهتدين][138]. وله *أجوبة* حسنة تدل على ما له من العارضة فى العلوم؛ وله *تقبيد فى الأشراف الجوطيين* وقد قال في آخره أدركت والدي رحمه الله وعمّاً لي من حملة القرآن العظيم وهو ابن الصغير ابن يعقوب المغراوي، وبنتمون للجانب العلوي ولا برتفعون فى ذلك. ورأيت رسم شرفه وظهائر لا أدري أين صارت. وكان أبي يقول إنهم من ذرية صالح مشهور يدعى بسيدي يعقوب أو بأبي يعقوب وأنهم بعرفون هناك ببنى مرزية سموا ببيت يعرف بذلك. أما أبى فإنما ولد بحوز فاس ببني ورثين على ما حدثنا به.، وبأيديهم رسم الإراثة بشيوخ مسنين ممن أدرك الأب والعم والله يحقق لنا النسبة الروحانية وبرعانا بعين رعابته في الدارين وأدعو بدعاء القطب العارف بالله: اللهم ألحقني بنسبه وحققني بحسبه والسلام على من بقف عليه محمد بن الحسن المجاصي بتاريخ تسعة وتسعين وألف. انتهى.

[ومن خطه نقلت وهو مما يدل على شدته وقوته في دين الله حيث لم يصرح من عنده لا بدخول في النسب ولا بخروج منه بل وحكّى ما وقف عليه كما هو وطلب من الله تبارك وتعالى الالحاق بهذا النسب العظيم وذلك هو مصدر قوله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق الجماعة على تخريجه من انتسب الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (راجع ألفاظه على اختلافها في الكتب الصحاح من كتب الحديث)، فالوعيد كما يشمل الداخل يشمل الخارج من نسبه الذي لا يعرف لنفسه سواه من غير وجه. الاحتياط ما فعل هذا الشيخ - رحمه الله - وقد اتسع أهل هذا الزمان ومن قلبهم بهتك حرمة هذه النسبة بالانتساب لها من غير وجه ويبنون ذلك على أوهام لا حقيقة لها كما اتسع آخرون في هتك أعراض قوم منسوبين ولا مانع لهم من نسبتهم فينفونهم بأوهام وأباطيل لا يقبل الشرع شيئا منها مع ما قام بهم من الجهل وعدم التمييز حتًى في المسائل الضرورية من الدين. فليحذر العاقل من جميع ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

138) استدراك من ط.

وراجع ما تقدم لنا في هذه المسألة في ترجمة السيد عبد القادر بن عبد الله الشبيهي فيما تقدم من عام تسعة وتسعين بمثناة فيهما وألف] (139). وذكر لي بعضهم أن لصاحب الترجمة *نظما في الشرفاء وتقييدا في العكاكزة* [ولم أقف على شيء من ذلك ولم أحفظ لصاحب الترجمة شيخا إلا سيدي عبد القادر الفاسي المتقدم ذكره وتخرج به جماعة من الفقهاء] (140).

وممن قرأ عليه محمد العربي بن الطيب القادري وشقيقه جدنا عبد السلام وكان يثني عليه الثناء الجميل بالعلم والمشاركة والحفظ الجزيل.

توفي صاحب الترجمة عصر يوم السبت رابع ربيع الأول عام ثلاثة ومائة وألف ودفن عند الغروب من يومه بمكناسة الزيتون بروضة سيدي أحمد الحارثي.

محمد الشاذلي الدلائي

ومنهم الفقيه العلامة المشارك الحافظ الأديب الخير الدين أبو عبد الله محمد المدعو الشاذلي بن الإمام مَحمد بن الولي سيدي أبي بكر الدلائي تقدم نسبه وتراجم جماعة من أقاربه. كان أعجوبة الزمان في الحفظ والإتقان والغوص على المعاني الدقيقة البديعة والنكت الفائقة الرفيعة بقوم على مختصر خليل وبحفظ الكثير من حكم العرب وأمثالها ووقائعها وأيامها. ويجيد الشعر وله البراعة في النظم والنثر ذكر عنه أنه أقرأ *ألفية ابن مالك* مائة مرة، *ومقامات الحريري* نحو ثلاثين ختمة. ولد ببلادهم الدلاء، وقرأ على أبي العباس بن عمران، وسيدي العربي الفاسي، ثم سكن فاسا ولقي بها مشايخها، ودخل مراكش ولقي أئمتها، ثم عاد إلى فاس وتولى خطبة مدرسة [أبي عنان] المتوكلية بطالعة فاس، وغالب تدريسه كان بها. وقرأ عليه مشايخ فاس منهم عمنا محمد العربي وجدنا عبد السلام ابنا الطيب القادري قرأ عليه *مختصر خليل* من البيوع الى الميراث، وتأتي ترجمة ولده أبي عبد الله محمد، وحفيده القاضي أبي عبد الله محمد البكري.

توفي صاحب الترجمة بفاس خامس عشر جمادى الأولى عام ثلاثة ومائة وألف.

أحمد حجي السلوي

ومنهم الولي سيدي أحمد حجي دفين ثغر سلا. قال فيه أبو العباس بن أبي عسرية الفاسي في *رحلته*: الكامل الأوصاف على الإطلاق، الحائز الولاية بالاستحقاق، لكرم نفسه، وأعماله ليوم رمسه، أخلاقه صافية. حدثني من أثق به أنهم لم يشاهدوا في مشايخ عصره من يشبهه في أخلاقه، مع الاجتهاد ودوام الأوراد، الجمال يغلبه، والجلال في الأسماء يلهبه، قد جمع بين الحالتين، وورث القسمتين. أخذ عن الملامتي الصالح سيدي عبد الله الجزار، عن

139) الفقرة الأخيرة المكتوبة بين معقوفتين مستدركة من ط.
140) استدراك من ط أيضا.

سيدي الحارثي بن موسى دفين بهت، عن سيدي موسى بن علي دفين بهت أيضا، عن سيدي أحمد الحارني، عن الجزولي.

توفي صاحب الترجمة سنة ثلاث ومائة وألف انتهى. وقد حكى لنا بعض الطلبة أنه رأى مقيداً عنه أنه وجد في قلبه قساوة فتوجه في ذلك لله تعالى ودام راغبا لله في رفع ذلك، فسمع يوما هاتفا يقول له إنك تصافح الشهود، أو كلام هذا معناه. وانظر من سيدي عبد الله الجزار هذا. وبموضع لنا قرب روضة أبي مدين من الكغادين بفاس قبر عليه قوس متقن سمعت من بعض أقاربنا أنه ولي يقال له سيدي الجزار، ولا أدري أهو المذكور هنا أم غيره.

محمد ابن قرِّيش التطاوني

ومنهم الشيخ الإمام عالم تطوان أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم بن سعيد بن سعيد بن أحمد بن قرِّيش اليجمي التطاوني. كان فقيها نحريرا علامة لو ذعيا ألمعياً. بهذا وصفه سيدي عبد القادر الفاسي في أرجوزته التي أجازه فيها.

توفي صاحب الترجمة عن سن عالية بتطاون، ودفن بقرب سيدي طلحة [الدربج خارج باب النوادر من تطاون وسيدي طلحة المشار إليه من عقب عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري الصحابى النقيب البدري المشهور] (141).

*** *** تذكرة المحسنين *** ***

محمد الشاذلي الدلائي

الفقيه العلامة الحافظ، الخطيب الأديب المجيد الواعظ، سيدي محمد المدعو الشاذلي ابن الشيخ الكبير سيدي مَحمد بن الولي الكامل العارف الواصل سيدي أبي بكر الدلائي، ودفن بالروضة المعروفة لهم بوادي الزيتون داخل باب الفتوح.

محمد بن الحسن المجَّاصي

والفقيه العلامة المشارك قاضي الحضرتين ومفتيهما سيدي محمد بن الحسن المجَّاصي المغراوي نسبة إلى مغراوة الجزائر، ودفن بروضة الولي سيدي علي بن حماد خارج مكناسة الزيتون.

---

141) زيادة في س.

العام الرابع من العشرة الأولى

عبد الرحمان المعروف بمُعاد التواتي

فمنهم الوليّ الصالح المتبرك به سيدي عبد الرحمان المعروف بمعاد [بوزن غراب، وربما قيل فيه أبو عهد] (142) التواتى دفين [خارج] باب الجيسة من فاس وروضته ملتصقة بسورها قرب ضريح سيدي يوسف المصمودي. وكان صاحب الترجمة مشهورا بالصلاح عند الكافة من أهل فاس، ذو أحوال وكرامات لا يأكل إلا من عمل يده، يؤجر نفسه للخدمة بالفاس ويجلس حتَّى يفرغ من إنفاق ما خدم به وكان لا يشرب من ماء داخل لفاس بل له قلة يأتي بالماء لشربه من خارجها.

توفي يوم الجمعة ليلة المولد من عام أربعة ومائة وألف [ولا أعرف شيخه ووقع النزاع بين الناس فى دفنه فحفر له ثلاثة مقابر في مواضع كل يريد دفنه حتَّى غلبت الطائفة التي دفن في قبرها وباتوا يحرسونه ليلا يخرجه الذين لم يدفن عندهم فيردوه الى قبرهم الذي حفروه له. وحكى بعض الصالحين أنه سمع امرأة من الأموات تقول لامرأة أخرى اليوم نستريح من العذاب قالت لها ما السبب في ذلك فقالت لها اليوم يدفن بجوارنا رجل صالح فيشفعه الله فبنا، فبقي السامع في ذلك اليوم يرجوه إلى آخر النهار لما رأى من الخلاف بين الناس إذ كل يريد دفنه عنده فغلبت الطائفة الذين أرادوا دفنه بجوار تلك المرأة فأتوا به إلى جوارها بعد يأسه من ذلك لأنهم كانوا بربدون دفنه فى باب المحروق] (143).

مسعود بن عبد القادر الطليطلي

ومنهم الفقيه الموقت أبو الفضل مسعود بن الموقت العلامة المشارك أبي محمد عبد القادر الطليطي الأنصاري الأندلسي الفاسى دارا. تقدمت ترجمة والده. قرأ صاحب الترجمة على مشايخ فاس، وحصّل التوفيت على سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، وكان ماهرا فبه، ناسكا خيرا دينا. تولى توقيت منار القرويين وليها سنين عدبدة ثم نقله السلطان الى مكناسة الزيتون وولاه توقيت منار جامع قصبته، ثم توفى بفاس سنة أربع ومائة وألف.

من حوادث السنة

إزالة سارية عبد القادر الجيلالي من القرويين

ومن حوادث هذه السنة، ففي عشرين من جمادى الثانية أزيلت السارية النى كانوا ينسبونها لمولاي عبد القادر الجيلانى وكانت بالصف الأول من مسجد القرويين قرب الخلوة المنسوبة للشيخ المذكور بأمر من قاضي الوقت أبي عبد الله بردلّة.

142) زيادة في ط:

143) بقية الترجمة المكتوبة بين معقوفتين ساقطة من ط.

قال مؤلفه محمد بن الطيب: وهذه النسبة في السارية والخلوة وغيرهما جارية منذ قديم على لسان عامة أهل فاس، وهي من الكذب المحض بحسب ظاهر اللفظ، فإنهم يقولون خلوة مولانا عبد القادر الجيلاني فظاهره أنها محل متعبده، إذ ذاك هو مدلول الخلوة، وهو من الكذب الصراح فإن الشيخ مولاي عبد القادر الجيلانى لم يدخل للمغرب أصلا بل ولا خرج من مكانه لناحية، وإنما محل استقراره بغداد وما والاها. وإنما خرج للحج ورجع من عامه، وهذا لاشك فيه، ومن أراد الوقوف عليه فليطالع محله من *بهجة الأسرار* للشيخ الشطنوفى، *والروض الناضر* لأمين الدين الهاشمي *وغبطة الناظر* للحافظ ابن حجر وغير ذلك، فضلا عن أن يبلغ مدينة فاس حتّى يتعبد في القرويين، ولكنهم يزعمون أن بعضهم رأى الشيخ عبد القادر الجيلالي مناما في الموضع الذي سموه بالخلوة [144] فصاروا يتبركون به لأجل ذلك. ومنهم من يزيد التبرك بماء من معدة بالمحجة التي تحتها لقسم ماء يمر لدور متعددة ويدخل يده فيها ويمر به على وجهه، وهذا أبعد. ولا شيء من ذلك يفيد بركة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وإنما تنال بركته بالدعاء له والهداء والصدقة له وتلاوة القرآن على القول بوصولها للميت. نعم يتبرك بذلك الوضع من حيث كونه من المسجد الأعظم بفاس ومحل تلاوة القرآن لأن له وقفا على حزابين طلبة يقرؤون أحزابا من القرآن به مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الصلوات وبعد صلاة الصبح كما هو مشروط في أصل وصية الوقف. ومطلق التبرك في مثل هذا قريب.

وأما تتبعه وتأكيده كما عليه كثير من عامة فاس فلا شك أنه منكر، لأن ذلك الموضع إنما له من الحرمة ما لسائر المسجد وتصح فيه العبادات التي تصح في المسجد إن لم يقدح فى ذلك التحجير القائم به الآن، وأما فى القدر الزائد فلا يقع فيه العمل الموقوف له يقرؤون فيه. ومن هذا المعني نسي الصحابة - رضوان الله عنهم - موضع شجرة بيعة الرضوان مع عظيم شأنها التي جلس النبي صلى الله عليه وسلم تحتها وبايعه أهل الحديبية الذين هم أفضل الصحابة، وبايع بإحدى يديه الأخرى عمَّن غاب ممن كان خرج معهم وذكرها الله في كتابه إذ قال تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُومنينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» الآية، فلم يثبت على معرفة موضعها الصحابة الذين بايعوا تحتها فضلا عن غيرهم [مخافة أن يتطرق أمر لا يليق] [145].

وفى *محاضرات* الشيخ اليوسى عن الشيخ أبى القاسم الغازي أنه كان يقول نزلت عليَّ الفطبانية [146] تحت شجرة فيقول أصحابه له لِمَ لَمْ تُرِنا تلك الشجرة؟ فيقول خفت أن

144) هنا فى هامش ك طرة نصها: «فلو قال رأيته مناما يصلى فيها وكان ممن لا يتهم بالكذب لكان صادقا قياسا على حديث: رأيت موسَى يصلى فى قبره».

145) زيادة فى م وط.

146) هنا فى ك طرة نصها.

قوله الفطبانية إذا كان المراد بها الصغرى يعنى أحد الأقطاب الأربعة بكون صادقا فى دعواه وأما القطانية الكبرى التى يعبر عن صاحبها بالقطب الجامع فلا يكون قطبا جامعا إلا من كان من آله صلى الله عليه وسلم من بني الحسن بن على لا من بنى الحسين. انظر الغيطى على *الهمزية*.

تركوا السبع وتعبدوا الصورة [147]، أي يتركونه هو ويشتغلون بالشجرة.

قال الشيخ اليوسي: نعم التبرك بآثار الصالحين مع صحة العقيده لا بأس به وله أصل في فعل الصحابة فقد كان ابن عمر يمر براحلته حيث رأى النبى صلى الله عليه وسلم ويتحرى الأماكن التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم وذلك مذكور في *الصحيح*. انتهَى.

قلت : ويمكن البحث فيه بأن فعل ابن عمر من الحرص على السنه والمحافظة على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم لصحة العبادة ولما في فعله صلى الله عليه وسلم من الأسرار التي لا يحاط بها والله أعلم. قال الشيخ اليوسي، وفي بلاد المغرب مواضع اشتهرت بمآثر الصالحين ووقع التغالى فيها، منها شالة فى رباط سلا لا يعرف بها إلا أنها مزارة يزورها الناس ويتبركون بها ولم يظهر من التبرك بالصالحين فيها لهذا العهد إلا يحيَى بن يونس وهو معروف بها، ولا نعرف له ترجمه. وملوك بنى عبد الحق وهم معروفون [بالظلم والجور][148] ولا بأس بهم [149] وكل ما يذكر فيها سوَى ذلك ويوجد في بعض الأوراق المجهولة من الأخبار فلا يعرف له أصل ولا يعول عليه [150]، ومنها ميسُرة من بلاد ميسور حيث مدفن الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري، ويقال لها تامغروت قال بعض أولاد أبي الطيب ما ثبت فيه شيء إلا أنه كان متعبدا لأسلافنا. قال ومنها رباط شاكر بدكالة وهو مشهور وكان مجمعا للصالحين من قديم. وفى *التشوف* أن شاكرا ذكرأنه من أصحاب عقبه بن نافع الفهرى انتهى.

وهذه الزاوية التي يسمونها بفاس: الخلوة إنما هي زاوية بنيت لقراءة حزب القرآن، أمر ببنائها الأمير المستعين بالله أبو سالم إبراهيم بن أبى الحسن المريني، وكان انتهاء بنائها فى أواخر رمضان عام اثنين وستين بمثناة وسبعمائة بموحدة، ورتب فيها طلبةً يقرؤون القرآن ويختمونه بطول سبعة أيام، وأجرى لهم جرايات فى كل شهر ينتفعون بها.وقد غيروا اليوم ذلك الختم بما هم عليه اليوم. فهذه حقيقة أمرها والله أعلم.

147) فى ط: البعورة، وفى م البفورة

148) زيادة فى س.

149) فى هامش ك طرة: «بل هم رؤساء البأس وأصل كل سوء».

150) هنا في ك طرة أخرى نصها.

«بل عليه المعول عند أهل هذا الفن من المغاربة وبه العمل وبه يحتجون، بل كتبهم فيها، وجدت مقيداً كذا وكُتب على كلام فلان بكذا ورأيت طرّة فيها كذا وفى تقييد كذا واليوسى جهل هذا الأمر ومن جهل شيئا عاداه».

العام الخامس من العشرة الأولى

أحمد المريني

فمنهم المرابط الصوفي الصالح سيدي أحمد المريني وهو بتازة، وبها دفن[151].

الهواري الفاسي

ومنهم الفقيه المقرئ الأستاذ [152] الهواري. توفي في أواخر رمضان بفاس،

محمد المدعّو حَمٌّ الصقلي

ومنهم الشريف سيدي محمد المدعّو حَمٌّ بن أحمد طاهر الصقلى الحسني، توفي يوم عيد المولد الناني عشر من ربيع الأول عام خمسة ومائة وألف..

إدريس المدعو ابن ادريس العمراني

ومنهم الشريف سدي ادريس المدعو ابن إدريس العمراني الجوطي الحسني.

مات بالردم الذي أسقطت الدار بالريح الجنوبية في هذا العام، فسقط على الشريف جدار بالريح وهو مارٌ تحته فمات، ودفن بحانوت بظهر الحائط الشرقى من مسجد الشرفاء. فلما أمر أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا إسماعل بن الشريف الحسني السجلماسي ببناء مسجد الشرفاء وتوسيعه والزيادة فيه على الهيئة التي هو عليها الآن في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، أدخلت فى قبة المسجد وجعلت مزارة للحرم المذكور، فمنها يزورن ضريح مولانا إدريس من ناحية الطريق المجاورة لشرق قبته.

من حوادث السنة

هبوب ريح جنوبية قوية بفاس

ومن حوادث هذه السنة أن في عاشر ربيع الأول هبت ريح جنوبية عظبمة واسترسلت نحو ساعتين أسقطت دورا وأقلعت أشجارا كثيرة، ومات بالردم أناس.

تولي أحمد بن الحاج قضاء فاس

وفي المحرم ولى العلامه البركة سيدي أحمد بن الحاج قضاء فاس الجدند المرينية.

---

151) تراجم هذا العام كلها ساقطة من ط و م: وإنما ذكرت فيهما موجزة أثناء ذكر حوادث السنة.

152) بياض بقدر كلمة أو كلمتين في ك و س: وكتب في ك و س : الجهواري، ولعله تصحيف.

العام السادس من العشرة الأولى

عبد الواحد بن محمد أبو عنان

فمنهم الفقيه العالم المدرس المفتي النبيه الخطيب أبو محمد عبد الواحد ابن العلامة سيدي محمد شهر بأبي عنان. ولى الخطبة والفتوى [والتدريس] بجامع القرويين، وولى قضاء فاس الجديد البيضاء، ووجهه سلطان المغرب الى الجزائر رسولا إلى عاملها لآل عثمان الغز من ملوك الترك، فلقي جماعة من مشايخها، وقرأ بفاس على جماعة من المشايخ، منهم والده، تقدمت ترجمته وترجمة والده أيضا. وعلى سيدي عبد القادر الفاسي، وولده سيدي محمد، وكان أديبا فصيحا كريم الأخلاق ذا فتوة ونجدة بارع القلم خطيبا واعظا [مدرساً ضابطاً، وفتاويه موجودة تدل على مهارته واتساع ملكته][153].

توفي ثامن عشر صفر عام ستة ومائة وألف.

محمد بن على مروان الأندلسي [154]

ومنهم الفقيه الأستاذ المجود المقرئ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي مروان الأندلسى [منزله بحومة العيون من فاس القرويين] [155] له شهرة في علم القراءات وتجويد القرآن.

توفي بفاس عام ستة ومائة وألف.

محمد ابن العروسي

ومنهم سيدي محمد بن العروسى.

توفى بمكناسة الزيتون فى العشرين من شعبان عام ستة ومائة وألف.

العربي بن الطيب القادري

ومنهم الفقيه العلامة المشارك المتفنن الحافظ المؤرخ النسابة المتفي الصالح البركة الأشهر، الصوفى الأنور الأطهر، الناسك السالك الأورع عم والدنا الشفيق، وصنوه ومؤازره في طلب الطريق، جدنا للأم أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري الحسني [تقدمت ترجمة والده والكلام على نسبه][156]، كان رحمه الله من أهل التحصيل والتحقيق ضابطا للعلوم سيما التاريخ والأنساب والفقه والحديث مرجوعاً إليه فيما أشكل منها حافظا

153) زيادة في م
154) أخرت هذه الترجمة في ط إلى ما بعد ترجمة محمد العربى القادري.
155) ساقط من ط
156) ساقط كذلك من ط.

لدقائقها معتنيا بالمهم منها مع الورع والزهد ولزوم العبادة والذكر في الخلوة والإقبال على الله وظهرت عليه أحوال وبركات. حصل العلوم على مشايخ فاس، منهم الشيخ سيدي عبد القادر الفاسى قرأ عليه *مقدمة* الشيخ السنوسي *وصغراه* *وشرحها* لمؤلفها، كل ذلك مرة، *وشمائل* الترمذي مرتين، *وصحيح* البخاري مرة إلا بسيرا من آخره [كل ذلك بلفظ أخي صاحب الزاوية محمد عبد السلام(157) وطرفا من *مختصر* خليل من أوله إلى الفوائت، ومواضع من التفسير *والرسالة* لابن أبي زيد، *والإحياء* *وسيرة العمري* كل ذلك مرة، قراءة تحقيق وتفهيم [قال أخوه المذكور فى فهرسته: واسنفدنا منه كثيرا وانتفعنا بعلومه رحمه الله، يعني هو وأخوه صاحب الترجمة](158) واستفاد منه كثيرا. ومنهم الإمام سيدي محمد ابن عبد القادر الفاسي، قرأ عليه *الألفية* ست مرات، *ولامية الأفعال* مرتس، *ومحاذي* ابن هشام مرة، *والصغرى والرسالة* مرة واحدة وطرفا من *مختصر خلبل* وطرفا من *جمع الجوامع* لابن السبكى، وشرحه للمحلي *والتلخيص* وغير ذلك.، *وصحيح* البخاري نحو ست ختمات والنصف من الشفا لعياض كل ذلك بلفظ أخيه واستفاد منه ما لا يحصى. ومنهم الإمام أبو على الحسن بن مسعود اليوسي قرأ عليه *تلخيص المفتاح* وشرحه للسعد مرة، وجمع *الجوامع* للسبكي مرة، ومختصر السنوسي في المنطق، مرتين *وكبراه* إلا يسبراً من آخرها لم يكلمها الشيخ، وطرفا من التفسير *والشمائل* ومختصر *خليل* إلا اليسير منه، *والشفا* لعياض مرتين واستفاد منه كثيرا أيضا. ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الفاسي. قرأ عليه *ألفية* ابن مالك *وتلخيص المفتاح* مرة وغير ذلك. ومنهم الحافظ أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي قرأ عليه *نظم الخزرجي* فى العروض، *وأرجوزة ابن سيناء* في الطب [وجل هؤلاء الأشياخ تقدمت نراجمهم وتلى تراجم من بقي منهم] (159).

ولقي جماعة من مشايخ الصوفية أرباب القلوب، أهل التربية والسلوك والعلم الموهوب. فلقي الشيخ الولي سيدى قاسم الخصاصي فزاره مرارا وتبرك به، ولقي الشيخ الصوفي الفقيه العلامة سيدي أحمد بن محمد بن إدريس اليمني، واتصل بالشيخ بحر الحقيقة والعلم الرباني سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي فنربى به وتأدب بأدبه واقتبس منه علوما لدينه ومعارف واقتصر على زوايته بالمخفية بفاس فلازم الصلوات الخمس [فى الجامع الذي كان يؤمّ به وهي المعروفة بجامع سيدي خليل من حومة جزا ابن برقوقة من عدوة فاس الأندلس أطلق عليها هذا اللقب لأن *مختصر خليل* لما قدم به إلى فاس ابتدأ تدريسه بهذا الجامع والله أعلم بغببه، لأنه أخلصت له الدار التي هى موقوفة على سكنَى المساكين الكائنة بالحومة المذكورة قرب الجامع المذكور، وكان محل سكناه قبل ذلك

157) زيادة فى م.
158) زيادة في م كذلك.
159) زيادة فى م.
وفي هذا المكان بياض بالأصول، وكتب بإزائه في هامش س: «بياض هنا نحو ستة أسطر».

بحومة رأس الجنان من فاس القرويين، إذ هي محل سكنى أسلافنا بفاس. فلما صحب سيدي أحمد بن عبد الله انتقل لجزا ابن برقوقة لقربه من زاوية الشيخ المذكور. وبعد أداء الفرض بالجامع المذكور يسير إلى زاوية شيخه فيحضر الحزب ويتلو الورد ويلازم الذكر.

هذا دأبه إلى أن توفي رحمة الله عليه] (160) ورحل مع شيخه المذكور إلى الحجاز بقصد أداء فرض الحج، فأدَّى الفرض في رفقته، ولقي معه الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن سعيد صاحب طرابلس ولزم شيخه المذكور حتَّى ظهرت له [وعليه] معالم الحقيقة، وتجلت له أسرار الطريقة، فكمل سعده، وتم مجده، وأكمل الله له غرضه وتم مطلبه ومرغوبه وتداولته عناية الله تعالى بعظيم الأجور فنزل به مرض فدام به نحو أربع سنين من آخر عمره. وكان من المحبين في سيدي أحمد ابن عبد الله من المولهين به والمحكي عنه في ذلك أنه كان يقول لو ملئت فاس بالأولياء ما أعرج على أحد منهم سوى شيخي ابن عبد الله ولا التفتُّ لسواه.

وكانت تأخذه الأحوال بمحضر شيخه، وربما غاب عن حسه ويخرج عن طوره مع أنه يعيب كثيرا على من يصدر منه ذلك حين يكون غير مغلوب عليه شديد الشكيمة في ذلك كثير التحافظ قائم بما أمر به مجتنب لما نهى عنه أشد اتباعاً للسنة، لا يعرف له كذب قط ولا يقول إلا الصدق.

ومما وقع له مع رجل يسمى محمد بن عيشون ويلقب بالشراط أنه طلب منه أنه يضع كتابا فى التعريف بصلحاء فاس وأخبارهم وشرع فيه ونرجمهم مرتبين على السنين كما صنعنا هنا، فلما أكمل منه أربعاً وثلاثين كراسا واجراه على نسخ ما جمع منه وأعطاه إياه لينسخ له مما كتب منه وليس فيه تبييض ولا ضرب كأنه مكتوب من أصل واحد، وأولهم مولانا إدريس باني فاس (161)، وآخر ما أعطاه ينسخه له سيدي مجبر. ثم سافر صاحب الترجمة مؤلف الكتاب الى أداء فرض الحج المذكور فلما قدم من الحج شغله المرض الذي نزل به ثم بعد مدة وجد بعض الاستراحة فأخبره بعض الفقهاء بأن ابن عيشون المذكور نسب التأليف المذكور لنفسه، وذكر اسمه في خطبته. ثم حصل التأليف المذكور بيده فوجد ابن عيشون حذف منه وزاد نسبته لنفسه وترجم والده وزعم أن شيخه سيدي حمدون الملافي وبعض أصحاب سيدي مسعود الشراط وبعض أهل الوقت [قال صاحب الترجمة ووالله ما علمه ولا فهمه فضلا عن أن يؤلف منه كلمة. ثم إن صاحب الترجمة لام ابن عيشون المذكور على ذلك فخجل منه واعترف لديه أنه لا شيء له فيه ومزق الورقة الأولى التي فيها زيادة نسبته لنفسه ثم بعد ذلك استنسخ ابن عيشون الورقة الأولى وزاد فيها نسبته لنفسه كما كانت] (162). وابن عيشون المذكور ممن يعجز عن فهم الألفاظ التى فيه فضلا عن جمعه،

160) كل هذه الفقرة المكتوبة بين معقوفتين مستدركة من م.

161) فى م: سيدي دراس.

162) زيادة في م.

وهو الموجود الآن بين يدي الناس. قال صاحب الترجمة فمن رءاه يعلم أن نسبته لابن عيشون كذب محض، إلاّ ما زيد فيه فإنه بصح نسبته لابن عبشون. وسئل صاحب الترجمة هل تعرف ما زيد فيه وما نقص منه؟ فأجاب لا أعرف ذلك إلا إذا حضر الأصل وقد ضيعه لى هذا الظالم. وكان عزم علي جمع آخرثم نزل به مرض فدام به نحو أربع سنين من آخر عمره إلى أن توفي منه. قال في صاحب الترجمة شقيقه [سيدنا الجد] (163) عبد السلام ابن الطيب الحسني آخر كتابه *المقصد*. وكان الحامل لي على تأليفه وجمعه، والحافز لي على انقان صنعه ووضعه، والراغب إليَّ فيما أبديته وأداء ما أديته أخي العلامة المشارك المتقن الدراكة المحقق المتفنن أبو عبد الله محمد العربى بن الطيب القادري الحسنى - أدام الله حفظه وأجزل من الخيرات حظه - فهو الذي كان السبب لي في تحصبله وبدئه وتكميله ومازال بعد طلبه لذلك ورغبته فيه هنالك عونا وظهيرا ومقويا ونصيرا معينا لي على استحضار المسائل، وتلك المحاسن والفضائل، حريصا على تفصبله وترتيبه، وتهذيبه وتقربه، إلى أن يسر الله تعالى إتمامه وأكمل سبحانه بغيته ومرامه. وكثيرا ما أنقل عنه فيما سلف، ولا أحليه بما به اتصف، وما منعني من وصفه بذلك وتحلبته إلا ما كان من قرابته وأخوته لأنه من أخص جنسي، ومدحه مدح نفسى. وإلا فهو حفظه الله علامة متقن مشارك ثاقب الذهن بصير بغوامض المدارك من ذوي الإتقان والتحقبق، والتنقير عما خفي والتدقيق، خير مرضي نقي زكي، ذو حال سنى وقدر في الدين علي، قوال للحق، معرض عن الخلق، قرأ النَحو والحديث والبيان والمنطق والكلام والأصول، وحصل له في ذلك اتصال ووصول.

فله بد في هذه الفنون العلمية وخصوصا الحديث والعربية. وقرأ على غبر واحد من الفقهاء، وأماثل النبهاء، عمدنه منهم اثنان: شيخنا العلامة المحقق الدراكة المدقق أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام أبى محمد عبد القادر الفاسي، وشيخنا علامة الزمان ووحيد الأوان أبو محمد الحسن بن مسعود اليوسي، أدام الله رعايتهما، قرأ على الأول من سنة أربع وسبعين - بتقديم السين - إلى سنة تسع وسبعين. ومنها قرأ على الثاني إلى آخر اثنين وثمانين قراءة ملازمة على كل منهما انتهَى.

وصاحب الترجمة هو كان الحامل للإمام المحقق سدي المهدي بن أحمد الفاسي على تأليفه المسمى بالتحفة الصديفية وهو المشار إليه بقوله فيه حملني عليه بعض الشرفاء القادريين فيما أظن (164) وهو الحامل له تحقيقا على تآليف كتابه *الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع*، وهو المخاطب بقول مؤلفه فيه في آخره بما نصه، فهذا أيها السيد الأطهر الشريف الأعز الفاضل الأنور التقي الأعف، الفقيه المشارك الأعرف، ما سألتنيه وألححت على ما فيه غير مرة وجزاك الله خيرا عني في إخراجه مني.

163) زيادة في م أيضا.

164) هنا في هامش ك طرة: «بل حمله عليه أحمد بن عبد القادر بن علي القادري».

ولصاحب الترجمة من المؤلفات *اختصار التحفة* المتقدم ذكرها وهو في غاية التهذيب والإتقان، *وتأليف فيه وفيات* وولادات أولاد الشيخ عبد القادر بن موسى الحسني الجيلاني. وله *كناش* في تقاييد محررة غريبة متقنة وقد كان تحت يد أبي رحمه الله - أعرفه ما يزيد على العشرين سنة محوز الأملاك وسمعت من أبي مرارا أنه ملكه بالشراء من ولد صاحب الترجمة إلى أن مات والدي فادعى عليَّ الورثة أن الكناش رهن فقط فمكنت ولده منه بالفداء (165) رعيا للرحم لكونه خالي وولد عم والدي الشقيق مع كبر سنه على شرط أن يبقيه تحت يدي حتّى استنتسخه فواجرت على نسخه المسن الثقة العدل عبد الرحمان بن محمد زاكور أحد شهود فاس. ولما فرغ من نسخه بنصه أخذه الولد المذكور ثم نقص منه كثيرا لتخيلات لم يرد اطلاع الناس عليها في الأنساب وإن كانت تلك البحوث صحيحة وبحث عليها في الكتب المنسوبة إليها فوجدها كما قال (166) وبقيت النسخة التي نسخت لي قبل وصول الأصل ليد المبدل سالمة من ذلك الحذف [على اتقانها الأول](167) وكذلك نسخة أخرى نسخها العدل الندرومي وكذلك أيضا أعرف نسخة أخرى عند الفقيه مولاي ادريس بن محمد بن أحمد العراقي الحسيني وأظنها باقية عند ورثته الآن.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - آخر الحجة من عام ستة ومائة وألف، ودفن بأعلي مطرح الجنة قريبا من قبة سيدى أحمد بن محمد اليمنى في الجنان الذي اشتراه سيدي أحمد بن عبد الله معن وأصحابه لدفن موناهم، وترك من الذكور ولدا واحدا وهو صاحب قضية الكناش المذكور، وهو الآن في سن عالية تقرب من الثمانين سنة. وهو أبو محمد عبد القادر. وكان له ولد اسمه محمد العربي توفي بالطاعون بمراكش سنة ستين ومائة وألف ودفن بزاوية جده مولانا عبد القادر بن موسى الحسني الجيلالي فهو القبر المزور بها ولا أولاد له الآن والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين (168).

حوادث السنة

هبوب ريح عاتية وسقوط ثلج عظيم

ومن حوادث هذه السنة ففي خامس عشر ربيع الثاني ورابع عشر نونبر هبت ريح

165) في م بدلا من العبارة الأخيرة: «فبعد أن ضننت به وامتنعت مكنته من ذلك... »

166) في م بدل العبارة الأخيرة: «تم إن مفتدي الكتاب المذكور أفسده بالتغيير والزيادات والنقص لتخيلات أطمعته في الاعتراض على أبيه، وما أبعده من ذلك! فلم تبق به عبرة لذلك.

167) زيادة في م.

168) ورد في م تتمة للترجمة كلام شطب عليه، نص المقروء منه:

[تركه والده صغيرا وكذا عمه فكان عند الثاني منهما من نحو ثمان سنين فنشأ نشأة سوء إذ كانت له خئولة في أهل الرئاسة والظلم فكان يأوى إليهم وتحلق بأخلاقهم وتمكن ذلك منه بل زادت أخلاقه في الطيش والخمول واتباع هوى النفس والاجتراء على المحرم لمجرد الكذب مع كونه له سجية في الشعر وسليقة في النظم فنظم منه أنواعا كثيرة بالوزن بالصيغة من غير تعلم للفن بل بحسب الاقتصار على ما سوغ له النظم من ذلك ومثل ذلك في كثير من العوام الذين ينظمون الشعر ولم نر في شعره مع كثرته ما فيه منفعة أو حكمة بل أكثره في الفضول والتجاسر في أمور يجب الإعراض عنها.... وقد خرف عقله بما فيه من قديم من بلية الوسوسة في كل أموره... والله يعلم أني ما ذكرت هذا إلا لضرورة بيان الحال والحمد لله الذي عافانا من هذه البلايا].

عظيمة وطالت نحو النلثسن من اللىل سقطت بها جدرات كثيرة مات بها أزيد من مائة وثلانين نفسا، وفي ثاني عشر جمادى الثانية نزل ثلج عظيم وألهى الناس عن معائشهم أياما. ثم ورد الخبر من توات أنه نزل بهم ظلمة عظيمة من أول النهار الى الزوال وكان لا يعرف أحد منهم الآخر إلا بكلامه، ففطعوا الخروج من منازلهم وأسرعوا لطلب العفو من الله فنداركهم الله بلطفه المرجو منه وكشف عنهم ذلك.

وضع المكوس في البلدان المغربية

[وفي آخر ذي الحجة وضعت المكوس في جميع البلدان المغربية بطلبها من بعض العمّال علسها لها واللحة (كذا) منه على السلطان في ذلك] (169).

حصار سبتة المحتلة

وفى تاسع وعشرين من صفر أمر أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا اسماعيل بن الشريف الحسنى السجلماسى المسلمين ان ينزلوا على سبتة مرابطبن إلى أن يفتحها الله عليهم [وعين ذلك على بعض قبائل المغرب وولى على القتال عامله على طنجة القائد عبد الله بن بنى حمامة أهل جبل تمسمان من بلاد الريف. وهم فى هذا التاريخ إدالة في طنجة.

أولاد فنبش السلويُّون

وولى على آلات الحرب الحربية من النفوط والمهارز أولاد فنِّيش بكسر النون الأندلسسن من سكان ثغر سلا [وأصلهم من الأعلاج الجلالقة الذن أسروا ثم أسلموا، ونسبهم برجع الى القوطيين من بني يافت بن نوح] - (170) فنزلوا عليها ورموها بالآلات العظمى واستمروا كذلك].

غور عين وادي سبو

وفى أول يوم من المحرم من عام ستة ومائة وألف غارت عين وادي سبو ثم رجعت بعد أيام عديدة بحملة حمراء شديدة (171).

—— *** —— ***—— تذكرة المحسنين —— *** —— ***——

محمد العربي بن الطيب القادري

العلامة مولاي محمد العربى بن الطيب القادري الحسني.

أحمد بن إبراهيم العثماني

والثالث عشر من ملوك الدولة العثمانية السلطان أحمد بن إبراهيم، وتولي في هذه السنة الرابع عشر منهم السلطان مصطفى بن محمد وبقى تسعة أعوام ثم قامت عليه العساكر وأنزلوه عن كرسي المملكة وقنلوا المفتي الكبير ومات هو بعد ذلك بسنة.

169) حادثه المكوس ساقطة من ط.

170) ما بين معقوفتيس زيادة فى س وحدها.

171) انفردت *الحوليات* بذكر حادثة غور عين وادي سبو.

العام السابع من العشرة الأولى

محمد بن محمد الشاذلي الدلائي

فمنهم الفقيه أبو عبده الله محمد بن العلامة أبي عبد الله الشاذلي بن الشيخ سيدي مَحمد بن الولي سيدي أبي بكر الدلائي، نقدمت جميع تراجمهم. أخذ صاحب الترجمة عن والده وعمه أبي عبد الله المرابط عن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي، وعن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي وكان آية فى علم البلاغة والأدب وترسيله العجب. باهر الإشارة، رشيق العبارة، ولا غرو فإن الأدب سجية أهل الدلاء والعلوم اللسانية مما سخر الله لهم على الولاء:

[وهل ينبت الخطى إلاَّ وشيجه   وتغرس إلاَّ فى منابتها النخل] (172)

محمد بن الحسن اليوسى

ومنهم الفقيه الوجيه أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي. تقدمت ترجمة والده. كان من الفضلاء النبهاء، معدودا فى جملة الفقهاء، موصوفا بالصلاح، مشهورا بالخير والفلاح.

أخذ عن والده، واتبع بعده طارف مجده وتالده. ومن إنشاده:

اعــذر أخـاك إذا رأيت زِنَادَهُ   من دون مـا تَرْضَى فَـهُنَّ صلود
عـقل العـقـول إذَا تَطِنُّ ذُبابةٌ   وعلى أخـيك أسـاود وأسـود

قوله زناده جمع زند اسم لما يقدح به النار، ويقال زند صلود إذا صوَّت ولم يُور، وتطِنّ مصدره الطَّنين وهو صوت الذباب. والاساود جمع أسود وهى الحية العظمة، والعقل المنع. والعقول يحتمل أن يكون جمع عقل بمعنى الذي يتميز به الانسان عن الحيوان، ويحتمل أن يكون وصفاً على وزن فعول بفتح أوله صيغ من العقل للمبالغة. والمعنَى طلب العذر لمن يرى زناده غير مرضية لأن الزناد الصلود لا توري ناراً، ثم بين أن العقول أو أصحاب العقول إذا طنت ذبابة منعتها من الإدراك أحرى من غلبته الحيات والأسود وأين نسبتها من الذباب (173).

---

172) ساقط من ط.

173) ترجمة محمد اليوسي مقتضبة فى ط لا تعدو ثلاثة أسطر.

علي بن منصور الزموري

ومنهم الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن منصور [الزموري الشلح] (174) الفاسي، والد أبي عبد الله محمد بن منصور الذي تولى قضاء فاس [كان صاحب الترجمة عالما مدرسا بمسجد القرويين بفاس] (175) ، ولازم الشيخ أبا عبد الله مبارة شارح *التحفة*، وأخذ عن أبي على اليوسي سمع عليه مختصر *خليل* ثم لازم بعده أبا محمد عبد القادر الفاسى، وذكره صاحب *المطمح* في جملة من طلب له الإجازة عن والده وعن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي وأجازه. ودخل يوما رجل من المجاذب إلى القرويين وقصد مجلس الشيخ اليوسى وقصد منه صاحب الترجمة دون الحاضرين من أهل المجلس ثم قال لصاحب الترجمة: أعطني عشره مزونات وأعطيك فيها مائة مثقال وألح عليه ولم يكن عنده ما بعطبه فأمره الشيخ اليوسي بالقبام من المجلس وأن يسير لباتيه بها، وذهب وجاء بها وأعطاها إياه، وانفصل المجذوب بها. ثم أخذ البوسى يحث أهل المجلس بتحسين الظن بسائر عباد الله، فلم ينفصل المجلس إلا والسلطان مولانا الرشيد بن الشريف الحسني السجلماسي ورد فى تلك الساعة لفاس وكانت عادته فى دخوله فاس يدخل للقرويبن ويخرج منها للمدرسة المصباحية فتعرض له الشبخ اليوسي وصاحب الترجمة معه فى جملة من الفقهاء فأعطى مولانا الرشيد مائة متقال لكل واحد منهما فقال اليوسي لصاحب الترجمة: إن هذا المجذوب أدَّى دينه ولم يماطل.

توفى صاحب الترجمة يوم الجمعة سابع وعشرين من رجب عام سبعة ومائة وألف (176).

محمد ابن الحسن

ومنهم أبو عبد الله محمد ابن الحسن، به عرف، الفاسي، الفقيه المشارك لازم الشيخ ميارة شارح *التحفة* ثم لازم بعده الإمام أبا محمد سيدي عبد القادر الفاسي، يقوم على مختصر *خليل والرسالة* [ويحفظ نحو النصف من مختصر *ابن الحاجب* الفرعي](177) كان سريع الدمع.

توفي سنة سبع ومائة وألف [وأوصى أن يدفن بباب زاوية شيخه سيدي عبد القادر] ودفن بباب زاوية سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بحومة القلقليبن (178).

174) زيادة في س.
175) زيادة فى م.
176) ترجمة على بن منصور مقتضبة أيضاً في أقل من ثلاثة أسطر فى س.
177) زيادة فى س و م
178) ترجمة محمد بن الحسن ساقطة من ط.

محمد بن علال الغماري

ومنهم الناسك المتعبد أبو عبد الله محمد بن علال الغماري، كان رجلاً صالحا كثير التلاوة، ورده ختمة من القرآن كل يوم بصوم النهار ويقوم الليل منقبضا عن الناس.

توفي بفاس عام سبعة ومائة وألف [179].

محمد بن إبراهيم ابن حم القصري

ومنهم الفقيه القاضي سيدي محمد بن ابراهيم عرف بابن حمُّ الفصري [180] السريفي الشاوي، وتقدم ذكر أبيه وعمه وبعض أقاربه. ، قال في *الرحلة الفاسية* هضبة علاء تفر عنها الأوهام. وجملة ذكاء تشرحها الأفهام، فاق أترابه ومعاصريه بحدة نبله ومضائه، ونظم الرباسة في فلك قضائه. وذكر له أنظاما ومراجعات مع الأديب ابن زاكور، ثم قال: لقبته يعني صاحب الترجمة بثغر العرائش محل قضائه، وغيض إمضائه، ولا ولازلالى (كذا) [181] نحو تلاث مرات.

توفي بها فى جمادى الأخبرة سنة سبع ومائة وألف، ودفن بالقصر في بيت قرب سيدي علي أبي غالب [182].

ومن حوادث السنة

ربح عظيم لم يضر

ومن حوادث هذه السنة ريح عظيم لم يضر شيئا.

179) ترجمة الغماري ساقطة كذلك من ط.

180) في س: الصرصري.

181) في م هنا : «وأنا ما أقمر هلالي، ولا نبع في الذكاء كوتري ولا زلالى» ولعل فى المخطوطتين الأخريين بتراً.

182) لم ترد ترجمة محمد بن ابراهيم فى ط.

العام الثامن من العشرة الأولى

سالم ابن حمّ الشاوي

فمنهم الفقيه العالم القاضي سالم بن القاضي أبي العباس أحمد المعروف بان حم الشاوي السريفي القصري، نسبة لسريف. تقدمت ترجمة والده عام خمسة وسبعين وألف. قال في *الرحلة الفاسية*: كان صاحب الترجمة صدرا من صدور زمانه. وممن تزهى ترائب المها للمعارف بجمانه، وأوري له زند الذكاء اقتداحا، فأجال في كل فن قداحا، فجلّى في ميدان الإجادة وبرَّز، وطرَّر المجالس وطرَّز، وله تآليف مشهورة، وبالإجادة مذكورة. منها *المنهاج شرح المرشد المعين* لسيد عبد الواحد ابن عاشر. وله في فريضة الأدب سهم، وفي معاناة المعاني تحقيق لا يدخله وهم، وله مقطعات عجيبة، يصدع فيها بمعاني غريبة.

توفي بمكناسة الزيتون في سنة ثمان ومائة وألف هـ مختصرا (183) تركت منه ما نسب له من الشعر.

من حوادث السنة

امتحان شهود فاس

ومن حوادث هذه السنة أن في ثاني جمادى الأولى امتحن شهود فاس حتّى طيف بهم في الأسواق وطُبعت حوانيتهم. ومن الغد أخرج جماعة منهم [شكاة إلى القائد عبد الله بن حمدون الروسي فكتب إلى عامل فاس أن يعفو عنهم، فكف العمال عنهم وأطلقوا عليهم الشهادة].

شخص يدخل الديار في هيئة امرأة وهو رجل

وحدثت غريبة وهي أن شخصاً كان يدخل الديار فى حالة امرأة أمةٍ. وكان يخدم النساء في الحمامات وغيرها وكانت تلازم ضريح سيدي أبي غالب دفين سريوة عدوة فاس الأندلس. ودام على حالته ثلاث سنين، فإذا بها وجدت رجلا [حكاه الشيخ المؤرخ الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الفاسي فى بعض مقيداته] (184).

---

183) تقع ترجمة الشاوي في ط فى أقل من سطرين ولعل في هذه الترجمة تداخلاً أو خلطاً مع الترجمه السابقة. فلىراجع *الرحلة الفاسية*.

184) زيادة فى م.

قدوم وفد من اصطنبول يطلب من مولاي اسماعيل مصالحة أتراك الجزائر

وفي يوم عرفة قدم على أمير المومنين مولانا اسماعيل عشرة رجال من اصطمبول بمهم كتاب من سلطانهم يطلب من الخليفة أمير المومنين مولانا اسماعبل الصلح من أهل الجزائر [185] فاكرم الوفود وأسرع إلى الصلح الذي هو خير وتحاددوا في البلاد، وتعاقدوا على تهنئة العباد.

توبيخ قاضي فاس وعلمائها بسبب مشكل العبيد

وفي هذا اليوم (يوم عرفة) من الشهر نفسه ورد على فاس كتاب من عند السلطان بتوبيخ العلماء والقاضى وألزمهم الموافقة على تمليك العبيد الذين فى الديوان.

وفى آخر الشهر نفسه خرج السيد محمد اعليلش لناحية القصر لقصد تمليك الأحمر والأسود من القبائل، والحول والقوة بالله [186].

185) فى م بدل العبارة الأخيرة: يأمر سلطان المغرب بالصلح مع أهل الجزائر.
186) انفردت الحولياب بإيراد مشكل العبد.

العام التاسع من العشرة الأولى

محمد المهدي الفاسي

فمنهم الإمام الحافظ المحقق المشارك [المتقن] المتفنن الصوفي الزاهد الورع أبو عبد الله محمد الهدى بن الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن الناسك الخير أبى الحسن علي بن يوسف الفاسي. تقدمت جمع تراجمهم. كان صاحب الترجمة من الأعلام الأكابر، ومن الفضلاء المشاهير ، رئيسا في الضبط والاتقان وذلك بما أربى به على أهل الأزمان، مجددا لتدربس العلم والتأليف في ذلك الزمان والتقييد والعبادة والإفادة والاستفادة [فال فيه صاحب *المقصد*: صاحبنا ومفيدنا السيد الفقيه النبيل المشارك العالم المحدث الصوفى الجليل الدراكة الواعية الجليل المصنف المفيد، المتقي الزاهد العفف، الخير البركة أبو عبد الله المهدى الى آخره ثم فال:][187] قرأ على أبيه وأعمامه [وعلى غير واحد ممن في طبقتهم من مشيخة فاس] [188] العربية والحديث والفقه والعقائد وغير ذلك. وعمدته فراءة ومجالسة واستفادة والده الشيخ أبو العباس أحمد، وعمه شقيق أبيه سيدي عبد القادر بن علي، وخاله الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي. ثم صحب الإمام العارف الولى الصادق أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد الله والد سيدي أحمد يعني معن الأندلسى [ولازمه بقصد الاقتداء والاتباع والتبرك والانتفاع فانتفع به نفعا ظاهرا ونال منه بركة وخيرا وافرا وحصل له فتح في الطريق وذوق فى التحقيق وبقي معه إلى أن توفى رضي الله عنه، وامتدت صحبته له سبع سنين ثم صحب بعده اقتداء واتباعا خليفته بزاويته ووراثة الشيخ العارف المحقق المجذوب والفاني المستغرق سيدى قاسم الخصاصي ولازمه إلى أن توفى سنة ثلاث وثمانين. وامتدت صحبته له عشرين سنة] [189] وهو الآن في صحبة خليفته ووراثة سيدي أحمد. وله تآليف عديدة، منها شرحان على دلائل الخيرات [أما الكبير منهما فهو تحفة الأخبار وهو في سفرين أجاد فيه ما شاء من نقل وتحرير، وأما الصغير فسماه *مطالع المسرات* نحا فيه منحى *التهذيب*، مع الإفادة وحسن الترتيب. وله شرح عليه ثالث سماه *التجريد لما فى الكبير على الصغير من المزيد*][190] ثم قال في *المقصد*: وثلاثة تآليف في السير [فسمى أحدها *العقد المنضد* من جواهر مفاخر سيدنا ومولانا محمد، وهو فى سفر كبير، والثاني سماه *كفاية المحتاج*، من خبر صاحب التاج واللواء والمعراج، وهو في سفر صغير، والثالث سماه *سماط الجوهر الفاخر* من مفاخر النبي الأول والآخر، فى سفر كبير]. ثم قال: وثلاثة في أهل الله نقلنا عن بعضها فيما سلف فسمى أحدها *ممتع الأسماع* فى مناقب الشيخ الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، والثاني سماه *الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع*، والثالث سماه *تحفة أهل الصديقية* بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية وواحد فى أنساب العرب سماه *داعى الطَّرب*، وغيرها، وهو الآن في قيد الحياة لم

187) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

188) ساقط كذلك من ط.

189) ساقط أيضا من ط.

190) ما بين معقوفتين لايوجد أيضاً في ط، وكذلك فقرات أخرى لم نر فائدة فى الاستمرار فى الإشارة إليها.

يولد له ذكر ولا أنثى، أبقى الله بركته، وأجرى عليه منته. وله تآليف سوى ذلك منها *الدرة الغراء في وقف القراء*، تكلم فيه على الفصل والوصل؛ *والنبذة اليسيرة* واللمعة الخطيرة في مسئلة خلق أفعال العباد الشهيرة احتوت على اتقان ما لأهل السنة في المسألة مع تحقيق وتحرير، *والجواهر الصفية* من المحاسن اليوسفية نحو كراسة احتوى على ترجمة جده أبي المحاسن. *وروضة المحاسن الزهية* بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية سبع نحو عشرة كراريس في الرباعي. *ومعونة الناسك* بالضروري من المناسك. [وتحفة الناسك بالمهم من المناسك، وداعي الطرب باختصار انساب العرب] (191) *وشفاء الغلة* وانقشاع السحابة عن حكم السكران أول الملة، وتنزيه الصحابة، *والرصاصة المطفية* في الذب عن أهل المخفية [رأيت كراسة واحدة منه بخط مؤلفه لكنها في القالب الكبير وخطه مزحوم جدا وغالب الظن أنه جله، وسبب جمعه لهذا التأليف أنه وقع من بعض طلبة (192)عمه سيدي عبد القادر إنكار واعتراض على حال سيدي قاسم حتى كتب مكتوبا وأرسله إلى أهل زاوية سيدي محمد بن عبد الله تضمن ألفاظا شنيعة فيها تنقيص لأصحاب سيدي محمد بن عبد الله وفيه خطاب لسيدي محمد بن عبد الله وهو ميت ولو كان باقيا حيا حاشاه من أن يوصف أو يخاطب بذلك، فأدركت سيدي المهدي نورانية الانتصار للحق فألف الكتاب المذكور. وكان بارع الخط في الكتابة في غاية الإتقان والتحري في الضبط والبيان، دائم التثبت في المسائل، وله إدراك تام في أحوال أهل الطريقة ومقاماتهم، وكلامه فيهم عن ذوق مع طول الباع وغاية الاطلاع، وحيثماتكلم في فن لا يخالف قوله التحقيق، ولا يحيد عن رواية التوثيق، وتآليفه كلها مبنية على التحرير والاحتياط في النقل والفهم المؤيد بالتنوير ويطيل في التراجم إن وجد النقل متسعا ويقصر ان لم يجد للقول موقعا. ولا ينكر هذا إلا غبي أو معاند أو جهول ذو ريبة جاحد، وقد أثنى عليه بأكثر من هذا غير واحد ممن رأيناه من جهابذة العلماء الأعيان، وأطبق الكل على وصفه بالحفظ والضبط والتثبت والثقة والإتقان، وأخذ عن مشايخ غير من تقدم منهم أبو العباس حمدون الأبار ، والقاضي محمد بن سودة ومحمد بن أحمد الزموري، وأحمد بن جلال وغيرهم ولزم من الصوفية سيدي محمد بن عبد الله، وسيدي قاسم الخصاصي، وسيدي أحمد بن عبد الله.

ولد - رضي الله عنه - آخر ليلة السبت السابع والعشرين من رجب عام ثلاثة وثلاثين

---

191) هذان الكتابان الأخيران مكرران مع ما سبق، وهما غير مكررين في ط

192) هنا في هامش س و ك طرة، نصها:

« منهم العربي بردله قاضي الوقت ومفتيه والنحوي عبد السلام جسوس ولما كثر ذلك منهم سد في وجوههم سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي الزاويه وعطلت الصلوات فيها ثلاثة أيام ولم يحلها. ولما كلم في حلها قال أردتم أن نجعلها شبكه لأهل الغيبة كما ينصب الصياد الشبكه لجمع الطيور ثم شفع في ذلك ورأى أن تلك المدة عقوبة لمن تكلم فيها بذلك وبرأ من أن يتوهم الجاهل أن يكون وافقهم على ذلك وأن مكتوبه في تلك الرسالة صحيح ثم لما كتب سيدي المهدي هذا التأليف المذكور وقع كلام أدّى إلى انفصال بين أولاد سيدي يوسف بن محمد الفاسي فصاروا فرقتين أولاد سيدي عبد القادر ابن علي بن يوسف فرقه وما بقي من أولاد سيدي يوسف فرقه مفترقين بين أهل المخفيه وأهل القلقليين، ومن ذلك اليوم انقطع العلم والصلاح من أولاد سيدي عبد القادر. انتهى »

وألف، وتوفي يوم السبت التاسع من شعبان عام تسعة ومائة وألف، ودفن بداخل قبة جده سيدي بوسف الفاسي وراء ظهره من أعلاها [193] بعد صلاة العصر.

أحمد بن العربي ابن الحاج

ومنهم الفقيه العلامة المشارك القدوة البركة المدرس النفاع أبو العباس سدى أحمد ابن العربي المعروف بابن الحاج الفاسى ولادة ومنشئا. كان من العلماء العاملين ، ومن الصلحاء الفاضلين. ولي قضاد المدينة البيضاء وفاس الجديد ودرس بفاس الإدريسية وانتفع به خلق كثير [منهم جدنا عبد السلام، وشقيقه محمد العربي ابنا الطيب القادرى الحسني، قرآ عليه *ألفية ابن مالك* وغيرها. كان صاحب الترجمة كبير الصيت مشهور البركة معلوما بالصلاح وخالص النية]. أخذ عن سيدي عبد القادر الفاسى وغيره من طبقته. وكان حجة إماما.

ولد عام اثنين وأربعين وألف، وتوفي عام تسعة مائة وألف.

أحمد بن محمد العلمى السلامى

ومنهم الشريف الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر السلامى الوهابى العلمي من بني عبد الوهاب السلامي العلمي. قرأ على جماعة من شيوخ فاس، وولي قضاء بلده العلم [ودرس العلم] وظهر فيه ظهور نار على علم.

توفي عام تسعة ومائة وألف [194].

عبد الرحمان الرابس

ومنه الفقيه الأستاذ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد المدعو الرايس الفاسي. كان أستاذا مجودا مقرئا جمع السبع على الشيخ أبى زيد ابن القاضي وغيره، وأخذ عن الحافظ الفاسى، وأحمد بن الحاج وغيرهم، وتولي إقراء الطلبة بمدرسة العطارين القرآن بالروايات. وكان يدرس *الألفية والشاطبية والكراريس والرسالة ونظم الرقعى*، فانتفع به أقوام. وكان ذا حالة مرضية، وكان يؤم بمسجد الفقاصين من عدوة فاس القرويين، فكان يجمع بين العشائين

---

193) هنا فى هامش م و س طرتان متقاربتان فى المعنى، نص أولاهما.
«إنما ترك الدفن فى ذلك المكان لكونه حجراً صلبا لكن بالغ سيدنا أحمد بن عبد الله فى تكلف حفره وأحضر المعاول العظيمة والرجال وأهل الكد والجهد حتّى فتح له القبر تمه اعتناء به لشدة محبته فيه».
194) سقطت ترجمة أحمد العلمى من ط

بأدنى سبب، فمرت بقرة بباب المسجد المذكور ففال بعض المداعبين يمازح صاحبها: أنهض بقرتك للسير لئلا تبول بباب المسجد فيجمع الإمام.

توفي عام تسعة ومائة وألف.

محمد ابن عيشون الشراط

ومنهم [المرابط المجذوب المحب لأولياء الله الغالب عليه التلذذ بذكرهم] (195) أبو عبد الله محمد بن محمد [بن محمد] (196)بن عبشون الملقب بالشراط الذي ينسب إليه أنه هو الذي ألف التأليف المشتمل على النعريف ببعض صلحاء فاس. [وقد تقدم التنبيه على ذلك في ترجمة مؤلفه عم والدنا محمد العربي بن الطيب القادري الحسني سنة ست ومائة وألف] (197) ولد سنة خمس وثلاثين وألف حسبما رأيته بخطه [فى هامش بعض تآليفه] (198) وتوفي سابع صفر عامة تسعة ومائة وألف. ورأيت له تأليفا آخر ذكر فيه سلسلة صالحي فاس من غبر ترجمة لواحد منهم، وإنما يسردهم سردا [ويعين محل دفنهم من فاس، وهو جامع لعدد أكثر مما اشتمل عليه التأليف المذكور، وتألبفا آخر في الأذان. وله تأليف آخر في أشياخه، وكلامه فى هذا التأليف يدل على حرصه في التعلق بأهل الخير عمنا الله وإياه بفضله. ونسب نفسه في الطريق الى سيدي مسعود الشراط بواسطة أبيه ذكر ذلك في التأليف المذكور في ترجمة سيدي مسعود المذكور، وكان يتردد للعلماء والفقراء ويستفيد منهم] (199)

---

195) ساقط من ط.
196) محمد التالث ساقط من ط.
197) ساقط كذلك من ط.
198) زيادة فى م.
199) هذا القسم الأخير من ترجمة ابن عيسون التىراط أتبتنا الأوفى منه فى النسح التى بين أيدينا دون أن ننبه على ما سقط أو راد في كل منها.

تذكرة المحسنين

أحمد بن العربي ابن الحاج

الفقيه العلامة الحافظ الدراكة الهمام القدوة البركة الناصح النفاع قاضي فاس ومفتيها وخطيب جامعها الأعظم سيدي أحمد بن الحاج العربي ابن الحاج. وتأليفه *المدخل* (199م) يدل على جلالته وعلوّ مقامه في العلوم. توفي غدوة الأربعاء مهل ربيع النبوي من السنة، ودفن بروضة سيدي عزيز بدرب الطويل من عدوة فاس القرويين.

محمد المهدي الفاسي

والشيخ الإمام، العلامة الهمام، المتفنن الصوفي أبو عبد الله سيدي محمد المهدي ابن الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن سيدي علي بن تاج العارفين أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي. وله شروح ثلاثة على *دلائل الخيرات*، و*ممتع الأسماع* في الشيخ الجزولي ومن له من الأتباع، و*السيرة النبوية* الكبرى، وغير ذلك من التأليف الدالة على فضله وجزالة علمه ـ رضي الله عنه ـ، ودفن خلف ظهر جده أبي المحاسن داخل القبة.

199م) في هامش مخطوط خ. ع طرة: سبق قلم منه رحمه الله.

العام العاشر من العشرة الأولى

عبد السلام بن الطيب القادري

فمنهم [نسابة حضرتنا وديباجة بيتنا] (200) جدنا للأب المباشر عبد السلام بن الطيب القادري الحسنى. وأذكر فى تحليتي إياه ما قاله ولد ناظم *النحفة* في وصف أبيه، ونص المحتاج إليه: إن بسطت القول أو عددت الطول، وأحكمت الأوصاف، وتوخيت الإنصاف، أنفدت الطروس، وكنت كما يقول الناس في المثل في مدح العروس. وإن أضربت عن ذلك صفحا فبئس ما صنعت، ولشر ما أمسكت من المعروف ومنعت، ولكم من حقوق الأبوة أضعت، ومن ثدي المعقة رضعت، ومن شيطان في غمطه الحق أطعت، ولم أرد إلا الإصلاح ما استطعت. وإن توسطت واقتصرت، وأوجزت واختصرت، فلا الحق نصرت، ولا أفنان البلاغة هصرت ولا سبيل الرشد أبصرت، ولا عن هذا الحدث أقصرت، هذا ولو أنى أجهدت ألسنة البلاغة فجهدت، وأيقظت عيون الإجادة فسهدت، واستعرت مواقف عكاظ على ما عهدت. لما قررت من الفضل إلا ما به الأعداء قد شهدت. انتهى نقله في *نفح الطيب* [وقد تحققنا ان قدر صاحب الترجمة أمر أجمع عليه أهل زمانه] (201) وأثنى عليه بعض أهل زمانه وليس الخبر كالعيان. فمن ذلك ترجمة كتبها في التعريف به على تأليفه المسمى *بالدر السني* الفقيه الفصيح البليغ العدل الأرضى أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الغساني شهر بالوزير الأندلسي.ونصها:

الحمد لله الذى أفرغ على الإنسان، ملابس الجود والإحسان، وغمره بنعم لا يفي بشكرها اللسان، فهو ينقلب فيها بظهر لبطن وحدث عنها بما شئت من طرق هى مع غرابتها حسان. وصلّى الله على سدنا محمد المنعوت في التوراة والانجل والفرقان، الكبير القدر العظم الشان، وعلى آله المطهرين من الأدْران، وعلى صحابته القادة الأعيان. أما بعد، فالقصد التعريف بمؤلف هذا الكتاب الشريف، هو السيد الفقيه العالم النزيه، العلامة المدرس النبيه، الفاضل المبارك الوجيه، شريف العلماء وعالم الشرفاء، المشارك الدراكة الأنور، الزاهد الورع الأطهر، ذو الأخلاق الحسنة، والأفعال المستحسنة، ا لبليغ المصقع، الأديب الأريب الأبرع، الباذل محبته في مرضاة الله، العطوف الشفيق على خلق الله، أبو محمد سيدي عبد السلام ابن السيد الأجل، العدل الأرضَى المبجّل، سيدي الطيب بن السيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد (202) بن

200) زيادة فى م وط.
201) زيادة من ط وم.
202) في س : سعد. مكان محمد السابع.

أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي [بن محمد] بن سراج الدين أبي إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الإمام الولي الكبير سلطان الأقطاب ومن تضوع شذاه وطاب، أبي محمد عبد القادر الجيلاني بن موسَى بن عبد اله بن يحيَى الزاهد بن محمد بن داوود بن موسَى الماجد، بن عبد الله أبي الكرام بن موسَى الجَون بن عبد الله الكامل بن حسن المثني بن مولانا الحسن السبط بن مولانا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، الملقَّب بالقادري نسبة إلى مولانا عبد القادر الجيلاني المذكور.

وكان ـ رضي الله عنه ـ سيداً صالحا، ومقرئا ناصحا، وعالما عاملا، سيداً فاضلا، وقدوة وإماماً، ومن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، وإذا مرّوا باللغو مروا كراماً، يميل إلى المساكين والضعفاء ويُوثرهم بنفسه (203) وكان لهم ملجا وملاذاً وإلفا، تاركا مراده لمرادهم، ساعيا في حوائجهم وأغراضهم، برّاً وفيّاً سنيا سُنيا، نشأ في عفاف وصيانة، وثقىً وديانة. بيته بيت أصالة وحسب، مع ما له من عراقة النسب. لم يزل منذ نشأ حسن السيرة نقي الأطراف صافي السيرة مكباً على تعلم العلم وملازمة أهله، والانحياش إليه واقتفاء سبله، إلى أن حصل له منه أوفر نصيب، ورَمَى فيه بسهم مصيب. ففرأ على جماعة من الأعلام الذين بهم الائتمام: منهم الشيخ الفقيه المشارك النزيه المبارك الصالح الأنور الزاهد الناصح أبو عبد الله سيدى محمد العربي بن أحمد الفشتالي، قرأ عليه القرآن بحرف نافع بروايته، *والجرومية*.

ومنهم الصدر العلم، والركن الملتزم، العالم القدوة الأعمد، المشارك المحقق أبو عبد الله سيدي مَحمد بن شيخ الإسلام سيدي عبد القادر الفاسي، قرأ عليه الجرومية ثلاث مرات *ومحاذي ابن هشام*، *ورسالة ابن أبي زيد*، وطرفا من *مختصر خليل*، وطرفا من *جمع الجوامع* لابن السُبكي، وطرفا من *شرح المحلي*، وطرفا من التلخيص للقزويني، وأخذ عنه علم الحديث من ذلك *صحيح البخاري* ست مرات، ونحو النصف من *الشفا* للقاضي عياض، وجميع ما قرأ عليه بلفظه، وقرأ عليه بلفظه، وقرأ عليه *تحفة الحافظ ابن حجر* واستفاد منه فوائد كثيرة.

---

203) في المخطوطات: ويورثهم.

ومنهم الشيخ البركة العالم العلامة المحقق القدوة أبو محمد عبد القادر بن علي الفاسي، قرأ عليه *مقدمة الشيخ السنوسي وصغراه وشرحها* للمؤلف، وصحيح *البخاري* بلفظه، وسمع عليه تفسير مواضع من كتاب الله الله عز وجل ومواضع من *الرسالة*، ومواضع من *الإحياء* للغزالي، وطرفا من *السيرة* للبعمري.

ومنهم الشيخ الامام العلامة فريد العصر في المعقول والمنقول أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، قرأ عليه *تلخيص المفتاح* مره، وشرحه للسعد مرة، وجمع *الجوامع* كذلك، *ومختصر الشيخ السنوسي* [في المنطق، وجمل *الخونجي*، وكبرى *الشيخ السنوسي*]، وطرفا من *مختصر ابن الحاجب الأصلي*، وطرفا من *الصّغرى*، وطرفا من التسهيل، وطرفا من *التفسير*، وطرفا من *الشمائل*، ومختصر *خليل* إلا مواضع يسيرة، ومرة أخرى لم تكمل، *والشفا* لعياض مرتين.

ومنهم الشيخ الفقيه العالم الفهامة المفتي ابليغ المشارك سيدي محمد بن أحمد الفاسي. قرأ عليه *ألفية ابن مالك والتلخيص* وطرفا من *المراصد* في العقائد لعمه العلامة الأوحد سيدي العربي، وطرفا من *الطالع* المسرق في المنطق للعم المذكور.

ومنهم الفقيه الفقيه الحافظ أحد قضاة العدل في الزمان أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسن المجاصي. قرأ عليه *الجرومية* مرتين *ونظم المجراد* في الجمل، *وألفية ابن مالك* إلى الإضافة.

ومنهم الفقيه العدل العلامة الأستاذ الحافظ الخطيب البليغ قاضي المدينة البيضاء فاس المرينة سيدي محمد بن علي الفلالي. قرأ عليه *الجرومية* ثلاث مرات *والألفيه* مرة.

ومنهم الفقيه العلامة المشارك النحرير القاضي الأعدل سيدي العربي بن أحمد بُردلة الأندلسي. قرأ عليه الألفية، والصغرى، والسلّم، ومختصر السنوسي في المنطق، ومن النكاح إلى البيوع من المختصر ومواضع متفرقة منه وطرفا من رسالة ابن أبي زيد.

ومنهم الفقيه المشارك المحقق الأفضل الأتقى الحاج أحمد بن الحاج العربي بن الحاج، به عرف، قرأ عليه *الألفية*، *واللامية* لابن مالك، وقواعد *ابن هشام* وطرفا من المختصر.

ومنهم الفقيه العلامة المشارك البياني الأصولي المحقق قاضي مكناسة الزيتون سبدي محمد بن الحسن بن مدين (204)، به عرف، السوسي الأصل المكناسي الدار والمنشأ، قرأ علبه *نظم الخزوجي* فى علم العروض وطرفا من *صغرى السنوسي*.

ومنهم الفقيه المشارك الأدبب سدي عبد الرحمان بن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي. قرأ علبه *نظم الخزرحي* فى العروض، *ونظم ابن سبنا* في الطب.

ومنهم ناظر الفروبين الفقه المشارك سبدي عبد الوهاب بن سدى العربى الفاسي قرأ علبه *الخزرجبة*.

ومنهم الفقيه الأستاذ المشارك الأنبل الفارئ الفصبح سبدى محمد بن مبارك المغراوي. قرأ عليه مورد *الظمآن* للخراز.

ومنهم الفقه المشارك الحافظ الخطب الأديب سبدي الشاذلي بن الشخ سيدى مَحمد بن الولي الصالح سيدي أبى بكر الدلائى. قرأ علبه من البيوع إلى الميراث من مختصر *خلبل*، وطرفا من *الاكتفا* للكلاعي.

ومنهم الشيخ الإمام الولى الكامل العارف الراسخ المحقق الواصل سيدي أحمد بن مَحمد السمنى قرأ عليه من النكاح إلى الإجازة من مختصر *خلبل*. فلما حصل من العلوم ماحصل، وبرع فى فنون منها ونحمل من فوائدها اتصل (205) وصارت له في ذلك اليد الطولى والباع الكبير، تصدر للتدريس والإفراء بعبارة رائقة، والغوص على معان فائقة. وكان فى البلاغة والإنشاء والنظم والنثر نخبة أهل زمانه، فاق في يذلك جمبع أقرانه. وبرع في فن العربية والتصريف واللغة ومعرفة النسب، ولا سبما أنساب بني هاشم وخصوصا العلويين منهم، وإليه كان المرجع في ذلك بحضرة فاس، وعلبه الاعتماد فيما يقع الاختلاف فيه بين الناس. وكان يعرف البيان والمنطق والأصول. وكانت له مشاركة فى الحدبث والسير والفقه، وكان ذا ذكاء وفهم وتحقق، وبحرير للمسائل وحل لمشكلاتها مع فطنة وتدقيق، وغفلة عن أمور الدنبا وعن الرُكون إليها وإلى أهلها وعن زينتها وبهجنها، سالكاً سبيل الهدابة، تاركا طريق أهل الغواية، رُبى على دلك منذ نشأ، وما مد البد إلى ما لا برضى مولاه ولا إلى ما

204) فى م . محمد بن الحسين أبو مدبن.

205) كان فى المخطوطات، ولعل كلمات سقطت من العبارة الأخيرة لتكون ـ حسب السياق ـ مثل. «ما اتصل» أو «تحمّل من فوائدها ما تحمّل».

برده خطئا ومنشأ، حتى جذبته أيدي العناية، إلى بيت الصلاح والولاية، وهبت عليه نسمات الوصال، بأمر لم يكن منه على بال، فقاده منه زمام السعادة، إلى حيث الإفادة والاستفادة، حضرة حُفَّت بالأنوار، إذ صارت معدناً للأسرار، وحيث تنال المواهب الغزار، تحط الذنوب والأوزار. خدم التوفيق بابها، وحمت بها المعالي ومدّت أطنابها، حضره زين الزمان، وشمس الأوان جبل السنة الشامخ، وطودها الراسخ، بحر الحقائق العرفانية، ومنهل العلوم الربانية، الولي الإمام، هربة (206) الائتمام، وملاذ الإسلام، وغوث الأنام، وملجأ الخاص والعام، بيت الولاية والصلاح، ومعدن الأسرار والفلاح، بحر الجود، الذي لم نر ولم نسمع بمثله في الوجود، المتحقق بالشهود، الفذ الفريد الجامع، الكثير المنافع، الواقي بنفسه للمسلمين والمُدافع، القدوة الأعمد، أبو العباس سيدي أحمد، ابن الشيخ الإمام، الولي الكامل الهمام، كهف الإيقان، ومحل العرفان، والمتخلي عن كل عَرَضٍ فَان، محيي السنة والدين، وحبل الله المتين، سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسي المحتد، الفاسي الآباء والمولد، فصاحبه (207) وانقاد إليه، وأقبل بكليته عليه، واعترف بما لديه، ولازمه نحو خمس وعشرين سنة، ومارس أحواله السنية وسيرته المستحسنة، وسمع من حقائقه، وعلومه ورقائقه، وفهومه وحكمه ولطائفه، وأسراره ومعارفه، ما لا يدخل تحت حد، ولا يحيط بمقوله الإحصاء والعدّ، ولا يدرك بالعقول، ولا تحويه النقول، مما هو جائز أن تشدّ إليه الرحال، وتخضع له فحول الرجال، واقتبس من أنواره، واقتطف من ثماره وأزهاره، واغترف من بحره الوافر المديد، واستفاد منه فوائد مع معونة من الله وتأييد، وانتفع به أيّ الانتفاع، وهذب منه الأخلاق والطباع، وحكّمه في نفسه، وانفرد لمّا عرفه عن أبناء جنسه، وانقطع به عن مألوفاته وعوائده ومستحسناته، وألقى إليه قياده، وجعل مراده مراده، وظهرت عليه بركته، وانطبعت في قلبه محبته، وعمته قلبا وقالباً (208) رعايته. وكان سيدنا أحمد المذكور يحبه ويجله ويبر به غاية البرور، ويحسن به ظاهرا وباطنا، وينهاه عن مّا خفي عليه من أموره وكان فيه كامنا، ويلازم مجالسه البهية، فيستفيدُ منها فوائد سنية، ونَال منه حظا وافراً، وكان له مادحاً وذاكراً، وأطلق الله منه اللسان، بما أودعه من الحسن والإحسان، فقال فيه قصائد عديدة، جيدة فريدة، يطرب لها السامع، وتستحسنها المسامع، وجمع منها جمله وافرة في مجلد صغير [وجعل له خطبة] (209) سماه *مصابيح الاقتباس، في مدائح سيدنا أبي العباس*، ثم ألف فيه تأليفاً لم ينسج على منواله، ولم يَجد أحد على منواله، سماه *المقصد الأحمد*، في

206) كذا في المخطوطات ولعل الأصل «مناط» أو ما أشبهها
207) في م: فصحبا به
208) صحف في ك و س فكتب. قلبلا وقابلاً.
209) زيادة في م.

التعريف بسيدي ابن عبد الله أحمد، في مجلد [كبير، فاح منه عنبر وعبير] (210) وكانت له قدرة على التأليف، وقوة على التصنيف، فألف عدة من الكتب، منها هذا التأليف المكتوب هذا على ظهره المسمى *بالدر السنى فيمن بفاس من أهل النسب الحسني*..

ومنها *العرف العاطر، فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر*.

ومنها إغاثة اللهفان، بأسانيد أولي العرفان.

ومنها *الإشراف، على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف* (211).

ومنها *معتمد الراوي، في مناقب ولي الله سيدي أحمد الشاوي*.

ومنها *نيل القربات، بأهل العقبات*.

ومنها *رجاء الإجابة، بالبدريين من الصحابة*.

ومنها *مناهج* (212) *الرشاد، في لامية الإسناد*.

ومنها وسيلة السالكين، بالعارفين الكاملين.

[ومنها *تحفة النبيه، بنسب بني طاهر وبني الشبيه*] (213)

ومنها *عقد اللآل، ووسيلة السؤال، بما له صلى الله عليه وسلم من الآل*.

ومنها: *أداء الحقوق، في إبداء الفروق*.

ومنها *تنبيه المُعرضين، عن آيات السماوات و الأرضين*.

ومنها *تتميم الأفراح، بتنعيم الأرواح*.

ومنها *ذخيرة الاكتساب، فيمن يدخل الجنة بغير حساب*.

ومنها *النسم المعبق في توجيه الخلاف من المنطق*.

ومنها *معونة الاخوان [بمعرفة أركان الإيمان والإسلام والإحسان]* (214).

[ومنها *الحكم المنسوق، في أحكام المسبوق*] (215).

---

210) زيادة في م كذلك.

211) هم سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي عبد السلام بن مشيش، وسيدي أبو الحسن الشاذلي، وسيدي مَحمد بن سليمان الجزولي.

212) في م و س. «نَهْج»

213) ساقط من ط.

214) سقط ما بين معقوفين من المخطوطات، وكتب فيها بدلاً منه: في الديانات.

215) ساقط من ط.

ومنها *مطلع الإشراق، في الشرفاء الواردين من العراق*.

ومنها *الروض الأنيق الزاهي، في أحكام المصلى والساهى*. وغير ذلك مما لم يحضرني، والتقابيد والأجوبة. وكل كلامه في غاية البلاغة والتحرير، كلام عالم نقاد تحريي، جهبذ فطن أثبر، فلم يزل على تلك الحالة إلى أن انتقل إلى رحمة الله عند صبح يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الأول النبوي المفضل عام عشرة ومائة وألف، وعمره خمسون سنة. وصلّى على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم، انتهَى، بحذف فيه ومن خطه نقلت (216).

وكتب عقبهُ الإمام المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوى الدلائى ما نصه: الحمد الله طالعت هذه الأوراق من إنشاء صاحبنا العدل الأرضَى النزيه، الحسيب النبيه، الفصيح القلم واللسان، المتحلي من الفضائل بما فاق به الأقران، الماجد الأثر، أبى العباس أحمد بن عبد الوهاب الشهير بالوزير، الغسانى الأندلسي المحتد، الفاسي المنشأ والمولد، فوجدتها مطابقة فيما تضمنته من التعريف بشخنا المذكور، المقدس المبرور، لما أعرفه من حال المعرَّف به وأعلمه من نشأته من غير غلو ولا زيادة، بل ربما قصرت عن فضائله وفواضله المعلومة لجميع من خالطه. وقد أعجلني طالبها عما فى غرضي من مزيد تصحيحها واختصارها وتنقيحها، فتركتها على حالها [سوَى ما أصلحت من بعض ألفاظها أو زدته لبيان أغراضها] (217) والله تعالى يكون لجميعنا بفضله، وكتب محمد بن أحمد المسناوى الدلائى كان الله له. انتهَى. ومن خطه نقلت.

وقد أثنَى على صاحب الترجمة بعض أشياخه وغيرهم من الأعيان، منهم شيخه سيدى محمد بن سيدي عبد القادر الفاسى، فكتب على نسخة من كتاب صاحب الترجمة المسمى *بمطلع الإشراق* المتقدم ذكره، ونص محل الحاجة مكتوب عليه: [الحمد لله رب العالمى وصلواته وسلامه على سيد المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين. وبعد فيقول عبد الله سبحانه محمد بن عبد القادر الفاسي كان الله به بما كان لأوليائه. قد تصفحت هذا الكتاب المسمى بمطلع الإشراق] (218). الذي صنفه فتى الإفادة، المشهود له بالإجادة، العلامة النحرير الأديب، الشريف المنيف الحسيب سيدى عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، فألفيته قد ساق سوقا أنيقا، ونسج نسجا محكما وثيقا، ونظم من الفوائد دررها، وأبدَى من وجوه المحاسن غررها، وأطلع في سماء المكارم قمرها، وسبق إلى جمع فضائل بغبط

216) فى م انتهى بنصه ومن خطه نقلت، وبه إصلاح بخط الإمام المحقق أبى عبد الله المسناوي وكتب بظهر آخر ورقة منها ما نصه.

217) زيادة فى م

218) زيادة فى م.

جامعُها، نهض إلى حفظ مسائل يطرب سامعُها [وأثبت الحق لأهله، ونبه على حبازة النسرف في محله، فجزاه الله سبحانه على ما صنع، بجزيل جزائه الأوسع. فقد قام بالواجب، وقضَى دينا كان قضاؤه من المتأكد اللازب، ولا غرو فقد كان أحق بتأدبته وإظهاره، و أولى بتولي تنويهه وإشهاره، حماية لنورهم الباهر، وغيرةً من ذوي النسبة على نسبهم الطاهر، والله سبحانه يبقيهم للأمانة أمنا، ويجربهم على السنن الأقوم الأسنى. وصلّى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما انتهَى. ومن خطه نقلت. والنسخة المكتوب عليها هذا بخط من ذكر موجودة الآن عند أولاد النسريف الفقيه، الماجد الوجيه، الطيب الأخلاق، الطاهر الاعراق، أبى العلاء مولاى ادريس العرافي الحسني القاطن بفرن الشاطة من عدوة فاس القرويين] (219).

ومما كتبه الإمام سيدي المهدي الفاسي على الكتاب المذكور: وبعد فقد تصفحت هذا التأليف فألفيته ظاهر الآيات، باهر الآيات (220) قد احتَوى على علم جم، وتحرير أتم، وفوائد عجيبة، ونكث وفوائد غريبة. وقد أتَى على جميع مقصوده،ووفى بما ذكره من وعوده، [وأثبت من الحق لأهله ما هو ثابت لهم بتأيبده بالنقول، ولم يبق بعده لقائل يقدر وجوده ما يقول] (221) مع ما حواه من بلاغة وفصاحة، وحسن تنميق وملاحة، وأبلغ ترسيل وانشاء، واحسانه فيه ما شاء، وما يجد له قارئه وسامعه من عذوبة واستطابة، لإصابته صوب الإصابة، وما تخلله من طلاوة، وكساه من رونق حلاوة، تستلذه العقول، وتعجز عن آحاده الفحول. ولا عجب بأن يكون على أحسن وصف، وأتقن رصف، وهو نفثة عالم نحرير، ذي تحقيق وتحرير، طَالَمَا مارس الأنساب، وجال في طلاب معرفة الأحساب، فميز منها السقيم والصحيح، والدخيل والصريح، وعانَى ا لبلاغة فاستمسك منها بأوثق عراها، واستوى على أعلى ذراها. بل كيف لا يكون بديع الوضع، بالغ النهاية في حسن الصنع، تعجز عنه الأمثال، وتقصر عن مراده الأشكال، [ومصدره من شريف إلى شريف] ، (222) فهو لا شك مستمد من مشكاة النبوءة و أنوارها به تطيف. أما المؤلف فهو سليل الأستاذ الأعظم، والقطب الأفخم، والبحر الخضم، النجم الثاقب، الشهير الأوّل، ومَن يدين بذكره وحبه البادي والحاضر، وإلى التمسك به والتعلق بأذياله يبادر، الشيخ أبو محمد عبد القادر [وأما المؤلَّف له فهو من نسل سلسلة الذهب، ذات البهاء والسناء وذهاب الذكر كل مذهب، وإذا بان هذا وعرف امحَى فيه معان وممدود، وميز تميز المقصور من الممدود. فلا نسأل عما يشتمل من حسن

219) الفقرة الطويلة المكتوبة بين معقوفتين مستدركة كذلك من م.
220) هكذا كررت كلمه الآيات في المخطوطات.
221) زيادة في م.
222) زيادة في م.

وإحسان، وإبدع ترصيف وإتقان، مع ما يكسوه من البهاء والنور، وينشأ عنه من الخبرة والسرور. وقد وجد محل اقول واسع المجال، وفتق لسانه بالقول فقال. فبالحقيقة ماهو إلا روضة الأنوار، وحديقة تمار وأزهار، تستنشق منه روائح الورد والنسرين والنيلوفر والبنفسج والعرار، إلى غيرها من أنواع الرياحين وأزهار الأشجار، فجزاه الله بما جازَى به السادة أمثاله وضاعف له إنعامه وإفضاله، بمنه آمين، وكتب عبيد الله تعالى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي، آواه الله من فيء هذه الشجرة الشماء، التى أصلها ثابت وفرعها في السماء، ظلا ظليلا، ورزقه من المحترم بحرمها ما يكون له بالعروة الأبدية والسعادة السرمدية كفيلا، وأبقَى وجودها بركة للعباد، وجيدة ونورا فى البلاد، بمنه وفضله، وجوده وطوله، آمين، وصلّى اللّه على سبدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسلىما كثيرا إلى يوم الدين. والحمد للّه رب العالمى. انتهَى، ومن خطة نقلت] (223) وكتب محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي. انتهَى.

ومما كتبه الإمام المحقق سيدي الطيب بن سيدي محمد بن سيدي عبد القادر الفاسي [ما نص المراد منه: ولقد طالعت هذا التأليف الشريف المسمى *بمطلع الإشراق في نسب الشرفاء الواردين من العراق*] (224) الذى جمعه عالم الشرفاء، وسريف العلماء، العلامة النحرير، العَلَم الشهير، ذو المجد الأثير، والقدر الخطر، أبو المجد سيدى عبد السلام بن السيد الطيب الشريف الحسني القادري [فألفيته بهجة للناظرين، فتبارك اللّه أحسن الخالقين. فلقد ساق ذلك النسب الكريم فى أحسن مساق، ورتبه ترتيبا تستعذبُه الأسماع والأذواق، واحتمل فيه] (225) وجمع فأوعَى، وبلغ من التحرير والتحقيق المنتهَى. ونشر على بساط معانيه من جواهره الحسان، ونظم من مكنون ألفاظه عقود اليواقيت والمرجان، ورصع ديباجه بلآلي فوائد تلك المناقب والآثار، وجني من رياض تلك المحاسن أطيب الأزهار وأحلى الثمار، [وألحق فيه الفروع بالأصول، وأحكم القواعد والفصول، وأيد المطالب بواضح البينات ومحرر النقول. فلا غرو إن عرف الحق وأثبته لذويه] (226) فإنه من أهل البيت وهم أدرَى بما فيه. وكيف لا وهو فى هذا الأمر [ممن] له القدم الراسخ واليد البيضاء، وإنه غصن من الشجرة الشماء، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء. انتهى من خطه.

---

223) هذه الفقرة الطويلة المكتوبة بين معقوفتين مستدركة من م.
224) مستدرك أيضا من م.
225) زيادة كذلك في م.
226) مستدرك كذلك من م.

ومما كتبه علبه معاصره الإمام الحافظ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد القسمطيني [ما نص محل الحاجة منه: هذا وقد طالعت *مطلع الإشراق في نسب الشرفاء الواردىن من العراق*] (227) الذي ألفه الإمام العلامة النحرير، الدراكة الأثير، النسابة الشريف الحسني، سبدى عبد السلام بن الطيب القادري الكيلاني. فوجدته مبنبا على قواعد التحقيق وتحقيق القواعد، مملوءا بفرائد الفوائد. قد حرر النقول، وأتقن الدلائل والفصول [وروَى أحادبث شرفهم عن الثقات، وأسند أخبار فواضلهم عن أثبات، لها منها عليها شواهد، ومتابعات صحبحة وزوائد، فهي صحبحة السند، ولا كمسند أحمد] (228) فلتهنأ أبا محمد بمصنفك الذي أبدعته فأتيت بما لبس له مثال، واخترعت فجئت به على أكمل الأحوال، لفد تكلمت فأبلغت، ونقلت فحققت، واستدللت فأفحمت، وأطنبت فأصبت، فىجب شكر أياديك، بارك الله لنا فيك. انتهَى من خطه.

ومما كتبه عليه أيضا العلامة الصوفى المحقق سيدي الحاج أحمد الجرندى [ما محلُّ المراد مه: وبعد فقد أمرني من لا تسعني مخالفته، وتتعين عليَّ إجابته، أن أتصفح هذا التأليف المكتوب، المحتوي على كل مطلوب ومرغوب، المسمى *بمطلع الإشراق* المشتمل على نسب ساداتنا الشرفاء الواردين من العراق، تأليف] (229) الإمام، المدوة الهمام، عَلَم الأعلام، والمجلّي بعلمه عن علم الأنام، غياهب الظلام، مولانا عبد السلام بن مولانا الطبب الشريف الفادري، قدر الله له مقادير الحسني، وبلّغه من فضله ما تَمنّى، وحعله مثابةً للناس وأمنا، ولم يزل مقام إبراهبم حساً ومعنًى، إلى أن قال: فللّه درُّ مؤلفه من عالم نحرير، موصوف بالتحقيق والتحرير. قد انقادب له العلوم وتوقفت عليه الآراء والفهوم، فتواليفه تستلذها النفوس، ونكرع فتشرب منها بغيركؤوس، وخصوصا خوضه في الأحساب، وإجالة فكره في معرفة الأنساب، فلا أحد فيها يضاهبه، ولا بسير سيره فيها أو يدانيه، ولا بستطبع النسج على ذلك المنوال، إلا الخواصّ من فحول الرجال. لقد طالت ممارسته لها، فعلم أصولها وفروعها، وميّز منها السقيم والصحىح، والمكني عنها والصربح، فالحق ما شهد به لأهله، وأفشاه بتدوينه ونشره، فأهل مكة أعرف بشعابها، وبطون أوديتها و آكامها. انتهَى ومن خطه نقلت.

ومما كتبه علبه القاضي العلامة أبو مدين السوسى شارح *السلم* وغيره: وكيف لا و مصنفه بحر المعارف الزاخر، وبالانتماء إلى نسبه الباهر تفتخر المفاخر (230) انتهَى بخطه.

227) كذلك مسدرك من م.

228) من م. أيضاً.

229) زيادة فى م كذلك

230) هكذا فى م، وهو الأنسب، وكتب بعبارة قريبة من هذه في ك وس يظهر عليها تصحيف

ومما كتبه عليه شيخه العلامة الورع أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج ما نص المراد مه: وقد قام مؤلفه - رضي الله عنه وبلغه من ماموله أدنانه و أقصاه - [بحق هؤلاء السادات الكرام، الفضلاء الأعلام، وأبان به من رفع قدرهم ما يبقى على طول الأيام] (231). انتهى من خطه.

ومما كتبه الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ المرابط الدلائي شارح *التسهيل* [ما محل الحاجه منه: هذا وقد شرّفني بعض الشرفاء العراقيين، والسراه الحُسينيين. ، بالوقوف على] (232). التصنيف المحبر، والتأليف المعتبر، صنعة مولانا الإمام، الحبر الهمام، محلّي جيد الدهر من بآلىفه وأوضاعه، ومخترعاته و إبداعه، مما تنقطع الأطماع دونه، ونود الشهب العوالي أن تكونه، المشنّف أسماع المعاني بمنتقى جواهره، والمُرونق أفنان البلاغة بموانق أزاهره، المبدع في أنواع الإنشاء، اللاعب بأطرافه كيف شاء، وحيد العصر، وعميد المصر، المقابل بالإذعان والاستسلام، أبي محمد عبد السلام، ابن مولانا الطيب معنى وحسا، وذاتا ونفسا، الجيلي بلداً، القادري نسبا ومحتدا. [لازالت أيامه مشرقة، و أنواء أفضائه مغدقة] (233).

ناهيك به من حبر قد عطر السماكين أرَجُه، وبحرٍ ملأ الخافقين بهجُه، قد سحر الألباب نظما، من ورد عذب كوثره لا ظما. فيا له من ماهر قد حاك ديباج البراعة في هذا المصنف وفوّف، وقوم فيه أود البيان وثقّف، ونظم فيه درر الفصاحة في أسلاكها، وضمّ دراري الأدب فيأفلاكها، واستجلى مخدراتها فأسفرت عن لثامها، وأفضى إليها بعد فضّ ختامها، فعذارى المعاني من جمالها سافره، وعيون الأماني برواشقها ساحرة. قد انحشرت إليه وجوه البلاغة فحازها، وانحسرت بإشاراته إليها فحقق حقائقها ومجازها. وكيف لا وقد انتصر لهذا الجانب الأعلى، والجناب المعلى، الذي هو جرثومته، وصرحاء عمومته. لقد وجد - كلاه الله - للمقال مجالا، وألفى لوضعه الشريف وبحره المنيف نساء ورجالا، زاحموا الثريا بالمناكب، وجاوزوا هامة الجوزاء بالكواكب، الرضعاء من ثدي النبوءة ألبانها، والحائزون من المآثر الأثيرة ألبابها، فمجرد ذكرهم ينهض بلاغة البلغا، وينكص رؤوس من كابر الحق منهم وبغَا:

كـرر علـيَّ حـديثـهـمْ يَاحَـادِي ... فـحـديثـهـمْ نُطفِي لهـيبَ فُـؤَادِي

231) زيادة في م.
232) زيادة في م كذلك.
233) زيادة أيضاً في م.

[انتهى المراد منه. وقد أطال، وما أعوزه المقال، وقد اقتصرنا على هذا القدر، ففيه ما يثلج الصدر] (234) ومن خطه نقلت.

ومما كتب عليه مفتي فاس وخطيب جامعها الأعظم قاضي فاس العليا العالم الفقيه، النوازلي الوجيه، سيدي عبد الواحد بن محمد شهر بأبي عنان [ما نص المحتاج منه: وبعد فقد منَّ الله عليَّ بمطالعة *مطلع الإشراق*] (235) تأليف الفقيه العلَم (236)، الحجة البالغة والركن المُسَلَّم، الجامع لأشتات العلوم، ومالك أزمة المنثور والمنظوم، الهمام الماهر، والإمام الباهر، شريف العلماء، وعالم الشرفاء، رئيس فوارس الأقلام، أبي محمد مولانا عبد السلام، ابن مولانا الطيب بن مولانا أبي عبد الله محمد الشريف الحسني الشهير بالقادري خلد الله فخره، وأبقى مدَى الأيام ذكره. ولما سرحت فيه الناظر، وأجلت فيه الخاطر، وجدته منظراً غريبا، وبحرا عميقا، ومنزعا عجيبا، وروضا أنيقا، يزرى بأعجوبات الزمان ومنتزهات الدنيا، وتستحسن منه العين [أجمل] من نهر الأبلة بلا شك ولا ثنيا:

هو البحر إن حَدَّثْتَ عن مُحكماته ... ضعُفتَ عن استيفاء تلك العجائبِ
و إن رامَ فكرٌ أن يُحيط بوصفه ... أحاط عليه العجزُ من كلّ جانب

[قام فيه مؤلفه بحقوق الشرف، وأزال فيه عن وجه الإصابة الكلف، وأسكن الدّار بانيها، وأعطى القواس باريها] (237). فلله دره من إمام قال الحق وبيّنه، وجمع ما افترق من شمله ودوّنه، وشرح بما فتح الله عليه فيه جميع الصدور، وملأ قلوب المحبين للجناب العلي بأنواع السرور، فزادنا تبيينا، وزاد على ما عنده يقينا.

[فيا واقفاً منه على شرح مُشكلٍ ... أبان له المعنى الذي لم يَكُنْ ظَهَرْ
سألتكَ بالرَّحمان ثُمَّ رسوله ... تَرَحَّمْ على مَنْ أتْعَبَ القلبَ والبَصَرْ
وباحَتَ بالأشياخ فيه زمانَهُ ... أُولي العلمِ بالتَّنزيل والفقه والأثرْ
و أبْرَزَهُ لِلنَّاظرين حديقةً ... مُدَبَّجَةَ الأرجاءِ بالنَّورِ والزَّهَرْ

---

234) ما بين معقوفتين مستدرك من م.
235) مستدرك من م كذلك.
236) هذا ما يقتضيه سياق السجع، وفي المخطوطات. العالم، إلاّ أن يكون الأصل: العالم العلم، فوقع إسقاط.
237)زيادة في م.

لقد كفاك والله المطالعة، ولمسبق لك إلا الإذعانُ له عند المراجعة](238) فهو من الثقات، والعلماء الأثبات، كثيراً ما صدر منه الاعتناء بهذا النسب الشريف، وأبان فيه الصحيح والسقيم والقوي والضعيف، فأهل مكة أعرف بشعابها، والبعل أدرَى بزوجه ولو كانت بنمابها. انتهَى من خطه.

ومما كتب عليه شيخه سيدى الشاذلي (239) بن مَحمد بن أبى بكر الدلائى: [وبعد فيقول أفقر العبد إلى مولاه محمد بن محمد الشاذلي: قد وقفت على المطنَّف العجيب، والمؤلَّف البديع الصنع الغريب، الموسوم *بمطلع الإشراق، فى نسب الشرفاء الواردين من العراق*، تأليف الإمام الكبير، والجهبذ الناقد البصير، صاحب القلم العالى، والقدم الذى رسخت أناملها على هام المعالى، جامع أشتات الفصائل على التمام، المزيل عن وجوه خبايا العلوم والمعارف النقاب واللثام، مولانا عبد السلام بن مولانا الطيب الحسني القادري، أبقَى الله سناءه وسناه، وبلغه من مقاصد الدارين غاية أمله ومناه. سرحت الطرف فى مراتعه الحسان، وأجلت الفكر فى مرابعه المزرية بشعب بَوَّان، وتأملت ما احتَوَى عليه من النكث الشريفة والفوائد، وما انطوَى عليه من الدرر الثمينة والفرائد، فوجدته نزهة للأبصار، وفرجة أطيارها، روضة غناء قُصرت عليها المحاسن، وباكرها الوسميُّ فسقاها جوداً غير مفسد ولا اسن، وبحر علم سوَى أنه عذب المذاق، وبدر تم لا يعتري أضواءه كسوف ولا محاق، ماشئت من تحقيق وتدقيق، وترصيع وتنميق، ودليل واضح، وبرهان وسبيل لائح، وبيان أصول وقواعد، وتحرير فروع وشواهد، ورياض يانعة مونقة، وحياض نابعة متدفقة. فلقد أبدع مؤلفه وأجاد، وذلل الصعب العويص فانقاد. ورفع عن الناظر فى هذا النسب الشريف التعب، وأوقفه عند الحيرة والالتباس على غاية المرام والطلب، وأثبت الحق لأهله بالدليل، وسلك إلى معرفة الصواب نهج السبيل، وأزاح ما يختلج بالخواطر والنفوس، وجدد من أعلام هذا النسب العلي ما يخشى عليه التلاشى والدروس، فأرغم بذلك أنف كل حاسب، وألقم الحجر فم كلّ كاشح مارد، وأدخل قلوب المحبين من السرور والحبور، ما لايزال يتجدد على توالى الأعصار وتعاقب الدهور، ولعمري مافيض للقيام بحق هذا الوظيف، والتصدى لحماية هذا النسب الشريف، ولا أمد بالأقدار والمعونة، ولا نمهّد له هذا الأمر الجليل من غير كبير تعب فيه ولا مؤونة، إلا على من له سبحانه به عناية سابقة، وسعادة له بفضل الله تعالى وكرمه في دار الجزاء لا حقة. فقد أتَى بما نكص دونه الأكابر والأعيان، ولا دليل أقمع للخصم من المشاهدة والعيان. ولقد قام بأعظم فروض الكفاية والعين، مَن أزال عن آل بيت ا لنبوة كل

238) ما بين معقوفتين فى م وحدها

239) في م هنا: وتقدم ما كتبه عنه سيدى الشاذلي عام سبعة فراجعه.

لبس فى نسبهم الرفيع ورين. وإنما دافع عن حوزة المسلمين والإسلام، من ذب بلسانه وسنانه عن عترة سيد الأنام، فحق على كل من له للدين الحقِّ انتساب، أن يتلقَّى بالقبول والتسليم ما يَردُ عليه من هذا الكتاب. فقد تضافرت على صحته النقول، وتظاهرت فيه الأدلة المسلمة من المعقول والمنقول. وقد كرع مؤلفه من مناهل التحقيق، وسلك لتحصيل مرامه كل نقب وطريق، فالفضل منه و إليه، والمحاسن كلها مقصورة عليه. وكيف لا وهو من صريح آل بيت النبوة والرسالة، ومن أهل السادة الشامخة والرفعة والجلالة، الذين مُنحوا من نصائح الرضوان أوفرها، ومن نفائح العرفان أعطها. وهم عصمة اللّه وعروته الوثقى، وحبله المتين الذي من تمسك به لا يضِل ولا يشقَ. جعلنا اللّه ممن تمسك بأذيالهم الضافية، ونروى من مناهل حبهم العذبة الصافية، بمنه وكرمه امين. وصلَّى اللّه على سيدنا محمد و آله وصحبه وتسلم تسليما] (240)

ويقى علماء آخرون أثنوا على صاحب الترجمة بمثل الثناء المذكور، اكتفينا عن نقل شيء من كلامهم اختصاراً لئلا يفضي ذلك إلى الطول، منهم العلامة القاضي أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم العميري، ومالك زمانه أبو محمد الحسن بن رحال، والعالم النبيل أبو عبد الله بن الحسن اليوسي، والعلامة إمام المحققين أبو عبد الله المسناوي، والقاضي أبو العباس بن ناجي في آخرين. وقد أنشأ الفقيه الأديب، العالم الصوفي النجيب، أبو عبد الله الطيب بن مسعود المريني مقامة في مدح سيدي أحمد بن عبد الله معن. وأثنَى فيه على صاحب الترجمة ومدح فيه كتاب *المقصد* الذي ألفه صاحب الترجمة في سيدي أحمد المذكور مطلعها:

[لامُوا عليك وما دَرَوْا بالْمَقْصِد ورأوا سلامى للسّلامة مرشد] (241)

ومنها:

لو كان يُدرِكُ وصفَه مُداَّحُهُ طراً لكان أحقَّهم ذُو المَقْصِد
فلقد أتَى فيه بما يَسبِى النُّهَى ويزيدُ في إيمان كلِّ مُوحِّد
ما ان رأَى راءٍ له شِبهاً ولا راَو روَى خَبراً كَهذَا المُرشِد
فيه الفضائلُ والمكارمُ جمَّةٌ ما حازَهَا في وقتنا منْ أمْجَد
نِعْمَ الذَّخِيرةُ والجليسُ فَلَم نَدَعْ شوفاً لِشخصٍ منهمُ أوْ منجد

240) انفردت م بإثبات النص الكامل لما كتبه الشاذلي الدلائي
241)زيادة في م.

ويانس (242) الصبّ الغريبَ ونُنعشُ ... العاني ويجلو غُمَّةَ القلب الصَّدِ
سرِّحْ لحاظَك في رياض صفاحه ... متعجباً وانْشَقْ شذاها تَرْشُدِ
وأَنِخْ رِكَابَ العزم نَحْنَ لوائه ... وِرْدَ المَعِينَ بحوضه وتَورَّدِ
يُغنيك عن زهر الربيع وزهوه ... والحوض والروض الأنيق الأصعدِ
واشكُر لجامعه الموفّق سيدي ... عبد السلام القادريِّ الأوحدِ
ماذا به طيَّبْتَ يا ابْنَ الطَّيِّب الْ ... أَسْمَاعَ من خبرٍ صحيحٍ مُسنَدِ
وأفدتنا من كيمياءِ علومكُمْ ... ببديع لفظٍ لِلْجُموحِ مُقيِّدِ
ما ذبَّ (243) عن كنزٍ وحرزٍ مانعٍ ... أو عزَّ مقدامُ السُّرَى بمُهَنَّدِ
وسلكتَ منهاجَ التحقُّق للعُلاَ ... وَمَن اقْتَفَى سُبُلَ المحامد يُحْمَدِ
لازلتَ نفَّاعاً مُفيداً ناصحاً ... للخلق مأجوراً ليوم المَشْهَدِ
هذي مواهبُ ربِّنا ما نالها ... إلاَّ السعيدُ ومَنْ أتاه نَسْعَدِ
هذا هو الحُسْنُ البديعُ طرازُهُ ... هذا هو الكَنْزُ الذي لم يَنْفَدِ
هذا هو السِّحر الحلالُ يُرَوِّحُ الْ ... عاني وَيَنْفِي كُلَّ خَطْبٍ أَنْكَدِ
ويزيدُ في القلب المَشُوق تولُّعاً ... وتولُّهاً وتحيُّرا لم يُعْهَدِ
خَلِّ الخَليَّ وما اقتضاهُ رأْيُهُ ... فالشَّمْسُ مَا وَضَحَتْ لِعَيْنِ الأرْمَدِ
هَذِي ثواقبُ زهراتٌ في الدُّجَاةِ ... هذا مناقبُ فوقَ كلِّ تَعَدُّدِ

وهي طويلة تزيد على ستين بيتا. ومن نظم سيدي الطيب المربني المذكور في مدح صاحب الترجمة مع رفع نسبه وفي أخيه (244) محمد العربي المتقدم ذكره في عام ستة [مع مدح أهل البيت ومحبيهم] (245) هذه القصيدة:

242) كذا في الأصول، ولعلّ الصواب : ونُؤنِسُ.
243) كذا في م. وهو الأنسب. وفي المخطوطتين الأخريين : ما ناب
244) عبارة م: مع رفع نسبه مبتدئا به وبأخيه.
245) زيادة في م

شـرفُ البـرية حبُّ آلِ محمـدٍ أهلِ المكارم والجناب الأصعـدِ
عـزُّ الإنام وذُخـرهم وعمـادهم ومَـلاذهم عند المُلمِّ المُكمِـدِ
وهمُ الكرامُ ذوو المفـاخر والوَفـا والفضلِ والمجدِ الصميمِ السرمدِ
فـاقـوا الوجـودَ بهـمـة ومروءةٍ وتـألُّـفٍ وتـعـطُّـفٍ وتـودُّدِ
ولهمْ مـزايا في الورَى مشـهـورةٌ ومـآثرٌ من غـيـرهم لم تُعـهَـدِ
همْ زينةُ الدنيـا وبهـجـةُ حسنهـا وهمُ مطالعُ نورها المـتـجـدِّدِ
فـالأرضُ منهم ذاتُ حسن رائقٍ والناسُ في أمنٍ بهم وتمـهُّـدِ
تزهو بهمْ فخراً على شبب السَّما فـهمُ أجلُّ من النجـوم الوُقَّـدِ
فبفـضلهم فـاز الرجـالُ فـبُلِّغـوا من فضل مـولاهمْ لأسمَى مَـقـصد
لِمَ لا وقـد حـازوا بُنُوَّةَ مَن به شـرُفَ الوجـودُ وسـادَ كلُّ مُسـوَّدِ
خيرُ العباد رسولُنا المختارُ من نسب تأثّلَ مـجـدُهُ في السـؤدد
مِن عـهـد آدمَ لم يزل في حُظْوَةٍ وهلمَّ جَـرًّ إلى أوَانِ المَـشْـهَـد
مَـازَالَ عَـرْفُـهُمُ الذكيُّ مُـعطَّراً لم يحكه آسٌ ولا روضٌ شَـدِ
وبَهـاؤُهم كـالشمس أضحَى لائحـاً لم يَخْفَ عَن كـمـهٍ ولا عن أرمـدِ
فـبكل قطرٍ حلَّ بعضُ رجـالِهِمْ ظهـرت به بركـاتُهُم لم تُفْـقَـدِ
ولنا بحـمـد الله أوفـرُ قـسـمـةٍ سـعِـدتْ بهـا فـاسٌ وكلُّ مُـوحِّـدِ
منهم بنو الشـيخ العظيم البـرِّ عب د القـادر القطبِ الجليلِ الأوحـدِ
قـومٌ هداةٌ لا يزال حليـفُـهـم في مَنعـةٍ بهمُ وعـيـشٍ أرغـدِ
أوْرَدْتُ سلسـةَ المَـوَالِي منهمُ عـذباً زلالاً صـافـيـاً للوُرَّدِ
ورأيتُ ذكـرَهُمُ المـبـاركَ قُـربةً أرجـو بهـا فـضلَ الشـفـاعـة في غـدِ
خصَّصتُ صاحِبي ابن عبد الله شيخِ زمـاننا وسـراجنا المـتـوقّـدِ
الهـمـامَ مـحـمـدَ العـربِّي مَعْ عَلَم النُّهَى عـبـد السـلامِ الأمـجَـدِ
العـالمـان الفـاضـلانِ الخـيِّـرا نِ ابنا الكريمِ الطيِّبِ المسـترشـدِ
ابنِ الفـقـيـه مـحـمدٍ كـهفِ الأنا مِ بنِ الهـمـام مـحـمـدِ بن مـحـمـدِ
ابنِ السَّميِّ مـحـمـدِ بنِ مـحـمـدِ بن مـحـمـدِ الأسمَى بن سعدِ الأسعـدِ

ذاك ابنُ أحمدَ نجلِ أحمدَ شِبْهِه نجلِ السميِّ لِذِبنِ أحمد الأحمد
ابنِ السميِّ محمد بنِ عَلَبِّهِمْ نجلِ الوليِّ أبي المعالى أحمد
ابنِ الهمام محمد بنِ الشيخ إبراهيمَ حَبْرِهِمُ السراجِ المُوقَد
ابنِ المقرَّبِ قُطبِ الأقطابِ الإما مِ الكاملِ الطودِ العظيمِ المفرد
مولاى عبدِ القادر الجيلاني مَن قد ساد كلَّ مُبجَّلٍ ومُمجَّد
ابنِ الرضى موسى بن عبد الله نج لِ المرتضى يحيى سليل محمد
ذاك ابنُ داوود بنِ موسَى نج لِ عبد الله نجلِ الْجَوْنِ مُوسَى الأرْشَدِ
ابنِ المُجلِّ المحضِ عبدِ الله نج لِ السيد الحسنِ المثنَّى المهتد
ابنِ الامام السيد الحسن الذي ساد الورَى أعظِمْ بِه من سيد
ابنِ الامام علِي وفاطمَةَ التي جمعتْ شتاتَ المجد دونُ تعددِ
بنتِ الرسول المصطفَى بحر الوفا كنزِ الصفا خيرِ الأنام الأمجد
أزكَى الصلاة عليهمْ ما طال المدَى وعليهُم أبداً يروحُ ويَغتدِى (246)

[وقد حذف التنوبن من اسمين منصرفين وصرف اسماً واحداً فخفضه بالجر،و كلاهما مرتكب عند العرب للضرورة كثيراً، وهو من ضروراتهم الخفيفة المستحسنة. وياء على من قوله ابن الامام على غيرُ مشددة، سكَّنها سكونا ميتاً بنية الوقف وإجراء الوصل مجرى الوقف فأس به النظم ونبهنا عل بهذا وان كان واضحا وجهُه لئلا يضبط على الأصل فيكسر ا لوزن والله الموفق. والمراد بابن عبد الله في قوله خصصت صاحبي ابن عبد الله هو سيدي أحمد بن عبد الله المتقدم ذكره] (247).

ومدح صاحب الترجمة أيضا أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي فقال مجيباً له على القطعة السابقة في ترجمته:

---

246) هذه القصيدة ساقطة من ك و س ماعدا مطلعها. وبعده هذه العبارة. «وهي مشتملة على سبعة وثلاثين بيتا».
247) هذه الفقرة لا توجد كذلك إلاّ في م.

يا ابن المطاعم والمطاعن مَن غدا ... أو مَن عدا فى البَأسِ أو في البُوسِ
والفاتحين لَهىً لكلِّ مُنفّس ... والمانحينَ لُهًى بكلِّ نَفيس
والفابسين الخبرَ غيرَ ملبِّ« ... واللابسين الخبرَ غيرَ لبيس
والمحتمين عن الدَّنايا عفةً ... والمنتمين إلى الكرام الرُّوسِ
والمُحجمين على السَّفاه عرائسا ... والمُفدمين كَزَأرَةِ العِرِّسِ
شَنَّفْتَ سمعي بلاحُلا وكسوتني ... من حلة التقريظ خيرَ لَبوس
وأبَحْتَني روضاً أريضاً غِبَّمَا ... غَيْثٌ أجَشٌّ من الوَلِيِّ عَبُوسِ
وَصَبَحْتَني منْ خَنْدَرِيسِ نَنَائلَ ال ... حُلْوِ المَذَاقِ بمُتْرعاتِ كُؤُوسِ
ونبعتَ من سَلْسِ البيانِ بما حكَى ... غُررَ الجُمانِ رَصينَةَ التَّسْلِيسِ
لا ملفياً مني مَكانَ القول ذَا ... سَعَةٍ ولا اسْتَحْصَبْتَ غيرَ شَئيسِ
لكن نَجلّى فى ضَميرك مَا لَكُمْ ... من تَالدِ التَّطْهيرِ وَالتَّقْديسِ
وطريف ودك صافياً فرأيتني ... بهما أخا فضل علي حَبيس
والفضلُ عندك في الضميرِ وإنما ... جودُ الفتَى أبداً بما في الكيسِ
فَلأنْتَ أنْتَ كَشَفْتَ كُلَّ دُجُنَّةٍ ... بضياءِ أقمارٍ عَلَتْ وَشُمُوسِ
وصَهرت (248) للمجد الرفيع فأمسكت ... كفَّضاك منهُ عنانَ كُلِّ شَمُوسِ
ولأنت ذو الفضل الذى لا يُمْتَرَى ... فيه و إنَّكَ للْكَريمُ التُّوسِ

فقوله المطاعم جمع مطعام وهو كثير الأضياف، يصف بذلك صاحب الترجمة بالجود والكرم، والمطاعن بالنون جمع مطعان ومطعن وهو كثير الطعن بصفه بالإقدام على الأمور المحدودة. وقوله كزأرة ـ بالهمزة ـ فَعْلَة من الزئير. والعريس الأسد، وأراد أن يصف آباء صاحب الترجمة بالإحجام عن السَّفاه بفتح أوله وهو خفة العقل ولو كنوا عرائسا إذ الخلوة مع العروس مَظنّة ذلك. ويصفهم أيضا بالإقدام فى محل الإقدام ولهم هيبة بذلك ولو بمجرد نطفهم كنسانِ الأسود إذا زَأرَ لا ستطبع من بقابلها فضلا عن فتكها. فالإحجام والإقدام من المقابلة. وقوله غبما غيث: غب الغيث عاقبتُه وغبُّ كل شيء بالكسر هو عاقبتُه وما زائدة. وأجش من جَشَّتِ الأرض إذا التفت نبانها، والولِيّ المطر المتكرر، أي الذي ينزل مرة بعد

248) كذا في م. وفي ك و س: وعطوب

مرة. وعبوس بفتح أوله صفة لغب والسَّلْسُ: الخيط الذي ينظم فيه الحرْز. ورصنة - بالراء والصاد، ويجوز إبدال الصاد زياً فمثناه تحتية بعدها نون فهاء التأنيث - : فعيلة من الرصانة وهي الإتقان بمعنَى مفعولة، والتسلس: الترصيع والتأليف في الحلي خاصة لأنه محله، والشئس: الأرض التي تنبت، والشَّموس - بفتح أوله - : الفرس المانع الظهر، والنُّوسُ: الطبيعة، وباقي ألفاظ الأبيات ظاهر.

وممن أثني عليه، في حكاية عن صاحب الترجمة، الشيخ الأديب العالم الصوفي أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي في كتابه *ريحانة القلوب فيما للشيخ عبد الله البرنوي من أسرار الغيوب* مانصه: أخبرني الفقيه المشارك الأصولي البياني الجامع بين غرائب العلوم والفهوم الناظم الناثر الحسني القادري السيد عبد السلام بن السيد المبارك المرحوم السيد الطيب بن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد محمد (249) بن السيد أبي الخيرات سعد بن السيد أحمد بن السيد الصالح أبي العباس أحمد بن السيد أحمد بن الشيخ العارف المحقق القدوة أبي عبد الله محمد بن السيد أبي الحسن علي بن الشيخ الفقيه الصالح الزاهد سيف الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ الناسك الورع أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام العالم الصالح سراج الدين أبي اسحاق ابراهيم بن شيخ المشايخ وقطب الأقطاب مولانا عبد القادر الجيلاني نفعنا الله بهم. ودارهم بفاس شهيرة، وهي دار جلالة وحسب وبركة وحرمة قديما وحديثا. قال: لما كنت في عنفوان الشباب والصبا وهيئتي مناسبة للصبا ولباسي كذلك فجئت ذات يوم إلى زاوية الشيخ ابن عبد الله بالمخفية وأردت زيارة الشيخ قاسم الخصاصي، فاجتمعت بأهل الزاوية وجلست معهم، فلم أر منهم تعظيما لي وتوفيراً كعادتي مع غيرهم، فقلت في نفسي: هؤلاء عامة أجلاف لا يعرفون حقي [أو كهذا القول] (250) ووجدت عليهم في نفسي ثم قلت لهم: أستاذنوا لي الشيخ للزيارة وكان مريضا لايخرج إذ ذاك.

قال فأذن لي في الدخول عليه فسلمت عليه وجلست بين يديه فسأل عني فعُرِّف بي ففرح بي. ثم قال لي الشيخ عبد الرحمان إن بعض الطلبة ممن توغل في علم الكلام وكان يحقر العامة، وكان الشيخ عبد الرحمان يغله في العلم والدلائل ويفحمه إذا تكلم،فقال له: لا تحقر العامة إذا حقروك. قال ففهمت وأنا بين يديه أنه كشف ما في ظني وما قلت في سري. ثم قلت له ادع الله لي باسيدي أن يرزقني محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، فاضطرب الشيخ وهاج واحمرت وجناته وضج ضجيجا عظيما وقال: أتسأل المحبة ولولا سبق

249) في م وس سنة من الأحداد المحمدين.
250) زيادة في م.

محبة الله تعالى لك ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم لما بلغت هذا الحال حتَّى خُلقت مومنا من أمته، وزيادة على ذلك فإن كنت من ذريته صلى الله عليه وسلم فأي محبة لك؟ ليس لك محبة، فاعرف قدر محبة الله لك، ولا تنسب لنفسك محبته. والمراد بالشيخ عبدالرحمان هو العارف بالله سيدى عبد الرحمان بن محمد الفاسى انتهَى من نسخة بخط العلامة المحقق سيدي أحمد بن علي الوجاري الأندلسي.

قلت: وهذا أمْر عظيم مبين أن صاحب الترجمة مصرح بأنه من المحبوبين عند الله وعند رسول. وقد ظهر عليه مصداق ذلك، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً إن شاء الله، وبين له بأنه من ذريته صلى الله عليه وسلم. وقد كان الأكابر يطلبون ذلك، منهم إمام الطريقة وبحر الحقيقة مولانا عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني فقال: و ألحقني بنسبه، وحققني بحسبه. والشيخ قاسم الخصاصي من أهل الأحوال والمكاشفات، وأخباره مذكوره في الإلماع لسيدي المهدي الفاسي، والمقصد لصاحب الترجمة، وفي تأليف لي فيه سميته *بالزهر الباسم*.

ومن بديع صنع صاحب الترجمة جوابه عن سؤال ورد لفاس من العلامة الحافظ المشارك المدرس المحقق الصوفى الصالح البركة أبى الحسن سيدي الحاج علي بن محمد بركة الأندلسي النطاوني دفينها، يطلب من صاحب الترجمة الجواب عن خمس مسائل، ونص السؤال بعد الحمد لله والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: سيدي - رضي الله عنكم وأدام بقاءكم - جوابكم عن مسائل: الأولى قوله صلى لله عليه وسلم وَضعَ رَبِّي يده بين كَتفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامله مَا بَيْنَ ثَديى هل ثبت؟ وعلى ثبوته فما تأويله؟ الثانية قوله صلى الله عليه وسلم: حُجُّوا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَ أَنْ تَنْبُتَ فِي الْبَادِيَة شَجَرَةٌ فَلاَ تَاكُلُ مِنْهَ دَابَّةٌ إلاَّ نَافَقَتْ. هل هذا لفظه؟ وما المراد به؟ الثالثة قيل إنه نبت عن سيدي عبد الكريم المراكشى أنه قرئ بين يديه خبر حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطيئَة فقال لأصحابه: وأنا أقول لكم حبُّ الاخرة رأسُ كل خطيئة. فبلغ ذلك الشيخ سيدى عبد الله الغزواني فقال: وأنا أقول لكم حب الله رأس كل خطيئة. ما محل هذا الكلام على ثبوته سيما من ذلك الشيخ؟ وما وجه زيادة الشيخين المذكورين على ما في الخبر؟ الرابعة قول أبي زيد البسطامي: كنت من الزاهدين فى الله. ما معنَى هذا الزهد الذي أشار إليه؟ الخامسة قول بعض العارفين لَو عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل. ما معناه؟ فأجاب عن جميعها وقرر كلا من المسائل أى تقرير، وحررها أتم تحرير، أطال فيه نحو كرّاستين من الرباعي، ولما اطلع على ذلك الجواب الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسى كتب بآخر ورقة منه ما نصه: الحمد لله. تصفحت هذه الأجوبة المرفقة

فألفيتها قد قرطت (251) سهامها ونشرت بالنصر أعلامها، وتبين لذى الإنصاف ا نمامها وإبرامها. فالله سبحانه يجزي منشئها جزاء مَن أحسن، ويضاعف له ثواب مَن عمل فأتقن. قال هذا وكتبه عبد الله تعالى الفقير إلى رحمته محمد بن عبد القادر الفاسي كان الله له انتهَى.

وجميع من أدركنه من الأعيان وأشاخنا ممن أدرك صاحب الترجمة كان يبالغ بالثناء علبه بالعلم، ويصفونه بالتحقيق والزهد والسخاء حتَّى كان هذا من الضروري عندهم. مما حكاه لنا بعض أشياخنا ممن كان بلازم مجلسه في تدريسه أنه كان ربما أبطأ عن المجلس حتَّى يمضى نصف الوقت أو أكثر، فبقبل ويجلس على الكرسيّ ويغص عليه المجلس بأعيان طلبة الوقت فيقرأ نحو خمسين بيناً من *الألفبة* قراءة التحقيق والتدقىق، ويأتي من النقول بما يبهر العقول، بسعه الوقت لذلك مع تخلفه عن قدر كثىر. كان يصدر منه ذلك لحوائج بعض الناس حيث بتعلقون به، فلا بضره إبطاؤه لحسن نيته، فيفهم ذلك من حضر، فانتفعوا به أتم النفع، وكساه الله الحسن والهيبة والمحبة من جمبع الناس، وقد قبل:

وجهٌ عليه من الحياء مهابةٌ ومودةٌ تجرى مع الأنفاس
و إذا أَحَبَّ اللَّهُ يوماً عبدَهُ ألقَى عليه محبةً للناس.

وفي *الصحيحين* عن أبي هريرة عن النبي صلى الله علىه وسلم: (إذا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحبُّ فُلاَناً فَأَحْبِبهُ فيحبّه جبْرِيلُ فَيُنَادى فى أهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقُبُولُ فِى الأَرْضِ). وكان صاحب الترجمة المرجع في العلوم في وقته مع وجود أشياخه وغيرهم، منها النحو والبيان والمنطق والأصول وعلم الكلام، واعترف له بذلك أشياخه وتلامذته وأقرانه. قال شبخنا أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالى فى شرحه على منظومة صاحب الترجمة المسماة *بالجواهر المنطقة* المسمى *بالزواهر الأفقة* ما نصه بعد أن ذكر التعريف به وبنسبه والثناء علبه: وأخذ عنه - يعني صاحب الترجمة - جماعةٌ من الشيوخ، منهم فريد العصر، والمآثر التي لا يدركها الحصر، شيخنا أبو العباس سيدي أحمد الحبيب بن محمد السجلماسي، قال بعد أن وصفه بأوصاف كثيرة: حدثنى سيدنا أحمد المذكور أنه لما ابتدأ على الناظم - يعنى صاحب الترجمة - قراءة *الرسالة الشمسية* للكاتبى قرر له الناظم كلام السعد في أول شرحه لها تقريرا بدبعا انتفَى به ما ينوهم من ظاهر الكلام من جربه على أصول الفلاسفة الواهية، ومتابعتهم فى ضلالتهم المتناهية. وأثنَى سيدنا على الناظم بجودة الفهم، وقوة العارضة في النثر والنظم.

(251) كذا في ك. وفى س: فرست. ولا يظهر لهما معنى.

وكم مثلها للناظم معجزة لسس بها من سنلس المجادة أسبغة وافرة (كذا) (252) .

وله في أصناف شتّى من العلوم تصانيف مفيدة ما بين منثور ومنظوم، وقد وقفت على جملة منها، كلها في غاية التحقيق والإفادة شكر الله مسعاه، وكساه حلة الرضوان في منابه ورفعه انتهى. وقد حذفت منه ما يفضي إلى الطّول. وهذا النظم من تآليفه التي لم يقف عليها الوزير المذكور فلذلك لم يذكرها، وله أيضا *نظم في السير* شرحه العلامة المدرس أبو عبد الله مولاي مَحمد العراقي. ولم يعدّه أيضا أبو العباس الوزير. وله *أحكام المعروف من أحكام الظروف*، *وتقييد في سروة الإخلاص. والتماس البركة بالتعريف بالحاج علي بركة. ومنظوم في وصف أهل القادسية*. وما ذكر من التآليف كلها كملت وأخرجت من مبيضتها في حياته وشاعت في سائر بلاد المغرب، ووصل بعضها بغداد وهو *الدر السني*. ومن تآليفه التي لم نكمل *نزهة النادي في أهل القرن الحادي. والحكم المنسوق والروض* وغير ذلك. وله مقيدات كثيرة وأجوبة وانظام موجودة بخطه الآن. وأما *الدر السني* فسبب تصنيفه له أن شرفاء فاس ذهبوا للعيد مع أمير المومنين مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف الحسني السجلماسي بمكناسة الزيتون، ومن جملتهم صاحب الترجمة على العادة في ذلك والعرف الجاري مع سلاطين المغرب، فصادفوا العلامة النبيل، القاضي الجليل، أبا مروان عبد المالك التاجموعتي بالحضرة السلطانية، فسألهم بمحضر السلطان عن عدة أولاد مولانا إدريس باني فاس ومن أعقب منهم وأين هو مستقرهم. وكان السؤال للأدارسة منهم فلم يجدوا جوابا لجهلهم بذلك وعدم معرفتهم به، فأخجلهم ذلك وأعاب عليهم. فلما رجعوا إلى فاس ألحوا على صاحب الترجمة في تأليف مفيد فيمن وقف عليه من الأدارسة فأطلعوه على ما بأيديهم، فاطّلع بسبب ذلك على ما بأيدي شرفاء فاس وغيرها مع ما كان له من المهارة في علم النسب مطلقا، فألف *الدر السنيّ* جمع فيه جماعة من مشاهير أشراف فاس، وبيّن فيه الحجة والدلائل حتّى قيل إنه لم يُؤلّف في هذا الفن أحسن صناعة منه، وكان جمعه له في زمن الوباء الكبير، فخاف الأشراف أن يموتوا ويتركوا أولادهم صبيانا صغاراً لا يتحققون معرفة أنسابهم ، فألحوا عليه في الطلب فأجابهم لذلك وألفه فأمنوا مما كانوا يخافون عليه.

وأما نظمه المسمى *بالإشراف عن نسب الأقطاب الأربعة الأشراف* فسبب نظمه له أنه وقع سؤال من بعض الطلب لآخرين عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي والشيخ ابن سليمان الجزولي، فقال بعضهم إنه لا حظ لهما في النسب النبوي وأقسموا على ذلك، وقال البعض إن

252) هكذا في المخطوطين ولعله بيت مطلوم وقع فيه تصحيف.

الشاذلي شريف ثم اختلفوا هل هو حسني أم حسيني ثم اتفقوا على سؤال صاحب الترجمة عنهما، فسألوه فأخبرهم بصحة الأمر وبالخلاف الذي وقع في نسب الشاذلي وبالصحيح من الخلاف، ونظم لهم النظم المذكور.

ورحل صاحب الترجمة لسوس الأقصَى (253) رجاء فتنة وقعت وعرضت أن نخمد أو تضمحل فما زادت إلا قوة، فلما أيس من خمودها رجع إلى فاس بعد أن غاب عنها نحو عام ونصف، فمرض عقب دخوله لفاس بنحو اثني عشر يوماً، وتوفى ـ رحمه الله ـ صبح بوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول عام عشرة ومائة اثني عشر ألف [ودفن خارج باب الفتوح قرب قبة سيدي أحمد اليمني من فاس رحم الله الجمع] (254)، وكانت ولادته وقت صلاة الجمعة العاشر من رمضان عام ثمانية وخمسين وألف، فعمره خمسون سنة وستة أشهر وثلاثة أيام. ورمز لوفاته ابن عم جده الأديب الفقيه أبو العباس أحمد بن الفقيه العدل الوراق عبد القادر القادري الحسني من تذيبله من قصدته التاريخية بأول كلمة من هذا ابيت:

بَشُقُّ على الأقوامِ موتُ إمامهم كعبد السلام القادريّ المبجّل

قال شيخنا علامة الزمان أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي (255) في شرحه *على الجواهر المنتقبة* لصاحب الترجمة ما نصه: وقد أرخت وفاته بقولي (أظْلم الدهر) معتبرا لام التعريف بحسب أصلها قبل الادغام مُلغياً همزة الأداة لوجوب سقوطها في الدرج، وضمنت ذلك بيتاً مع الرمز لمدة عمره ومنها يعرف تاريخ ميلاده بقولي طما، فقلت:

لموت الرِّضَى عبد السلام بن طيبٍ وقد كان قاموساً طَما أظلم الدهرُ
فكم زفّ للأفكار أبكارَ حكمةٍ عرائسَ ما غيرُ الجنان لها مهرُ
عليه من الرحمان صوبُ تحيةٍ تفيضُ على مَغْنَاهُ من سَيْلِه نهرُ (256)

---

253) هنا طرتان في هامش ك و س تبينان سبب خروج المترجم إلى سوس بعبارات مختلفة أوفاها ما في ك، ونصها: «رحل إلى سوس لما وصل خروج مولاي محمد بن مولاي اسماعيل على والده المذكور، وكان قرأ عليه، أرسله إليه مولاي اسماعيل ليرده عما عزم، فسار إليه ورده فلم يساعفه في ذلك، وزادت قوته وعظمت شوكته ودعا لنفسه وبايعوه، إلى أن كان من أمره ما كان. فلما أيس منه أسرع في الرجوع إلى فاس قبل إيقاع القتال بينهما انتهى»

254) زيادة في ط.

255) في المخطوطتين: الفيلالي.

256) هذه الترجمة المطولة في المخطوطات الثلاث لجد المؤلف عبد السلام بن الطيب القادري اختصرت في ط في ثلاث صفحات فقط.

محمد بن حمدون الشّديدْ

ومنهم الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن حمدون الشّديدْ ـ بكسر الدال وسكون الثاني بينهما مثناة تحتية مكبراً ـ (257). قرأ على سيدي محمد وأجاز له سائر مروياته التي تضمنتها فهرسة ولده سيدي الطيب حسبما ذكر فيها. وكان صاحب الترجمة من فقهاء فاس المعتبرين، وعدولها المرضيين. وموضع درسه *للرسالة* بالمستودع الذي عن يسار الداخل من باب الكتبيين (258). توفي رحمه الله ـ في ربيع الثاني عام عشرة ومائة وألف (259)

محمد بن المهدي اللخمي (حَاطْ رُوحُو)

ومنهم الفقيه النحوي المقري الصالح البركة أبو عبد الله سيدي محمد بن المهدى اللخمسي الشهير بحاط روحو. كان خيراً ديناً.

توفي فى رمضان معام عشرة ومائة وألف (260)

حوادث السنة

الأمر بتمليك أعيان فاس واستشفاعهم للسلطان

وفى ثاني عشر من المحرم من المحر من عام عشرة ومائة وألف جاء القائد عبد الله الروسي بالأمر بتملبك أعيان فاس.

وفى ثامن عشر منه اجتمع المرابطون والفقهاء مع القائد عبد الله الروسي بالقروببن وأجمعوا رأيهم على أن يشاوروا السلطان مستشفعىن له في ذلك.

وفى الثاني والعشرين من الشهر نفسه جاء أهل فاس لبعض فضلاء السادات الفاسيين وطلبوا منه أن يخرج إلى مكناسة الزيتون ليشفع لهم عند السلطان وصنعت له محفة لىذهب فيها من كبر سنه، ومن الغد عزم على الخروج فصُدَّ عنه.

257) هنا فى هامش ك و س طرة نصها: احترز به من أن يُتوهم أنه من عقب الشديد الذى عرِّف به ابن الخطيب فى الإحاطة

258) هنا أيضا فى هامش المحطوطتين طرة: «بل أزاله الرئيس القائد محمد الصفار المتولى فاس القرويين لحفيده العدل السيد حمدون بن أحمد بن حمدون صاحب الترجمة، وصرفه للفقيه العلامة المحقق الفهامة سيدى عبد الكريم بن على اليازغى عام 1175» وفيها خلل.

259) هذه الترجمة ساقطة من ط.

260) سقطت هذه الترجمة أيضا من ط.

زمام الحراطين بفاس ثم العفو عنهم

وشرع القائد عبد الله في زمام الحراطين. وفي رابع عشر ربيع الأول النبوي من العام جاء العفو عن الحراطبن.

توبيخ فقهاء فاس على مسألة الحراطين والأحرار

وفى سادس عشر من جمادَى الأولى من العام بعث السلطان مولانا إسماعيل بكتاب إلى فاس يوبخ الفقهاء فيه على مسألة الحراطين. وفي الرابع والعشربن من الشهر نفسه قام الفائد عبد الله الروسي بكتاب من عند السلطان بتوبيخ الفقهاء على عدم موافقتهم لتمليك الأحرار، وجمع أعيان المدينة وقُرئت عليهم بزاوية القلقليين. وفي ثاني جمادَى الثانية من العام وصلت لفاس براءة من عند السلطان أيضا بمدح العامة وذم الفقهاء.(261)

—— *** —— ***—— تذكر المحسنين —— *** —— ***——

عبد السلام بن الطيب القادري

العلامة الاشهر الضابط الأكبر الشريف سيدي عبد السلام القادرى الحسنى شقيق مولاي العربي المذكور عام ستة قبله.

261) انفردت *الحوليات* بحوادث سنة 1110

العشرة الثانية من القرن الحادي عشر
العام الأول مها

محمد بن يوسف العباشى

فمنهم الففيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن بوسف العباشى، ولدُ عمٍّ الشيخ أبي سالم ومشاركه (262) في جميع شيوخه. كان فقيها عالما أديبا رائق الخط، وأخذ عن أبى سالم وسدي عبد القادر بن على الفاسي [وحج] (263) وولي قضاء بلده ودرس بها وبفاس. فال في *المنح البادية*: سمعت (264) عليه أوائل *الصحيحين*، و*المسلسل بالأولية*، وسورة *الصف* [وغير ذلك، وأجازني في ذلك وكتب لي بخطه] (265) .

توفي ببلده سنة إحدَى عشرة ومائة وألف.

الحسين بن محمد القَوّاس

ومنهم الولي الصالح ا لشهير، المجذوب الكبير، أبو محمد الحسين(266) بن محمد شهر بالقَوّاس [بوزن درّاك] (267) من أهل فاس. [كانت تتوارد عليه أحوال] (268) وكان أولاً بخدم شراطاً ثم غلب عليه الحال. [وأشتهر وكان له أصحاب وأتباع، ولم يزل نتبرك به مقصوداً للزيارة] (269).

توفي سنة إحدَى عشرة ومائة وألف، ودفن بداره بالفلفلبين، فصارت زاوية عليه بعد ذلك معظمة من مزارات فاس. وكان مشهوداً له بالخصوصية من صلحاء فاس فى وقته. وحُكى أن سيدي أحمد بن عبد الله كان بسوق الرصبف من فاس القروببن فأبصر صاحب الترجمة فرجع من الطريق إلى طريق أخرى على رحبة الزبيب على عقبة العيون إلى داره وهو بقول: طرىق السلامة ولو دارت. وكان سيدى أحمد بن عبد الله ينهى عن مقاربة المجذوبين

262) فى المخطوطين: «ومساركاً له» وقد كتبناه على مقتضَى القواعد، لأن هذه الجملة ساقطة من ط.
263) ساقط من ط.
264) صحف فى ك فكتب. وسمع.
265) ساقط من ط.
266) صحف فى صلب المخطوطتين فكتب فيهما: «الحسن» كما كتب فى س: القواص - بالصاد - وفى هامشها بالحمره . «سيدى حساين القواص» ويظهر أن هذا هو النطق التعبى الصحيح.
267) زيادة فى ط
268) زيادة فى ك وس.
269) زيادة فى ك وس أيضاً.

ويقول إنهم يكسرون ولا يجبرون، يعنى أنهم لا يصلحون لتربية المريدين ويخشى منهم أمور، ولهم فى ذلك حكايات. وقد أثنى على صاحب الترجمة أبو عبد الله المدرع فى منظومته بقوله:

والسيد الغائبُ في الشهود ... مُولَّهٌ في المَلِك المعبود
الهائمُ المتيَّمُ الحيرانُ ... الشائقُ المهيَّمُ السكران
حُسَيْنٌ القوَّاسُ ذو الكرامة ... والفائضُ الراموشُ قُلْ امامه

وتأتي ترجمة الراموش وكلاهما من المجاذيب (270).

270) القسم الأخير من هذه الترجمة كتب مختصرا فى ط.

العام الثاني من العشرة الثانية

عبد الله حَسُّو

فمنهم الولى الصالح سيدي عبد الله حَسُّو ـ بحاء مهملة فسين مشددة مضمومة بإشباع حركاتها ـ (271)، قال أبو العباس أحمد بن أبى عسرية الفاسي في *رحلته*: من أصحاب الشيخ أبي القاسم بن اللوشة. كان صالحا ملامتيا ذا جذب وأحوال. أحد الأكواش الذين هم حامدون بولاية الحق سبحانه، كثير التواضع والامتحان والصبحر على حمل المصائب، يحترف بقطع أحجار الرحا ويتقوّت منها، وبنى قبة وهي التى دفن بها بسده، وله كرامات وأحوال تدل على صدق حاله مع الله تعالى. توفي سنة اثنني عشرة ومائة وألف (272).

---

271) كنب في س: حتسو ـ بشين معجمه ـ ولعله تصحيف.
272) اخصرت ترجمة حسو في سطر ونصف في ط.

العام الثالث من العشرة الثانية

أحمد بن محمد البمني

فمنهم الإمام الخبر الهمام الواصل، الولى الكامل، العارف بالله تعالى الصدىق الشهرى الفقيه العلامة الشرىف أبو العباس سيدي أحمد بن الشيخ الولي الجليل أبى عبد الله سيدي محمد بن الشيخ ا لعارف الكبير الولى الشهر أبي العلاء إدريس الشريف شهر باليمنى. قال العلامة أحمد بن يعقوب الولالى فى كتابه *مباحث الأنوار* في حق صاحب الترجمة ما نصه: [أصله - رضي الله عنه - من البمىن، من شرفاء البنبوع (273)، وقد صحح غير واحد أنه من ذريه الولى الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني] (273م) وكان لأهله ملكٌ و إمارة في بلدهم. وقد أخبرنى من خالطه أنه فُتح علىه بما رفض به أهله وما لهم من الوجاهة وساح في الدنيا كما وقع لإبراهيم بن أدهم [وقد أخبرني مَن خالطه أنه لقي الخضر فى أول سياحته] (274) وقال في المقصد: وسيدي أحمد اليمنى شريف النسب، أصيل الحسب، له سلف في الخصوصية، إلا أنه لا يشيع نسبه بل لا يذكره، وصرح لبعض الأصحاب أنه ترك ذلك الله. وهو من قرية يقال لها مَهَّلو - بفتحات وتشديد الهاء - بين أُرْبجى - بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الموحدة والجيم ثم مثناة تحتية - وبين سُنَّر - بضم السين وفتح النون المشددة وراء - مدينتان بصحراء بين أعالى صعيد مصر وبلاد السودان، بينما نحو عشرين يوما. بيتُه بيت ولاية وصلاح. يذكرأنه من ذرية سيدنا عبد القادر الجيلاني. انتهَى. ثم قال بعد: ووصفه بالشرف والولاية والعرفان الشيخ الكبير المجذوب أبو حفص عمر ولد شيخه سيدي عبد الله البرنوي. ولجده بأرضه مزارة كبيرة شهرة وولايه، ولأبيه وأخيه ولاية.

---

273) هنا فى هامش كل من ك و س طرة نص الأولى:

«رأيت ترجمة صاحب الترجمه بخط إدريس بن علال الفادرى الحسنى ونسبه فقال: الشريف القادري الحسنى. وسمعت من مؤلف هذا الكتاب أنه من عقب الشيخ داوود ابن عبد الوهاب بن عبد القادر بن موسى الجيلانى الحسنى دفين بغداد، وأورد هذا الذهبى فى *الميزان* فى الضعفاء وابن حجر فى *اللسان* وأخبرنى شيخنا مولاي حمدون بن محمد الطاهر الشريف الحوطي أن الشيخ ابن رحال المعدانى أخبره أنه سأل صاحب الترجمة عن نسبه فقال له وكان ولده سيدى محمد حاضرا. أو حدك هذا التشريف؟ فقال له لا ولكن من سليل مضر. وسبب سؤاله له أنه سمع أصحابه ينسبونه للشرف فسأله بمحضرهم وحدثنى الساحر السقاط قال لى لما حججنا فى هذا العام وحج معنا سيدى أحمد بن محمد بن سيدى أحمد اليمنى، يعنى صاحب الترجمة، فاجتمعنا بمن حج من أهل العراق بمكه، فسألهم سيدى أحمد على نسبه وعن أهله فعرفوا أهله وعرفوا جدّه صاحب الترجمه فأخبروه أن أهله شرفاء معظمون عندهم ببلده، ولم يجد منهم من يحفظ رفع عمود نسبهم في ذلك العام، وهو الخامس من ولاية سيدى محمد بن مولاى عبد الله بن مولاى اسماعيل الشريف الحسنى السجلماسى».

ونص طرة س

«نسبه للشرف غير واحد. وقال سيدى حمدون بن محمد الطاهري إن الفقيه سيدي الحسن بن رحال لما سمع بالانتساب أتى إليه فوجد معه ولده فقال: ولدك هذا من سليل الحسن أو الحسين؟ فقال: لا بل من سليل مضر هـ ويمكن أن يكون قال له ذلك قبل أن يطلع على حقيقة الشرف وبعد ذلك اطلع. وبالجملة فشرفهم صحيح لا سيما وقد رأينا تآليف ذكرت شرفهم وظواهر بأيديهم قديمة هى كذلك».

273م) ما بين معقوفين ساقط من ط

274) ساقط من ط أيضا.

وأخبر أن خروجه من بلاده كان سنة خمس وسبعين ـ بتقديم السين ـ وألف، وجال في الأقطار برسم الحج ولقي المشايخ، وأتى على بلاد السودان، وأتى على سجلماسة وأقام بها، ودخل فاسا في اليوم الثامن والعشرين من جمادى الأخيرة سنة تسع ـ بتقديم المثناه ـ وسبعين ـ بتقديم السين ـ يعني بعد ألف، وأقام يوم دخوله فاسا بجامع القرويين إذ لم يعرفه إذ ذاك أحد، ومن الغد أسكنه بصفلبية مسجد الأبارين القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي من غير أن يطلب منه ذلك. وبقي بها إلى أن تزوج في ذي القعدة سنة تسعين ـ بمثناه ـ وألف، وسكن بالمخفية من عدوة فاس الأندلس. وخرج من فاس لزيارة شيخه سيدي عبد الله البرنوي ببرنو من بلاد السودان عند طلوع قمر ليلة الاثنين ثامن عشر شعبان سنة اثنتين وتسعين ـ بمثناة ـ وألف. ثم رجع لفاس أواسط ربيع الأول سنة أربع وتسعين ـ بمثناة ـ وألف ، كما قيده سيدي المهدي الفاسي ومن خطه نقلت ، فوجد شيخه المذكور توفي.

قال في *مباحث الأنوار*: ثم أطلع الله تعالى الشيخ السمني بأن أظهره للخلق إطلاع البدر فوق الأفق، فأضاءت به أركان ظلمات هذا المغرب، فلم يبق عالم ولا شريف ولا عامي إلا عرفه وتوسّل به، وله من أحوال التوكّل وسقوط خوف الخلق وهمِّ الرزق ما بهر العقول، وله من الأخلاق السنية وحسن المعاملة ومعاشرة الخلق ما يشهد بسببه على صحة حاله المعقول والمنقول ، وله دارية حسنة في علم الفقه، فكان يخالط *مختصر خليل*، *وتوضيحه*، *والمدونة*. وله تصرُّف في أحوال الخلق تصرّفاً ظاهراً مع شدة تستره، وإشارات بادية في حال الكشف فتظهر كما أشار إليها، فترى الناس يشكون إليه أمر دينهم ودنياهم ولا ينفصلُ عنه أحد إلا وقد فُرج عنه من بركته، إما بدفع ما خاف و إما بتقويه على ما نزل. وتَرى أصحابه يزدادون في معاني اليقين والتقوَى. وأنا أشار إليَّ بأمور فوقعت كما أخبر، وفرّج الله تعالى عني أموراً بلقائه ـ رضي الله عنه ـ [و أطال عمره للمسلمين. وقد زاره يوما رجل يشكو بعض الولاة وانه كلفه أن يدخل في جملة الجيش ويغرو مع الجيش بعض بلاد المسلمين، فلما رآه صادقاً في الرغبة عما كلف به قال له: لعلك لاتفعل ما آمرك به، فقال له والله يا سيدي لأفعلنّ: فقال له إن كنت تفعله فاذهب لمن آمرك به ، فقال له والله يا سيدي لأفعلنّ: فقال له إن كنت تفعله فاذهب لمن آمرك بالدخول في الرماة ليعطيك كل ما تحتاج إليه الرماة ويكمل عليك ما كلفك به، فقال له يا سيدي ومن هذا أفرُّ، فقال له ألم تقل إنك تفعل ما أمرتك به؟ فقال له نعم، فقال لم أر ما يصلح بك إلا هذا. فأذعن ذلك الرجل وذهب ليدخل في الرماة الجيشية ويطلب كل ما يحتاج إليه، فلما تمثل بين يدي متولي أمر الجيش قال له: ما تريد؟ قال أنا من جملة من قيَّدتم في الرماة فأعطوني راتبي ومكحلتي والبارود والرصاص لأتهيأ. فتأمل فيه ذلك الوالي فأبْدَ لَهُ الله تعالى بين عينيه، فرأى نفي الأهلية عنه، فسبّه وسبّ من قيّده في الرماة فقال اذهب لسبيلك فلست أهلا لهذا ، فرجع ذلك الرجل فرحاً، فقال له يا

سـيدي عـافـاني الله من هذا الذي نزل وقصّ عليه الخبر، فقال الشيخ أحمد - رضي الله عنه - تستراً: أنا ما أمرتك إلا تكمل لهم الغرض. فانظر هذا التصريف.

وأخبرنى بعض الثقات من علماء فاس أنه عقد على امرأة ولم يكن عنده ما يقوم به أمرها، فشكا إلبه ذلك فقال له ا ذهب بين المغرب والعشاء إلى مولانا ادرس وزره. قال ففعلت، قال ولم أشعر أن ألقَى إليَّ رجل أربعين مثقالاً حينئذ فبقيت متحيراً في ذلك الأمر، وكفتني في مؤونة المرأة. وأخبرني هذا البعض أيضا أن عندهم امرأة خطبها بعض الناس فأبوا أن يزوجوه، فسُحرت فمرضت، وتقوّى ظننا أن ذلك الخاطب هو الساحر. قال فشكوت إلى الشيخ أحمد السمني أمرها فكأنه رأى أنه هو الساحر وأن مرضها من سحره. قال فقال لي وأبن ذلك الرجل؟ هذا زمان ما رأيته. فبقيت لحظة من الزمان معه، فإذا ذلك الرجل داخل، فسلم عليه فقال له: يا سيدي إنا على الباب الفلانى من المدينة نريد الخروج لحاجة، فإذا قلبى كأنه مجذوب لأراك فلم أستطع أن أخطو خطوة حتَّى أراك فرجعت إليك. فلما فرغ من الكلام مع الشيخ قال له الشبخ: ألا تتقي الله تعالى في هذه المسكينة؟ قال: فتاب إلى الله نعالى من أمرها ، فعوفيت لحينها، ووقائعه في هذا المعنَى أكثر من أن تحصى.

وقد مرض لى مربض بوماً شديداً، فلما رأى ما بي من شدة الاهتمام بأمره رحمني فقال لي صراحة وأنا حينئذ كالآيس من ذلك المريض: لا تخف عليه فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، فكان الأمر كذلك بحمد الله تعالى. وقد كنت خطبت بنت الشيخ العلامة الحسن بن مسعود اليوسي، وكانت بعض العوارض تعرض في تزوبجها، فكنت أتردد هل يكمل أمرها أم لا ؟ ثم توفي بعض أقاربها فأرسلت ولد أخبنا لينوب عني في تعزيتهم، وأمرته أن يلقي بعد التعزية الشيخ أحمد اليمني،فلما عزَّاهم لقيه فقال له متبسما: قل لعمك لِمَ لَمْ بأت لتعزية أصهاره؟ فلما رجع ولد أخى قلت له وما قال الشيخ: فاستحيى مني فتبسم، ثم قلت له تكلم ولا تستحي، فأخبرني بأنه قال لِمَ لَمْ بأت لتعزية أصهاره؟ فقلت له سيكونون أصهاراً إذا قال الشيخ أحمد ذلك، فكان الأمر كذلك بإذن الله، وقد أخبرني قبل ذلك أنى أسكن مكناسة على حال معين، وكان عندى ذلك كالمحال، فوقع الأمر كما أخبر، جعل الله عاقبة ذلك خيراً] (275).

وبالجملة، إنك لا تلقي مَن عاشرهُ إلا أُخبرك بكرامة عنه من مكاشفة أو كشف كرب أو جلب نفع. وقد أشار إليّ يوماً أنه ربما كشف له عن جميع ما يقع في الوجود، ثم ستر ذلك عنه. وهذا حال القطب المحمدى. وأمَّا أمره في علم الفلوب فبحر لا تكدّرهُ الدلاء، فلا تتكلم

275) سافط من ط أبصاً.

معه في فن من الفنون في ذلك العلم إلا بهرك وأراك من نفسك ما عرفت به قدرك بلا مطالعة ولا ملازمة تدريس ولا كتاب، بل بالبصيرة الواضحة، والحالة الراجحة. وأما أمره في الصبر فجبل لا تحركه الرياح، وطود لا تجانبه (276) الأشباح. وتصيبه الأمراض الشاقة فلا تؤثر فيه جزعا، وكثيراً ما يُؤذَى من قبل الخلق فيدفع بالتي هي أحسن مرارا ومسمعا (كذا) فلا يزداد مع الإذاية إلا صبراً، ولا مع الجفاء إلا حلماً سراً وجهراً، وتراه يتستّر بمعاشرة الخلق وابالخوض معهم حيهما خاضوا طول نهارهم لا يتخذ عنهم خلوة ولا سترا، ولا بزيده ذلك إلا مهابة من بينهم، وإلا محبة فيه وطموحا لأعينهم. وبالجملة مآثر كمال حال العبودية فيه كالمنار على علم، وعلامة الولاية الكبرَى عليه أظهر من ظهور الورد في تميزه. انتهَى. وأما أمره في تصاريف القلوب فأمر عجيب، وسمعت شيخنا العلامة الأنور، البحر الزاخر الأبهر، سيدي الكبير بن محمد السرغيني يحكي عن سيدنا أحمد اليمني أنه قال يوماً بعد أن دخل فاساً : ما عليَّ مِنَّةٌ لأحد من صالحي فاس إلاَّ لسيدي مَحمد بن عباد، يعني أنه دخلها مربَّى مؤدباً مهذبا محصلاً لكل مقام من مقامات الطريقة لا يحتاج إلى أحد في تربية ولا انتفاع ولا حصل له من أحد نفع سوَى ابن عباد أي من مطالعة كتبه [وكان شيخنا المذكور إذا حكَى ذلك ربما قال: وسيدي أحمد اليمني فوق ذلك] (277).

وفي *المقصد* أن سيدي أحمد اليمني من أجلة الزمان، وأكابر الأعيان، ومن أهل الرسوخ والعرفان، شهد له سيدي أحمد بن عبد الله معن بالخصوصية الكاملة والبصيرة التامة، وزهدُه وورعه وكمال اتباعه للسنة المحمدية وكرم أخلاقه أدلُّ دليل على ذلك. وقد أخبرني هو عن نفسه بما يؤذن بعظيم المعرفة وحال الجذب، فقال يوما لصاحبنا السيد الصالح الثقة الصدوق أبي عبد الله محمد بن محمد الدريج التطاوني - حفظه الله - وقد تكلم معه في شأن الخواطر التي تعتري لإنسان ولا يمكنه الانفكاك عنها حتَّى الخصوص من الخلق، ولا ينجو منها إلا من كان غائبا في شهود الذات العلية. قال وقد وقعت لي تلك الغيبة مرة فبقيت هائما لا أشعر بشيء يوماً وليلة، ثم اسصحبت مع ذلك واستأنست به ولم تبق الغيبة على ظاهر انتهَى. ولما حدث بذلك العالم الفاضل المبارك ا لأنور سيدي محمد المهدي بن أحمد الفاسي استعظمه وقال: هذا التصريح بالعرفان، وصار بعد ذلك إذا كتب اسمه عبّر عنه بالعارف الكامل الراسخ، وهو من رجال التصريف، له الكرامات الكثيرة، والأفاعيل الكبيرة، مع الكشف القوي والفراسة النيرة، يظهر كل ذلك عليه ، إذا تنكر لأحد ظهر عليه أثر الخسران مكانه، و إذا أُضرّ به أحد أهلكة الله لحينه. وقد قال يوما لبعض

276) في المحطوطنين «صود». وبعدها في ك: «لا تجانبه». وفي س: لا توازنه. والعبارة كلها ساقطة من ط.
277) زيادة في ط.

الموالبن له: إني إذا آذانى أحد ففاضت عيناي أهلكه الله لا محالة، ولما أنهَى هذا البعض هذه المقالة لسيدى أحمد بن عبد الله معن قال: أما أنا فلست كذلك، بل على العكس، فإني إذَا آذاني أحد وضحكت أخذه الله، وهذا البكاء والضحك منهما حالان غبر اختياريين، ولذا نشأ عنهما ما نشأ. وهو ـ رضي الله عنه ـ من المجردين عن الأسباب الوافقين بالباب، ممن أوتي فى التوكل قوة، وصار فيه علما وقدوة. وفد صرح مراراً بأن أمربن كليهما لا يهمانه أبدا، وهما همّ الرزق وخوف الخلق. وله همم سامبه، وإشارة فى الطريق عالـة، وهو على ما منحه الله من العلوم اللدنية ينعاطى قراءة العلم، ويعتني بدقائق الفهم، يقوم على مختصر خليل يعلمه بعض الطلبة من أصحابه، له درس منه كل بوم أحضره أنا لهذا العهد وأقرؤه عليه. وقد أمدني بإقرائه للطلبة فأخذت في هذا الوقت في تدرسه ووجدت ببركته تيسيرا.

لقى عدداً كثيراً م المشايخ الكمال، وفحول الرجال، وأخذ عنهم وانتفع بهم نفعا تامّا بذكرهم لها فى كنير من الأحيان ويذكر أخبارهم، والمشايخ ا لذين أخذ عنهم منهم سيدي دفع الله العراكي وهو عمدته وعلى يده فتح له و إليه ينتسب، والنسيخ أبو محمد عبد الله البرناوي الحِميري، والشيخ أحمد الصادق، والشيخ فارس السنان، وتقدمت تراجم جميعهم، ولقي صاحبَ الترجمة الخضر كما تقدم، وكان يعرف اسم الله الأعظم، وهو قادريّ الطريقة كما صرح به مراراً.

وقد طاف أي صاحب الترجمة في البلاد وجال فى الأقطار برسم لقاء المشايخ، وحج البيت الحرام، ودخل في بلاد السودان وأطال فبها التردد، ثم قدم على سجلماسة وأقام بها مدة، فحصل لشرفائها به معرفة أكبدة ومودة عظبمة، كلهم مطبقون على محبته وتعظيمه، ووفد على فاس فدخلها في البوم الثاني والعشربن من جماديَ الأولى سنة تسع – بتقديم المثناة – وسبعين – بتقديم السين – وألف كما تقدم انتهَى من *المقصد*.

وفبه أيضاً: من عظيم فتوحاته – يعنى سيدي أحمد بن عبد معن – ما هو عليه من معاملته، يعني لصاحب الترجمة، ومرافقته إيّاه بأنواع المبرة والإكرام، والإجلال والإعظام، والقبام به ووصسة أصحابه وعظم أدبه معه وحسن معاشرته ومواخاته له في الله ومودته وإيثاره على نفسه في كل شيء من الأشباء. فقد كان أوّلاً سيدي أحمد البمني بجامع الأبارين من حارة قيس من عدوة فاس القرويين يأوى بصقلبية منها، وهى النى فوق السقابة من صحن الجامع المذكور، فقد كان سيدي أحمد بن عبد الله معن برسل إليه مايحتاجه من الطعام المطبوخ كل يوم، ويتخبر له من أنواع الأطعمة جبدها وأرفعها، وبقسمه من كل شيء حتّى الأواني الصغار ولانجد عنده منها إلا أبدعها وأحسنها، ويتعاهد أموره كلها، وبسنعمل له الأدوية والأشربة إذا مرض ويباشرها ببده، وربما فصد له فى درعه بيده لأنه يحسن ذلك،

وبادر إلى الأمر الذي فَهِمَ عنه إرادته ولايتركه ينمني لشيء، ويشفع فيمن نعلّق به عند ولاة فاس مراسلة ولا يُحوجه إلى مراسلتهم، ويواسى أصحابه بأنواع المواساة كلها، فيكسو عاريهم، ويشبع جائعهم، ويدافع عنهم من أراد ضيمهم، ويغار عليهم، ويجهد في نصحهم وإيصال الخبر إليهم، وإذا خرج لزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش - رضى الله عنه - وغيره من المشايخ خرجا معا فى رفقة واحدة استصحب معه ليطعمهم الطعام وبركبه أعد له مركوباً وفرقا ويأمر له بتسخين الماء السخن ولايغفل عنه في السفر كله ويبالغ في إكرامه وتوقيره واحترامه، ويرفع بأصحابه يأكلون معه فلا يحتاجون إلى زاد فى سائر أسفارهم.

ولما كثر اعتراء الأمراض، له أعني سيدي أحمد اليمني، حتّى إنها في بعض الأحيان تُلزمه الفراش أياما طويلة، ورأى سيدنا أحمد (محتاجاً) إلى من يباشر له بعض ضرورياته عرض عليه التزويج وندبه إليه فأجابه لذلك: فنهض إذ ذاك سيدي أحمد لتحصيل هذا المطلوب وإمضائه، فظهر له بمقتضَى نظره السديد، ورأيه الحميد، وبحسب مايليق بهذا السيد المبارك المجيد، أن يخطب له ابنة الولي الصالح، ذي الكشف الواضح، الخاشع أبي مروان سيدي عبد الملك بن محمد الغمري - بالمعجمة - دفين أكدل من بلاد غمارة على نصف مرحلة من فاس، لكونها من بيت صلاح وديانة، وعفاف وصيانة، ومن لايعرف عوائد هذه البلدة أعني فاساً وتكاليفها من أهل بادية لا يترفعون ولا يترفهون. فذهب إلى بلاد غمارة خاطباً لها من أخيها السيد الفاضل أبي العباس أحمد بن سيدي عبد الملك المذكور، وهو من أصحاب سيدى أحمد، واستصحب معه جماعة من بعض معارفه الشرفاء والفقهاء والفقراء والطلبة، كنت أنا وأخى فيهم، ووفد بهم على أخي المخطوبة المذكورة بمنزله، ففرح بلقيهم وأكرم مثواهم وأجل رتبتهم ولبّى دعوتهم وسُرَّ بهم وبما جاءوا إليه رغبة في جانب الله سبحانه، وعظم عليه الفرح بمصاهرة هذا السيد المبارك، وبمباشرة سدي أحمد لذلك، فعقدوا النكاح حينئذ على صداق قدره خمسمائة أوقية وأمة من وسط الرقيق. وكنت أنا وأخي الشاهدين على ذلك كله، وتولى سيدنا أحمد - على عادته - القيام بجميع ذلك ونقد الصداق المذكور المعجل منه كله من ماله، ثم اشترَى الأمة المشترطة من أفضل الرقيق أحسن مما اشترطوا بعد تجربه فيها وتحقق أنها سُبيت كافرة ليصح تملكها شرعاً بثمن قدره أربعمائة أوقية قديمة تنقص منقالين. وكان بعض من حضر الخطبة يريدُ أن يكون الصداق أقل من ذلك ويحرصُ على الرفق فيه، فقال سيدنا أحمد: الذي عندي أن المنسوب إلى الله لايرفق به في نحو هذا لأنه لا يَرى الإنفاق من ماله إنما يراه من مال الله ومن عنده، ثم قام بجميع ما بعد ذلك من المؤن مما يجهز به العرس من قبل الزوج وما يحتاجه الزوج من اللباس وحوائج الدار وأوانيها ووظيفة العرس، وصنع وليمة عظيمة بدار سيدي قاسم قبل البناء بيوم وحشد بها من الضعفاء والغرباء والطلبة والمسافرين ما لايكاد يعدُّ وأطعمهم

الثريد واللحم والعسل، وظل الناس بومهم بجيئون ويذهبون، ترجع طائفة وتأتي أخرى، وكثير من الناس أتاها دون دعاء تعرضاً للبركة. وأعدّ له البناء داراً أخرى مجاورَة لحفدة أخته أولاد ابن الففيه وأسكنه بها، وجعل ينفق عليه ويقيم داره من كل ما تحتاج إليه من قمح وإدام وعسل وغير ذلك، يجعل ذلك كله بدار سيدي أحمد اليمنى معداً متَى احتاجه أو غشيهُ الأضياف وجده يرسل إليه زيادة على ذلك ما يكفيه من الطعام المطبوخ كل يوم، ويقيم أصحابه وأضيافه وأعد لهم داراً يسكنون بها، ويبعث لهم من الطعام المطبوخ غذاء وعشاء قدر مؤنتهم وكفايتهم بالغين ما بلغوا، وكثيراً ما يفضل عنهم الطعام فيلتمسون من يأكله، إذ من شأنه أن لايرجع ما خرج من داره إليها، هذا مع ما عُلم من شدة هذا الوقت وغلاء الزرع فيه حيث يباع المد (278) فيه بأوقيتين فأزيد، وحال هذه البلدة وصعوبة المؤنة فيها دائما، وبقي يعاهد أمورهم ويسعىَ في قضاء حوائجهم لا يغفل عنهم في شيء من الأشياء، وبقي سيدي أحمد اليمني على ما كان عليه لايتصدي لأمر ولا يعرج على شيء، مشتغلاً بعبادته، مقبلاً على شأنه، مجموع القلب على مولاه. وقد راوده بعض أهل فاس لما سمعوا بتزويجه أن يشتروا له داراً بإزائهم ليسكن بها فأبَى عليهم وامتنع من قبول منتهم واختار مجاورة سيدي أحمد وإرفاقه ومرافقته لما بينهما من المواخاة في الله تعالى. وقد قال مرة إن سيدي أحمد بن عبد الله لايقدر أحد أن يرد عليه شيئا، وإن رده خاف على نفسه، لأن ماله لله وفي الله، فمن دفعه خشي ماينزل به من عقوبة الله. وقال في موضع آخر وقد ظهر من القيام بوظيفة ومعرفة حقه ما لسيدي أحمد من الفتوة والإيثار، بل ما له من الحرية عن الاغيار، إذ الحرية مطعمها (كذا) كما قال القشيري في خدمة الفقراء. وفي الخبر أوحَى الله إلى داوود: إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً. وعن يحيَى بن معاذ: أبناء الدنيا يخدمهم الإماء والعبيد، وأبناء الآخرة بخدمهم الأحرار، وفي الحديث سيدُ القَوْمِ خَادمُهُم. وأمر هذين السيدين في مواخاتهما وكمال حالهما واتفاق سيرتهما واتحاد نظرهما من أَعاجيب الزمان، وكذا أُخوة كل واحد منهما في الله وغناؤه به إعطاء وأخذا. وما أمُرهما في ذلك إلا كما اتفق لبعض أهل الله مع بعضهم قال له: خذ لاَ لَكَ، فقال له الآخر آخذه لا منْك، وكان كل منهما بالله ولله كما كان هذان السيدان في كل أمورهما انتهَى.

ولصاحب الترجمة كرامات لاتحصَى، وخوارق لاتستقصَى. قال عم والدنا محمد العربي بن الطيب القادري في تقييد له ومن خطه نقلت: ومن كرامات الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد اليمني أنه ذهب مرة إلى زيارة الشيخ أبي شعيب الزموري شيخ أبي يعزى، وكان مولعا بزيارته ويثني عليه كثيرا ويشهد له بالقوة، وكان يخبر أنه يراه يقظة ويتحدث

278) هنا في هامش ك طرة نصها: «كان في هذا الوقت المدّ من صاع ونصف نبوي».

معه. فذهب مرة إلى زيارته وذلك سنة إحدَى وتسعين وألف، فلما أتَى ضريحه فُتح له القبر المبارك وتبدَّى له سيدي أبو شعيب وجعل يتحدث معه، فبينما هو كذلك إذ خرج من القبر شيء يشبه النور أو غيره وصار ممتدا في الأرض، فنظرا إليه الشيخ أبو العباس اليمني وأراد أن يتبعه ببصره لينظر أين يذهب، فقال له الشيخ أبو شعيب لاتنظر إليه فإن من نظر إلى ذلك مات، فقال الشيخ اليمني ما ذلك ياسيدي؟ فقال له إن تلك السكينة ذهبت لتزيل الهلع من قلوب الناس والسعر يبقَى على حاله لايزيد، وكان قد حدث حينئذ غلاء في ذلك الوقت، وبلغ مد القمح فيه ثلاث أواق، فكان الأمر كما قال ووقع كما أخبر. وكان الناس بعد فيه مطمئنين مذعنين ساكنين لم يقع في قلوبهم هلع، ولم يحصل لهم فزع، حسبما شوهد من حالهم، وتحدثوا بذلك، ولم يعلموا ما هنالك، وتعجبوا من ذلك كثيراً لعدم اعتيادهم ذلك في الغلاء وبقوا على حالتهم تلك إلى أن انقضَى، وذهب ومضَى. أخبرني بذلك صاحبنا أبو عبد الله الدريج عن الشيخ اليمني وكان حاضراً معه في تلك الزيارة وأنه سمع ذلك منه انتهَى.

وقال أيضا، حدثني من أثق به من الإخوان، من أهل الذوق والضبط والإتقان، أن الشيخ أبا العباس اليمني زار مرة سيدي أبا يعزَى بتاغيا، فلما جاء ليسلم على سيدي أحمد بن عبد الله في الزاوية بالمخفية فجلسا معا بها، قال وجلست بإزائهما قريباً منهما، فشهدت الشيخ اليمني وقد كُسي من الحسن ما يجلّ عن الصفة ويقصر عن التعبير عنه كل لسان، وحلي من الجمال ما يذهل العقول، ولايخبر عنه مَقُول، وأُلبس من البهاء النوراني، والسر الرباني، مايبهر العقول والألباب، يفتن به من كذلك رآه، ويملك حبه وهواه، فقال فذهب عقلي وكدت أغيب عن نفسي، وأخرج عن دائرة حسي. فقال فشاهدت فيه ما كنت أشاهد في سيدي أحمد بن عبد الله، فجعلت أقول وأنا على تلك الحالة سراً: لاَ، لاَ، لاَ، ابن عبد الله، يعني سيدي أحمد، أي لا أريد ذلك ولا أحبه ولا أقبله ولا أريد إلاّ ابن عبد الله ولا أريد سواه، ومازلت أكرر ذلك المرة بعد المرة وبقيت كذلك مدة وهما جالسان يتحدثان حتَّى اعتدل الحال وذهب ذلك عني وشاهدت في سيدي أحمد بن عبد الله ما كنت أشاهده فيه قبل. قال فحمدت الله كثيرا الذي أنقذني من ذلك وصرف عني تلك المهالك، وتذكرت حينئذ قول سيدي أحمد ابن عبد الله إن الشيخ قد يختبر بعض أصحابه فيتجلَّى له في صفة شيخ آخر فينظر هل يميل معه ويتبعه ويترك صاحبه أم لا امتحاناً له، فسبحان الحافظ لعباده المومنين، وكان ذلك قبل سنة تسعين وألف حيث كان الشيخ اليمني قاطنا بجامع الأبارين.

قلت: وهذا من شأن إدراك أرباب القلوب. قال أبو العباس المرسي: لو كشف عن نور الولي لعبد فمن أراد الله نفعه بولي أطلعه على نُورانيَّته، وعلى ما منحه من سره وعنايته. جعلنا الله من أهل حرمتهم، ومنَّ علينا بمعرفتهم. آمين(279)

---

279) هذه الترجمة المطولة لأحمد اليمني منقولة من المخطوطات. وقد اختصرت في صفحة ونصف في ط.

الطيب بن مَحمد الفاسي

ومنهم الإمام العلامة الدراكة المشارك المحصل المحقق المتفن أبو عبد الله محمد الطيب بن سيدي محمد بن سدى عبد القادر الفاسي(280). تقدمت ترجمة جده، وتأتى إن شاء الله ترجمة والده، كان صاحب الترجمة من أهل الحفظ والتحقيق والإتقان، له الباع فى الفقه والحديث والأصول والبيان والتصوف والتاريخ، وله إقدام فى حل المشكلات والمعضلات، والجد في التدريس والحرص على بيان الحق. ووجَّهه أمير المومنين المنصور بالله مولانا إسماعيل بن الشريف الحسنى مع ولده لبث الكتائب وأحد الخلفاء بعد والده أمير المومنين مولانا عبد المالك بن مولانا إسماعيل المذكور، وجهه صحبة ولده المذكور للمهادنة مع الترك فى حدود عام ثلاثة ومائة وألف إلى الجزائر بعد وقعة المشارع، ووجّه أيضا مع مولاى عبد المالك المذكور الفقيه المشارك المؤرخ أبا عبد الله محمد بن عبد الوهاب الوزير الغسّانى الأندلسى وغيرهما من وجوه الدولة، فرحل مولاى عبد المالك بن مولاي اسماعيل من فاس يريد الجزائر، فبلغ خبره لوالى الجزائر فخرج في عسكره إلى حدود البلاد وسفك الدماء وأكثر من القتل، فوصل الخبر إلى مولاي عبد المالك فرجع لأنه لم يأمره والده بالقتال فيعاقبه والده على ذلك حيث لم يأمره به، فرجع إلى والده. وكان وصل الخبر إلى فاس أنهم قُتلوا فى القتال مع صاحب الجزائر، وصادف الخبر يوم عاشوراء فبقى الإنفاق بفاس كله ملغى لم يُبع لكثرة ما اعتَرى الناس من الوجد والغبار عليهم. ثم من الغد ورد الخبر بسلامتهم وأنهم وصلوا تازة، ففرح الناس بذلك وأعادوا الانفاق إلى الحوانيت كيوم عاشوراء ونفد الانفاق وحمد اللّهَ الناسُ على سلامتهم.

(وزعموا أن صاحب الترجمة لما رأى عوارض المحن فى وقته زار مولاى إدريس دفين زرهون وتوسلً لله تعالى أن يقبضه، وكان يريد الذهاب لزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش في ذلك، فأخذه وجع منعه من المرور إليه، فرجع من مولانا إدريس فاستجاب الله دعاءه فوصلّوه لفاس مريضا ومات. ومثل هذا وقع لجماعة، منهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى فإنه لما عرضت له الفتن التى لايسلم معها دينه قال: اللهم اقبضنى إليك ضاقت علىّ الأرض بما رحبت، فقُبض - رحمه الله - وبعده طلب أبو العباس ابن الحاج مثل ذلك من صالحي باب الجيسة) (281).

---

280) هنا فى هامش ك و س طرة: «تولى صاحب الترجمة الكتابة عند مولاي عبد المالك بن مولاى اسماعيل فعظم أهل سنه بذلك».

281) ماسن معقوفتين ساقط من ط

أخذ صاحب الترجمة عن جماعة من الأعلام، منهم جده سيدي عبد القادر، وولده سيدي محمد (وعمه الحافظ أبو زيد سبدي عبد الرحمان، وأبو العباس ابن الحاج) (282) وأبو سالم العياشي وأجازه، وأجاز له أبضا الشيخ الخرشي. وله من النآليف شرح على مقدمة جده في الأصول، وجمع فهرسة والده فى مروبات سبدنا الوالد، وهو مفبد في بابه. وشرع في تاريخ المائة الحادية وسماه *مطمح النظر* وبلغ فيه إلى السنة الثالثة عشرة (فختم ترجمة جده سيدي بوسف ولم تتَّفِق له زبادة عن ذلك حسبما رأبته بخطه فلم يكمله) (283) وله تقاييد عديدة وأجوبة. وأخذ عنه خلائق وتخرج به أئمة.

ولد - رضي الله عنه - سنة أربع وستبن أو ثمان وستين وألف.

وتوفي ليلة الخميس تاسع عشر ربيع الثاني عام ثلاثة وعشر ومائة وألف ودفن بزاوية (جده للأم العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بحومة القلقليين من فاس القرويين وراء جده للأب سيدى عبد القادر الفاسي) (284).

محمد بن الحسن الأبار

ومنهم الفقبه العدل الأرضَى أبو عبد الله محمد بن الحسن الأبار. كان فقبها له معرفة تامة بالفرائض، وله ملكة في علم الحساب، من المقصودين لذلك بفاس. أخذ عن عمه أبي العباس حمدون الأبار، وعن أبي عبد الله ميارة شارح *العاصمية والمرشد*، وعن سيدي عبد القادر الفاسى، وعن والده سبدي محمد. وكان له مجلس يدرس فيه، ونسرح *فرائض خليل*، وله براعة في التوثيق، وشهرة فى الشهود المنتصبين بفاس لتلقي الشهادات.

قلت: وتحمُّل الشهادة كان حرفة كثير من أكابر الفقهاء قدبما ولا يرتضَى لها إلاَّ مَنْ تُرضي فطنته وديانته، فكان الاسم طبق المسمى. نم حدث فبها في هذه الأزمنة من التهاون والإخلال بالواجب ما أدى إلى تعطيل شروطها، وصار يتخللها من كان لا يطمع في لمس مروطها. كما قبل:

---

282) سافط أبضا من *ط*.

رياده فى *ط*.

283) زبادة فى *ط*

284) هنا بهامش *ك* طره نصها·

أم سيدى الطبب بنت حالة الكاتب سدي أحمد بن العارف بالله سيدى عبد الرحمان بن محمد الفاسى. وأم والده سيدى محمد بن عبد القادر الفاسى بنت العارف بالله سيد عبد الرحمان المذكور. فمن ثَمَّ ورثوا زاوبة سيدى عبد الرحمان بالقلقليين وبنت عبد الرحمان العارف بالله المذكور زوجة سيدي عبد القادر المذكور هى أم ولده الحافظ سيدى عبد الرحمان ناظم العلمبات أبضا وكذلك تزوج ابنه سيدى أحمد بنت عمه سيدى محمد سمسمة سيدى الطيب المذكور ومانت بحماه بعلها سيدي أحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر. انظر الفريضة التي باعوا بها دار الروسى التى بدرب واد الشرفاء من القلقليين، وهى الثالثه عن اليمن فى الدرب المذكور، اشتراها ابن يحيَى، وأخذ القادريون حقهم فى المرات ممن ذكر.

لقــد هزلت حــتّى بدا من هُزالهــا كُـلاها وحـتّى سـامَـهـا كلُّ مُـفلِسِ

وقال آخر:

تلك المكارمُ لا قـعـبــان من لبنٍ شـيـبـا بمـاءٍ فـعـادا بعـدُ أبوالاَ

ولما زوج ولده الإمام سيدي أحمد بن يحيَى الونشريسي مؤلف *المعيار*، وهو الإمام أبو مالك سيدي عبد الواحد، أطلق له القاضي المكناسي تحمل الشهادة وقال لأبيه هذه هدبتي للعرس، وهذه الخطة عندى عزيزة فمن طلبها مني كمن خطب عندي ابنتي. وما كان في شهود فاس في متل هذه الأزمنة إلا الأكابر، كالامام ابن غازي، وابن هارون، والزقاق، وأضرابهم ممن لا أحصيه، وكان الاعتناء بها قديما أشد من ذلك، فقد حكي في أول السفر الثاني من كتاب *نفح الطيب* أن أهل قرطبة كانوا لا يقدمون أحداً للفتوى ولا لقبول الشهادة حتّى يطول وتُعقَد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في غالب الحال خوفاً من أن يميل به الفقر إلى الطمع فيما في أيدى الناس فيبيع به حقوق الدين. ولقد أُخبرت أن الحكم الرضي أراد تقديم شخص من الفقهاء مختص به للشهادة فأخذ في ذلك مع يحيَى بن يحيَى وعبد الملك بن حبيب وغيرهم من أعلام العلماء فقالوا له هو أهل ولكنه شديد الفقر، ومن يكون في هذه الحالة لا نأمنه على حقوق المسلمين، ولاسيما وأنت نريد انتصابه وظهوره في الدخول في المواريث والوصايا وأشباه ذلك، فسكت ولم ير مُنازعتهم وبقي مهموما من كونهم لم يقبلوا قوله. فنظر إليه ولده عبد الرحمان الذي ولي الملك بعده وعلى وجهه أثر ذلك فقال له: مالك يامولانا؟ فقال: ألا ترَى لهؤلاء الذين نقدمهم وننوه عند الناس مكانهم حتّى إذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شطط بل لايعنيهم وليس هو ممَّا يرزأهم شيئا صدُّونا عنه وغلقوا أبواب الشفاعة، وذكر له ما كان منهم. فقال له يا مولاي أنت أولى بالإنصاف، إن هؤلاء ما قدّمتهم أنت ولا نوّهت بهم، وإنما قدمهم ونوّه بهم علمهم، أو كنت تأخذ جهالاً فتضعهم في مواضعهم؟ قال: فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا لذة الدنيا وراحة الآخرة، قال صدقت. قال: وأما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالعلاج في ذلك ما يبقى لك في الصالحات ذكرا. قال: وما هو؟ قال تعطيه من مالك قدر ما يلحق به من الغنَى ما يؤهله لتلك المنزلة ويزيل عنك هذا خجل ردهم لك ويكون هذا مكرمة ماسبق إليها أحد، فتهلل وجه الحكم وقال: إلي وإلى والله شنشنة عَبْشَمِيَّة وإن الذي قال فينا لصادق:

وأبناء أمـــلاك خـــضـــارمُ ســـادةٌ صـغـبـرُهُم عند الأنام كـبـبـر (285)

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وسأله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة من الغنَى فذكر له عدداً فأمر له به في الحين، ونوه بقدره بأن أعطاه من اصطبله مركوبا. وكانت هذه أكرومة لاخفاء بعظمها. بقي الزمان وما بنته مخلد. نم إنه إذا كان له من الغنَى ما يكفيه عن أموال الناس، ومن الدِّين ما يصدُّه عن محارم الله، ومن العلم ما لايجهل النصرف به في الشريعة، أباحوا له الفتوَى والشهادة، وجعلوا علامة لذلك بين الناس القلانس والرداء. انتهى (286).

توفي – رحمه الله – سنة ثلاث عشرة و مائة وألف، ودفن عند رأس الولى الشهير سيدي أبي جيدة خارج باب المسافرين أحد أبواب مدينة فاس الأندلس.

أحمد ميارة المدعو حَدُّ

ومنهم الفقيه العدل الأرضَى أبو العباس المدعو (حدُّ) (287) ابن أبي عبد الله (بن الشيخ) (288) محمد ميارة شارح *المرشد* وغيره، وتقدمت ترجمته. (كان صاحب الترجمة من وجوه عدول فاس القرويين ممن لهم فيه شهرة. توفي سنة ثلاث عشرة ومائة وألف) (289).

حسن بن علي العجبمي

ومنهم الشيخ المشارك في العلوم الشرعية ، المبرِّز في الأذواق الصوفية، أبو علي حسن بن علي بن يحيَى بن عمر العجيمي (بالتصغير – المكى) (290) الحنفي.

قال في *الرحلة العياشية*: شاب نشأ في عبادة الله، وجُبل على محاسن الشيخ من صغره، وأعانته العناية الإلهية على اكتساب ما فاته منها في كبره. صحب من أدرك من

285) هنا بهامس *ط* طرة نصها: هذا البيت من قصيدة على دير هشام بن عبد الملك بن مروان أولها

أيا منزلاً بالدّير أصبح خاليا تَلاعَبَ فـيـه شَـمْـألٌ وَدَبُورُ

وبعد البيت المذكور:

إذا لبسوا أدراعَهم فعوابسٌ وإن لبسوا تيجانهم فبدورُ
على أنهم يومَ اللقاء ضراغمٌ وأنهمُ يوم النوال بحـورُ

286) هذه الفقرة الطويلة المكتوبة بين معقوفتين ساقطة من المخطوطات، مستدركة من *ط*.
287) ساقطة من *ك*.
288) ساقطة من *ط*.
289) زيادة من *ك* و س.
290) زيادة في *ط*.

مشايخ الحرمين وانتفع بصحبتهم، وخَدَمَهُم فَنَالَ المقام الأعلى بخدمتهم، وَأَجلُّ من انتفع بصحبته، وتشرف بخدمته، عارف وقته، وواحد عصره، غوث الزمان شيخنا صفى الدين القشاشي. صحبه مدة مديدة، وسمعه وتلقى واكتسب منه مراتب عديدة، ونرقت منزلته لديه، حتَّى صار يعد من جملة من ينتسب إليه، وانتفع به في علوم كثيرة، وأذواق غزيرة، يكثر زيارته، ويمتثل إشارته، ويتردد إليه من مكة مراراً، ويقدمه على نفسه إعلانا وإسراراً، ويلازم مجلسه بالمدينه شهوراً، إلى أن صار بين أصحابه علما مشهوراً. أذن له - على ما أخبرني به - بالاشتغال بعلم الأسماء والجداول وأسرار الحروف والدعوات وخواص الأذكار وسائر العلوم التي لم يزل المشايخ يتواصون على إخفائها، ويحذرون الطلبة من الاشتغال بها، وقال له إن فيك أهلية لذلك، ومثلك من يُرجَى له خيرها ولا يخشَى عليه ضررها، فكان له بركة يد طولى مع حسن الهدي والسمت، وكنت ربما أنكرت عليه الاشتغال في طلبها، وأحذّره من استعمالها، إلى أن أخبرني بإذن الشيخ فقلت إنه ملحوظ بالعناية فسلمت له. ومع سلوكه طريق القوم لم يخل من الاشتغال بالعلوم الظاهرة سيما علم رواية الحديث، فقد جدّ فيه كل الجد، وبلغ في الاعتناء به غاية الحدّ. فأخذ عن شيخه الصفي وأجازه بسائر مروياته عن سائر شيوخه، ولازم شيخنا أبا مهدي عيسَى الثعالبي فسمع منه الكثير وروَى عنه غالب مروياته. ولا يَقدمُ أحد من علماء الآفاق على الحرمين إلاَّ جدّ في لقائه والأخذ عنه، ورزق في ذلك سعادة واقبالاً من المشايخ، ما رآه أحد إلاَّ أحبه، ولا خالطه إلاَّ ملأت مودته قلبه، فكثرت بذلك مروياته، واتسعت مسموعاته.وقد استجازني مراراً وسمع مني كثيراً وقيد من أسانيدي ما احتجاج إليه.

وقال في موضع آخر: وممن منَّ اللّهُ عليَّ بمخالطته ومصاحبته، وأسدَى إليَّ من بره وإحسانه ما عجزت عن مكافأته، خليلنا الأصفَى، وحبينا الأوفَى، أبسط من لقيته من أهل مكة كفا، وأبّر من اتخذته إلفا، الظريف الناسك العفيف، انظر تمامه (291) . وله رسالة بعث إليه يثني عليه فيها مع رسالة استوعب فيها طرق الصوفية الموجودة في عصره نقلها في *الرحلة* نصها:

بسم الرحمان الرحيم. الحمد لله وحده، وصلّى الله على من لانبي بعده، وعلى آله وصحبه أهل المحبة والمودة، من العبد الفقير الحقير الكسير حسن بن على العجيمي إلى شيخه وأستاذه وبركته وسيده وحبيبه وصفيه ووليه في الله الشيخ العلامة، والحبر الفهامة، القدوة المحقق، والعارف المتفنن المدقق، سيدنا ومولانا الشيخ أبى سالم عبد الله بن محمد، حفظه الله بما حفظ به عباده إلى آخرها.

291) انظر رحلة العياشي، *ماء الموائد*، 2 217-220

ونص ما نقل من رسالته في الطرق المشتملة على أربعين طريقا، وهذه أسماء الطرق:

محمدية، أويسية، قلندرية، صدّيقية، ملامتيّة، كبرويّة، همدانية، ركنية، نورية، خلوتية، مولوية، جهرية، برهانية، أحمدية، سهروردية، خفيفية، شاذلية، وفائية، زروقية، بكرية، جزولية، خواطرية، عبدوسية، مشارعية، حاتمية، قادرية، عرابية، مدينية، قشيرية، رفاعية، خرازية، جشتية، مدارية، شطارية، عشقية، نقشبندية، غوثية، حلاجية، جُنيديّة، سهلية.

أما المحمدية فمنسوبة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ووجه اختصاصها بالانتساب إليه مع أن الكل راجعة إليه ومستمدة منه أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهاج الاستقامة المبيّن في الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تستولي محبته على قلبه ويخامر سره تعظيمه بحيث يهتز عند سماع ذكره، ويغلب على قلبه مشاهدته ويصير تمثاله بين عيني بصيرته، يسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ولايجعل لمخلوق عليه منة إلا النبي صلى الله عليه وسلم فيراه يقظةً ومناماً ويسأله عما يريد، وقد سلك على هذا القدم جماعة (من المشايخ قديما وحديثا ذكر صاحب الرسالة جماعة) منهم (292) .

قلت: وقد لقيت بالقاهرة سنة أربع وستين بجامع الماردية الشيخ محمد الخلوتي، وهو رجل مُسن منقطع بالمسجد له أصحاب، فسألته عن طريقه ولمن ينتسب، فقال أما أنا فطريقي محمدية لا أنتسب لأحد، وذكر أنه محافظ على استحضار صورته [في باطنه، فأغناه ذلك عن التقلد بشيخ والاستمداد منه أو كلاما قريبا من هذا.

وأما الأُويْسيَّة فهُم المنتسبون إلي روحانية بعض الأنبياء أو المشايخ، كأخذ سيدنا أُويس عن روحانية سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، و كأخذ أبي زيد عن روحانية (الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه فصار كل من يأخذ عن روحانية) (293) المشايخ تسمى طريقته أُويسيَّة.

وأما القلندرية فمبنَي طريقهم على حصول طيبة القلب والتقليل من الدنيا وترك الادّخار، ومن شأنهم أنهم لا يشتغلون بترك الملذوذات من الأطعمة المباحة ولا بالزيادة على الفرائض إذا حصل لهم.

وأما الصِّديقيَّة فمنسوبة إلى أبي بكر الصديق، وقد ذكرها ابن عطاء الله في *مفتاح الفلاح*.

292) ساقط من ك وس
293) ساقط من ك.

وأما المَلاَمَتيَّة فمبناها على الخروج عن رعونات النفس وتطهيرها من جناية العجب والرياء وحب الجاه والرياسة وإسقاط المنزلة من قلوب الناس بأمور ينكرها العوام. والمنسوب إلى هذه الطريقة فِرَقٌ ذكر صاحب الترجمة جملةً منها، وأسانيدهم تنتهي إلى أبي زيد البسطامي.

وأمَّا الكبروية (294) فمنسوبة إلى نجم الدين الكبري، وهي مشهورة.

وأما الهَمَدَانيَّة، وهي شعبة من التي قبلها، إلا أن أهلها يختارون الإسرار بالذكر إلا بعد فريضة الصبح فإنهم يقرؤون الأوراد الصبحية (295) بالجهر، وبعد العصر الأوراد العصرية، وهما لشيخ (هذه العصابة السيد علي الهمداني وقد ذكر المُلاباشي أن سيدي) (296) علي الهمداني ساح الربع المعمور، وصحب ألفا وأربعمائة ولي، أخذ من كل واحد ذكراً وجد ذلك الشيخ ثمرته، فجمعها، ثم لما زار النبي صلى الله عليه وسلم رآه وقد أعطاه شيئا وقال له: خذ هذه الأوراد فرآها فإذا هي (التي جمعها عن مشايخه، فجعلها وردا في الصباح، وقف على بركتها كثيرٌ ممّن لازمها. وقد أخذها صاحب الرسالة عن بعض ذريته.

و أما الرُكْنيَّة، وهي شعبة من التي قبلها، إلاَّ أنَّ لأُستاذها مولانا ركن الدين علاء الدولة السمناني في كيفية الذكر بالكلمة الطيبة جِلْسَةً معينةَ وزيادة في الضروب.

وأما النُّورية، وهي شعبة من التي قبلها، إلاَّ أن لشيخ خرقتها سيدنا نور الدين الإسفرايينى كيفية أخرى.

وأما الخلوتية فمبْنَى طريقهم على الذكر بالكلمة الطيبة بكيفية مخصوصة، ثم يشتغل بذكر الجلالة، ثم يذكر هذه الأسماء العشرة على الترتيب، وهي: هو، حق، حيّ، قهار، وهّاب، فتّاح، واحد، أحد، صَمَد، قيّوم. وتنتهي طريقتهم إلى الشيخ قطب الدين أحمد بن محمد الأبهري.

وأما المولوية فمبناها على دوام الاشتغال بالذكر والسلوك بالمحبة. ومن شأنهم الذكر الخفيّ مع حبس النفس والدوران. ومن أكبر المشايخ الذين تنتهي إليهم هذه الطريقة وتنتسب إليه أكثرهم مولانا جلال الدين الرومي.

وأما الجهرية فمبناها على الجهر بالذكر في جميع الأوقات إلا في الخلوة. ولهم أوراد معلومة، وتنتهي إلى الخوجة أحمد اليوسوي، وهو من سيدنا الخضر - عليه السلام-.

---

294) في س: الكروبية...
295) في ك: الأدوار المتحيه
296) ساقط من ك.

وأما البُرهانية فتنتسب إلى سيدي برهان الدين إبراهيم الدسوقي، ومن شأنهم الذكر بالجهر والاشتهار بذكر دائم بباء النداء، ولبس الزي هو الأخضر.

وأما الأحمدية فتنتهي لسيدي أحمد بن علي بن إبراهيم الشهير بالبدوي، مبناها على الاشتغال بتلاوة القرآن وبالذكر على كيفية مخصوصة. ومن شأنهم حمل العكّاز عملا بالسنة وتذكيراً بسفر الآخرة، ولبس الزي وهو الأحمر.

وأما السُّهْرَوَرْدِيَّة فمعروفة.

وأما الخفيفيَّة فمنسوبة إلى أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي، وطريقه الغيبة والحضور.

وأما الخواطريّة فمبناها على الذكر بكلمتي التوحيد على كيفية مخصوصة لطرد الخواطر من القلب حتّى لا يبقَى إلا اللهُ فيه. ومن شأنهم الاشتغال بالرياضة الشاقّة والتجريد وقراءة الأوراد المذكورة في كتب الشيخ علوان الحموي، وابن عراق. وأشهر مشايخ هذه السلسلة شيخها الشيخ سيدي علي بن ميمون الإدريسي الفاسي.

وأما العيدروسية فمبناها على الاشتغال بالذكر المفرد بالجهر. ومن شأنهم دخول الخلوة بالجوع وضبط الحواس وحفظ الأنفاس بالذكر على الدوام، ونسبتهم إلى سيدي عبد الله بن أبي بكر العيدروس.

وأما المشارعية فمبناها على ذكر الجهر. ومن شأنهم السماع بشروطه، ومطالعة الكتب أي كتب القوم وقراءتها، ولبس الزنبيل للدروزة، وهو الوقوف على الناس للسؤال، ونسبتهم إلى الشيخ أحمد بن موسَى المشرع اليمني.

وأما الحاتمية فمنسوبة للشيخ محيي الدين بن عربي وهي معلومة.

وأما القادرية فإلى القطب شيخنا أبي محمد عبد القادر بن موسَى الحسني الجيلي، رضي الله عنه وهي معروفة.

وأما العَرَابِيَّة فشعبة من القادرية منسوبة إلى الأستاذ عمر العرابي.

و أما المَدْيَنِيَّة فمنسوبة إلى الغوث أبي مدين، وهي شعبة من القادرية.

وأما الرفاعية فنسبة إلى سيدي أحمد الرفاعي، وهي شعبة من القادرية.

وأما القُشيرية فإلى الأستاذ أبي القاسم القشيري.

وأما الخرازية فإلى أبي سعد أحمد بن عيسَى الخراز.

وأما الجشتيَّة فإلى قطب الدين مودود بن يوسف بن محمد بن سمعان الجشتى.

و أما المداريَّة فإلى الشيخ بديع الدين الشاه مداري.

وأما الشطاربة فمبنية على عمارة القلب بالتوحيد، ويشغلون المريد بالذكر الجهري، وقد يستعملون إن كان قوي الاستعداد في الدعوة لمشاهدة عجائب آيات الله في ملكه وملكوته (297) وتنسب إلى الشيخ عبد الله الشطاري.

وأما العشقية فطائفة من الشطارية، مبناهم على طريق الفناء المطلق، وتنسب إلى الشيخ أبى يزيد العشقي.

وأما النَّقشبندية فمنسوبة إلى الخوجة بهاء الدين النقشبندي.

و أما الغوثية فهم خلاصة السادات الشطارية، ينسبون إلى إمام العارفبن سيدنا بهاء الدين محمد بن خطير الدبن غوث الله صاحب كتاب *الجواهر الخمس*.

وأما الحلاَّجية فإلى الحسين بن منصور الحلاج.

و أما الجنيديه فمعروفة.

و أما السهلية فإلى سهل بن عبد الله التستوري - رضي الله عن جمبعهم -.

وقد استوفَى فى الرسالة الأسانبد إلى أرباب الطوائف المذكورة وذكر في الرحلة أن صاحب الترجمة كتب له رسالة أخرى في الأوفاق وأخرى في خط الرمل.

توفي صاحب الترجمة في شوال عام الترجمة (298).

أحمد الشفشاوني

ومنهم الشريف الفقيه العدل سيدي أحمد الشفشاونى من أهل فاس توفى (فى سادس عسر ذي القعدة) سنة ثلاث عشرة ومائة وألف (299) .

محمد بن حمدون اللبار

ومنهم الفقيه فرضي فاس سيدي محمد بن حمدون اللبار، توفى في رجب (300).

حوادث السنة

قتل عبد الخالق الروسي

ومن حوادث هذه السنة أن في سادس المحرم قُتل البطل الرئيس القائد عبد الحالق بن

297) هنا فى هامش ك طرة: «أي يستدعي الجن بالعزائم، وإليهم ينسب من يلعبها فى الأسواق».

298) كل ما فى هذه الترجمة من نقول حرفية أو مختصرة عن *الرحلة العياشية* ساقط في *ط*. بحث لا تحاوز ترحمة العجيمي فيها نصف صفحة

299) لم يذكر أحمد الشفشاونى فى *ط* إلا عرضاً خلال حوادث السنة.

300) لم يرد ذكر اللبار فى.

الوزير الرئيس عبد الله الروسى بمكناسة بأمر مولانا حفيد ابن أمير المومنين مولانا إسماعيل، وكان استخلفه والده بفاس الجديد فنشأت الوحشة بينهما بسبب ذلك (301) .

أخذ بستيون بادس من يد النصارَى

وفي أوائل رمضان العام أخذ القائد على بن عبد الله بستيون بادس من يد النصارَى - دمرهم الله (302).

قيام مولاي مَحمد على والده المولى اسماعيل بسوس

وفي يوم المولد ثاني عشر ربيع الأول قام مولاى مَحمد بن أمير المومنين على والده ودعا لنفسه فبايعه أهل سوس الأقصَى و الأوسط إلى وادى أم الربيع، وعظمت شوكته في تلك البلاد (303).

علي جسوس أمير الركب

وعزل الشيخ الحسين، وولي الحاج علي جسوس وخرج أميرا للركب. وهذا أول إمارته في قصة يطول إيرادها (304)

*** *** تذكرة المحسنين *** ***

أحمد بن محمد اليمني

الشيخ الفقيه العالم العامل، العارف المحقق الواصل الكامل، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن إدريس اليمني، في ليلة مهل رجب، ودفن - رضي الله عنه - بالقبب خارج باب الفتوح. وهو رضي الله عنه من قرية يقال لها مَهَلّو بفتحات وشد اللاّم أرْبجي وسُنّر. وأربجي موينة الصحراء بين صعيد مصر وأرض الحبشة بينها وبين سُنّر نحو خَمَسة أيام. وسُنّر أيضا مدينة بالصحراء المذكورة وكلتاهما على النيل. وكان خروجه - رضي الله عنه - من بلاده سنة خمس وسبعين وألف، ودخوله لفاس في الثامن والعشرين من جمادى الأخيرة سنة تسع وسبعين وألف، وكانت مدة إقامته بها أربعاً وثلاثين سنة وخرج من فاس لزيارة شيخه سيدي عبد الله البَرْنَوي ببلاد السودان عند طلوع قمر ليلة الاثنين ثامن شعبان عام اثنين وتسعين، ثم رجع لفاس أواسط ربيع عام أربعة وتسعين. انتهى من خط ابن عمنا العلامة سيدي عبد الواحد بن مَحمد.

محمد الطيب الفاسي

وفي هذه السنة توفى العلامة المحقق الأوحد سيدي محمد الطيب بن شيخ الإسلام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، ودُفن بظهر جده بالزاوية.

301) أثبتنا فى قضية قتل الروسى عبارة ك و س لأنها أوفَى. وهى مختصرة فى كل من *ط والحوليات* .

302) انفردت *الحوليات* بذكر هذا الحادث.

303) انفردت ك وس بإيراد حادث ثورة مولاي محمد .

304) انفردتا كذلك بذكر هذا الحادث.

العام الرابع من العشرة الثانية من هذه المائة

عثمان السوداني

فمنهم الفقيه أبو سعيد عثمان السوداني قرأ على سيدي عبد القادر الفاسي.

سعيد أَحَنْصَال

ومنهم الشيخ المرابط أبو عثمان سعيد أَحَنْصَال - بهمزة أوله فحاء مهملة فنون ساكنة - صاحب الزاوية بأيت عطا. ينسب في الطريقة في الأخذ للشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحمان الدراوي دفين تادلا. تقدمت ترجمته في سنة إحدى وتسعين وألف.

حوادث السنة

استشفاع أهل فاس في شدة المغرم بالنعل النبوي

ومن حوادث هذا العام خروج أهل فاس بالنعل النبوي الذي تحت يد الشرفاء الطاهريين المراكشيين الصقليين الحسنيين القاطنين بمصمودة من عدوة فاس الأندلس، مستشفعين في شدة المغرم وغير ذلك، فقبل شفاعتهم وترك النعال عنده بداره، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يورث، وما تركه تصدق به خليفته أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -. وزعم بعضهم أن النعال أهديت لبني عبد المومن من بني كَومي ملوك الموحدين. وكان حينئذ من الشرفاء الطاهريين قاضي القضاة وقاضي الدولة، يعني الجيش والكتاب وغيرهم من خدام الدولة. فلما دخل أبو يوسف بن عبد الحق المريني مراكش وخرج منها مَن بقي بها من شيعة بني عبد المومن الموحدين وغيرهم أخلصوا لهم النعال وقدموا بها على المغرب.

قتال عظيم بمراكش بين جيوش مولاي إسماعيل وابنه مَحمد

ووجه أمير المومنين مولاي إسماعيل جيوش الغرب مع ولده مولاي زيدان الأكبر، فنزل وادي أم الربيع، وزحف مولاي مَحمد بجيوش سوس إلى مراكش فنزلها، ووجه خلفته أخاه مولاي بناصر بن مولاي إسماعيل إلى حرب مولاي زيدان، فالتقى الجمعان وكانت بينهما حروب انهزم فيها مولاي بناصر وجيشه، ورجع إلى مراكش مهزوما، وقتل بينهما نحو ثمانية آلاف. ثم زحف مولاي زيدان إلى مراكش فالتقى الجيشان بمراكش وكانت بينهما (حروب) ففني فيها من مخلوقات الله ما لا يعلم عددها إلا الله تعالى. ثم تكاثرت على مولاي مَحمد جيوش الغرب مما لا طاقة له بهم، فانهزم عن مراكش ودخلها مولاي زيدان

واستباحها ونهبت عن آخرها، ووثبوا على النساء بالوطء واستباحوا الفروج، ولم يردّوا السيف إلا عن النساء والصبيان والبهائم، في خبر لم يسمع بالمغرب مثله، مثلما فعل الموحدون بوهران وغيرها، أو قواد الشيعي بالمغرب. ولما وصل الخبر إلى مولاي إسماعيل تغيَّر على الجيوش لفعلهم ذلك غاية الغيار، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

خروج محمد اعليلش من فاس بعد رفض الفقهاء مسألة الحراطين

وفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثانى من عام أربعة عشر ومائة وألف خرج السيد محمد اعليلش من فاس ولم بكتب له أحد من الفقهاء ما أراد على شأن الحراطين(305).

305) انفردت ك و س بذكر الحوادث السابقة لهذه السنة. وليس منها في *ط والحوليات* سوى أربع كلمات: «كانت وقعة مراكش العظيمة» وأضافت *الحوليات* خبر اعليلش التالي.

العام الخامس من العشرة الثانية من المائة الثانية

محمد بن عبد الرحمان الصيني التازي

فمنهم الشيخ محمد بن عبد الرحمان الصيني التازي. وصفه شيخنا سيدي محمد بن عبد السلام بناني في مشيخته بسر الزمان، وآية العرفان، العالم العلامة، الحبر الفهامة، المحدث الصوفي المفسر الفقيه الجليل، ثم قال: لقبته بمنزله من تازة وقرأت عليه أوائل الكتب الستة وصدراً من *الشمائل والشفا* و*مختصر ابن الحاجب* و*خليل*، وأجازني في جميع ما له من مروي ومسموع، ومفرق ومجموع، بحق روايته لجيمع ذلك عن شبخه مشايخ الإسلام أبي عثمان سعيد قدورة الجزائري، عن شيوخه المشارقة كالبابلي، وإبراهيم اللقاني، وعيسَى الثعالبي وغيرهم، وعن الشيخ سيدي محمد المقري من شيوخ الجزائر، وبفاس عن سيدي عبد القادر الفاسي، وسيدي حمدون المزوار، وسيدي محمد بن أحمد الفاسي وغيرهم، وكتب لي الإجازة بخطه.

وتوفي – رحمه الله – سنة خمس عشرة ومائة وألف (ودفن بتازة نفعنا الله به آمين) (306).

أحمد المدعو الحاج الشعير

ومنهم الولي الصالح سيدي أبو العباس أحمد المدعو الحاج الشعير، له مزارة ومعه مقبرة ملتصقة بزاوية العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بحومة القلقليين من فاس القرويين (من جهة قبلتها) (307) شهد له الشيوخ بالخصوصية ووصفوه بالرسوخ والتمكين. كانت تعتريه الأحوال قبل بلوغه، وعند بلوغه نزل به حال عظيم، وربما سجن وسلسل ثم سكن حاله وسافر للحج ورجع فكان يلازم سماع بعض الكتب التي تقرأ بكراسي القرويين، وفي بعض المقيدات أنه أخذ عن سيدي أحمد بن يوسف الشريف العلمي اليونسي، عن سيدي علي بن أحمد دفين *صرصر* (من مصمودة الغرب) (308). وُلد صاحب الترجمة سنة خمس وثلاثين وألف. وتوفي في ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائة وألف. وفي نظم سيدي أبي عبد الله المدرَّع قال:

و السيد الحاجُ الشعيرُ الأمجدُ   الزاهدُ الأورع و المجرَّدُ

والحاج بالتخفيف لضرورة الوزن، إذ لا يلتقي ساكنان في الشعر.

---

306) زيادة في ك و س.

307) ساقط من ط. وفيها: زاوية سيدي عبد القادر الفاسي.

308) ساقط من ط.

يوسف بن محمد بن أبي عسرية الفاسي

ومنهم الفقيه العالم المشارك (أبو الحجاج) يوسف بن سيدي محمد بن أبي عسرية بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي. تقدمت تراجم آبائه. كان صاحب الترجمة محبا في طلب العلم (ورحل إليه. قال في *الابتهاج*: وأما أبو الحجاج يوسف فقرأ ما قدر الله له وجدد في طلب العلم الرحلة بعد الرحلة) (309) مولده في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وألف (310) ورأيت له شرحا على أرجوزة السيوطي المسماة *بالتثبيت في ليلة المبيت* ضمنه فوائد غزيرة من علوم، وأكثر من الفوائد التاريخية فيه، ورأيت له تقاييد كثيرة تدل على اعتنائه. أدرك والده بنحو العشر سنين، وقرأ في رحلته لفاس على عمه سيدي عبد القادر الفاسي، والقاضي أبي عبد الله بن سودة، و أبي عبد الله ميارة الشارح، وأبي العباس الزموري الأصغر، وابن عمه سيدي محمد بن أحمد، وعبد السلام بن ناصر الجابري، وأبي العباس المزوار، وأحمد بن جلال. ثم استوطن تطاون وتزوج بها وأقام بها مدة، ثم استوطن القصر وكان إماما مدرسا بزاوية جده إلى أن توفي عام خمسة عشر ومائة وألف، وبها دفن (311).

محمد العربي بن محمد العافية

ومنهم الصالح الفقيه المتعبد أبو عبد الله محمد العربي بن محمد العافية، به عرف الأندلسي. كان مؤدبا للصبيان وانتفع به خلق كثير ولم تحفظ له صبوة قط. وكان من أصحاب العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسي، وصحب بعده سيدي عبد القادر الفاسي وكان يثني عليه. ولد سنة ثمان عشرة وألف، وتوفي سنة خمس عشرة ومائة وألف، فعمره سبعة - بموحدة - وتسعون - بتقديم مثناة - سنة.

محمد بن أحمد الزجني

ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الزجني. سمع من سيدي عبد القادر الفاسي وطبقته، وولي قضاء بلدته مصمودة الغرب، ثم ولي قضاء تطاون، وتوفي سنة خمس عشرة ومائة وألف (312).

---

309) ساقط من ط.

310) كذا في ط وهو االصحيح. وصُحف في المخطوطين فكتب: عام تمان وثمانين

311) عبارات النسخ في هده الترجمة مختلفة متقاربة، أثبتنا أوفاها بتلفيق دون أن نشير إلى التفاصيل.

312) ترجمة الزجني ساقطة من *ط*

محمد بن محمد بيوْ

ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بيوْ - بباء فباء تحتية فواو ساكن - سمع من سدي عبد الفادر الفاسي والطبقة. توفي عام الترجمة (313).

محمد المدعو الحاج الخياط الرقعي

ومنهم الشيخ الفقيه السالك الصوفي الولي الصالح أبو عبد الله محمد المدعو الحاج الخياط الرقعي، دفين الشرشور من عدوة فاس القرويين، مزاره قرب دار سادتنا الشرفاء أهل وزان. نسبة إلى الرقعة موضع كان به قرية عظيمة وخربت من بلاد لمطة على نحو نصف مرحلة من فاس، وبها ضريح الإمام الرقعي صاحب الفقهية المشهوره (314) ومنها قدم سلفه لفاس واستوطنوا حومة الشرشور من فاس القرويين. أخذ الطريقة وعلم الحقيقة عن الشيخ الإمام الصوفي مولاى عبد الله بن ابراهيم الشريف اليملحي الحسني العلمي دفين وزان من بلاد مصمودة الغرب، ثم بعد وفاته عن ولده الإمام سيدي محمد بن عبد الله. وفي أيامه اتخذ الزاوية الكائنة بالشرشور المدفون بها المجاورة لدار الشرفاء أولاد مولاي التهامي بن محمد المذكور. ولصاحب الترجمة أتباع كثيرون لا يحصون، ويحكون له كرامات وخوارق للعادة وتصريفات، وإخبار بمغيبات يصدق فيها، ويحدثون عنه بعجائب، وأكثر عامة فاس وغيرها مطبقون على تعظيمه ووصفه بالخصوصية العظيمة وتقديمه، والإذن له من شيخه مشهور، وصلاحه وولايته مستفيض مذكور (315).

حوادث السنة

تجديد قنطرة الرصيف

ومن حوادث العام تجديد قنطرة الرصيف التي بين العدوتين عند الداخل لحومة اكزى ابن برقوقة بأمر الرئيس القائد عبد الله الروسي.

رفض أحمد الجرندي القضاء بفاس

وعُزل القاضي محمد العربي بُردلة عن قضاء مدينة فاس، وولّى مكانه أحمد الجرندي. فلم يقبل، فاستعفَى (مولاي اسماعيل) فأعفاه، وقيل إنه جعل يفعل بنفسه فعل

313) ترجمة بيو ساقطة من *ط*.

314) في *ط*. صاحب نظم مقدمات ابن رشد

315) أثبتنا في ترجمة الرقعي نص المخطوطتين ك و س لأنه أوفى، وكذلك فعلنا في الحوادث بعدها.

مَن لا عقل له فراراً من تقلد حقوق المسلمين واختياراً للسلامة بنفسه، فتركه السلطان ورد بردلة للقضاء والخطبة والإمامة كما كان عليه.

حدوث غرائب من نبات وطيور

وفي هذه السنة قامت شجرة زيتون وهي قاعدة عظيمة كان قد قلعها الريح بجذورها منذ شهر ويليت، ثم تحركت واضطربت وقامت قائمة ورجعت لمنبتها الأصلي ولقحت من أسفلها. وبعد أيام فعلت شجرة خرنوب مثلها، وذلك كله ببني يازغة. وفيه أيضا وقع قتال عظيم بمراكش بين الغراب و بَرّارَج وهو أبو شقشاق، والله على كل شيء قدير (316).

316) انفردت الحوليات بهذه الحوادث الغريبة.

العام السادس من العشرة الثانية

مَحمد بن عبد القادر الفاسي

فمنهم الإمام الكبير، العالم العلامة الشهير، إ مام المحققين، ورئيس المحدثين، الفقيه المشارك المتفنن، الداركة المحقق المتفن، أبو عبد الله سيدي مَحمد بن سيدي عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن الفاسي. تقدمت تراجمهم، كان صاحب الترجمة ممن بهر العقول، في المعقول والمنقول، أحد أعلام علماء فاس وفقهائها، وبدرها الطالع في أفق سمائها، زاهدا ورعا متين الدين، قويا في ذات الله قدوة للمهتدين. أحرز قصب السبق في علوم كالنحو والبيان والمنطق والحديث والسير والتصوف والأصول والفقه ومهر في جميعها، وكان ممن إليه المرجع في الحوادث الوقتية، والنوازل الدينية والدنيوية، ومدار كل المهمات عليه، والمرجع في جميعها إليه.

أخذ – رضي الله عنه – عن جماعة من المشايخ، كوالده، وعمه محمد بن أحمد الفاسي، وأحمد بن محمد الزموري الأصغر وأبي العباس الابار (وأبي الحسن علي الزرهوني) ومحمد بن عبد الرحمان بن جلال مشافهة، وبالإجازة عن (عم والده) سيدي العربي الفاسي من أهل المغرب، ومن أهل المشرق بالإجازة أيضا عن نور الدين أبي الحسن الشبراملسي المصري، وإبراهيم بن محمد الميموني، وعبد السلام بن الشيخ ابراهيم اللقاني، ومحمد بن علاء الدين البابلي المصري، وخطيب المسجد الحرام زين العابدين الطبري الحسيني، وأبي عبد الله الخرسي شارح خليل، وإبراهيم بن عبد الرحمان الخياري المصري، وياسين بن محمد بن عرس الدين الشافعي المدني الأنصاري، وإبراهيم بن حسن الشهرزوري، وأبي مهدي عيسَى بن محمد الثعالبي الجعفري الجزائري ثم المكي، ومفتي غزة وقاضيها عمر بن عبد القادر المشرفي، ويوسف بن حجاز الجنيدي الخليلي، وعبد القادر الغمصري – بضم الغين المعجمة – الغزي، وعشور الفسطني، حسبما تضمنته فهرسته التي قيدها ولده سيدي الطيب، (وتقدمت تراجمهم إلا النزر).

وأخذ عن صاحب الترجمة وانتفع به خلائق، منهم جدنا عبد السلام، وشقيقه محمد العربي، وأبو عد الله المسناوي وجميع من كانت له الشهرة بالعلم بفاس فيما علمنا.

وألف صاحب الترجمة كتبا، منها *شرح شواهد أوضح ابن هشام*، وشرح *نظم نخبة ابن حجر* في اصطلاح الحديث لعم أبيه محمد العربي، وشرح *كتاب الحصن الحصين* لابن الجزري في الحديث، وهو مما يدل على طول باعه واتساع عارضته وقد اشتمل على مجلد كبير. *والمباحث الانشائية في الجملة الخبرية والانشائية*؛ وله رسالة *في الرد على إبراهيم*

الشهرزورى فى مسألة خلق الأفعال أجاد فـيها وبين الحق في المسألة فى الرد عليه وتقدم الإلمام ببعض ذلك في ترجمة الشهرزوري؛ *ونظم فى التوسل بالصحابة*؛ *وشرح على الطالع المشرق في المنطق* لعم أبيه محمد العربي ولم يكمل، وله *تقييد على نظم مختصر خليل* من أوله إلى الذكاة، وجمَعَ حاشية عم جده سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي على *مختصر خليل*. وكان عالي الهمة كثير الورع والصبر على مشاق الزمان ومصائب الوقت ولزوم العبادة والاتصاف بجميل الأوصاف، والتحري ما أمكن مما لا يعني والرضَى والتسليم، ولازم داره نحو سبع سنين فسلم بذلك من كثير الفتن، وظن الناس أنه مقعد، ثم فهم الناس حاله، ولم يخرج من داره حتَّى مات ولده سيدي محمد الطيب، فخرج إلى الزاوية وصلَّى عليه ومكث يخرج إلى الصلاة ويرجع إلى داره نحو ثلاث سنين.

ولد صاحب الترجمة في نصف ربيع الأول عام اثنين وأربعين وألف، وتوفي في ثامن وعشرين من رجب سنة ست عشرة ومائة وألف. ودفن عن يسار المحراب بزاوية عم جده سيدى عبد الرحمان بن محمد الفاسى الكائنة بالقلقليين من فاس القرويين.

الزاوية الفاسية بالقلقليين

وهذه الزاوية من أعظم مزارات فاس، وبها عدة مقابر للسادات الفاسيين رهط صاحب الترجمة وغيرهم من أصحابهم وخدامهم وغيرهم. ويحترم بها أهل الجنايات ومن طلب بالتكاليف المخزنية. وكان السلطان مولاي إسماعيل يجير من استجار بها، ولايقدر أحد من عماله أن يتجاسر على أحد ممن لجأ إليها ولو جنى ما جنَى. ولما اختطها سيدى عبد الرحمان ابن محمد الفاسى كانت أصغر مما هي عليه اليوم نحو ربعها اليوم، ثم هدمها السلطان مولاي اسماعيل بعد حصار أهل فاس وزاد فيها طولا مما عليه من إتقان البناء وقوة المياه عين وواد، والمنافع والمرافق والأوقاف، ووقع فيها بث العلم ونشره وتدريسه وانتفع فيها جم غفير. وبها منار يؤذنون به المؤذنون لسائر الأوقات الخمس التي تصلى بها، ويتكرر ذلك منهم آخر الليل. وفيها الأوقاف على قراءة أحزاب القرآن وإقامة أحزاب الأوراد كما أقامهم بها سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسى. ولهم حق على جميع من يتعاطَى العلم بفاس وكثير من غيرها من المدن المغرب ومداشره وقراه لأنك تجد أكثرهم سمع من بعضهم أو بوسائط بينهم، فحقهم لا يجهل، وقدرهم لايغفل. نفع الله بهم آمين.

(ولما مات راسل الشيخ اليوسي أولاده يعزيهم بكتاب وانشد لهم فيه:

مــصــاب لو انَّ الأرض مس أديمــهــا لمــا أنبــعت نهــراً ولا أنبــتت زهرا
ولو أن آفــاق الســمــاء أصــابهــا لمـا أطْلعَتْ شــمــســاً ولا أنزلت قطرا

وبحق ذلك لأن موت العالم ثلمة لا تجبر إذ فيه رفع العلم الذي به حياة الدين) (317).

(ورثى صاحب الترجمه ولده أبو العباس أحمد بهذه الأبيات:

يقــولون مــات الحَبْـرُ وهو كـواحـدٍ لعــمــرُك ذا قــول لمن كــان أخـرقــا
وهيــهــات مــا حـبـرُ بموت كـواحـد ولكنه جــمــعٌ لقـــوم نفـــرّقــا
ومــا كــان إلا ملجــأً لذوى النُّهَى وحــصــناً لدين الله لم يكن يُرتقَى
مطــيــعــاً لأمــر الله كــان، ومن يكن مطيـعــاً لأمـر الله يُخـشَى ويُتـقَى
إمــامــاً همــامــاً زاهدا مــتــواضــعــاً جــواداً حلي الحِلم والعلم والتُّـقَـا
بحقّ لعـــينى أن تُسحّ لفـــقــــده دمـوعـاً تعمُّ الأرض غـرباً ومـشـرقـا
ولَم لا وقَــد عمَّ البــلادَ مــصــابُهُ وأصـبـح طرف الدين للكرب مُطرِفـا
وقــد شــمـل الاسـلامَ بومَ فــراقــه أسىً فـيَّـد الأشـجـانَ والدمعَ أطلقـا
بقـــول لســـان العلم أين نظيـــرُه لحملي ومن يُلفَى لفـهـمي محـقـقـا
فــقل للذى لم يَقْـدِر الحـبـرَ قـدرَه وربِّيَ مـا أبصَرْتُ مثلك أحمَقا (318)

وفي الحديث (إن الله لايقبضُ العلمَ انتزاعاً وإنما يقبضُه بموت العلماء) الحديث.

محمد بن أحمد القسمطيني

ومنهم العالم العلامة، النحرير الحافظ الفهامة، فارس المعقول والمنقول، الآتي في دروسه بما يبهر العقول ، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد القسمطيني الشريف الحسني. (رأيت بخطه في غير موضع إذا كتب يقول: محمد بن أحمد القسمطيني الحسني، وكان مدعوا في بلاده بالكماد. قدم على فاس وتصدر للتدريس بها فأفاد وأجاد، وأخذ عنه الجم

317) ما بين معقوفتين زيادة في ط. وهو مشكل لأن الحسن اليوسي مات قبل محمد بن عبد القادر الفاسي بنحو ثلاث عشرة سنة. وقد يكون في الكلام سقط، والأصل مثلا: « ولما مات والد المترجم راسل الشيخ اليوسي أولاده.. » والتاريخ يعضده، إذ كان اليوسي ممن أجازه الشيخ عبد القادر الفاسي.

318) هذه المرثية ساقطة من ط وكذلك عدد من الفقرات السابقة لم نر فائدة في تتبع الإشارات إليها، واتبعنا الأوفَى من النسخ التي بأيدينا.

الغفير من كل بلاد. كان - رضي الله عنه - آية فى الحفظ والتحصيل، وجودة التفرير وحسن التفصيل، وكان حافظا مطلعا، وبنفائس العلوم متضلعا. له الملكة في علم الكلام والمنطق والمطالعة والحفظ التام في علم الحدبث والفقه مرجوعا إليه في مهماتها مقصودا في حل مشكلاتها، كبير الباع تام الاطلاع، وتعرف للرؤساء فعظم صيته عندهم، فأذعن له الكافة من علماء فاس.

قال في أثناء بعض إجازاته لبعض تلامذته: وقد أخذت *صحيح البخارى* رواية عن الشيخين الإمامين سيدى محمد المقرى وأبى عبد الله سيدي محمد بن الإمام الشهير الذكر الطيب النشر سيدي سعيد قدورة، ودراية لبعضه عن الثاني، وإجازة عن العلامة الشريف سيدي محمد بن محمد بن عبد المومن فاضي الجزائر، عن شيخه شيخ مصر على الإطلاق أبي الحسن علي الشبراملسي، عن شيخ المحدثين فى زمانه إبراهيم اللقاني عن سالم السنهوري بقراءته لجميعه عن العلامة رُحلة المحدثين نجم الدين الغيطي، عن شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري. انتهَى المراد منه، وله أجوبة حسنة في نوازل كثيرة دالة على مهارته واتساع ملكته. ولملازمته للتدريس بفاس لم يتفق له التصنيف، وإلا فهو أحق به ومدحه الأديب ابن زاكور) (319).

محمد بن العربي العراقي

ومنهم الشريف المولّه المجذوب، المقرب المحبوب، أبو عبد الله مولاي محمد بن العربي العراقي الحسيني المعروف على ألسنة عامة فاس بمولاي الحاج العراقي، المشهور بالولاية عند عامة فاس وخاصتها. صحيح الإشارة حسن العبارة، ساقط التكليف، دائم الجذب يخبر بمغيبات، بغتنم منه أهل الفطنة ذلك ويستفيده ويتبركون به. وكان قبل أن ينزل ما نزل به من أهل الثروة والمال، فسافر للحج فنزل به ما نزل أثناء سفره، فنزع ثيابه وعمامته ولبس المرقعات وأخذ يسأل الناس فيقول في سؤاله: متاع الله، ويطوف على الحجاج يسألهم، ويذهب في الطريق راجلا، فأرجفت الناس من ذلك ثم علموا أنه وارد إلهي فأقبلوا على التبرك به والإعطاء له. ولما قدم لفاس جعل يطوف فى الأسواق كذلك، فاشتهر بالولاية والخصوصية وظهرت له كرامات.

توفي ثالت شعبان عام ستة عشر ومائة وألف، ودفن فى روضة سيدي أبي جيدة خارج باب المسافرين، (وبقى محل دفنه من الروضة المذكورة مقبرة لأقاربه إلى الآن، ولم يترك ذكرا. ووصفه الأديب الصوفي أبو عبد الله المدرع فى *منظومته* فى صالحي فاس بقوله:

319) اتبتنا هنا أيضا الأوفى، وهو ما فى المخطوطات مضافا إليه ما انفردت به ط.

بقريه قبرُ الحُسَيْنِّي السني　　سيدنا محمد العراقي
الغائب المُولّهِ المُمَكَّنِ　　له كمالُ مددِ السُّبَّاق (320)

أحمد بن محمد أدرّاق

ومنهم الطبيب الماهر أبو العباس أحمد بن الطبيب أبي عبد الله محمد أدَرّاق، تقدمت ترجمة والده. كان صاحب الترجمة ماهرا في الطب عارفا بأنواع العلاجات، من وجوه أهل زمانه، ومن أعيان أقرانه. توفي سنة ست عشرة ومائة وألف (321)

حوادث السنة

تداول قضاء فاس بين العربي بردلة والكبير ابن سودة

ومن حوادث العام عزل عن القضاء سيدي العربي بُردلّة بأمر من السلطان مولاي اسماعيل، وولي مكانه سيدي الكبير بن سودة في ثامن وعشرين من المحرم، ثم شفع للسلطان فيه الرئيس عبد الله الروسي فعزل سيدى الكبير بن سودة في حادي وعشرين من ربيع الأول وأعيد للقضاء سيدي العربى بردلة.

وقوع نار بتامسنا

وقعت نار بتامسنا فأحرقت خلائق نحو ألفين فيماذكر.

معاقبة القبائل المجاورة لسوس بضرائب

وجعل على القبائل المجاورين لسوس الأقصَى المضروب بكل قبيلة منهم لسكونهم على قيام مولاي مَحمد بن مولانا اسماعيل(322).

--- *** --- *** --- **تذكرة المحسنين** --- *** --- *** ---

مَحمد بن عبد القادر الفاسي

الشيخ الإمام، العلامة الهمام، أوحد زمانه دبانه ودراية، وعين أعيان أوانه علماً وعملا واطلاعاً ورواية، المحدّث الثقة المتقن الحافظ الضابط الحجة المشارك المتفنّن العارف بالله سيدي مَحمد بن شيخ الإسلام سيدي عبد القادر الفاسي بداره المعروفة له بوادي الشرفا من حرم زاوية والده المذكور من عدوة فاس القرويين عند زوال يوم الخميس تامن وعشرين رجب من السنة والرابع عشر من العثمانيين الخ ما في السنة السادسة قبله.

320) ليس فى ترجمة العراقى سوَى أربعة أسطر فى *ط*، وأثبتنا مَا فى المخطوطات،
321) لم ترد ترجمة أحمد أدراق فى *ط*.
322) انفردت *الحوليات* بحادث معاقبة القبائل المجاورة لسوس.

العام السابع من العشرة الثانية

أحمد بن المسناوي الدلائي

فمنهم الفقيه الأستاذ المجود أبو العباس أحمد بن المسناوي بن مَحمد بن أبى بكر الدلائي. تقدمت تراجمهم. كان صاحب الترجمة سيدا فاضلا وجيها حافظا للقراءات السبع منها. قرأ ببلاهم الدلاء، ولقى بها جماعة من العلماء، ثم استوطن فاسا وكان يقرئ بها. وستأتي إن شاء الله ترجمة والده شيخ الجماعة.

توفى سنة سبع عشرة ومائة وألف، ودفن بجنان أصحاب سيدنا أحمد بن عبد الله الذي اتخذه مقبرة لدفن موتاهم الذي به قبة سيدي أحمد اليمني خارج باب الفتوح ، بينه وبين قبر والدي قبر أخي.

أبو عسرية بن أحمد الفاسي

ومنهم الفقيه اللبيب الأديب سيدي أبو عسرية بن الشيخ الصالح سيدي أحمد بن العلامة الحافظ سيدي أحمد بن سيدي يوسف الفاسى. تقدمت تراجمهم. كان صاحب الترجمة أديبا له أزجال وموشحات وانظام. توفي فى العام السابع عشر ومائة وألف، ودفن بزاويتهم بالقصر.

محمد امْسَى الْخيْرِ

ومنهم الولي المجذوب المولّه البهلول المتبرك به أبو عبد الله سيدى محمد الملقب امْسَى الخير لكثرة جريانها على لسانه، المدفون بالمقبرة المقابلة لمدرسة أمير المومنين مولانا الرشيد الكائنة بالشراطين من فاس القرويين. وفهموا من إشارته بها أن أهل الخير ذهبوا وان الخير ذهب معهم، ولا بقى منهم إلا أهل المساء، كما إذا ذهب أهل النهار ولم يبق منهم إلا أهل المساء فإذا ذهب الضوء فلا يأتي بعده إلا الظلمة. ومن المحكى عنه أن (ولد السلطان الخليفة بفاس الجديد مولانا حفيد بن مولانا اسماعيل) (323) لقيه بالمرس بين المدينتين، فخبله فرسه فاجفل به الفرس منه، فأمر الوتادين بالقبض عليه فقبضوه وقال له: بأي شيء تعرف الله؟ فأجابه سيدي محمد صاحب الترجمة: أعرفه بأنه هو الذي يأمر بقتلك ولا يعطي فيك دية، فبعد ذلك اليوم قتل مولاي حفيد بفاس الجديد غدرا، لأنه أراد القيام على والده، فعلم به فوجه إليه من غدره بكابوس ولم يطلع عليه أحد ومات (324).

---

323) هذه عبارة ك و س. وهي ساقطة من ط، وفيها بدلا مها: أن بعض أهل الجاه والعلو لقيه.

324) ترجمة امسى الخير في ط مختزلة فى نحو خمسة سطور، والوفاء من المخطوطتين

حوادث السنة

سيل عظيم يجرف أربعة دواوير

ومن حوادث العام نزل سيل عظم حملت به الأنهار وذهب (بموضع يقال به تفرسس) بأربع دواوير، بما اشتملت عليه من آدمي ودواب وماشية.

قتال بمكة ذهب بستمائة نفر

ووقع قتال بمكة شرفها الله، فقُتل أزيد من ستمائة وهم معلقون بأستار الكعبة. نعوذ بالله من سماع مثل هذا.

قدوم أحمد بن ناصر لملاقاة مولاي اسماعيل بمكناسة

وفي أوائل ذي القعدة من عام سبعة عشر ومائة وألف قدم الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن الشيخ الإمام أبي عبد الله سيدي مَحمد بن ناصر الدرعي على مكناسة الزيتون أمنها الله لملاقاة السلطان مولانا اسماعيل رحم الله الجميع بمنه فتلاقى معه ورجع(325).

325) انفردت الحوليات بخبر قدوم الشيخ أحمد بن ناصر.

العام الثامن من العشرة الثالثة

عبد الرحمان بن محمد السلاسي

فمنهم الإمام النحوى أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان (بن عمران) السلاسي، الأصل، الفاسى المولد. ولس هو من أولاد قاضي فاس المتقدم، إنما هو من أبناء عمه. وكان صاحب الترجمة يحسن النحو مداوما على تدريس *ألفية ابن مالك*، وبحفظ *توضيح ابن هشام* يقوم على جمع ذلك بحواشيه وشروحه، وأخذ عنه جماعة، وله مشاركة فى علم البيان وغبره. ومحل تدريسه مدرسة الصهريج من عدوة فاس الأندلس وغيرها. قرأ على أبى العباس ابن الحاج، وعلى جدنا عبد السلام بن الطيب الفادري، وعلى أبى عبد الله القسمطبني، وعلى أبى عبد الله محمد بن عبد الفادر الفاسى، وأبى عبد الله محمد العربى ابن أحمد الفشتالى وغيرهم.

وله شرح على *أبيات البطلوسي* فى تصريف الفعل المحذوف الفاء واللام فى صيغة الأمر وهي عجبة جدا ومفيدة ونصها:

إذا أقــولُ لِمَنْ تُرْجَى وقــايتُــه ... قِ المستجـرَ قِبَاهُ قُوهُ قِي قِبنَا
وإن صــرفتَ لوالٍ شــغلَ آخـرَ قل ... لِ شــغلَ هذا لِبَــاه لُوهُ لِي لِنَا
وإن وشَى نوبَ غـبرٍ قُلْتَ في ضجـر ... شِ الثوبَ وَبْكَ شِبَاهُ شوه شِي شِبنَا
وقل لقــاتل إنســانٍ على خطإ ... دِ مَنْ قَــتلتَ دِبَاهُ دُوهُ دِي دِينَا
وإن هُمُ لم يروا رأيى أقُــولُ لهم ... رَ الـرَّأيَ وَبْـكَ رَيَـاهَ رَوْهُ ري رِنـا
وإن هُمُ لم يعُـو فـولى أقـول لهم ... عِ القـولَ مِنِّى عِيَاهُ عُوه عِي عِينَا
وإن أرمت بوأى للمـحبِّ فـفل ... إِ مَنْ تُحِبّ إِيَاهُ أُوهُ إِي إِينا
وإن أردتَ الوَنَى وهْوَ الفـتورُ فـقل ... نِ باخليلى نِبـاهُ نُوهُ نِي نِينَا
ومَن أبَى أنْ يَفِي بالوعـدِ قلتَ له ... فِ باحبيبى فِبَاهُ فُوهُ فِي فِينَا
وقلْ لسـاكن قلبٍ إن جـراك به ... جِ القلب منِّي جِبَاهُ جُوهُ جي جِينَا

وقد استدرك على هذا النظم كثبرا، وله نظائر كتيره.

توفى صاحب الترجمة بفاس عام تمانية عشر ومائة وألف، ودفن داخل باب المسافربن، فى روضة سيدي عمران.

عبد الملك بن محمد التَّاجَمُّوعْتِي

ومنهم الفقيه العالم العلامة قاضى سجلماسة أبو مروان عبد الملك بن محمد التاجموعتي. كان إماما محدثا خطيبا ولى قضاء سجلماسة، وكان إلـه المرجع فى نوازلها وله التقديم على علمائها، وله وجاهة مع السلطان (فى أبهة وتوقير بناسب منصب العلم، يصدع له بالحق فى مواطن التلطيف، نصحا له من غير تكلبف، سامى الهمة منبن القول حاد اللسان ذرب في الأمور المخزنية، عالم بالمخاطبات السلطانية. وكانت له مشاحنة مع النسخ اليوسي تقدمت الإشارة إلى ذلك. ووقع النزاع بينه وبين بعض علماء فاس فى مسائل حتَّى قال في بعض رسائله بخاطب بعض خواصه: أما بعد فقد اتصل بنا مكتوبكم الأنور بلتمس الإفادة بحقيقة العلم النبوي، وقد أجبنا به بحضرة النخبة العليا، وبهجة هذه الدنيا، الزكى النحرير، النافد البصير، مولانا مَحمد ابن مولانا السلطان أدام الله تأسده وتسدىده من أنه صلى الله علي وسلم لم يفارق الدنيا حتَّى علم كل شيء، استغربه أو استنكره طلبة فاس، وبالغوا فى التشنيع بىن عوامّ الناس. فإنا لله و إنا إليه راجعون على ضياع العلم وفقد أهله، هيهات ما هذا بعشك فادرجي، وإنى ممن أنكر الخوض فى مثل هذه المسائل، وغالبا ما يتعاطاه وشيوخه من قبل فى الدروس: ندب لقاضي الحاجة جلوس. وبرحم الله ابن خلدون حيث قال: لم نرفي المائة من سلك طريق النظار بفاس لأجل انقطاع ملكة التعليم عنهم، ولم يكن منهم من له عناية بالرحلة، بل قصرت هممهم واقتصرت على طريق نحصىل الفراءة ودرس *التهذيب* فقط. نعم أخذوا شيئا من مبادئ العربية من أهل الأندلس مثل ابن أبى الربيع والشلوبين وغيرهما لوجود ملكة النحو فى قطر الأندلس بسبب رحلة علمائهم إلى تلقيه من أربابه بالمشرق، كما ارتحل أعلامهم إلى بغداد فى تحصيل الفقه عن الأبهرى، وكذا يحيَى ابن يحيَى عن مالك وغير واحد. وكذا علوم الحديث كرحلة الإمام أبى بكر بن العربي. انتهَى الغرض منه، وسقناه حجة على كبير ممن يغلط منهم ويرى الفضل لنفسه بمجرد سكنَى فاس، كالحاكم فى قضية العلم النبوي بكفر القائل بعلم النبى صلى الله عليه وسلم كل شيء على ما أخبرنا به الفرع الزكي مولانا مَحمد بن السلطان أدامه الله، لما سألنا عن ذلك فأجبناه بأن القول بعلم النبى صلى الله عليه وسلم على كل شيء صحيح، والتكفير بعيد وجهل من القائل به. انتهَى كلام صاحب الترجمة بنصه. ثم استدل على ما قاله بحديث الطبرانى عن ابن عمر مرفوعاً: أوتيتُ مفاتيح كل شيء إلا الخمس. وقول حسان - رضى الله عنه -:

نبيٌّ يَرىَ ما لايرَى الناسُ حولَهُ ... ويَتْلُو كتابَ الله فى كُلِّ مَشْهَدِ

فإِنْ قال فى يوم مقالةَ غائبٍ ... فتصديقُهُ في ضَحْوَةِ اليوم أَوْ غَدِ

وأطال النقل في ذلك وذكر أنه صلى الله علىه وسلم علم حتَّى الخمس على ما عليه المحققون، ثم قال ما نصه: وفي *الصحيح وسنن أبي داوود* عن أبي وائل عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. قد علمه أصحابي هؤلاء، وانه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه انتهَى واللفظ لأبي داوود. ومثله في جامع *أبي عيسَى* عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال صلَّى بنا رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاةَ العصر ثم قام خطيباً فلم يَدَعْ شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلاَّ أَخْبَرَنَا به حَفِظه من حفظه ونسِيَهُ مَنْ نَسِيه.

وفي حديث أبي ذر - رضي الله عنه - فيما أخرجه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تحرك طائر بجناحيه في السماء إلا أذكَرَنَا منه علماً، وفي الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً إن الله قد رفَع الدُّنيا فأنا انظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظرُ إلى كفِّي هذه انتهَى بلفظه. وكونه صلى الله عليه وسلم لم يُفارق الدنيا حتَّى علم كل شيء حتى الروح قال به جماعة من المحققين منهم إبراهيم اللقاني وعليّ الأجهوري، وقال الشيخ البوصيري في *الهمزية*:

لك ذَاتُ العلوم مِن عَـالمِ الْغَـيْـ ـبِ ومِنْهَـا لآدَمَ الأسْـمَـاءُ

وقال في *البردة*:

دَعْ مَا ادَّعَتْـهُ النَّصَارَى في نبيِّـهِمُ وَاحْكُم بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ واحْتَكِمِ

قلت: هذا حاصل ما استدل به صاحب الترجمة ولا خلاف بينه بين من حاجَّه من أهل فاس أنه صلى الله عليه وسلم يعلم كثيرا من المغيبات مما يتعلق بالدنيا والآخرة، ويعلم جميع ما دلَّت على علمه هذه الأحاديث وأكثر من ذلك لأنها لا تدل على الإحاطة بالمعلومات، وفي *الموطأ والصحيحين* عن عائشة (326): أنه صلى الله عليه وسلم خطب بعد صلاة الكسوف ثم قال: ما مِنْ شَيْءٍ كنتُ لم أرَهُ إلاَّ وَقَدْ رَأَيْتُهُ في مقامي هذا حتَّى الجنة والنار ولكن في كل الروايات التي عند مسلم غير هذه بزيادة كل شيء وُعدتم، وفي رواية وعدت بالإفراد. قال الأبي و غيره أي الجنة والنار، ويحتمل أن علمه بالرؤية مقصور عليه

326) في ط: عن أسما.

فتكون هذه الرؤية مخصوصة لا برؤية الإطلاق كما هو معلوم من حمل الإطلاق على المقيد. وفي رواية أخرى عن جابر عرض عليَّ كل شيء تلومته فيحتمل أن يكون المعنَى في رواية عائشة على هذه الزيادة ويكون ما عداها مفسرة لها، فلا يتم الاستدلال بها حينئذ لتطرق الاحتمال، فوقع الاختلاف. وإنما اختلافهم في الإحاطة بكل المعلومات بحيث يستوي العلم القديم والحادث فيكون متعلقهما واحدا مع التباين في الحقيقة، إذ حقيقه القديم (لا) مماثلة بينها وبين حقيقة العلم الحادث، فبعضهم امتنع من هذا الإطلاق ورأى الإحجام عنه واجبًا لأنه لاقاطع فيه ولا ناقص في كونه يخرج عن علمه بعض المعلومات صلى الله عليه وسلم، وبعضهم أقدم عليه لأنه فعلي لا ذاتي، بل ممَّا منَّ الله به على هذا النبي الكريم ورفع قدره به فضلاً منه تعالى ومنة وكرامة. وهو مفهوم من تفضيله صلى الله عليه وسلم على جميع المرسلين، بل وجيمع المخلوقين، للنصوص القاطعة في ذلك والإجماع عليه من أهل الحق، وكونه صى الله عليه وسلم علَّمه الله تعالى كل شيء وأطلعه عليه لا محال فيه، إذ يفعل في ملكه ما يشاء، ويفضل من يشاء بما شاء.

ولا تَقل لِي بِمَاذَا نِلْتَ جَيِّدَهَا ... فَمَا يُقَالُ لِفَضْلِ اللّه ذَا بِكَم
دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمُ ... وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرفٍ ... وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَم
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللّهِ لَيْسَ لَهُ ... حَدٌّ فَيُعْرِب عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

والذي يظهر لي الإمساكُ عن الخوض في هذه المسألة بالنسبة فيما ظهر اختلافهم فيه، وهو الإحاطة بكل المعلومات، لأنه لاقاطع فيها، مع اعتقادنا أنه صلى الله عليه وسلم أفضلُ من كل مخلوق على الإطلاق.

نبيُّنا أفضلُ بالإطباق ... مِن كُلِّ مخلوقٍ على الإطلاق

وأنه في أعلى درجات الكمال التي لا درجة فوقها. ولصاحب الترجمة شرح على قصيدة الشيخ أبي عبد الله بن ناصر الرائية في الديانات، وهي مختصرة جدا. وكان ينظم الشعر، فله قصائد، وله في مدح الولي الصالح الشهير سيدنا أبي يعزى - رضي الله عنه ونفعنا ببركاته -آمين.

عباد الله في الدنيا اللئالي ... أبو الأنوار لؤلؤها الثمينُ
أَنِخْ بِجَنَابِهِ وَاحْكُمْ عَلَيْهِ ... بِمَا أَمَّلْتَهُ وَأَنَا الضَّمِينُ

أخذ صاحب الترجمة عن شيوخ المغرب ثم رحل إلى الحجاز بقصد الحج فلقي الشيخ إبراهيم الشهرزوري وطلب منه الإجازة فأجازه جبمع مقروآته ومروياته بما اشتملت عليه فهرسته، وقرن معه في الإجازة القاضي أبا عبد الله محمد بن الحسن المجاصي.

توفي صاحب الترجمة عام ثمانية عشر ومائة وألف بتافلالت. فلما بلغ خبر موته السلطان أرسل من باتبه بماله، فجيء له بماله وولده مقبدا من سجلماسة إلى مكناس (327)

محمد بن مولاي اسماعيل

ومنهم الفقيه الشريف، العالم المنيف، الماجد الأسعد، الفارس الأنجد، أبو عبد الله مولاي مَحمد ابن السلطان الجليل أبو النصر مولاي إسماعيل السجلماسي الحسني. كان ماهرا في علوم كالنحو والبيان والمنطق والكلام والأصول، وله مشاركة في علوم أخرى. وكان حريصًا على مجالسة العلماء لأخذ العلم منهم، ويبالغ في تعظيمهم وإكرامهم. فاجتمع به منهم جماعة لحرصه على العلم رجاء نفع الخلائق و أن يسير سيرة المهتدين من الولاة، فلم يكن إلا ما قدر الله تعالى. فقد كانت على يده فتنة في الخلائق عظيمة، فثار على والده (328) ودعا الناس إلى بيعته . ففي يوم عيد الفطر من عام أربعة عشر ومائة وألف ورد خبر لفاس بنزول مولاي مَحمد من مراكش بمن كان معه حارك من قبائل المغرب وجيش الدولة الذين وجههم والده معه حيث وجهه إلى سوس وجمع قبائل سوس يريد بهم الإستيلاء على المغرب. ثم وجه مولاي إسماعيل ولده مولاي زيدان مع قبائل الغرب وجيوشه، فوجه إليه السلطان مولاي مَحمد لملاقاة أخيه مولاي زيدان أخاه مولاي بناصر ، وكان ممن بعثه معه والده حيث وجهه إلى سوس، فالتقى الجمعان قرب وادي المربع(329) فكانت الهزيمة على مولاي بناصر. ثم زحف مولاي زيدان بمجموعه إليه فنزل مراكش، فكانت بينهما حروب عظيمة كان الظفر في آخرها لمولاي زيدان. ومن جملة ماوقع بأهل فاس الذين كانوآ مع مولاي مَحمد وعددهم أربعمائة رامٍ أنه لما كانت الهزيمة على مولاي مَحمد لم يرضوا بذلك فثبتوا وجعلوا ظهور بعضهم لبعض [فأمر مولاي زيدان الجيوش أن تحيط بهم](330) فقاتلوا حتى نفذ لهم البندق أي الرصاص الذي يجعل في المدافع فجعلوا يجعلون مكانه دنانير الذهب ويرمون به إلى الليل ونفذ القتل جميعهم ولم ينج منهم إلا من كان به رمق فجرح ففر إلى إخوانه الرماة الذين مع مولاي زيدان ليلا فأخفوه ونسبوه من جرحاهم. ثم تخلى

327) تقع ترجمة التجموعتي في *ط* مختصره في صفحتين ونصف، وأثبتنا كل الزيادات التي في المخطوطات دون الإشارة إلى تمييزها.

328) ضرب عن ذكرها صفحًا في *ط* واكتفى بالقول: وقضيته صاحب الترجمة مع أبيه معلومة رحم الله الجميع بمنه وكرمه

329) لعله « أم الربيع » كتب حسب النطق الدارج.

330) ساقط من ك.

مولاي محمد عن مراكش ولحق بتارودانت واستقر بها، ودخل مولاي زيدان مراكش بجيوشه فنهبوا أموالها وسبوا ونبوا على الأبكار والنساء بالوطء، ووقع الفساد والقتل للرجال والنساء والصبيان. ثم ارتحل مولاي زيدان من مراكش في طلب أخيه مولاي مَحمد فكانت بينهما حروب كان الظفر في آخرها لمولاي زيدان، فتحصن مولاي مَحمد بتارودانت وحاصره بها أخوه مولاي زيدان إلى أن دخل عام ثمانية عشر ومائة وألف فدخلها عليه مولاي زيدان عنوة قهرا، وقتل رجالها ونساءها وصبيانها وسبى أهلها ونهب أموالهم، وقبض أخاه مولاي مَحمد وقيده في الحديد ووجه به إلى والدهما السلطان مولاي إسماعيل، فجيء بصاحب الترجمة مصفدا في الحديد إلى مكناسة الزيتون، فخرج والدهما السلطان مولاي إسماعيل للقائه وظن أنه قريب من مكناسة، فلم يلقه حتى قطع وادي بهت وخرج معه العلماء وجميع وزرائه وأتباعه وحشمه، فلم يحتفل بطعام لظنه الرجوع عن قريب حتى أدركه الجوع وجميع من معه، فكان ذلك مما زاد في غضبه، وكان خديمه القائد عبد الله الروسي تركه مولاي إسماعيل بمكناسة على مصالحه، فبعث الواردين إلى مكناس الذين جاءوا رفقة مولاي مَحمد أين تركوه بالأمس، فعلم أن مولاي إسماعيل لم يدركه قريبا مع علمه أنه خرج بغير زاد ظنا منه أنه يلقاه قريبا فأمر أصحابه أن يشتروا له جميع ما بمكناسة من طعام، فاشتروه له بعجل ويدين حتى يرجع، واكترى جميع دواب الحمارة وحمله عليهم وأسرع السير في اتباعه، فلما اشتد بأصحاب السلطان الجوع رأوا الروسي مسرعا في أثره، فسأل عنه فأخبر بأنه الروسي، فقال لهم السلطان : ولعله سأل عن خبر مولاى مَحمد فأخبره بأنه بعبد وأعلمه بنا أنّنا خرجنا بغير زاد، فترك ما تركته على خدمته ورأى هذا آكد، فهو قد أتاكم بالطعام، فسألوه فأخبرهم بما أخبره به السلطان، ثم دفع للسلطان طعاما كثيراً ففرقه على الناس فسكن روعهم، ورجع الروسى إلى خدمته بمكناسة التى تركه عليها، ثم لقي الذين أتوا بولده مولاى محمد ودفعوه إليه فجعل مولاي إسماعيل يسأل الفقهاء عن حكم الله فيه، فأجابه من كان يبغض مولاي محمد من المتطلبة المتعصبين بقطع يده ورجله من خلاف، وتلا عليه قوله تعالى :«إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » الآية، ففعل به ذلك، فبقي مولاي محمد أياما ثم مات رحمة الله عليه، وصلّى عليه القاضي سيدى العربي بردلة، ودفن بمكناس قرب سيدي مكرز (331) ثم سكن روع السلطان وندم على مافعل بولده من قطع، فكان ندمه على مافعل رحمة للطلبة الذين كانوا يخالطون ولده مولاي محمد فلم ينكب واحدا منهم ولم يعاتبهم على معرفته. وكان وشي إليه بالشيخ أبى عبد الله المسناوي بأنه من أخص خاصته الذين لا يتحرك في القيام على والده إلا عن مشورته، وبادر العامل إلى قبضه، فلما بلغه أن مولاي إسماعيل ندم على مافعل بولده سرحه، فكان ذلك من لطف اللّه به. وكان لما وصل الخبر

331) في هامش س طرة: الصواب أن يقول قرب سيدي عمر الحصيني.

للغرب بابتداء قيام مولاي مَحمد كتب له الشيخ المسناوي بهذه الأبيات الثلاثة فلم بجبه عنها :

مـــهـــلاً فـــإنّ لكل شيء غـــايةً والدهرُ يعكسُ حـيلةَ المحـتــال
والبــــدرُ ليسَ يلوحُ ســــاطعُ نوره والشـــمسُ باهرةُ السُّنا في الحــال
فَــإذا توارت بالحِـجـاب فـإنَّمــا يَبْــدُو وامــدد لعـــزر وأحـمـــال

فلما وجد السلطان هذه الأبيات مقيدة في كناش صاحب الترجمة ونسبها للشيخ المسناوى علم أنه نهاه عما يريد قبل منه عدم موافقته وخلّى سبيله .

وهذه الفتنة ابتلى الله بها أهل الأفق السوسي فكانت من أعظم المصائب عليهم بل وعلى جميع أهل المغرب، ولله در الشيخ زروق فإنه كان لا يصلي خلف إمام القرويين سيدي عبد العزيز الورياغلي مع زهده وورعه وعلمه ومع ما عُلم من ثناء الشيخ زروق عليه لقيام أهل فاس على السلطان عبد الحق المريني بمشاورته في قتل اليهودي الذى ولاه عليهم، وكان يقول في شأنه أنا لا أصلي خلف سيدي عبد العزيز فإنه غندور كالملاعب له، ويزيد : الصلاة لا تجوز خلف الغندور. فيجمع بذلك بين تعظيمه والتبري منه. وهذا شأن أهل الورع والنُّهى، وتقدمت القضية بتمامها.

وكان صاحب الترجمة ينتحل الشعر وتهزه أريحية الأدب، قصده الناس بالقصائد والرسائل كثيرا، وكتب له أخوه مولانا الشريف، صدر مراسلة ما خاطب به سيف الدولة ابن حمدان أخاه ناصر الدولة وهو هذا :

رضــبتُ لك العَلْيَــا وإنْ كُنْتَ أَهْلَهــا وقلتُ لهُمْ بَيْنى وبيـنَ أُخِي فَـــرْقُ
أمَــا كُنْتَ تَرْضَى أن أكُــونَ مُــصَلّـيًـا إذَا كُنتُ أرضى أن يَكُونَ لَكَ السَّــبْقُ

والمصلى هو الثاني من الخيل فى الحلبة، والمجلي هو الأول، فطلب المكتوب إليه أبا عبد الله المسناوي أن ينوب عنه في الجواب لأنه كان من الوافدين عليه حينئذ فأجاب :

بلى قــد رضــيتُ أن تَكُونَ مُــجَلِّيــاً ويَتْلُوا نَداكُم في العُــلاَ منْ لَهُ السَّــبْقُ
ومـــا ليَ لا أَرْضَى لك المَــجْــدَ كُلَّهُ وأنت شــقـيـقُ النَّفْسِ إن عُــرف الحقُّ
ولكن ذَوُوا الضّــغْنِ أنتَـحـوا ذاتَ بَيْننَا فَـــغَـــادَرَهَا إفْـــسَـــادُهُم وبِهَـــا رَنَقُ

وفي *القاموس* : رَنِقَ المَاءُ كفرِحَ ونصر رَنَقاً ورَنْقاً ورُنُوقاً : كدر .

والأمداح في صاحب الترجمة كثيرة في أيدي الناس. ولما توفي صاحب الترجمة -رحمه الله - صلّى عليه القاضي أبو عبد الله بردلة فنقم عليه بعض الطلبة، ووشى إلى السلطان به وأوغر قلب السلطان عليه قبل ندمه على ما فعل بولده بإشارة الطلبة، وقال له إنه يبغضك ويحب مافعل ولدك، ولولا شدة بغضه لك ما صلّى على عدوك الذي قام عليك. فكتب السلطان إلى أبى عبد الله بردلة يعاتبه ويهدده، فأجابه بأن صلاته عليه لم تكن من غير إذن بل جاءه الإذن من الدارالعالية بلغ مبلغ الشهرة وخرج عن طريق الشك، وذلك كله آداب مع الأمر العالي، بل الواجب حينئذ هو القيام بذلك كما فعله بردلة إجلالا له . وإذا كان المقصود تعظيم السلطان فلا بنصت إلا لما يعاتب به في الآداب معه، ولما قال (صلى الله عليه وسلم) في قضية الحديبية امح يا عَلِيُّ رسول الله، قال والله لا أمحو رسول الله أبدا، فنعارض وجوب امتثال أمره (صلى الله عليه وسلم) بالمحو ووجوب الإجلال لمقامه، فرجح عليّ - رضي الله عنه - جانب النعظبم، وفي شرح *الأبي* لمسلم أن الحسن البصري لما ليم على صلاته على الحجاج قال : استحييت من الله عز وجل أن أستعظم ذنب الحجاج في جانب عفوه. والصحيح أن الحدود كفارات، ففي كتاب الإيمان من *صحيح البخاري* عن عبادة بن الصامت وكان شهد بدرا وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله (ص) قال وحوله عصابة من أصحابه :(بَايعوني على أن لا تُشْرِكُوا بِاللَّه شَيْئا ولا تَسرقوا ولا تزنوا ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين أيديكَم وأرجلكم ولا تعصُونى فى مَعروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك) انتهى. فهذا حاصل ما اعتذر به وهو جيد مناسب، وهذه الترجمة تستدعي طولا. وكان حبس صاحب الترجمة في سادس عشر صفر، وفي رابع ربيع الأول قطعت يده ورجله، وبعد ذلك بعشرة أيام مات(332).

أحمد بن أحمد العمراني الطّوْد

ومنهم الفقيه القاضي أبو العباس سيدي أحمد بن أحمد الشريف العمراني المعروف بالطّوْد ، نسبة إلى جبل سكن به سلفه يسمى بذلك لعلوه عن الجبال المجاورة له ببلاد الهبط، وهم من بني عمران الإدريسيين الذين ببلاد الهبط. تولى صاحب الترجمة القضاء بأبي ومراس وغيره من قبيلة بني عروس، ومات عام ثمانية عشر ومائة وألف عن سن عالية نحو مائة سنة وثمانية أعوام. أخبرني بذلك حفيده المسن سيدي محمد بن علي بن أحمد المذكور (333).

332) اختصرت ترجمة محمد العالم في ط في صفحة واحدة، وما أثبتناه زائد في المخطوطات.

333) ترجمة الطود ساقطة من *ط*.

علال طاهر الحسني الجوطي

ومنهم الشريف سيدى علال طاهر الحسني الجوطي. توفي خامس المحرم فاتح عام ثمانية عشر ومائة وألف (334).

حوادث السنة

كسوف الشمس

ومن حوادث العام، ففي التاسع والعشرين (335) من المحرم كسفت الشمس كسوفا بينا فاسودّ جرمها كله وأظلمت الدنيا حتّى بدت النجوم ومكثت كذلك زمانا من النهار وخرج القاضي أبو عبد الله بردلة إلى مسجد القرويين فافتتح بالناس صلاة الكسوف وصلوا وانجلت الشمس .

استباحة قبيلة بن أحمد

وأطلق العامل السيبل في قبيلة بني أحمد فقتل النساء والرجال والصبيان [وقع] النهب والسبى (336) .

ثورة مولاي محمد العالم على والده

وفي هذا العام وقعت قضبة الشريف الفقيه، العالم العلامة النزيه، ديباجة الدنيا، وتاج المكانة العليا، الماجد الأنجد، الفاضل الأسعد، أبو عبد الله مولاي مَحمد مع والده السلطان المظفر المؤيد شمس الدنيا وبدرها الأزهر تاج الشرف الأثيل أبى الفتوحات مولانا إسماعيل -رحم الله الجميع بمنه وكرمه- آمين وهي معلومة. وذلك أنه قام على والده مُنكِراً لما هو عليه من تكسيب العبد والتصرف في بناتهم بغير وجه شرعي حقيقى. وخالف أمَره وثار عليه حتى اهتز الغرب من أجله ومال الناس محبة فبه إليه. فبعث إليه السلطان ولده مولانا زيدان فكان يقاتله فى كل موضع ومكان والهزيمة تقع على مولاي مَحمد حتّى حاصره بتارودانت أياما عديدة. وفى بوم الخميس الحادي والعشرين من صفر العام جاء الخبر بأخذ تارودانت وقتل كثير من أهلها رجالا ونساءا وصبيانا فنهبت أموالهم واستبيحت محارمهم وأعراضهم، فحُبس مولاي مَحمد وجعل عليه كبل وأونى به لوالده السلطان مولانا إسماعيل لمكناسة الزيتون أمنها الله. وفي الرابع من ربيع الأول النبوي من العام خرج السلطان مولانا إسماعيل من مكناسة الزيتون إلى وادي بهت وفبه أمر بقطع يد ولده مولاى مَحمد ورجله. وفي خامس عشر من الشهر نفسه مات مولاي مَحمد المذكور إذ لم يأمر والده بمداواته من القطع المذكور نسأل الله السلامة والعافيه (337).

---

334) ترجمة الجوطي ساقطه أيضا من ط

335) في ط. والحوليات: تاسع عشر.

336) انفردت ك و س بخبر استباحة هذه القبيلة.

337) انفردت *الحوليات* بإدراج خبر الثورة في حوادث السنة. وقد أثبتناه على ما فيه من تكرار لبعض ماسبق، بسبب ما اشتمل عليه من إشارات تاريخية لم ترد في سياق الأصل.

العام التاسع من العشرة الثانية

محمد حمٌّ بن عبد الوهاب الوزيرالغساني

فمنهم الفقيه المشارك المتفنن الدارك المتقن الأرفع أبو عبد الله محمد المدعو حَمُّ بن عبد الوهاب الوزير الغسانى الأندلسي الفاسي. كتب للسلطان أمير المومنبن مولانا إسماعيل، وكان نجيبا في ذلك، ذكر أن كل ما يلقى إليه في مجلس السلطان يحسن فبه الوثيقة. انتهت إليه صنعة الترسيل باتى فى كل أمْرٍ أمر به بوجه على أسلوب مختلفة الألفاظ والمعنى واحد، عجز أهل العصر عن إدراك ذلك. وكان الخليفة بملى عليه الأمر برسائل عديدة لعمال وغبرهم متفرقون فى البلدان، فيذهب لمنزله ويستوفي جميع ماأمره بكتبه ويعطي كل ذى حق حقه من غير زيادة ولا نقصان، ثم يأتى بجميع الرسائل ويملبها على السلطان فيتعجب من سرعة الكتابة وحسن العبارة ومن عدم الزيادة والنقصان. وكان له سرعة فى نسخ الكتب لم تعرف لغيره. وقد أرسله السلطان لبلاد الروم المتولن على بلاد الأندلس بقصد أن يستخرج ما تحت أيديهم من الأسرى المسلمين، ويستخرج مابفي للمسلمبن من كتب بالمساجد المهجورة هنالك، وألف في ذلك رحلة يسعها كناب سماه : *رحلة الوزير، في افتكاك الأسر*، ذكر فيها بعض ما رأى من العجائب الفريدة المثال، وذكر فيها خبره معهم، وتوفي من مرض بدارهم الكائنة بزنقة الرطل من عدوة فاس القرويبن، ودفن بروضتهم التى بالكغاطين المجاورة لروضة الشرفاء [الإدريسيين العمرانيبن الحسنيين وهي المدفون بها القاضى أبو القاسم ابن أبى النعيم الغساني ابن عمهم وجدهم أبو القاسم الغساني الطبيب المعروف بالوزير، عرف بذلك لما استوزره مولانا أحمد المنصور الذهبى السعدي الشريف الحسنى وبعثه بفكاك الأسرى بأسرى وقعة وادي المخازن مع محمد المسلوخ ومولاى عبد الملك الغازي السعدى أخ أحمد المنصور وعم محمد ابن عبد الله الغالب المعروف بالمسلوخ. ولما كان قبل يعرفون بالغسانيين وهم رهط أبى علي الغساني الأندلسي وإنما جرى على ما ذكر منهم لقب الوزبر بوزارة أبى القاسم المذكور ثم ولي لأولادهم بعده كذلك إلى الآن وهي التي فى شركة فى الإدريسي (كذا) الأندلسي] (338) وفى عام تسعة عشر ومائة وألف (339).

مسعود بن محمد جمُّوع

ومنهم الأستاذ المجود الفقيه أبو الفضل مسعود بن محمد جَمُّوع بوزن كلُّوب - بتشديد الميم وضمها - الفاسي الدار السجلماسي الأصل السلوي الوفاة.

---

338) ما بين معقوفتين زيادة فى س.

339) أخرت ترجمة الغسانى عن ترجمة جموع فى *ط*، واختزلت في ستة أسطر

قال الشريف الأديب سيدى محمد بن الطيب في كتابه المسمى *بالأنبس المطرب فيمن لقيه من أدباء المغرب* : قرأت عليه ، يعنى صاحب الترجمة، ختمة من *كتاب الله* عز وجل، *والشمائل* للترمذى *وصحيح البخاري*، والشفاء لعياض، *والاكتفا* للكلاعى، وسيرة *اليعمري*، *والنصيحة الكافية* لسيدي زروق، *وألفية ابن مالك*، *وتلخيص المفتاح وشرحه للسعد*، وكتابه المسمى *بنفائس الدرر في سيرة خير البشر* انتهى مختصرا.

وفي الرحلة الفاسية أن صاحب الترجمة عالم بالتفسير والحديث والفقه أستاذ عارف بأحكام القراءات صبور حلم جميل المعاشرة جواد كثير التلاوة والصلاة على النبي (ص) دين وورع، لا يرى إلا مدرسا أو تالياً أو ناسخاً جيد الخط. أخذ النسخ عن سيدي عبد القادرالفاسي، وابن عمه سدي محمد بن أحمد. وأخذ الحديث عن سيدى أحمد بن حمدان التلمساني،والقراءات عن سيدي محمد بن أحمد المريني، وأجازه في السبع والعشر.

ألف *نفائس الدرر في سيرة سيد البشر* في سفرين؛ *والروضة الوسطى*؛ والروضة الصغرى كلاهما في السير. وله *تآليف في القرآت والرسم*، وحاشية *على الصغرى*، وشرح *على السلّم* في المنطق، وشرح *على الأجرومية* وحواشي *على الألفية*، وله تآليف أخرى لم تكمل. وكان يدرس بسلا بزاوية أحمد حجي *صحيح البخاري*، *والشفا* ، *والشمائل*، فمرض وتوفي بمدرستها في ربيع النبوى عام تسعة عشر ومائة وألف ، ودفن بها أواخر جمادى الأولى (340) .

حوادث السنة

زلزلة عند آذان الصبح

ومن حوادث العام ففي يوم الخميس ثالث عشر ذي القعدة وقعت زلزلة عند أذان الصبح، فمن المؤذنين من قطع الآذان، ومنهم من صاح دهشا، وسقطت دور كثيرة وتعيبت، ومات بهدمها قوم كثيرون، فكانت من أشد الأمور.

هدم قصر البديع بمراكش

وفى عام تسعة عشر ومائة وألف أمر السلطان مولانا إسماعيل بهدم الدار التى بناها أبو العباس أحمد المنصور المدعو الذهبي السعدى بمراكش وسماها البديع. وكانت مدة بنائها

---

340) كذا فى كـ و س، وهو مشكل ناتج عن تصحيف أو تقديم وتأخير. ولعل الأصل: فمرض بمدرستها فى ربيع النبوي... وتوفى ودفن بها أواخر جمادى الأولى. وتاريخ الوفاة هذا هو الوارد فى *ط*. وقبر الشيخ حموع معروف فى الزاوية الحجية بسلا. وقد اختصرت ترجمة جمّوع فى *ط* كذلك في بضعة سطور.

ست عشرة سنة فهدمت معالمه وبدلت مراسمه وغيرت محاسنه وفرقت جموع حسنه وعاد حصيدا كأن لم يغن بالأمس حتى صار مرعى للمواشي ومقيلا للكلاب ووكورا للبوم والصيد. وحقّ على الله مارفع شيئا إلا وضعه من الدنيا. ومن العجائب أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب إلا ودخلها شيء من أنقاض البديع. وإذا تأملت لفظ البديع وجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمّل مائة وسبعة عشر وهذا القدر من السنين هو الذي بقى فيه قائما عامرا. فإنه فرغ منه عام اثنين وألف وشرع في هدمه عام سبعة عشر ومائة وألف فمدة بقائه بعد تمام بنائه مائة سنة وسبع عشرة سنة على عدد اسمه. وذلك من غريب الاتفاق، والبقاء والدوام للملك الواحد الخلاق. والملك التام لله الملك الديان الذي لايسأل عما بفعل وهم بسألون. انتهى (341).

341) انفردت *الحوليات* بحادث هدم قصر البديع

العام العاشر من العشرة الثانية

محمد بن سعيد الجماعي المستغانمي

فمنهم الولي الجليل، الفقيه المدرس الحفيل، العالم العامل، العارف بالله البالغ الواصل، سيدي محمد بن سعيد بن [عبد الحق الجماعي نسبا البري قبلة، المستغانمي بلدا ومولدا، دفين عَرَاضَة -على وزن جرادة- من حوز طرابلس الغرب.

قال ابن عم جدنا أبو العباس أحمد بن] (342) عبد القادر القادري الحسني في *رحلته* : لما تكلم معه سيدى أحمد بن عبد الله في مسائل غامضة من الطريق فتفجر الرجل بحرا لا ساحل له بما يبهر العقول، وأثنى عليه سيدنا أحمد بن عبد الله بأنه من الأقوياء الفحول، ثم قال : وأخبرنا سيدي أحمد أنه من الأكابر ويعرف الطريق حرفا حرفا، ثم قال وهو ممن يلقى الخضر-عليه السلام- حسبما أخبرني بذلك عن نفسه. أخذ الطريق عن الشيخ محمد النفائي دفين قابس، وأثنى عليه أبو العباس اليمنى، وقال فيه: المجذوب صاحب الحقائق انتهى. وكتب بعد ذلك رسالة لسيدي أحمد بن عبد الله وأجابه برسالة أخرى. وأخبر صاحب الترجمة أنه كان فى ابتداء أمره محبا للصالحين ولسلوك طريقهم،قال: وتركت الأهل والأوطان في طلبهم، فأول من لقيته الشيخ العارف بالله سيدى محمد الشريف، وكان من أهل الكشف الطائرين فى الهواء، ثم اجتمع بالشيخ الأستاذ سيدي عبد الرحمان الحمدانى فاعتراه حال وقال من أراد شيئا فليطلبه مني فأدعو له بحصوله، فقلت له ادعُ لي بحفظ القرآن فقال لي ضمنه لك فلان، يعني الشيخ المتقدم. فقلت له ادعُ لي بما أحببت فقال الآخرة فى يمني، والدنيا في شمالي وكلها لك، ثم انصرفت عنه، وصحبت الشيخ سيدى محمد الصحراوي المندالى، وكان من أهل الكشف الربانى، يختم القرآن كل ليلة. وكان كثير الأتباع ولا محبة له في الظهور. ثم قصدت الحج فاجتمعت بالشيخ العارف المحقق سيدي محمد بن عيسى الصحراوي فصاحبته زمانا وكان أخلاقه الزهد والورع والصبر وحب المساكين فرجعت في صحبته حتّى نزلنا طرابلس فقال لى يابنى لقد انتهى سيرك معي ولا خروج لك من هذه البلدة لأنى رأيت الشيخ عبد القادر الجيلاني لاقاك وناولك راية كبيرة خضراء وأمرك بالمكث في هذه البلدة، ثم صار عني للحج، فسألت عن شيخ التربية فقيل لي إنه في السودان فخرجت إليه بلا زاد، فزرت الموضع الذي أقام به سيدى عبد السلام الأسمر، فعرض لي ما أوجب الرجوع الى طرابلس، فوجدت رجلا كاشفنى فقال لى : إن كنت تريد شيخ التربية فسر إلى بلاد تاجورا فاسأل عن ولد الشيخ سيدى على النفاتي، فسرت معه أطلب منه الدخول تحت نظره، فقال لي : سر إلى ابن أخي سيدي أحمد فإنه الوارث للسر الرباني، فسرت إليه بمنشا

(342) سقط ما بين معقوفتين من س فاختلط فيها اسم المترجم باسم القادري صاحب الرحلة.

طرابلس، فلقبني الشيخ العارف المكاشف سيدي محمد أبو كطاية فقال لي : لقد طال إنتظارنا لقدومك، وأتاني بشيء من الطعام وكان الناس يرمونه بالجنون وعدم العقل، وكانت على رأسي قلنسوة قديمة أعطاني إياها بعض أهل الله، فطلب مني تبديلها بقلنسوة جديدة على رأسه، فبدلتها معه، ثم وصلت للشيخ سدي أحمد النفاثي فمكنت تحت رأبه كالمرضع زمانا، ثم أراد الخروج إلى الجريد وكانت لي زوجة فطلقها وأمضيت طلاقها وخرجت معه، ثم اجتمعت في صفاقص برجل من أهل الكشف المحبوبين سيدي أحمد عباس فأخبرني بموت أبي كَطّاية المتقدم، ثم أمرني الشيخ النفاثي بتربية الفقراء فملت لبعض الأصحاب: الله يعظم الأجر في الشيخ سُدَّ عنه باب الزيادة. ثم أردت الرجوع إلى طرابلس فاستأذنته فقال لو صبرت حتًى تحضر موتي، فقلت له ومتى هي؟ فقال في ذي الحجة ونحن في شعبان، فقلت لا أرد عنك شيئا من قدر الله. فقال لي سرُّ الله معك. فلما وصلنا إلى طرابلس ووصل الأجل الذي أخبرني به وصلنا الخبر أنه مات قتلا -رحمة الله عليه- فتألمت أياما وتركت الطعام والشراب والنوم، ثم رأيته مناما فقلت له : ضاقت نفسي من السيف الذي ضربت به، فقال لي الذي تشتكي منه هو الذي تشتكي إليه، فاستيقظت ولم أجد ألما. ومرض صاحب الترجمة حتًى كان غالب أحواله يتيمم للصلاة لفرط البرد، ولم يقع له نوم يحصل له به راحة مدة من أربعين سنين من ألم الحصاة، فكان إذا تكلم في أحوال القوم غاب عن الألم حتى كأن لم يكن به شيء مع الرضى والتسليم لقضاء الله تعالى.

ورماه أهل بلده بأمور وطُعن في دينه وهو بعيد الساحة مطهر الجانب من ذلك، وقالوا ساحر وشهد أهل القرى الذين بقرب بلده بلسان واحد لوالي البلد بخروجه عن الدين فأرسل بقتله فلم يجدوه فخربوا داره، ثم وجه له الأمير بعض أهل العلم فاجتمع معهم فنصره الله عليهم بالحجة والبرهان وسلم أهل العلم لأمره، فمنعه الأمير منهم، ثم قال عليه طوائف أخرى مرات فنجاه الله منهم. ذكر هذا كله بعض من ألَّفَ في مناقبه. ولهذا مال كثير منهم للعزلة والانقطاع عن الخلق رفقا بهم، فقد نفى أبو يزيد البسطامي من بلده سبع مرات، وساروا بذي النون المصري من مصر إلى بغداد مغلولا مقيدا، وأخرجوا سهل بن عبد الله من بلده إلى مصر. ولما احتضر والده وهو في النزع قال لبعض ولده سلم لي على أبي وقل له عبدك محمد يقرئك السلام ويطلب رضاك، فسكن الوالد ثم أفاق فقال : يابني إن ربي يقرئك السلام ويبشرك برضاه عنك، فقال لي بأي شيء وصلت إلى هذا ؟ فقال ارتفع السقف وكشف الغطا ثم مات.

وكان يواسي الفقير ويكفل اليتيم، ويسد الخلة بالقدر العظيم من ماله على طريق السلف لأنهم كانوا يتصرفون في أموالهم تصرف الخازن ويقول لأصحابه أنا وإياكم سواء في مالي. وكانت طريق شيخه النفاثي طريق الامتحان لمن أراد الدخول في دائرته فإنه كان يطلب

منه نصف ماله ويقول ما معناه من لم يبذل إلينا ألفان كيف يلتمس منا أن نبذل له الباقي ؟ قال فكنت أقول له : ياسيدي درّج الناس شيئا فشيئا ولا تختبرهم في أعز الأشياء عندهم، فإني أرى أنه فر منك كثير من الخلق وحرموا النفع على يديك. وكان لا يواجه أحدا بما يكره، ولا يدعو بضر على أحد، إلا ما كان من بعض الأعراب الذين انتهبوا أموال الناس وسفكوا الدماء فدعا عليهم فشتت الله شملهم، وأمر أصحابه بحسن الظن به بأنه لم يخطئ أصلا، وتعظيمه ونصرته والذب عنه، ويتلو عليهم قوله تعالى :«لاَ تَحْسِبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُم». وكان ادّعى القطبانية انتهى.

وسئل عن هذا القطب ومن هو في هذا الزمان ؟ وأين هو ؟ فقال: ألا أدُلُّكم عن القطب الأكبر والولي الأعظم والسر الأفخم وهو رأس الأمر كله وإليه المنتهى، هو العَجْزُ فى كل شيء حتى فى دفع ذباب نزل عليك. ومثله الفقر وهو نفض اليد من المال، وبه افتخر قطب الأقطاب (صلى الله عليه وسلم) فقال الفقر فخر وبه أفتخر على سائر الأنبياء. واختارهم العجز لأنه ضد الملك. وكان بعضهم أعطي كلمة التكوين فقال لا حاجة لي بها، لأن هذا وصف مالكي. وأُعطيها أبو السعود ستّ عشر سنة فقال فتركتها. وقال الحاتمي أُعطيتها فتركتها، وقال الشعراني أعطتها ثلاثين سنة فلم اتباه بها حباءً من الله.

قلت : والذي يظهر لي أنهم إنما تركوه لأنهم كاشفوا اسم الظاهر في المظهرات فلم يجدوا إلقاء سمتهم على أحد سوى الله تعالى. انتهى.

قلت : الذي يظهر من كلامه أن القطبانية مقام من مقامات الأولياء، أوحال من أحوالهم لتفسيره بالعجز و الفقر، وذلك منه تنبيه للسائل عن التشوف لإدراك المراتب ليرشد إلى باب الوصول، لأن السائل سأل عما هو ممنوع بيانه ولم يمكنه الإعراض عنه، فأجاب بذلك على طريق العزل فى الكلام ولإخفاء صوت السر عن غير أهله. ويمكن أن يكون أُعطي كلمة التكوين من مقام القطبانية، وإلا فالقطبانية خطة من خطط القوم.

قال جدنا عبد السلام الفادري في مقدمة *نزهة النادي* : والقطب ويراد به الغوث، قال الحاتمي هو عبارة عن الواحد الذى هو موضع نظر الله في العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل -عليه السلام- يعني أنه يتصرف فى أمور الخليقة كلها على يده غيبا، ويستمد من أهل وقته فهي خلافة غيبية. ومذهب الحاتمي أنها خطة الانفراد بالتصريف العام، لا الانفراد بقوة المدد فيوجد مع صاحبها فى وقته من يساويه مددا وقوة، لكن القطب يده على الجميع انتهى.

وسئل صاحب الترجمة هل أن مسكن القطب مكة ؟ فقال مكة تجيء عنده، والرسول يجيء عنده، مكة لها روحانية تحن على الأولياء وتشتاق إليهم وتطوف بهم، وشهدنا من

ذلك علي سليمان -علىه السلام- مع جبشه على بساطه فوق هوائها فبكت فأوحى الله تعالى إليها ياكعبتى ما يبكيك ؟ فقالت يارب كيف لا أبكي وبيت أوليائك بطو فون بي، وفال ابن عطاء الله أنت مع الأكوان مالم تشاهد الكون، فإذا شاهدته كانت الأكوان معك. كن مع الله يكن معك في كل شيء. أحبَّ اللّه بحبيبك كل شيء. العارف كل شيء يحبه ولا بحب شيئا ولا يخاف شيئا و يخافه على شيء ولابخاف هو من شيء، وينصر به كل شيء ولا ينتصر بشيء إلا بالله، فيخاف الله ويحبه وبنتصر به، وكفى بالله وكيلا وكفى بالله شهيدا. الحمد لله رب العالمين انتهى. وأنشد مولانا عبد القادر الجيلاني في معنى القطب :

طُفْ بِجَنَابِي سـبـعـاً وَلُذْ بِزِمَـامِي	وَ تَـجَـرَّدْ لِزَوْرَتِى كُـلَّ عَـامِ
أنَا سِـرُّ الأَسْـرارِ مِنْ سِـرِّ سِـرِّي	كـعـبَـتِى قِـبْلَـتِي بِسَـاطِي مـدام
أنا شـيخ العلوم والدرسُ شـغـلى	أنا شـيخ القـرى وكل إمـام
قـالت الأوليـا جـمـيـعـا بعـزم	أنت قطب على جـمـيـع الأنام
كل قطب يطوف بالبـيت سـبـعـا	و أنا البـيت طائف بخـيـام
فـرس العـز تحت سـرج وجـودي	وركـابي عـلى عـنان لـجـام
أنا إذ مـا جـذبت أقـواس رام	كـان نار الجـحـيم منهـا سـهـام
سـائر الأرض كلهـا تحت حكمي	وهي في قـبـضـتى كـفـرخ الحـمـام
ومـريدى إذا دعـاني بشـرق	أو بغـرب وكـان في بحـر طام
فـأغـشـه لو كـان فـوق هواء	أنا سـيف القـضـا لكل خـصـام
وأنا عـبـدُ قـادرٍ طاب وقـتي	جـديَ المـصطفى حـبـيـبي إمـامِ

ومن كلام صاحب الترجمة: الشيخ في أصحابه كالنبي في أمته، لأنه يحبب العبيد في ربهم ويطهرهم من أخلاق الشيطانيه، ويحببهم في الأخلاق الربانيـه، فـيراهم الحق أهلا لحضرته وبحبهم، فتدخلهم أسرار الربوبية إما تنزيها أو تقديسا، فيملكون المقامات، وتنطوي عنهم الشقاوة، فهم في يمن الزياده وإن هفو شيئا محته العناية لأنها عامة. «*يَمحُو اللَّهُ مَا يشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ*» فكانوا أخياراً أحراراً، فتمَّم اللّه بهم الملة وداوى بهم العلة، فتبعوا ما في القرآن وأخبر القرآن بهم : «*أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لاَ خَوْفُ عَلَيهِمْ وَلاَ هُم يَحْزَنُونَ*». ضرب الله لنا معهم سهما إنه على ما يشاء قدير.

وكلامه فى الطريق جليل، وله في المعرفة القدم الراسخ، والباع الطويل، وكف بصره في آخر عمره، فروي عنه أنه كان يقول ما معناه : غار علي الحق أن أنظر إلى غيره. وحكي أن أبا معاوية الأسود كان مكفوف البصر وكان يحب قراءة القرآن، فكان إذا فتح المصحف رد بصره عليه حتى يفرغ من القراءة فيكف بصره. وقيل في هذا المعنى :

وغضضت طرفي عن سواك فلم أجد	فى الكون غيرك من إله يعبدُ
يامن له عنتِ الوجوهُ بأسرها	وله جميعُ الكائنات توحدُ
يامنتهى سؤلى وغاية مطلبي	من لي إذا أنا عن جنابك أطرد
أنت المؤمل في الشدائد كلها	ياسيدي ولك البقاء السرمدُ
ولك التصرف في العباد كما تشا	فلذاك تُشقي من تشاءُ وتُسعدُ
فامنن علي بتوبةٍ يا مَنْ له	قلب المحب مقدس و موحد

توفي صاحب الترجمة في آخر محرم عام عشرين ومائة وألف (343) .

أحمد بن عبد الله مَعْنْ

ومنهم الشيخ الإمام، الولي الهمام، طود الإيقان، ومنبع العرفان، مطلع شموس العيان، ومعدن الفضل والإحسان، ومصباح الزمان، وفريد الأوان، العارف بالله، الدال عليه في سره ونجواه، سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي -رضي الله عنه وأرضاه-. تقدمت ترجمة والده عام اثنين وستين وألف. كان -رضي الله عنه- من أعلام الطريقة، ومن أكابر أهل الحقيقة.

قال أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد الفاسي في كتابه الإلماع بمن لم يذكر في *ممتع الأسماع* : فهو، يعني صاحب الترجمة، الفتى الذي ما مثله فتى، والرجل الذ ي ما فى وقته أتى. ففي الغيبة في الله وعلو الهمة والشغل به عما سواه غاية ، وقد رفع عنه حجاب النهاية (344) ، وكوشف بالحقيقة كشفا، وصارت له لباسا ووصفا. وفي البقاء بعد الفناء والقيام بحالة الجمع والفرق وفي اتباع السنة والبحث عنها قد حصل من ذلك على الحظ الأوفر، وفي الالتحاق بحزب السلف الصالح في ذلك ما ونى ولا قصر، وفي الفتوة والأخلاق الزكية الكريمة والشيم المرضية المستقيمة آية الزمان، والمعجزة التي جلت عن مباراة الأقران. وفى الفرار من الدعاوي غاية الإمكان، وفى الفقر إلى الله والغنى والتعزز به سابح مطلقة له اليدان. انتهى.

343) اختصرت هذه الترجمة الطويلة لمحمد الجماعى فى *ط* فى صفحة وربع. والتمام من المخطوطات.
344) هذه عبارة *س*، وهو الصواب فيما يبدو. وفي *ك*: وقد رجع له أصحاب النهاية.

وكان من الأعلام المنفردين في زمنه برسوخ القدم في الطريفة واتباع السنة على قدم السلف الصالح آية في السخاء وبذل المعروف بنفسه وماله. مع توضيح العبارة ولطيف الإشاره، مطاعا في جيله محببا، ملحوظا من مولاه بعين العنابة مقربا. قبلت فيه قصائد كثيرة جمعها ديوان من تواليف جدنا -رحمه الله تعالى- وألف فيه سيدنا الجد كتابه المسمى *بالمقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد* اشتمل على مجلد كبير لم ينسج أحد على منواله، جعله اثني عشر بابا، الباب الأول فى نسبه وأبويه، وعشبرته الأقربين إليه. الباب الثانى في نشأته وبدابته، وأخذه طريق هدايته. الباب الثالث فى مواجده وأحواله، ومقامه المتصف به وكماله. الباب الرابع فى سيرته السنية، وجمل عن أخلاقه السنبة. الباب الخامس في كرمه وسخائه. الباب السادس في علو همته، وورعه وزهده وذمته. الباب السابع في دلالته على الله وجمعه علبه، الباب الثامن فى كلامه وإشارته. الباب التاسع في جمل من كرامته. الباب العاشر في شيخه الهمام. الباب الحادي عشر في أسانيد طريقته. الباب الثانى عشر فى بعض ما قبل فيه من الفصائد.

وألف فيه سيدي محمد المهدي بن أحمد الفاسي كتابه *الإلماع*. وإمام الزاوية أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزبر ألف فبه كتابه *المقباس في فضائل سدنا أبى العباس*. وفد كان في المعارف بحرا زاخرا، وفي مدارك الجمال بدرا زاهرا. وفد سأل بعض علماء العصر المبرزبن في العلم والدين بما نصه : - سيدي رضى الله عنكم- رجل استشكلت علىه أمور فنريد من الله ثم منكم أن تبىنوا لنا ماظهر لكم فبها بفضلكم. فمنها ما هذه الأنوار المشرقة على أهل البدايات في الطريق هل هي أنوار أزلية في كل مومن فيكشف له عنها بسبب التوبة ؟ أم لا تشرق إلا عند تمكن الفلب من الإيمان ؟ وما يعطل نور البصبرة عن شهود المنة ؟ وما يكدر المشروب عن طعم برد الرضى بما يفعل المحبوب ؟ وبم يحول المريد فى الملك عن الأكوان الظلمانية ؟ وبم يجول فى الملكوت هل بالعلم أو بالمفهوم ؟ وهل للعقل مجال في ذلك ؟ وهل للعلوم إدراك للتحقيق الذي سلك عفد العلوم ؟ وهل للمفهوم إدراك للعالم الأسنى ؟ وما قمر التوحيد الذي هو ممتد من شمس المعارف ؟ وما رياح الصبا الني تشغف الأرواح ؟ وهل هي على يد الشيخ أو على يد النبي (صلى الله عليه وسلم) ؟ وهل الشيخ دالٌ على الله بمقاله ؟ أم دالٌ على الله بأفعاله ؟ أم له قوة وأسرار يجلب بها الأرواح إلى الحضرة القدسية ؟ وما يعتمد في الشيخ هل هو مظهر للحقائق التي لا تدركها العقول والفهوم ؟ أم هو حاكم للنفوس لتقوى الأرواح فقط ؟ أم هو قوة الأرواح لتقبل من الوأردا ت ما تطيق ؟ أم خلىفة النبى (صلى الله عليه وسلم) يبلغ من أسرارها الباطنة الني لا يدركها من اشتغل بعلم الظاهر ؟ فإن كان كما قلنا دالا بظاهره فقط وغالب علمه الحس فليس للمغلوب أن يربي في مواقع الأرواح ؟ وهل للشيخ تصريف في روح الروح ؟ أم

هو برزخ الأرواح فقط إلى أن يبلغ المريد ويرجع عنه ؟ أم لا ننفصم عنه أبدا ؟ وسأل عن أحوال الشيخ ما السبب فى كونه تارة يجمع على نفسه وتارة على النبى (ص) وتارة على الله أكل ذلك مدرج فى صفاته وأحواله ؟ انتهى.

اشتمل السؤال على خمسة عشر مسألة، وكلها متناسبة وأبدى فيه من العلم الباهر والأنوار الظاهرة ما يجل عن الإحصاء، وليس هو في الحقيقة سؤال بل هو تعلم لما اشتمل عليه من الإجمال والتفصيل. قال العلماء أحسن السؤال يسمى تعلبما، وحاد بذلك عن الشهوة فسأل عما له به خبرة من سر نعبر العارفين. قال ابن عطاء الله : إما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد. وقال فى *لطائف المنن* : من أجل مواهب الله لأوليائه وجود العبارة. قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول : الولي يكون مشحونا بالمعارف والعلوم، والحقائق لديه مشهودة، حتى إذا أعطي العبارة كان ذلك كالإذن من الله في الكلام انتهى. وقد فتح الله علينا بتقييد على هذا السؤال يسع نحو كراستين، لا على أنه جواب له، فمعاذ الله أن يكون مثلي ممن يجيب عنه، وإنما هو اقتباس من معارفه وعلومه ونفائس فهومه. ونورد شيئا من ذلك على اختصار فنقول : قوله ما هذه الأنوارُ، فإن كان مراده الإدراكات التى هى من صفات الروح فهى أزلية لأن الروح من عالم الأمر الذي وجد دفعة، لا من عالم الخلق الذى هو على التدريج. قال فى *المباحث الأصلية*:

فلم تزل نفوس تلك الأحْبَاءْ عَلامَة دراكةً للأشياء
وإنما تَعُوقُها الأبْدَانُ والنفس والنزغُ والشيطانُ

وإن كان المراد بالأنوار ما يلزمه التوجه من عبادات ومعاملات ومجاهدة فهي من ثمرات اليقين الذى هو وصف الإيمان فلا شرف إلاّ عن تمكنه. وقوله ما يعطل نور البصيرة عن شهوة المنة. قال في *الحكم*: أصل كل غفلة أو معصية أو شهوة الرِّضَى عن النفس، وأصل كل صالحة وعفة عدمُ الرضَى منك عنها. فالانسان ولو كان له بصيرة فلا تفارقُه رعونات البشرية، يعني به الغفلة، فيرجع إلى أصله وهو الجهل، والرضَى عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة، وعدمه أصل جميع الصفات المحمودة. قال ابن عباد : اتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب.

وقوله وما يكدر المشروب عن طعم برد الرضَى بما يفعل المحبوب، في *رسالة القشيري*. قال أبو تراب النخشبي: ليس ينال الرضَى من الدنيا في قلبه مقدار. وقوله يحول المريد في الملك عن الأكوان الظلمانية. العوالم أربعة: عالم الملك وهو المدرك بالحواس، وعالم الملكوت وهو ما يدرك بالعقل. وعالم الجبروت وهو ما يدرك بالمواهب، وعالم العزة وهو ما يعزز الله تعالى به فلم يظهر لأحد من خلقه. والأكوان قال ابن عباد : هو كل ما يمكن

للنفس أن يكون فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها. قال في *الحكم*: الكون كلّه ظلمة، وإنما أنا أظهر الحق فيه انتهَى. وكونها ظلمانية قال الشيخ زروق لثبوت عدميتها في الحال بعدم استقلالها، وكذا في الماضي والمستقبل، لأن المريد في الملك موجود لا مريد للكون، وهو ظلمة وللحق تعالى الذي ظهر فيه وحث الدلالة والتنزيه به وهو نور، والجولان فى هذا بالعقل بشرط أن يؤيد بالإمداد منه تعالى، إذ العقل وحده قاطع عن الله سبحانه. قال في *الحكم*: وصولُك إلى الله وصولُك إلى العلم به، وإلاَّ فجلَّ ربنا أن نتصل بشيء أو بنصل به شيء. وقوله وبِمَ يجول في الملكوت هل بالعلوم أو بالمفهوم، عبارة زروق في *شرح الحكم* وشرح *المباحث*، وقوله في *المنن*: وكل قلب له بابان إلى الأبدان، كل دال على أن الجولان فى الملكوت بالعلوم، لكن لم يشرح سدى عبد الوارث ولا سيدي أحمد زروق هذا البيت، وشرحه الشُّطيبي بما يرجع إلى تقسيم القلوب إلى تقي وغيره. والصواب فى شرحه ما عند الغزالى في شرح عجائب القلوب في *الإحياء* من أن للقلب بابين أحدهما مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح إلى الحواس فانظره. وقوله وهل للعقل مجال في ذلك، لا مجال للعقل فيه لأنه مدرك فيعلم ولا يدرك إلا بالخصوصيات الأزلية فلا يعمله إلا أهله. وقال الخضر لموسَى - عليهما السلام - إنِّي على علمٍ من علم الله علّمنيه لاتعلمه، وأنت على علم علّمكه الله لا أعلمه الحديث. وقوله: وهل للعلوم إدراك للتحقيق الذي سلك عقد العلوم، لم يظهر لى شيء في هذا إلاَّ أني أقول ربما يقال عقد العلوم هو أنفسها، وذلك لا يكون إلا في المعرفة بالله تعالى، وسلوكُه هو قطع المقامات السابقة عليها والمنازل المندرجة فيها، ومعنَى الكلام هل صاحب العلوم الظاهرة يدرك تحقيق تلك المقامات والمنازل بمجرد العلم و إن لم يسلكها بالفعل أم لا يدرك ذلك إلا إذا سلك بالفعل؟ والجواب على هذا أنه يدرك مطلق الإدراك لا كإدراك الذي سلك ذلك، لأن لصاحب الخصوصية مزيد الكشف بحاسة باطنة بسر موهوب من ربه. ومثله ذلك في الشاهد بحلاوة الشهادة فالذي لم يذقها قط لا يدرك من وصف حلاوتها إلا ما يدرك الأكمه من كيفية الألوان فى الوصف ولو قطعت دهرا في إيصالهما ما استشفا بالتعريف، والتعبير أرجح من ذلك، وفي الحكم ربما عبر عن المقام من استشرف عليه ولم يصل إليه، وذلك ملتبسٌ إلاَّ على صاحب بصيرة. وقوله وهل للفهوم إدراك للعالم الأسنى؟ تقدم أن العوالم أربعة واختلفوا فى الملكوت والجبروت أيُّهما أعلى، فقيل الجبروت أعلى، وقال أبو طالب المكي و أبو حامد الغزالي الملكوت أعلى. فالمُلك يدرك بالمشاهدة، والملكوت بالعقل، والجبروت بالمواهب، وعالم الغيب لايدرك، وعلى كلا القولين فلا تدركه الفهوم لأن عالم الجبروت حضرة الأسماء ولأن عالم الملكوت، فالملك راجع إلى الأثر، والملكوت راجع إلى الذات، كما نقله سيدي المهدي الفاسي فى شرح *دلائل الخيرات* الكبير عند قوله وأراَهُ سَنَا الجَبَرُوت. وقوله وما قمر

التوحيد الذي هو ممتد من شمس المعارف؟ قال في لطائف المنن: وقد تدور علىهم الكرامات وتخنلف لديهم الحالات، ويردون من الذكر والطاعات الأعجبون عن الصفات مع تراجم المقدورات، فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم، فهم نجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم، وشموس المعارف يستضيئون في نهارهم. «*أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفلحون*». لم يتيسر لي في الحال مراجعة ما في تصنفه من كلامهم، وظهر لي أن فيه اعتبارات: أحدها أن قمر التوحيد، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك أوجه: أحدها أنه صلى الله علىه وسلم تُدرك منه المعارف مع شهود ذاته الكريمة، كما أن القمر يهتدَى به عند طلوعه مع استطاعة رؤيته بالبصر. ثاينها أنه الواسطة بين الخلائق وربها في الأنوار الربانية والمواهب العرفانية. كما أن القمر واسطة بين الشمس والخلائق في استمداده من نورها وإشراق النور عليهم فيهتدون به في الظلام، ويعرفون منه مفادير اللىالي والأيام. ولولا أنه صلى الله عليه وسلم واسطة ما قدر أحد على تلقي العلوم من حضرة الربوبية المنزهة المقدسة. ثالثها أن أهل الترقي في الأحوال إذا بلغ ترقيهم لمقام الفناء والمحْو لايستغني واحد منهم عنه صلى الله عليه وسلم ولو بلغ من ذلك ما بلغ. لكن إذا تجلت في أحدهم شمس الأحدية استغرق نورها قمر المحمدية، فغاب نور قمر المحمدبة في غلبة نور شمس الأحدية لقرب البعض من البعض على المعنى اللائق المنزه، كما يغيب ضوء القمر الحسي في ضوء الشمس عند تقارب منازلهما، ودليل التقارب ما أومأ إلبه قوله تعالى : «*فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى*» فهذه المنزلة ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم مع ما يليق ببساط التوحبد. وقد فرر هذا المعنى سيدي عبد الرزاق العتماني في شرحه لنظمه المسمى *عفد السلوك*. ثاني الاعتبارات أن قمر التوحيد هو فلب المومن الموافق لإدراك السعادات لايزال في الترقي حتَّى يكمل، ومادتُه من شمس الإلهام. ثالث الاعتبارات أن قمر التوحيد هو التوحيد نفسه، وأضيف إلى القمر لأن المهتدي بالتوحيد في ظلام الجهل كالمهتدي بالقمر في ظلام الليل، ومادنه من المعرفة التي هي كالشمس فىصبر معها (345)

وقوله ما رياح الصبا التي تشغف الأرواح، أي تصيرها مشغوفة بحب ربها. قال ابن عباد : الورادات تمحو عن العبد جميع رعوناته، ونهدم عليه مستمر عاداته، ولها سلطنة عظيمة على ذلك، فإذا وردت على قلب مشحون بأنواع الخبائث والرذائل أزالت ذلك بمرة وأثبتت عوضا من ذلك أحوالا علية وأوصافاً رضية.

وقوله وهل هي على بد الشيخ أو على يد النبي صلى الله عليه وسلم، الجاري على ما تقرر عندهم أنها على يد النبي صلى الله علىه وسلم. قال الشيخ الخروبي في شرح *التصلية*

345) بياض بالأصول.

المشيشية: فأرواح العلماء وقلوب العارفين وعباد الله الصالحين والنبيئين والمرسلين تتلقى من روحه صلى الله عليه وسلم العلم والحكمة والمعارف الربانية والأسرار الملكونية، ولذا سمي روحه صلى الله عليه وسلم أبا الأرواح. فعلوم العلماء ومعارف العارفين وحكم الحكماء كلها مستفادة من علومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه وحكمه، وكل ما علمه العالمون واستفاده العارفون وفهمه الحكماء من علوم ومعارف وحكم الجميع نقطة من بحره صلى الله عليه وسلم انظر تمامه.

وقوله هل الشيخ دالّ على الله بمقاله أم على الله بأفعاله أم له قوة وأسرار يجلب بها الأرواح إلى الحضرة القدسية؟ الظاهر أنه دالٌ على الله بمقاله وأفعاله وجالب الأرواح بسره إلى الحضرة القدسة. قال في *الحكم*: لا تَصْحَبْ من لا يُنْهضك حالُه ولا يدلُّك على الله مَقالُه. قال الشيخ زروق في *الشرح* الحادي عشر مفهوم كلامه: اصْحَبْ من... الخ.. وقريب منه عبارته في لطائف المنن. وأما الجلب إلى الحضرة القدسية، فقال الشيخ الشعراني في *البحر المورود*: أُخذ علينا العهود إذا حصل لنا مدد من اللّه وفاض علينا أن نُمدَّ بذلك الفاضلِ الأقرَب فالأقرب من حيث كثرة الاقتداء بنا ولا نعلمهم بذلك لِيلاَّ يُكافؤوا على ذلك بالخدمة والهدية وكثرة الشكر لنا في المجالس فينقص ما لنا انتهَى.

وقوله يعتقد الخ الحقائق التي لا تدركها العقول هي الأسرار التي هي اللطائف المودعة في الإنسان، ولكنها لا تظهر إلاَّ بعد رياضة وتدريج غالبًا، ويدل الشيخ على سبيل التنبيه هل هي موجودة في الإنسان أوَّلاً ولكنها أخفتها عيوبه ولم تظهر إلاَّ بالخلوص من العيوب على يد الشيخ بالهمة أو بالتربية فهو مظهر لها بهذا الاعتبار؟ أم الشيخ ليس بمظهر لها ولكنه حاكم للنفس وزاجر لها بهمته، فبضعفها حينئذ وتقوى عليها الروح لأنها متقابلان مهما ضعفت إحداهما غلبت الأخرى؟ أم ليس كذلك معد الروح ومقومها بمادة القوت من عنده فتقوى بذلك على النفس فتقبل ما يَرِدُ عليها من الواردات التي تطيقها؟ أم ليس كذلك وإنما الشيخ خليفة النبي صلى الله عليه وسلم فى توصيل أحكامه الباطنة، كما أن الفقيه خليفته فى توصيل أحكامه الظاهرة، لأن للأحكام الباطنة قوما خصهم الله بفعلها وإدراك أنوارها ودقائق أسرارها، ولا يقدر على ذلك أهل العلم الظاهر، لأن لهم اصطلاحا آخر، تارة يقودون أهل الباطن إلى ذلك حسا كالحض على الطاعة بالقول والدؤوب عليها بالفعل، وتارة يترقون في ذلك غيبا كجلب الأرواح إلى الحضرة القدسية بالسر المودع فيهم، لأن الغالب على البشر التأدبة بالحس، وما كان معنويا فهو مغلوب بالأوصاف البشرية، وشأن التربية أن تكون للغالب الذي هو الحس لا المغلوب الذي هو المعنى، على أن ما كان في مواقع الأرواح لايقبل التربية. لأن الأرواح من عالم الأمر الذي لا تدرج فيها ولا تقديم ولا تأخير، بل كل ما فيه وُجد دفعة على ما هو به من كمال ونقص، فكيف تكون

التربية في عالم الروح وكيف تكون للحظ المغلوب. وكان هذا هو روح السؤال والله أعلم. ولعله يمكن الجواب عنه بأن التربية وقعت في عالم الملك بعد اتصال الروح بالذات لا في الروح وحدها التي هي من عالم الأمر، لأن المريد وإن كانت أوصافه الكاملة مخلوقة في روحه مع نشأتها لكنها لم تظهر فيه في عالم الملك إلا بعد التربية أو الهمة من شيخه. فمن أدرك الخصوصية من هذه الطريق، و إلا فقد تحصل الخصوصية من غير شيخ أصلا، بل بالمدد من القرآن أو من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطة، ويتضح هذا بقضية سيدى عبد الله (346) بن ساسي مع شيخه سيدي عبد الللہ الغزواني وسيدي علي بن ابراهيم البوزيدي. قال في *المرآة*: قال له أبو الحسن أنا أحق به ففد عينته وهو في بطن أمه، فقال له أبو محمد أنا أحق به فقد عينته وهو في صلب أبيه فاستحقه انتهى. ونقله في *الممتع*(347)، ونقله عم والدنا محمد العربي القادري في *كناشه* بزيادة مذكورة. وهذا التعيين بحسب ما سبق، لأن قاعدة التحقيق ليس إلا سابقة التوفيق.

وقوله هل للشيخ الخ) روح الروح هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه رحمة للوجود وحياة للأرواح. وبسط هذا المعنى في *شرح الجزولي* لصلاة ابن مشيش فانظره. والتصريف من ولاية الأبرار. قال العثماني في شرحه *لنظمه*: والأبرار لهم التصريف، وهو تجلي الحق لعبده بنفوذ مراده. وفي *تفسير القشيري* لما ذكر أنواعا من التمكين عند قوله تعالى: «*إنا مكنا له في الأرض*»: وفوق هذا التمكين في المملكة إيصال قوم إلى منازل وحال، فالله يحق فبهم همتهم انتهى. والبرزخ هنا هو الحاجز بين الشيء وغيره. وفي حزب الشيخ أبى الحسن واجْعلنا سبب الغنا لأليائك، وبرزخا بينهم وبين أعدائك. قال سيدى عبد الرحمان بن محمد الفاسي في *حاشيته* : يعني حاجزاً لهم ومانعا من تسليط أنفسهم وأهوائهم وشيطانهم وسائر قواطعهم عن كمالهم انتهى. فمعنى التصريف هنا في روح الروح الذي قررنا أنه النبي صلى الله عليه وسلم هو التجلي للشيخ بنفوذ مراده بالإيصال للمريد ما قدر له من الأنوار النبوية.

وحاصل الجواب أن للشيخ ذلك، وهو برزخ للمريدين كما دل عليه كلام الشيخ أبي الحسن ومحشيه. وأما السؤال هل يرجع الشيخ عن المريد بعد كماله ووصوله أم لا؟ فقال الحاتمي: وإذا علم الشيخ أن المريد قد استقل وكملت تربيته ودخل أوان فطامه وجب عليه أن يقطع عنه الإمداد من جهته ويتركه مع ربه إن شاء أقامه بين العباد وإن شاء ستره بينهم، ولا حكم بعد ذلك للشيخ عليه، ولا يجوز أن يسيء معه الأدب أبدا، بل يحترمه وإن لم يكن مقتديا به انتهى.

وقوله واسأل خاصة قولة صاحب *المباحث*: والشيخ في منزلة الطبيب، وبينه الشيخ زروق بأنه طبيب القلوب بما شهد وتحقق، لأن الطب صناعة من العلم والتبحر فيه لحفظ

346) في ك: عبد الحق، وهو تصحيف.
347) *ممتع الأسماع*، ص 82

الصحة في بدن الإنسان، وهذا في حفظ قلبه من الأمراض المعنوية، فالاختلاف فيه على المريدين باختلاف أمراضهم، فالجاهل يدله على الاقتداء به، واللائح لغيره بحضه على قصر النظر عليه، إذ قالوا لا ينتفع المريد بالشيخ مادام فيه التفات لغيره. والمقصر في حق النبي صلى الله عليه وسلم جهلا علمه وتبهه على عظيم قدره وأنه رحمة للعالمين، ولم يحصل لأحد خير إلا منه، ومن قطع هذه المنازل وحقق منزلة الشيخ ومنزلة رسول الله صلى الله عليه وتأهل للخصوصية دله شيخه على ربه وزج به في نور الحضرة حتى قال له ها أنت وربك. فهذا كله من جهة اختلاف أحوال المريد. وقد يكون الاختلاف من جهة الأحوال الواردة على الشيخ، فإذا كان في مقام الفناء فلا شعور له بشيء، فلا يدل إلا على نفسه. وإذا كان في مقام الغيبة في النبي صلى الله عليه وسلم فلا يدل إلا عليه، وإذا كان في محل الشهود والغيبة في المعبود لا يدل إلا عليه.

ثم إن الشيخ أورد هذا السؤال للتعليم لسامعه و الإفادة له، وله أسوة في سؤال جبريل – عليه السلام – رسول الله صلى الله عليه عن الإسلام والإيمان والإحسان، وبين صلى الله عليه وسلم للحاضرين في آخر الحديث أنه جبريل جاء يعلمهم دينهم. وفي *الفتح* قال ابن المنير: يعلمهم دينهم دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علما وتعليما، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال ومع ذلك سماه معلمًا. وقد اشتهر قوله حسنُ السؤال نصفُ العلم، ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث لأن الفائدة انبنت على السؤال والجواب معا، لكن الواقع هنا هو التعليم. وقد يقصد به الشيخ اختبار بصائر أصحابه وأتباعه ومن هو حريص على نفعه من أهل عصره.

وكان صاحب الترجمة رأسا في علوم القوم وتحرير عباراتهم، وتدقيق إشاراتهم، وله من العبادة والزهد والسخاء وكرم الأخلاق وحسن المعاملة والتعطف على الضعفاء والمساكين ومحبة آل البيت والعلماء والصالحين وسائر الضعفاء والمساكين والحرص على النفع لسائر المسلمين في عصره ما لا يأتي عليه حصر. وكان صاحب فراسة تامة في الطريق وتصريف وكرامات ومكاشفات وإغاثات وإشفاء المرضى والإخبار بالمغيبات وإجابة الدعاء ومكثر الصدقات والإنفاق وإطعام الطعام، وما أكل جميع من طعامه إلا كفاهم ولو قل، و إذا قُصد في مشورة كانت عاقبتها خيرا، وإذا شكا له أحد بشيء كف ضرره، وبمرض شفي صاحبه، وبمسجون سرح، وما آذاه أحد إلا انتقم الله منه. قال في *الإلماع*: إذا نظر أغنى، وإذا أراد أعطى وأقنى، كلامه شفاء للقلوب، وفتح لباب الغيوب. رفيع الهمة عن الخلق متعفف عما في أيديهم، لا يتوجه إليهم في أمر و لا يعرج عليهم في شأن، دائم العكوف على حضرة الحق، لايعول إلا عليه، ولا استناده إلا إليه، ولا محبة إلا فيه، ولا لهج إلا به، ولا وقوف إلا ببابه ، ولا رجاء في شيء إلا في جنابه، لا يزيد فيه إقبال الخلق ولا تعظيمهم، ولاينقص

توفي شيخنا الإمام العارف بالله الدال كل عبد على مولاه الولي الصالح الجاري في مـدان المنافع والمصالح قبلة الصلاح وكعبة الفلاح أبو عبد الله سيدي محمد بن الولى الكامل أبى محمد مولانا عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن الحسن بن موسى بن ابراهيم بن محمد بن أحمد بن عبد الله الجبار بن محمد بن يملح بن مشيش بن أبى بكر بن علي بن حرمة بن عيسى سلام بن مزاور بن حيدرة بن محمد بن ادريس بن ادريس بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المثني بن مولانا الحسن السبط بن مولانا علي ومولاتنا فاطمة بنت سـدنا محمد رسول الله صلى الله علـه وسلم.

قال في *الأنبس* أخذ طريقة القوم عن والده الولي القطب الشهير مولانا عبد الله عن شيخه العارف الرباني الشيخ سيدي أبي الحسن علي بن أحمد الجرفطي الحسني نزيل صرصر عن شيخه الولي الصالح البركة سيدي أبى الحسن المصباحي دفبن الدعادعة عن شـخه الجامع ببن الشريعة والحقبقة سيدي محمد بن علي بن مهدي الهراوى الزمرانى المعروف بالطالب دفبن داخل باب الفتوح أحد أبواب فاس عن شبخه القطب الرباني سبدى عبد الله الغزواني عن شيخه البحر الفياض عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع عن القطب الأكبر الغوث الأشهر مولانا محمد ابن سلبمان الجزولي الحسنى عن شبخه سيدي عبد الرحمان الشربف أمغار عن شيخه أبي عثمان الهزناني عن سيدي عبد الرحمان الرجراجي عن سيدي أبي الفضل الهندي عن سبدي أحمد عنوس البدوى عن سيدنا الإمام الغربى عن سيدنا عبد الله المغربي عن سيدنا الإمام علي الشاذلى الحسني عن سيدنا الفطب الجامع الأكبر عبد السلام بن مشبش الحسني عن سيدى عبد الرحمان الشريف المدنى عن سيدى عبد الرحمان التنائري عن أبى بكر الشبلى عن إمام الطرىقة أبي القاسم الجنيد عن أبى البفاء سري السقطي عن أبي المودة حبيب العجمى عن الحسن البصري عن الحسن بن علي وسيدتنا فاطمة بضعة رسول الله عن والده سيدنا علي كرم الله وجهه - رضي الله عنهم أجمعين -.

وكان هذا الشيخ مجاب الدعوة مأمون الادعاء حسن الأخلاق مواسيا لذوي النيـاب الأخلاق، مقرب أهل الإملاق على الاطلاق، لين الجانب، للغرباء والأجانب، يطارح الغريب، وبنزل البعبد منزلة الفريب، بقصد للزبارة، من البداوة والحضارة. وكان بجالس العلماء الأئمة، أعلام هذه الأمة، فيأخذون عنه الأحادبث النبوية، ويقتسمون ما نالوا من بركاته على السوية. وكثيرا ما كان بوصي على الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نفعنا الله به آمين] (349).

---

349) هذه الفقرة الطويلة المكتوبة بين معقوفنين لا توجد إلا فى س ولو أن فى آخرها بعض التكرار لما نقدم

علي الحاج بركة

ومنهم العالم العلامة المشارك الدراكة الصالح البركة أبو الحسن سيدي علي بن محمد الملقب الحاج بركة الأندلسي التطاوني دفينها، صاحب الحرم والمزارة الكبيرة الشهير بها. كان - رضي الله عنه - من العلماء العاملين، ومن الصلحاء الكاملين. قرأ العلم بفاس على مشايخها، منهم سيدي عبد القادر الفاسي، وأخذ الطريق عن أبي عبد الله بن ناصر وكانت له مواصلة مع سيدي أحمد بن عبد الله معن. كبير، وذكر شهير. وقال فيه صاحب *الأنيس*:

[منِّي السلامُ عليك والبركَةْ … يا واحدَ العصر يا عَلِي بَرَكَهْ
قد كنتَ ذا ورعٍ وذا أدبٍ … وذا مُدارسةٍ وذا مَلَكَهْ
علمتَ علمًا وكنتَ مالكهُ … وحُزْتَ حلمًا سواكَ ما مَلَكَهْ
لم يَبْقَ علمٌ إلا وتعلمُهُ … فَهَلْ رَمَيتَ عليه من شَبكَهْ
سَبَكْتَ صَعْبَ الكلامِ حَتَّى بَدَا … وما رَأَيْنَا سواكَ مَنْ سَبَكَهْ
وكان نجمُ العلوم في فلكٍ … حتَّى أدرتَ عَلَى الْوَرى فَلَكَهْ
سلكتَ بالناس نَهْجَ مَصْلَحَةٍ … لَولاكَ مَا كانَ واحدٌ سَلَكَهْ
وكنت في النَّحو غَيْرَ مُشْتَرِكٍ … والناسُ كَمْ نَاصبٍ لَهُ شَرِكَهْ
صَيَّرْتَ تِطْوَانَ كلَّهَا عَربًا … فما تَرى اللَّحْنَ ثَمَّ حَركَهْ
والقوم ماتُوا إذ متَّ مِنْ أسفٍ … ومَا لهُمْ إذْ سكنتَ من حَركَهْ
لذاكَ عَيْنِي تَعُومُ بَعدَكَ فِي … بَحرِ الدُّموعِ كأنَّهَا سَمَكَهْ

انظر ما بقي منها. ورثاه أيضا بقصيدة أخرى فمنها:

ما ترَى عالمَ تِطوانَ الَّذي … كان روحَ العصرِ قد ذَاقَ الْحِمامْ
فَلْتَنُحْ يا كلُّ إنْسانٍ على … فَقْدِه الْيَوْمَ كما نَاحَ الحَمَامْ
كيف لا يُبكَى على الحَبْرِ الذي … كان في المغربِ والعَصْرِ الإمامْ
مَنْطِقٌ نَحْوٌ بَيانٌ لُغَةٌ … سِيَرٌ فِقْهٌ تَفاسيرٌ كَلاَمْ
جاءه الموتُ ففي أحشائنا … منه شَجْوٌ وَهَيَامٌ وكِلاَمْ
أيها الناس اصبِرُوا واحْتَسِبُوا … فلنا الأُسْوَةُ في خَيرِ الأنَامْ

كلُّ حَيٍّ لابن في قومه ... مَيِّتٌ لَوْ عَاشَ فيهمْ أَلْفَ عَامْ
غبر أنَّ اللّه يُحيي علمَ مَنْ ... مَاتَ للنّاس كما يُحيي العظَامْ
يَجْعَلُ الأبْنَاءَ وُرَّاثًا لهُ ... فَيُوَفِّي سَهْمَهُمْ بَيْنَ السِّهَامْ
ثم يُبقى العلْمَ فى أخلافهمْ ... يَتَلقَّاهُ هُمَامُ عَن هُمَامْ
وكَذا الأخْيَارُ يَبْقَى فَضْلُهُمْ ... يستوي المَبْدأُ فيه وَالتَّمَامْ
والَّذي طَيَّبَ رَبِّي بَدْءَهُ ... لاَ تشُكُّوا أَنَّهُ طِيبُ الخِتَامْ

ولصاحب الترجمة أنظام فى أنواع من المسائل النفسية. ورأيت له رسائل ومخاطبات لجدنا عبد السلام بن الطيب القادري، ورأبت له سؤالا كتبه لجدنا المذكور عن خمسة مسائل. الأولى عن حدبث وَضَع يَدَه رَبِّى بين كَتفى الحديث. التانية عن حدبث حُجُوا هذا قَبْل أَنْ تَنْبُت في البَادية شجرةُ فلا تَا كُلُ منها دابَّة إلا نَافَقت. الثالثة قول سيدي عبد الكريم المراكشى حُبُّ الآخرة رأسُ كلِّ خطيئة. الرابعة قول أبى يزبد البسطامى: كنت من الزاهدين فى الله. الخامسة قول بعض العارفىن منذ عرفت الله ما دخل فى قلبى حق ولا باطل. فأجابه عن جميعها جوابا حسنا فى كراستين] (350). ولصاحب الترجمة *شرح على الجرومية*. وبذكر أنه شرح *تأليف* سبدي أحمد ابن ناصر في الصلاه على النبى صلى الله عليه وسلم.

توفي في تاسع وعشرىن من شوال عام عشرين ومائة وألف، ودفن بتطاون، وبني علىه روضة هى الآن مزارة عظيمة وبها الصلوات مرتبة وأحزاب عقبها كذلك (351).

أحمد بن عبد الحي الحلبي

الأديب الشهير، العالم الصوفي الكبىر، المولع بالأشواق النبوية، و الأمداح المصطفوية، سراج الدبن أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي ثم الفاسى وفاةً. كان ممن ذاق الحب النبوى ومساغه، وحمل فيه لأهل زمانه رابة البلاغة، فوال مكثار، لا يسطبعه الحسين ولا مهيار ، ممن أعجز كل مدبح وحاز في هذا الباب الفخر الصربح، أنفق عمره في الأمداح المحمدية، واغتنم بها طلب السعادات الأبدية، وأكثر من القصائد الرفىعة، والأزجال البديعة، فتارة يتغزل على طربقة النسيب وتارة يصرح أولا بالمديح ويأتى فى كل بالعجب العجيب، فله فى ذلك *ديوان كبير*.

قال قيه في *الأنبس*: إمام مذكور، وهمام مشكور، ومعروف بفصاحته غير منكور، وبحر لا تكدره الدلاء، وحبْرٌ يُفاخر أعلام الدلاء، وحق له ذلك فقد جعل عمدته فى الأمداح المحمدية، وأكثر من القصائد الوصفية والأزجال البديعة. ومن نظمه:

---

350) ناقص من *ط*

351) ترجمة على بركة فى *ط* موجزة فى بضعة أسطر.

[أرقْتَ وَالدَّمْعُ فى الخُدود بَنْسَجِمُ   كَأنَّ بينك بَانَ الْبَانُ وَ العَلَمُ
أو القِبَابُ بَدَتْ من نحو أرض قُبَا   أولاح بَرْقٌ منَ الزَّوْرَانِ يَبْتَسِمُ
فَاخْلَعْ عذَارَكَ إنْ رُمْتَ العَقيق وَهِمْ   إنَّ الصَّبَابَةَ سِرٌّ لبس يَنْكَتِمُ
قِفْ بالمُصَلَّى وَقُلْ يَا أهْلَ ذي سَلَمٍ   عُبَيْدُكُمْ صَحَّ فيه السعُ والسَّلَمُ
مَازَالَ فِى رِفِّكُمْ يَرْعَى لكُمْ حُرَمَا   يُقَبِّلُ الأرضَ مِنْ بُعْدٍ وَيَسْتَلِمُ
كَمْ بَاتَ يَقْرَعُ سِنًّا بَعْدكُمْ نَدَمَا   حتَّى بَكى منْ دُموعٍ مَزْجِهن دَمُ
يَا لائمي لا تَلُمْنِي في مَحَبَّتِهِمْ   وصَالهُمْ لي شِفَاءٌ وَ النَّوَى سَقَمُ
فكيفَ تُرْشِدُ بالتَّعْنيف ذَا وَصَبٍ   أَمْ كيفَ تُسْمِعُ قُلْ لِى مَنْ بِه صَمَمُ
أم كيف تسكنُ أضلاعُ بِهَا ألَمٌ   أم كيف تَهْدأُ أحْشَاءُ بها ضَرَمُ
طفِقْتَ تَنْصَحُني من بعد ما كلفتْ   روحى بِحبِّهِمُ والصَّبرُ مُنعدِمُ

ومنها:

على الحقيقة عند كلِّ ذى رَشَدٍ   لِمَدْحِ خير الوَرى أنْ تُصْرَفَ الهِمَمُ
محمَّدُ المُصطفَى الهادي الشَّفيعُ ومنْ   عليه أمتُهُ فى الحشر تَزْدَحِمُ
قطبُ النبيئينَ مَنْ لولا كَرامَتُهُ   مَا كان بَدْرُ الدُّحا نِصْفَيْنِ يَنقَسِمُ
ولا مُنْحِنا بخمس من فرائضِنَا   ثوابَ خمسين عند الله نُغْتَنَمُ]

وله أنظام كثيرة، وله تآليف عديدة، منها: *الدر النفيس في مناقب مولانا إدريس*، يعني باني فاس؛ ومنها: *ريحانة القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب*، وقد طالعت منه كثيراً؛ ومنها *كشف اللثام عن عرائس نعم الله ونعم رسوله عليه السلام*؛ ومنها: *السيف الصقيل فى الانتصار لمدح الرب الجليل*؛ و*فتح الفتاح على مراتع الأرواح*؛ و*معراج الواصلين في الصلاة على سيدى المرسلين* (352)، و*مناهل الصفا فى جمال ذات المصطفى*؛ و*مناهل الشفا فى رؤيا المصطفى*؛ و*الروض البسام فى رؤيا غيره عليه السلام*؛ و*السيف المسلول فى قطع أوداج الفلوس المخذول*، وهو رجل أنكر عليه نداء النبى صلى الله عليه وسلم باسمه مجردا عن السادة في قصيدة مطلعها:

وحقك يامحمدُ مَا رَأيْنَا   نَظِيرَكَ فِى جَمِيعَ العالمين

(352) هكذا اسم الكتاب فى المخطوطتين. واسمه فى ط: *معراج الوصول، فى الصلاه على أكرم نبى ورسول*

وله *مقامات* عارض بها *مقامات الحريري*؛ و*الكنوز المختومة في الشفاعة المقسومة لهذه الأمة المرحومة* في ثلاثة أسفار، وشرح على قصيدته العينية المسماة *بمراتع الأرواح، في كمالات الفتاح*، في مجلد، و*ديوان* جمع فيه شعره، وأثنى به عليه أهل عصره حسبما رأيته بخطوطهم وعلى تآليفه، منهم سيدي عبد القادر الفاسي وولداه سيدي عبد الرحمان وسيدي محمد وسيدي عبد الواحد بن محمد البوعناني، وسيدي محمد بن أحمد القسمطيني وسيدي سعيد بن أبي القاسم العميري، والقاضي محمد بن الحسن المجاصي، والقاضي أبو مدين المكناسي السوسي، وسيدي محمد بن محمد الشاذلي الدلائي، وأحمد بن سعيد المجيلدي، وأحمد بن يعقوب الولالي. وكان سيدي الحسن اليوسي يثني على نظمه ويلاحظه لغربته ونفاسة علمه ويصرف له مايحتاج إليه من الزرع ويقضي له بعض ضرورياته . وجميع ما أثنوا عليه به كله مستوفى في كتابه *كشف اللثام* بلفظه. ثم إنه نظم قصيدة تكلم فيها على لسان الحق تعالى بعدما كتب له على توالبفه، فاطلع عليها الشيخ اليوسي فزجره وأمره بتمزيقها فامتنع من ذلك، فهجره الشيخ اليوسي وجرحه بذلك وقطع عنه ما كان يواصله به، وحذّر من الاجتماع به، وأبى أن يتوب واستمر على ذلك، ولم يقدر عليه الشيخ اليوسي بشيء لأن صاحب الترجمة كان يسير إلى حضرة السلطان مولانا اسماعيل الحسني لمكناسة في موسم ربيع الأول ويقرأ بباب دار السلطان قصائد الأمداح، وكان له صوت حسن، ويحسن تلك الصنائع، وكان السلطان وأولاده وموالي الدار والأتباع يعطونه ويكرمونه بالعطاء المخصوص، ويقبض ما يقبضه الشرفاء والعلماء، ويوقرونه ويعظمونه غاية التعظيم، بسبب ذلك كف عنه الشيخ اليوسي حيث علم أنه لم يقدر عليه بشيء. ثم إن السلطان اطلع على بعض ذلك فلما سمعه تنكر لذلك وتأمله فظهر له أنه خرج بذلك عن مذهب السنة وتنحل إلى أهل البدع والزيغ، وأبعده عن حضرته، وكفّ الله عن المومنين شرّ بدعته.

ثم توفي في جمادى الثانية عام عشرين ومائة وألف ودفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح من فاس.

وقدم صاحب الترجمة من مدينة حلب، وكان شافعي المذهب في بلده، وبقي على مذهبه بعد قدومه لمعرفته لما يحتاج إليه من مذهبه وتصحيح أصوله، وحسن سيره إلى أن نظم ما ذُكر فتغير ظاهر حاله بسوء اعتقاده بدسوره (353) على مولاه إلى أن توفي تاب الله عنه (354).

---

353) كلمة عامية كأنها محرفة عن الجسارة، وهي بمعناها وبمعنى الوقاحة

354) أثبتنا كذلك في ترجمة الحلبي أوفى ما في النسخ التي بأيدينا دون إشارة إلى الفروق.

محمد أبو مدبن السوسي

ومنهم الفقيه العالم العلامة المعفولي أبو عبد الله محمد أبو مدبن السوسى قاضى الحضرة الاسماعلة بمكناسة الزيتون. قرأ على سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، وجل قراءته عليه. وكان إمامًا فى المعقول، وبرع في الفتيا وشهر فيها. وله *شرح على سُلَّم* الأخضري. وكان أخطب أهل وقته، فخطب في يوم عيد النحر وحضر جمع عظم من الأعيان، فلما حلّى الخليفة ورًى باسمه فقال لو رآه والده الجلبل، فى هذا الجمع الحفيل، لقال الحمد لله الذى وهب لي على الكبر إسماعيل. فأعجب الحاضرون به، ولما فرغ من خطبته خلع عليه السلطان. وكان جيد التوثيق فى فتاوبه ملحوظًا في دينه وعلمه.

نوفى قاضيا بمكناسة الزينون سابع شوال عام عشرين ومائة وألف وبها دفن.

محمد بن قاسم ابن زاكور

ومنهم العالي العلامه الأدىب الفوال، الصالح الخير الجوال، الناظم البارع المشهور، أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم ابن زاكور، الفاسى داراً ومنشئًا، وقراراً ومتبوَّءاً، وقال بعضهم فيه، وهو لاشك غير مستوفيه: العالم الذي شب فى زمان الأدب بعد الهرم، وجدد أساس البلاغة بعد العدم، من ركضت فى مضمار البلاغة صافنات جياده، وعقد شذور البلاغة على لبَّات هذا العصر وأجياده. الجهبذ الأريب، المصقع الأديب، اللغوى المتفنن، الحافظ المشارك المتقن. كان – رضى الله عنه – من أجل الفقهاء خبراً دينا متقشفًا، ناسكا متعبداً متصوفا، زواراً للصالحين متواضعًا فاراً من الدعوَى إماما فى علم البيان والبديع واللغة والعربية والعروض والشعر وأوزان الموشحات والأزجال، مشاركا فى الفقه والحديث والأصول والتاريخ. وأخبرنى بعض تلامذته أنه كان يحفظ عدة تآليف، منها *تلخيص المفتاح*، *وجمع الجوامع* لابن السبكى، *ومختصر خليل*، *وكافية ابن مالك*، *وتسهيله*، ولاميته، *وابن الحاجب*. أخذ بفاس عن سيدى أحمد بن الحاج، وسيدي العربى بن أحمد بردلة، والحافظ سيدي محمد بن أحمد القسمطينى، والحدث عن سيدي المهدى بن أحمد الفاسى، وبتطاون عن الحاج علي بركة، وبالجزائر عن مفتيها العلامة سيدى محمد بن سعيد قدورة وعن قاضيها عمر المانجلاتى، والشريف محمد بن عبد المومن. وله قصائد في مدح شيوخه هؤلاء، وله تآليف وقفت على الجل منها، منها حاشية على حماسة أبي تمام فى ثلاثة أسفار، وله ديوان سماه *الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض*؛ وله شرح عجيب على *لامية العرب* المنسوبة للشنفرى فى كراسين؛ وله *شرح على بديعية صفى الدين الحلى*، وهو في ثمانية كراريس؛ وله *شرح على قصيدة ابن مالك فى المقصور والممدود* فى خمسة كراريس؛ وله *أرجوزة في التوقيت وحساب أيام السنة* مثل *المقنع* في فنه؛ وله تأليف سماه *بنشر أزهار البستان فيمن أجازنى بالجزائر وتطوان*؛ وله *أنفع الوسائل فى أنواع الخطب وأبرع*

الرسائل؛ و*الاستشفاء من الألم بذكر آثار صاحب العلم*، يعني مولانا عبد السلام بن مشيش، عرّف به وبإخوته وأعمامه، وبيّن أسماء مداشرهم وعين جهات مواضع المداشر، وعين من يسكن من الأشراف في كل مدشر. و*تأليف آخر في قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول*. وله *الحلة السيراء في حديث البراء*. يعني الرسائل إلى الملوك السبعة، و*الدرة المكنوزة في تذييل الأرجوزة*، يعني *أرجوزة ابن سينا* في الطب، ونظم ورقات إمام الحرمين سماه *معارج الوصول إلى سماوات الأصول* وله *المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب* و *روضة النسرين* انتهى.

ومن أشياخه أيضا سيدي الحسن بن مسعود اليوسي. وطلب دواءات في سفر وصاحب الترجمة معه، فوجدها عنده مهيأة على أحسن ما ينبغي فامتدحه الشيخ اليوسي بهذا:

لله دُر ابن زاكورٍ ونسبته   وَمَا أعَدَّ إلى العلوم من عُدد

ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضا جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني حسبما رأيته بخطه في غير موضع، وله إجازات من شيوخ عديدة في أنواع من العلوم، ومن نظمه:

اتقِ الله ما استطعت فإنّ الله   ـه ربّي مع الذين اتّقَوْهُ
واعصَ ابليسَ واتخذه عدواً   إنما يُفلح الذين عصَوْهْ
واترك النفس وآت ربك إقبا   لاً علـه مع الذين أتوْهْ
لترى فضله الذي ما له حَـ   ـدٌّ عيانًا مع الذين رأوه
وادعُه ضارعًا له إنّ ربي   لقريبٌ من الذين دعوْهْ
وارْتدِ الدِّينَ سابغًا واشملْهُ   إنما يهتدي الذين ارتدَوْهْ
واشْترِ الرُّشْدَ بالضلالة واعلَم   أنما يربح الذين اشتروْهْ
وارتجِ الله فضله واطلُبَنْهُ   إنما يغتني الذين ارْتجوْهْ

انظر تمامها فإنها طويلة.

توفي صاحب الترجمة صبيحة يوم الخميس الموفي عشرين من المحرم الحرام سنة عشرين و مائة وألف. وقال فيه صاحب *الأنيس*:

قضى أخو النظم والنثر ابنُ زاكور   لكن من الله تصريفُ المقادير
وامتدّ شوقي بمقصور الحياة له   ما حبلتي بين ممدود ومقصور

وقال في صاحب الترجمة الحاج الشرقي:

مـا انصف المـوتُ في حق ابن زاكـور لكِن من الله تصـريفُ المـقـادير
قـد كـان نوراً لِعَـيني حـبنَ تُبـصـره لمـا قـضَى بقِـيت عـيني بلا نور(355)

علي الزعتري المصري

ومنهم إمام الموقتين بمصر أبو الحسن علي الزعتري المصري. توفي بمصر عام الترجمة. لقيه سبدي أحمد بن ناصر الدرعى وذكره فى *رحلته*.

حوادث السنة

إحداث قراءة حديث الإنصات يوم الجمعة

ومن حوادث هذه السنة إحداث قراءة الحديث المتضمن أمر الإنصات بالسماع عند خروج الإمام يوم الجمعة من المقصورة إلى المنبر ليخطب ويصلى بالناس.

فتح وهران

وورد الخبر إلى فاس بأن الترك فتحوا وهران [ثم أخذت بعد ذلك] (356) أعادها الله أيضا دار إسلام.

بنت عظيم الروم توصي بدفنها في الحرم النبوي

وورد الخبر بأن بنت عظيم الروم أوصت بدفنها في المدينة المنورة على دفنها أفضل الصلاة والسلام، فاحتال الروم في ذلك بأن أحرقوها ومزجوا رمادها بعنبر وطيب وصنعوا منه مثل المنارة من الذهب ورصعت بالباقوت والجواهر وبعثوا بها إلى الحرم الشريف لتعلق به كالمنارة [فتردد ولاةُ الحرم في ذلك حتّى بحثوا فأخبروا بحقيقة الأمر فرموا ذلك الرماد والطيب فى البحر لئلا يدرى منه شيء بقرب المدينة ودفع الله تعالى تلك النجاسة عن الحرم الشريف] (357) .

مشكل تمليك الحراطين ومحنة الفقهاء

وفيه شرع السلطان مولانا اسماعيل في تمليك حراطين مكناسة الزيتون أمنها الله ثم عفا عنهم. وفي ثامن ربيع الأول من العام قدم على فاس القائد عبد الله الروسي من مكناسة الزيتون وحاز الفقهاء فى تمليك الحراطين ودون الدواوين وأنزل عليها أكثر الفقهاء وامتنع البعض من النزول عليها. وبعد صلاة الجمعة الموالية له نادى أهل المسجد وطلبوا منه الشرع فلم يزل يضيق على من امتنع من النزول فلم ينفعه ذلك فيهم. ثم خرج قاصدا إلى مكناس وذهب بمن امتنع وبمن وافق بالدواوين فنادوا أيضا بمسجد مكناسة الزيتون طالبين أمر الشريعة وتبعهم أهل مكناسة وغيرهم من العبيد الذين هنالك. ثم أظهر السلطان أنه عفا

355) ترجمة ابن زاكور فى ط تقع فى نحو صفحة، والزيادات من المخطوطتين.
356) زيادة في *الحوليات*.
357) ما بين معقوفتين ساقط من ط و من *الحوليات*.

عنهم ورجعوا إلى فاس فبنفس رجوعهم بعث وراءهم وعاتب الفقهاء وغضب عليهم وبعث أحدهم مكبلا لفاس وبعث القائد عبد الله الروسى مع بعض الخيل لياتوا بالحراطين (358).

وفى أواخر رجب العام أرسل السلطان إلى الفقهاء والشهود أن يقدموا علهى من فاس فخرجوا لمكناسة الزيتون وانزلوا أبديهم على تزكية السيد محمد اعليلش ورحعوا إلى ديارهم من فاس أمنها الله.

استصفاء أموال أولاد جسوس ومحنة فقيهم عبد السلام

وأخذ أموال أولاد جسوس وأجلس فقيهم فى الأسواق يستطلب وفى الثاني والعشرىن من جمادى الثانية من العام سرح الففيه السيد عبد السلام جسوس من السجن.

وفي الثالت من ذى الحجة العام سجن أيضا السيد الحاج عبد السلام جسوس المذكور وابن أخيه ثم أطلق من الغد. وفى السادس والعشرىن من النهر نفسه حبس ابن أخي جسوس في خمس قناطير من المال والأمر بيد الله (359).

*** *** تذكرة المحسنين *** ***

محمد بن قاسم ابن زاكور

توفي الفقيه الأديب البارع النحوي اللغوي ذو التآليف العديدة، والأنظام الكثيرة المفيدة، سيدي محمد بن قاسم ابن زاكور لىلة الخميس عشري محرم من السنة.

أحمد بن عبد الله مَعْنْ

وفي ضحى بوم الاثنين ثالث جمادى النانية منها بوفي الشيخ العارف بالله فخر الحقائق العرفانية، ومنهلس العلوم الربانية، القدوة الأعمد، أبو العباس سبدي أحمد، ابن الولي الكبير سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسى. توفي بداره القصوى من حومة المخفية ودفن عند رجلى والده داخل قبته بروضة الشيخ أبي المحاسن.

محمد أبو مدين السوسي

والفقيه العلامة القاضي الأعدل بمكناسة الزبتون وخطبب جامعها سبدي محمد بومدبن بن الحسبن السوسى ودفن بروضة سيدى عبد الله بن حماد خارجها.

---

358) انفردت *الحوليات* بحادث الحراطس.

359) انفردت *الحوليات* أيضا بمحنه آل جسوس.

العشرة الثالثة من القرن الحادي عشر من الهجرة
العام الأول منها

عبد السلام بن حمدون جسوس

فمنهم العلامة المحدث الصوفي أبو محمد عبد السلام بن أحمد المدعو حمدون جسوس، له معرفة بالنحو واللغة والفقه والأصول والبيان وعلم الكلام والحديث. وكان إماما بالمسجد الأعلى من العقبة الزرقاء من فاس القرويين وحدد بناءه له والده وجمع عليه الناس فيه صاحب الترجمة وادعى طريقة القوم فكان يقرأ الأحزاب والأوراد وذكر الجلالة على المألوف في زوايا شيوخ الطريقة فكان يقرأ بعد صلاة الصبح حزب الفلاح والحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، وبعد الانتهاء منه يدرس التفسير، وبعد صلاة الظهر يدرس الحديث، وبين العشائين كتب التصوف وانتسب لمعرفة علم أهل الحقيقة. قرأ العلم على سيدي عبد القادر الفاسي، وميارة الشارح، وأبي علي اليوسي، وأبي العباس أحمد بن الحاج، وأبي عبد الله بردلة، وأبي سالم العياشي، والقراءات على أبي زيد ابن القاضي. وحج وأخذ في سفره عن الشيخ سلطان بمصر. وغالب تدريسه *صحيح البخاري*، *والشمائل وسيرة اليعمري*، *والشفا وتفسير الجلالين*، *ورسالة ابن أبي زيد*، *وابن عاشر ومختصر خليل*. ومن كتب التصوف *التنوير*، *والحكم*، *ولطائف المنن*، *والعهود الكبرى*، *وقوت القلوب*، ومجلسه حفل، وله تأليف في أدعية نبوية، وله قصائد وانظام.

توفي قتيلا في سجن فاس خامس عشر ربيع النبوي عام واحد وعشرين ومائة وألف في قضية طويلة، ودفن في روضتهم قرب سيدي علي بن أبي غالب داخل باب الفتوح من فاس الأندلس (360).

محنة عبد السلام جسوس وسبب وفاته

وفي تاسع صفر من سنة إحدى وعشرين ومائة وألف قدم السيد الحاج الفقيه عبد السلام جسوس من مكناسة مسجونا لفاس، وجاء الأمر بإزعاج الحراطين للخروج وجعل على الاشراف شراء دور الحراطين، وجاء حراطين القصر وفرقت طائفة منهم على أهل فاس يمونونهم. وفي ليلة الخميس الخامس والعشرين من ربيع الثاني العام توفي الفقيه السيد عبد السلام جسوس مخنوقا في السجن - رحمة الله عليه - ووجد بخطه رحمه الله ما نصه: الحمد لله يشهد الواضع اسمه عقبه على نفسه ويشهد الله سبحانه وملائكته وجميع خلقه أني ما امتنعت من الموافقة على تمليك من ملك من الناس إلا أني لم أجد في الشرع وجها له ولا مسلكا ولا رخصة.

---

360) ترجمة جسوس ساقطة من ط، ووردت ضمن حوادث السنة في الحوليات وفيها أنه توفي في 25 ربيع الثاني، خلافا لما هنا، وهو الصحيح على ما يأتي عقبه مؤكدا في الرسالة التي كتبها جسوس نفسه قبل وفاته بيومين.

وتحققت من نفسي أني إن وافقت عليه طوعا أو كرها فقد خنت الله ورسوله والشرع الأعز وإني خفت من الخلود في جهنم بسببه. وأيضا فإني نظرت في أخبار الأئمة المتقدمين حين أكرهوا على ما لم يظهر لهم وجهه في الشرع ما آثروا أموالهم ولا أبدانهم عن دينهم خوفا منهم على تغيير الشرع واغترار الخلق بهم. ومن ظنّ بي غير ذلك أو افترى على ما لم أقله وما لم أفعله فالله الموعد بيني وبينه وحسبنا الله ونعم الوكيل. والسلام. وكتب عبد السلام بن حمدون جسوس غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه صبيحة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني من عام أحدى وعشرين ومائة وألف.... فلم يكن بين كتبه هذه الشهادة وبين موته على الشهادة إلا يومين كاملين (كذا) والأمر لله من قبل ومن بعد (361).

امرأة بتازا ولدت إنسانا برأسين وثلاثة أرجل

وفي هذا الشهر نفسه جاء لفاس من تازا أن امرأة ولدت إنسانا برأسين وثلاثة أرجل وليس بذكر ولا بأنثى والله على كل شيء قدير.

ومما يقرب من هذه الحكاية ما ذكره القاضي عياض في *مداركه* لما عرّف بالشافعي - رضي الله عنه - قال: بينما أدور في طلب الحديث باليمن قيل لي هنا امرأة من وسطها إلى أسفل بدن، وإلى فوق بدن ثانٍ، مفترقان، بأربع أيد، ورأسان. فأحببت رؤيتها ولم أستحل ذلك، فخطبتها ودخلت بها فوجدتها كما وصف،. فلعهدي باليدين يلتطمان ويتقاتلان ويصطلحان ويأكلان ويشربان. ثم نزلت عنها وغبت ورجعت بعد مدة فسألت عنها فقيل لي مات الجسد الواحد وربط أسفله بحبل وثيق وترك حتّى ذبل ثم قطع ودفن. فرأيت الشخص الواحد بعد ذلك في الطريق يذهب ويجيء.

قال عياض في نكاح مثل هذا نظر، وهما أختان. انتهى. وكونهما اختان في محل المنع لاتحاد محل الوطء كما قرره علماؤنا - رضي الله عنهم -(362).

—— *** —— *** —— **تذكرة المحسنين** —— *** —— *** ——

عبد السلام بن أحمد جسوس

توفي الفقيه الأكبر، العلامة الشهيد الصوفي الناسك الأبر، أبو محمد سيدي الحاج عبد السلام بن أحمد جسوس، قتيلا ليلة الخميس منسلخ ربيع النبوي من السنة.

---

361) انفردت *الحوليات* بحادث محنة عبد السلام جسوس وسبب وفاته.

362) انفردت ط بحادث تازا مع ما ذكر عن الشافعي. ووردت الإشارة في الحوليات إلى هذا الحدث مختصرا في سطرين.

العام الثاني من العشرة الثالثة

أحمد بن ناجي السجلماسي

فمنهم الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن ناجي السلجلماسي، ولى قضاء فاس [العليا والسفلى مرارا] وعزل عنه [وكان يتعاقبه مع القاضي أبى عبد الله بردلة، وكان من خواص الحضرة الاسماعلية ومن علماء وجوه الدولة والاتباع](363) توفى بمكناس عام الترجمة

حوادث السنة

قدوم احمد بن ناصر من الشرق

وفي أواخر شعبان من عام اثنين وعشرين ومائة وألف قدم الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن الشيخ الإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي من المشرق وقدم معه بعض حجاج أهل فاس أمنها الله(364)

363) ساقط من ك وس.
364) انفردت *الحوليات* بحوادث هذه السنة.

العام الثالث من العشرة الثالثة

محمد بن عبد الرحمان التادلي الصومعي

فمنهم الفقيه العلامة الصالح البركة المشارك، الحجة الناسك أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان التادلي الصومعي الزمراني، أحد الأئمة المهتدين، الذين أقام الله بهم مراسيم الدين. كان عالما عابدا فاضلا صالحا، جوادا ناصحا، ممن يوتر على نفسه، ويده في ماله كسائر أبناء جنسه. وحصل في العلوم على طائل، ومشى في الطريقة على سنن الأوائل، فصحب أولا العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله السوسي المتوفي بالمدبنة. ووفد على زاوية الدلاء وغرف من أبحر العلم بالقرب والدلاء، ثم اتصل بالعارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله معن وأخيه في الله سيدي أحمد اليمني. فصحبهما وتأدب بأدبهما كان يأتي إليهما من بلاده تادلا وحج في السنة التى حج فيها سيدي أحمد بن عبد الله معن عام مائة وألف [ورافقه مع جمع من أصحابه، ومنهم عم والدنا أبو عبد الله محمد العربي وولد عمه أبو العباس أحمد والصالح البركة الفقيه أبو عبد الله الدريج بوزن صديق وغيرهم، وكانت رفقة مباركة](365) ورأيت لصاحب الترجمة شرحا عجيبا على *سينية ابن بادس* وقد جمع فيه بين الاختصار والتحقيق وهو مما يدل على أن له ملكة في العلم وبيتهم في تادلا مشهور بالصلاح والعلم والمواساة والإطعام. وكان صاحب الترجمة محققا فى العلوم عارفا بغوامضها ومشكلاتها مع تغفله في أمور الدنيا لا يكاد يضبط شيئا من أمورها مع شدة ورعه وحزمه في دينه. وتقدم التعريف بقريبه أحمد بن أبي القاسم [التادلي في العشرة الثانية من القرن الحادي. وعن أهل هذا البيت ورث شيخنا سيدي الكبير بن محمد السرغيني ما ورث من الورع والحزم والجد والاجتهاد في الدين إذ كان له ماسة بهم. رحم الله الجميع بمنه](366).

محمد (حَمُّ) الراموش

ومنهم البهلول الأبله محمد المدعو حَمُّ الراموش. كان العامة من أهل فاس ينسبونه للصلاح وكان متبركا به يطوف بأسواق المدينة وأزقتها ولا يحسن التصرف في شيء. توفي عام الترجمة ودفن بموضع دار له بأقصى حومة القلقليين من فاس القرويين واتخذوا عليه روضة تزار ومقبرة لدفن الأموات.

محمد السالمي

ومنهم الأستاذ الناصح أبو عبد الله محمد السالمى القاطن بالمدرسة المصباحية بفاس، وتوفى بها عام الترجمة.

---

365) ما بين معقوفتين زيادة فى ط.

366) زيادة فى ط كذلك.

العام الرابع من العشرة الثالثة

الطيب بن عبد الرحمان ابن القاضي

فمنهم الفقيه الأستاذ الصالح البركة الأنور أبو محمد الطيب بن أستاذ الجماعة عبد الرحمان ابن القاضي. أخذ عن سيدي أحمد بن عبد الله. كان مولعا بتقييد المسائل المهمات ملتقطا أشتات الفضائل، متبعا لآثار والده مقتفيا سبيل الخيرات، وحمل الناس عنه القرآن وانتفعوا به، ودرس العلوم *كالشفا* وغيرها.

توفي ثامن رمضان بفاس عام أربعة وعشرين ومائة وألف.

أحمد النفراوي المصري

ومنهم الشيخ العلامة أحمد النفراوي(367) المالكي المصري شيخ التدريس بالديار المصرية كان إماما حجة، ورأيت له *شرحا على الرسالة* لابن أبي زيد يدل على علو مكانته وباعه. توفي بمصر عام الترجمة.

أحمد بلعبّاس/ابن يحيَى

ومنهم الفقيه المشارك الأريب، العالم العلامة الأديب، أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن يحيَى السوسي، يدعَى بلعباس بن يحيَى، ممن قرأ على جدنا عبد السلام بن الطيب القادري. كان عالما بالوثائق يفهم حل مشكلاتها مقصودا في كتب الأسئلة التي يقصد الجواب عنها، من علماء الوقت وكان بارع الخط سريعا فيه، وغالب تآليف جدنا هو الذي أخرجها من المبيضة لما كان فيه من الإتقان. ورأيت من كان يثني عليه بالتحصيل في العلوم والدين والاشتغال بما يعنيه والمروءة وحسن السمت.

توفي بفاس عام أربعة وعشرين ومائة.

---

367) في ك. النفري.

العام الخامس من العشرة الثالثة

أحمد بن علي الجرندي

فمنهم الفقيه العالم العلامة الورع الزاهد الصالح، المشارك القدوة الناصح، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمان الجرندي الأندلسي الفاسى دارا ومنشئا ووفاة. كان إماما بمسجد الشرفاء بفاس ودرس فيه علوما وصحب في الطريق سيدي أحمد بن عبد الله معن وانتفع به، وكان عين بفاس من قبل السلطان فاستعفاه واحتال لنفسه بأن تحامق وصار يظهر من نفسه البله والأفعال الخسيسة حتّى أقيل منه ونجا، وهذا شأن من يكون قويا في دينه لا يخاطر بتقليد حقوق الناس. وحكايات العلماء فى الفرار منه معلومة.

توفي بعد العشاء يوم الجمعة حادي عشر المحرم عام الترجمة. ودفن قرب سيدي أبي غالب بحومة سريوة داخل باب الفتوح وبنيت عليه قبة.

حوادث السنة (368)

مشكل الحراطين بفاس

وفي ثاني عشر من جمادى الثانية من عام خمسة وعشرين ومائة وألف ورد على فاس زمام من مكناس بأحد وعشرين رجلا من أهل فاس بأنهم حراطين. وفي عاشر ذى الحجة العام قدم القائد حمدون الروسى من مكناس لبيع دور الحراطين بفاس والأمر لله.

وفاة القائد علي الريفي
وتولية ابنه الباشا أحمد مكانه

وفي ليلة الثلاثاء سادس شعبان العام، توفى القائد علي بن عبد الله الريفي، وتولى مكانه ولدُه الباشا أحمد بعده أواخر الشهر المذكور.

368) انفردت *الحوليات* بحوادث هذه السنة.

العام السادس من العشرة الثالثة

محمد الدَّرّيج التطواني

فمنهم الفقيه النبيه، المبارك النزيه، الولى الصالح، العارف الواضح، سدي محمدبن الدرِّيج الأندلسي التطواني. وأهله ينسبون إلى الفقيه القاضي الخطيب الولى الصالح المحدث أبي محمد عبد الله الدراج الأنصاري الذي عرف به أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي في تأليفه *الكواكب الوقادة* ووصفه فيه بالأنصاري. ورأيت بخط عم والدنا أنه من ذرية عبادة بن الصامت الأنصاري وهو من أهل سبتة. وكان صاحب الترجمة من حملة القرآن العاملن، ومن الصلحاء الكاملين، ومن العارفين بالله الفاضلين. صحب سيدي أحمد بن عبد الله معن، وسيدي أحمد اليمني، فكان في غاية الاجتهاد في العبادة، وفتح له فى الطريقة وارتسم بالحقيقة فذاق عذب عبارتها، واتصف بإشاراتها قال فيه تلميذه أبو عبد الله المدرع فى نظمه:

ومنهم المبرورُ شمس الأمَّهْ	محمد الدّريجُ عالي الهِمَّة
كان محباً صادقاً ذَا نيّة	حالتهُ زكيةٌ مَرْضيَّة
مِن الفحول المتمكّنينا	الواصلِين المُتَحقِّقينا

والتمكين مقابل التلوين. قال القشرى فى *الرسالة*: لأنه يرتقى من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، ويخرج من موحل ويحصل في مرتع فإذا وصل تمكن، فصاحب التلوين أبدا في الزيادة، وصاحب التمكين وصل ثم اتصل انتهى. فدل كلام المدرع أن صاحب الترجمة من أكابر الأولياء لأنه من أهل الاصطلاح العارفبن بعبارة القوم. وكان صاحب الترجمة يجيد نظم الشعر، فمن نظمه يصف جبلا أخضر بسمى سَرِّحْني بصيغة فعل الأمر وفاعله ومفعوله وذلك فى عشية وتخلص لمدح سبدى أحمد بن عبد الله معن:

ولما رفعت الطرف منيَ لاحظاً	وفاجأني نورٌ أضاء على الرُّبا
تحيَّر مني العقلُ فى وصف حسنه	فقلتُ ابن عبد الله أبدى التفربا
فلاح لنا منه الجمالُ عشيةً	وحرّك أشواقاً وللقلب أطربا
وكنا جميعا لاهجبن بذكره	شرِبنا بها صهباءَ هيَّجتِ الصَّبا

وكان غاية فى الزهد والورع واتباع السنة وتأديب نفسه.

توفى ـ رحمه الله ـ عام ستة وعشرين ومائة وألف ودفن بالمباح متصلا بقبة سيدي محمد بن عبد الله معن خارج باب فتوح متصلا ببابها الأيمن من البابين الصغيرين وعليه فى التزلج مقبرة من رخام فقط جعلوها بقصد التمييز.

علي منطوسة التطاوني(369)

ومنهم الأديب سيدي على منطوسة التطاوني.

طاهر الجابري الفصري

ومنهم الفقيه الأديب خطيب الجامع السعيد من القصر السيد أبو البقاء طاهر الجابرى.

369) هذه الترجمة والتى بعدها ساقطتان من ط.
وفى ك وس: منطوسة، بينما فى م: منصوسة.

العام السابع من العشرة الثالثة

التهامي بن محمد الوزاني اليملحي

فمنهم الشيخ الإمام الولي الصالح الزاهد الكبير، العارف بالله الرباني المنور الشهر، الشريف [أبو عبد الله سدي محمد المدعو] (370) مولاي التهامي بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي ابراهيم اليملحي الحسني العلمي دفين وازان تقدمت ترجمة والده وجده [ورفع عمود نسبه] (371) قال في *الأنيس المطرب* [لما ذكر والده سيدي محمد بن عبد الله أخذ عنه ولده، يعني مولاي التهامي صاحب الترجمة، الذي نعلق بالله خلدُه، حتّى زها به بلده، أبو عبد الله سيدي محمد التهامي - رضي الله عنه - فكان يلقى الكلف، ويريه كيف مدافعة الخلف عن السلف. وكان والده يعجب من حاله، ويخبر أنه وارث سره عند ترحاله، حتّى علا قدره، وطلع في سماء الهداية بدره، فصاح بوالده أجله، يصحبه خشية من الله ووجله، وذلك ليلة الخميس الثامن والعشرين محرم الحرام فاتح عشرين ومائة وألف، فقام ولده المذكور مقامه، وغدت له بين الأولياء مقامه. ولا يتعجب من التشبيه بأبيه] (372). فهو [الآن] ممن تشد إليه الرحال، وتفك عند سماع ذكره الأوحال. وما رأيت منذ عقلت ولا حفظت ولا نقلت أحدا أشد ذكراً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللقيامة وأهوال الموقف وغير ذلك منه - رضى الله عنه -، والإكثار من الدعاء لخاصة المومنين وعامتهم، وخصوصا أمير المؤمنين، فإنه لا يكاد يغفل بالدعاء له بالنصر والتوفيق والهداية، ويحض الناس على الدعاء له بمثل ذلك. وكذلك كان والده - رضي الله عنه - ولا تراه إلاّ لاهجاً بالذكر والاستغفار والتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير، على ما يقاسيه من حقوق العباد، وإيصال نواله للحاضر منهم والباد، وكنت إذا جلست إليه أحاول أن أسمع منه كلمة في غير الأمور الدينية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فلا أحفظ كلمة سوى ذلك، وهو من التبري من الادعاء (373) والإعجاب بنفسه والفرار من الكرامات على أكمل حال، مع تراكم الناس عليه، وانحياشهم إليه، من كل الأقطار وانعقاد إجماعهم على أنه واحد زمانه وتشد الرحال إليه من أقاصي البلاد وأطراف الأرض، حتّى رأيت الناس وفدوا عليه برسم الزيارة من البلاد المشرقية، وقرأت أنا غير ما مرة رسائل وفدت عليه من الديار المصرية والشامية والعراقية مشتملة على طلب الدعاء والتصريح بما لا يسع كتمه من ظهور بركاته الواضحة هنالك. على أن تلك الرسائل مشتملة على عدة رجال من أعيان البلاد والفقهاء وأكابر الثقات العدول.

370) ساقط من ط

371) ساقط كذلك من ط.

372) ما بين معقوفتين زيادة في س وم.

373) صحف في ط فكتب: والاذعان.

وأما بلاد الصحراء فأمرها فى الاعتناء بشأنه أكثر من أن يقال، وهو مع ذلك يرَى أنه غير أهل لتلك الرتبة، وأكثر ما نجده ينشد:

يَظنُّونَ بي خيراً وما بِيَ مِنْ خَيْرِ ... ولَكنَّني العبدُ الظَّلومُ كَمَا تَدْرِي

سَتَرْتَ عيوبى كلَّها عن عُيُونهِمْ ... وألبَسْتَنِى ثوباً جميلاً من السَّتْرِ

فلا تَفْضَحَنْ يومَ القيامةِ أعْيُبي ... ولا تُخْزِني اللَّهُمَّ في موْقِفِ الْحَشْرِ

وكنت إذا أشكلت عليّ مسألة أجابني عنها بآية قرآنية أو حديث نبوى كريم من غير أن يتأمل ولا يتردد فى ذلك، فأجد لجوابه وكلامه انفعالاً في قلبي وقشعريرة فى جلدي، وكان إذا تكلم في غير القرآن والحديث فأكثر ما تجده يميل إلى حكم *ابن عطاء الله* - رضي الله عنه -. ذكرت بين يديه يوما ما يحتج به المشركون على إشراكهم من قولهم (*لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا*) وقلت له بعد خوضي في المسألة إن حاصل ما أجاب به علماؤنا - رضى الله عنهم - أن الدعوة عامة، والهداية خاصة، فقال: (*واللهُ يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاءُ إلى صراط مستقيم*) فوالله لكأنى ما سمعت هذه الآية قبل ذلك ولا مرت لى على لسان. وكان - رضي الله عنه - إذا تكلم في مسألة عويصة عدل عنها إلى قياس منطبق عليها من الأشياء المحسوسة تقريبا على الأفهام. وفي هذه المسألة بعينها قال لى: مثال ذلك - والله أعلم ولله المثل الأعلى - أن رجلا عمد إلى أرض حراثة وزَرَعَ فيها من جميع أنواع الحبوب ثم أمر مؤذنا يؤذن في تلك الأرض على تلك الحبوب المزروعة ألا إن رب الأرض يأمر جميع ما هنا من الحبوب على اختلاف أجناسها أن تكون عند النبات كلها قمحا، ومن لم ينبت استحق منه أشد العقاب، ورب تلك الأرض سابق في علمه أن كل جنس لا يخرج عند الانبات إلا موافقا لجنسه. فلما كان إبان خروجه خرج كل واحد على حسب ما زرع، فما زرع بُرا خرج بُرا، وما كان شعيرا خرج شعيرا، وهكذا. فالزراعة الأولى - ولله المثل الأعلى - هي خلود الأرواح في الأزل، ورب الأرض هو البارى سبحانه، والمؤذن هو النبي صلى الله عليه وسلم فإنه جاء آمرا عن ربه لجميع الخلائق أن يومنوا، وتلك هي الدعوة العامة. ولكن عند بروز الخلائق إلى الوجود تبع كل واحد ما سبق له في علم القدر من إيمان وكفر وطاعة ومعصية وغير ذلك، وتلك هي الهداية الخاصه وأنواع الحبوب المختلفة هي فرق بني آدم: مومن وكافر ومجوسي ورافضي وقدري ومعتزلي وغير ذلك مما لا حاجة لذكره فى هذا المحل.

وقال في وصفه في موضع آخر: وكان - رضى الله عنه - يعني صاحب الترجمة، إذا أكثر عليه العوام أنت أنت تغير لونه لذلك وتكدر صفوه، ونظر إلى قائله شزراً وقال علي جهة الإنكار والرد والتوبيخ: (*أَإلهٌ معَ اللَّه*)، ثم يقول: (*عبداً مملوكاً لا يَقدرُ على شيء*). وذكر عنه حكاية فى الرجاء ثم أطال في وصفه فما يرجع إلى التبري مع الدعوَى، ودلالة الخلق على

اللّه وترغيبهم في حمه وجمعهم عليه. وهذه من أوصاف أكابر الصالحين رضي الله عنهم. [قال في الأنيس، وكان يقول لمن أكثر الدعاء واستبطأ الإجابة قول ابن عطاء الله: لا يكون تأخير مد العطاء مع الإلحاح الخ ثم قال: وأبغض الحديث الاطراء عليه فإنه كان إذا سمع شيئا من ذلك قام من مجلسه وظهر أثر الكراهة في وجهه وألزم قائل ذلك عدم العودة إليه. وكنت قبل ذلك مدحت أباه بشعر أنكره وأخذ على ألا أعود. ثم بعد وفاته عزمت على إخلاف وعده ومدح والده من بعده، فلا وربك ما وجدت في ذلك الغرض نصف ببت. ولا نقل الحي يغلب ألف ميت فلذلك لا تجد لهم فيهم قافية إلا بعد من مات منهم (خرم بقدر أربع كلمات) المذكور] (374).

ورثى صاحب الترجمة الأديبُ العالم اللغوي أبو الحسن على بن أحمد مصباح من قصيدة:

رَوَوْا نبأً أبكَى عيونَ الورَى طرّاً — وأصبح منه جانبُ الدهر مغبراً
أتَى وقلوبُ المسلمين سواكنٌ — فلم يَمْشِ إلاَّ وَهْيَ مِنْ هَوْلِه سَكْرا
حسبنا بها الشُّمّ الرواسي زُلْزِلَتْ — وخلنا به سقفَ السماوات قد خراً
فقالوا قَضَى الحَبْرُ التِّهاميُّ نَحْبَهُ — وأركَبَنَا في بعده مركباً وَعْراً
وأعْقَب ذاك الذِّكْرِ والجهرِ سكتةٌ — كَسرٌ قُنوتِ الصبحِ قد عَاقَبَ الجَهْرَا
خليليَّ حُطَّ الرحلَ لا تذكُر السُّرَى — ولو ما على الترحال والسَّفرِ السَّفْرا
فواللّه ما بعد التهاميٍّ رحلةً — يَؤمُّ بها الركبان براً ولا بحرا
ومَنْ يَعتمدْ بعد التهاميِّ رحلةً — يُؤمِّلُ ربحاً يلف ناملِه خُسرا
قَضَى فقَضَى الرحمانُ أن لا يُرَى له — نظيرٌ ولا أنّ الجراحَ به تَبْرا
وسار وخلَّى الناسَ تهتفُ باسمه — تَوَدُّ حَشَاها أن يكونَ له قبرا
على مثله تبكِي البواكِي حواسراً — وجوهاً غدت من طولِ ما خُبِّئَت غُراً

ومنها:

لقد كان صواماً لمولاه قائماً — وقد كان أعْلى آلِ فاطمةَ الزَّهْرا
أبرَّهُمُ قَولاً وأولاهُمُ تُقىً — وأحفظَهُمْ عهداً وأكْثرَهُمْ ذكْرا
وأوسَعَهُم حِلماً وأرجَحَهم حِجىً — وأخْشَعَهُمْ قلباً وأشْمَلَهُم براً

374) ما بين معقوفتين زيادة في س.

وكان إذا ما غاب ساعةَ خُلوةٍ　　وللناس حاجاتٌ تضيقُ بهم صدرا
تراقبُه الأبصارُ حتّى كأنّما　　تراقبُ شَهْرَ العيدِ أو تَرْقُبُ الفَجْرا
وكان إذا حل العُفاة فنَاءَهُ　　رأيتَ مُحياهُ يروقُ من البُشْرا
وكان إذا أرْخَى مَلابسَ هيْبَةٍ　　رأيتَ قلوبَ القوم قد مُلئت ذُعرا
فتىً عاش في معروفه كلُّ فاضلٍ　　زماناً فلم بعدمْ ولاءً ولا نصرا
يباري الرياحَ المرسلاتِ بكفِّه　　فيمطرُ جوداً لا امتنانا ولا نزْرا

ومنها:

فلا تحسبوا موت التهاميِّ واحداً　　بلى(375) ماتت الدنيا به والورَى طُرّاً
ستبكي عليه اليومَ ملْءَ جفونها　　مساكينُ كانت لا تجوعُ ولا تَعْرَا
وتبكيه أيتامٌ وشُعثٌ أراملٌ　　بمنعاه أضحت في قيود الطوَى سِرا
فكانوا أعدّوه لكل خصاصةٍ　　أبا مشفقاً لا يختشون به فقرا
وتبكيه أدواح الرياض فلا يرَى　　لها بعده ثغرُ الأزاهرِ مُفْتَرّاً
ويبكيه نادي العلم والوعظ كلّما　　تمرُّ به الزوار من وعظه صِفرا
كأنّي بوزّانَ اقشعرَّتْ رياضُها　　وأصبح منظومُ الجمالِ بها نثْرَا
تضيقُ بها الزُّوارُ درعاً إذا ترَى　　منازلَ مَنْ تَهْوى مُعطلةً قَفْرَا
وكانت محل الشهر فيها لأنْسِهَا　　كيومٍ فصار اليومُ من وحشِها شهراً
فيها طيرُها ضجَّت عليه فلم تكد　　من الكرب تدْري في معاهدِها الوكْرَا
وأمْلَتْ على الأغْصانِ في كل روضةٍ　　مَراثي أعَدَّتْهَا لأمْثَالهِ ذُخْرَا
وها أرضُها أنت عليه كوامن　　يردّد بالألحان يوم النَّوَى شِعْرا
فيا لبني وزّانَ من فتيةٍ غدت　　تُلاحظها الأنام من بعدها شَزْرا
عشا فيهم الدهرُ الخؤونُ فأصبحوا　　نجوماً أزالَ الدهرُ منْ بَيْنِها البَدْرَا
لقد كُنتُ حسانَ المديحِ لهُ وها　　أنا اليوم خنساءُ المَرَاثي ولا فَخْرا
فرافي بها سحاب معارف (كذا)　　إذا كانت الخنساء تبكي بها ضمرا

375) في ك: بل، وفي س. بأن، ولعل الأصل ما أثبتناه.

انظر تمامها فهي طويلة نحو ستين بيتا وقد أجاد فيها ما شاء، وكيف لا والممدوح بها جواد الزمان، وطود العلوم والعرفان. وقد نظم رفع عمود نسب آبائه الكرام من صاحب الترجمة إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاختصار ليسهل على الطالب معرفة حفظهم، وهو، أي الناظم لذلك، ابن عم جدنا الفقيه الأديب أبو العباس أحمد بن العدل عبد القادر الحسني في أرجوزة فقال:

يقول عبد الله وهو أحمد ... اللّهَ ربِّيَ العظيمَ أحمدُ
مُصلِّياً على النَّبِي والآلِ ... وصحبه ومَنْ إلبهم تالِ
وبعدُ فالقصد بيانُ النسب ... الشريف الكامل من نَسْلِ النبي
ذي الفضل والمجد الأصل، والإمام ... محمد الطيب [لبس] له ثان
ابن أبي عبد الإله الناسك ... القطب الكامل الولي السالك
سليل عبد الله شيخ الطريقة ... والعلم والعرفان والحقيقة
نجل أبي سالم إبراهيمَ ... من قد حوَى فضلاً به جسيما
ابن أبي عمران موسَى بن الحسن ... ولد موسَى صاحب الذكر الحسن
وهْو ابنُ ابراهيم نجل ابن عمر ... ولد أحمد استمع للخبر
والده يدعَى بعبد الجبار ... ابن محمدِ الرفيع المقدار
ابن الولي صاحب الصلاح ... نجل مشيشٍ سيدي بملاح
صنو الولي الأكبر المشتهر ... عبد السلام الناسك الباهر
ابن مشيش بن أبي بكر الرضى ... بنِ علي ذي الحسام المرتضَى
والده حرملة نجل عيسَى ... ابن سلام اقتفَى الرئيسا
والده المزوار المسدد ... المفضل المعظم الممجد
نجل لحيدرة ذي المجد الرفيع ... والقدر والنجدة والعز المنيع
ابن محمد العلِي المقدارِ ... مَن فضلُه بين الأنام سارِ
ابن الإمام الطاهر السريرة ... ابن الإمام ادريسَ عدل السيرة
ابن الإمام الأكبر الأواه ... مولانا إدريس بن عبد الله
الكامل الواصل والموصل ... ذي العلم والعرفان والتنسّل
ابن الإمام الأكبر الخليفة ... ذي الرتبة العلية الشريفه
هذا تمامُ نظم ما أردتُ ... وجمعِ شملِ ما له قصدتُ
ثم بجاه المصطفَى المختار ... وآله وصحبه الأخيار

صلّى عليـــــه ربّنا وسلمـــــا ما دام قدره السّامي معظّما (376)

توفي صاحب الترجمة يوم الاثنين في مهل المحرم عام سبعة وعشرين ومائة وألف، ودفن بوازان من بلاد مصمودة المغرب، وبنَى عليه أخوه أبو عبد الله محمد المدعو مولاي الطيب قبة ثم انفجرت جدراتها، تم أعاد بناءها ثم انفجرت جدراتها، ثم أعاد بناءها فانفجرت جدراتها، ثم أعاد بناءها فانفجرت جدرانها قبل أن يتم بناؤها، فتركوها كذلك كما هى عليه الآن، لأن صاحب الترجمة كان زاهداً لم يرد من المباهاة شيئا في الدنيا فضلا عن البناء عليه بعد الوفاة الذي هو من المباهاة. وسمعنا من أصحابه الذين استمرت صحبتهم له واتباعهم طريقته وانتفعوا منه أنهم لا يعرفون له لبس ثياب الكتان مما يلي بدنه، وإنما كان يلبس ثياب الصوف إلى توفي رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين (377) .

أحمد بن علي التملي

ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن علي التملي من أشياخ الشيخ الحسن بن مسعود اليوسي (378) .

أحمد بن عبد القادر التاستاوتي

ومنهم الشيخ الأديب الولي الصالح العارف أبو العباس سيدي أحمد بن عبد القادر التاستاوتي، المتوفي عام سبعة وعشرين ومائة وألف، له سند المصافحة عن عبد الكريم الجريري، عن سعيد قدورة، عن سعيد المقري، عن أحمد حجي عن محمد الوهراني، عن إبراهيم التازي، عن صالح الزولوي، عن محمد الشريف الحسني الفاسي نزيل الجزائر، عن والده عبد الرحمان وعاش مائة سنة وأربعين سنة، عن أحمد بن عبد القادر القوصي، عن أبي العباس الملثم وهو صافح المُعمَّر، وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم. وله سند المصافحة عن سيدي عبد القادر الفاسي وأجازه وقال له: صافحتك بما صافحني به الأشياخ إلى أنس بن مالك قال: صافحني رسول الله صلى الله عليه وسلم فَلَم أَرَ خَزّاً ولاَ حَريراً أَلْيَن من كَفِّ رسولِ الله، الحديث فيه روايات (379) . قال صاحب الترجمة في كتابه *نزهة الناظر*

376) يبقى معظم أبيات هذا الرجز مكسوراً لعدم وجود نسخ أخرى نقابل بها للتصحيح.

377) ترجمة الهامي مختصرة في *ط* في أقل من صفحتين.

378) هذه الترجمة ساقطة من ط.

379)رواية محمد بن سليمان الروداني في *صلة الخلف* من طرق مغربية ومشرقية عن أنس بن مالك قال: «صافحتُ بكفي هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما مَسستُ خزاً ولا حريراً ألين من كفّ رسول الله صلى الله عليه وسلم». انظر *مجلة معهد المخطوطات العربية*، المجلد 29، الجزء 2، ص 551-552.

وصافحنى أيضا سيدي مَحمد بن ناصر الدرعي وأجازني عن أشياخه الذىن صافحوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم. وأخذ عنه أحمد أبى بن عسرية بن أحمد بن أحمد بن يوسف الفاسي. وذكر عن صاحب الترجمة أنه قال: في هذا الوقت رجل أُعطي شفاعة مائة ألف رجل، ثم قال بعد ذلك أُعطي شفاعة أهل عصره، وكتب ذلك ابن أبي عسرية في *كناشه* ثم كتب صاحب الترجمة بخط يده: المسطر أعلاه صحيح وكتب أحمد بن عبد القادر كان الله له، ومن خطه نقلت، وله مراسلات إلى أحمدبن أبى عسرية المذكور، قال في إحداهن وكل مَن أوى إليكم وبلغ إلينا وسمع منا وأقبل علينا فهو - إن شاء الله - من المقبولبن إلى آخره، وهذا التصريح مُخالف لأقوال العارفين تنفر منه النفوس ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(380) .

380) أخرت ترحمفا لتستاونى في *ط* إلى السنة الموالية أي عام 1128، وهدا الاختلاف بالمقديم والتأخير فى نسخ *نشر المثانى* هو سبب حيرة عباس بن إبراهيم فى كتابه الإعلام (2. 357 من طبعة الرباط) حيت وحد فى الاستفصا ما يخالف ما فى النشر.

العام الثامن من العشرة الثالثة

أحمد بن محمد الولالي

فمنهم الشيخ الفقيه العالم العلامة المشارك الدراكة الفهامة أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي، دفين مكناسة الزيتون، ومدرس قصبة الحضره السلطانية الإسماعلية (أدام الله شرفها) (381). ذكر نسبه في كتابه مباحث الأنوار فقال «إن قبيلة بني ولال، وهم قومنا الذين نشأ أجدادنا منهم، وأصلهم من بني عطاء قبيلة كبيرة معروفة بأقصى جبال ملوية، وفيهم إخوة قبيلتنا يسمون لديهم ببني ولال أيضا. وبنو عطاء مشددا بوزن فَعَّال، أصلهم من العرب كما تقدم ذلك في شجرة أنساب القبائل الموجودة بأيدي الفقراء أهل الصومعة. بل أخبرني بعضهم أن بن عطاء أصلهم من أخص العرب وهم قريش، وكل ذلك لا بعد فيه لتبدل أحوال القبائل العربية وتنقلها من أرض إلى أرض، ومن رفع إلى خفض، فتتبدل الألسن بتبدل البلد». انتهى بنصه.

(بدأ صاحب الترجمة القراءة في الزاوية الدلائية حين عمارتها، وقرأ على الشيخ اليوسي، صرح بذلك في كتابه *مباحث الأنوار*، فأخذ عنه علوم الالات البيان، والمنطق، وأصول الفقه، والفقه (382)، وأصول الدين) (383) وكان صاحب الترجمة دراكة فهامة محمود العشرة، ومؤلفاته شاهدة على تحققه في العلم وهي جملة (وافرة) (384) فمنها *شرح على مختصر السنوسي* في المنطق، وشرح على *السلم* للأخضري، (وشرح على *منظومة الأخضري في البيان*، وله قصيدة لامية وشرحها في المنطق) (385). وشرح على *حمل الخونجي*، وشرح *رسالة السيد الجرجاني*، وشرح *خطبة مختصر السعد*، وشرح على مشروحه، وشرح *مقاصده*، وشرح على *لامية الأفعال*. (لابن مالك في التصريف) (386) وحاشية على المحلي، وشرح على روضة الأزهار للجادري. واتصل بالعارف بالله سيدي محمد بن عبد الله السوسي، وتقدمت ترجمته عام تسعة وسبعين وألف، وألَّف فيه وفيمن لقيه وفي تلامذته كتابه *مباحث الأنوار*، (*في أخبار بعض الأخيار*) (387) وذكر فيه ما يدل على أنه أدرك ما أدركه (388) الأولياء. (ومما يدل على تهيئته لذلك ما حكاه عن نفسه في *مباحث الأنوار* حيث قال لما

381) زيادة في *ط*
382) في س. والأصول، والفقه..
383) ما بين معقوفين ساقط من *ط*.
384) زيادة في *ط*. وعبارتها هنا مخالفة قليلا لما أثبتناه عن المخطوطتين
385) في *ط* بدل هذين الأخيرين: وشرح *تلخيص المفتاح* للقزويني، وشرح *المقاصد* للسعد
386) زيادة في *ط*.
387) زيادة في *ط* كذلك.
388) في ط: ما يدركه

حكَى نسبة أهله وقبيلته ما نصه) (389): «ووقعت فيهم، أي قومه، مقتلة عظيمة فى حرب وقع بين ملوك الوقت وهم مع قبائل آخرين، ولم يقع في تلك القبائل ما وقع فى تلك القبيلة، بل خصوا بكثرة القتل من غير أن يقصدهم بالخصوص مقاتلهم (390) بل قصدهم في الغالب إنما هو فى إفناء غيرهم، فاتفق أن قتل منهم أربعمائة وخمسون قتيلا. ولما وقعت فيهم تلك المقتلة تفكرت يوما فى ذنبهم الذي خصوا به بتلك المصيبة، إذ علمت أنها ليست إلاَّ عن ذنب، فقيل لى في عالم النوم: إنَّ سبب إراقة تلك الدماء منهم أنهم أراقوا دم واحد من أهل البيت، فذهبت الشكاية منه إلى السيدة فاطمة - رضوان الله عليها - ثم إلى رب العزة، فحكم الله تعالى عليهم بأنه سلط عليهم من يقتل منهم ذلك العدد.

ثم ذهبت الشفاعة من شيخنا ابن عبد الله السوسى المذكور إلى السيدة فاطمة - رضوان الله عليها - ثم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إلى جبريل - عليه السلام - ثم إلى رب العزة، فلطف الله تعالى بهم. وكان من اللطف الذي وقع لهم أنه لم يقتل رجل منهم إلاَّ وبقي مَن يخلفه ويعمر بيته (391). ومن اللطف أيضا أن زاد عندهم في عام المقتلة أربعمائة وخمسون صبيًا ذكرا، وقد عاش الصغار حتَّى كبروا. والشيخ ليس بينه وبين تلك القبيلة صحبة ظاهرة إلاَّ ما كان لنا معه. ولما قيل لي ذلك فى المنام جعلت أتعجب كيف أراقوا دَمَ واحدٍ من أهل البيت ولم أسمعه. ثم بعد ذلك بزمان لقيت واحداً من شرفاء سجلماسة يقال له مولاي حفيد، فكنت أتحدّث معه حتّى قال لي إن بني ولال في العام الذي أغاروا علينا بالموضع الفلاني وأخذوا لنا ما كنت رددت من المتاع جرحني واحد منهم وأخذ ثيابى حتَّى النعال، فتوجهت إلى السيدة فاطمة وقلت ياسيدتى إن كنت أنا منك، ويارسول الله كنت من جهتك، فالله ينتقم من هؤلاء. قلت: أو جرحوك؟ قال لي: نعم. وكنت أنا لما أغاروا على تلك القافلة التي بها مولاي حفيد المذكور خرجت لأردَّ للمساكين أمتعتهم، فوجدت أمتعة الشرفاء عندهم، فرددت منها ما أمكن، وبعثت بها لأهلها، وأنكروا لي أن يكونوا جرحوا واحداً من أهل البيت. فلما أخبرني بما ذكر عرفت مصداق الرؤيا وجاه الشيخ في شفاعة الأمور العظام من غير مناداته في ذلك. انتهَى.

(ومن دعاء هذا الشيخ لصاحب الترجمة ما حكى به عنه أنه قال له: اقرأ قوله تعالى: «*قَدَ افْلَحَ المُومنُونَ*»، فقرأت إلى «*الذين يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ*» قال: فقال لى: جعل الله فيك هذه الأوصاف. ثم قال لي: كلّ ما أحببت يقضى لك. قال فقلت له إنى أريد علوما مثل الفقه والأصول والبيان والمنطق، فقال لى يحسن بك أن تتعلم من كل علم. فمن بركته فُتح لى في

389) ما بين معقوفتين، ثابت فى ط ساقط من المخطوطتين

390) في ط: ان يقصدهم بالخصوص بالقتال

391) هذه هى عبارة المخطوطتين *ك* و س، وهى الواضحة وعبارة *ط* مشوشة.

تلك العلوم التي سميت وفي غبرها، فبقضي الله تعالى من له خبرة في فن من الفنون بلقائي فآخذه عنه، أعني ذلك العلم، كالتوقيت، والأسطرلاب، والعروض، والجدول، والحساب) (392) ثم أوصاني بكُتب السير ورجحانها على كتب التصوف قال: لأن فبها سيرة الصحابة، وفي كتب التصوف سيرة الأولياء، فكم بينهما! ثم قال بعد كلام، قال لي: أتعرف أدب المتعلم وأدب المعلم؟ أما أدب المتعلم فهو الذي إذا فهم مسألة لم يتخط لأخرى حتّى يعرض تلك على نفسه، فإن وجد نفسه قد تخلقت بتلك المسألة حمد الله على علمها وعلى التخلق بها، وإن لم يتخلق بها تاب إلى الله تعالى وألزم نفسه التخلق بها، ثم يحمد الله تعالى على العلم بها وعلى التخلق بها أبضا. وكذا المعلم إذا قرر مسألة وقف حتّى يعرضها على نفسه، فإن تحلق بها حمد الله تعالى على العلم والتخلق، وإلا تاب وتخلق بها فحمد الله على الأمرين، حتّى يصبر الإنسان حامداً الله تعالى على كل مسألة. قال فهذا يكون العلم علما نافعا، وإلاّ كان حرفة لصاحبه والعياذ بالله تعالى،

(قال صاحب الترجمة: وكلام الشيخ هذا فصل الخطاب فيما يلزم طالب العلم، والله بوفقنا لمرضاته. ثم استأذنه في الوصية التي كتب بها لأصحابه فأذن له فأخذها عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان الصومعي ونص ما أورده منها:

بسم الله الرحمان الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. ينبغي لمن وُفق للخير وأُلهم للرشد وأُعين على مراعاة أحواله أن بميز بين الحق والباطل، وبين مراده و مراد نفسه. ومراد ربه منه. ومراد كل إنسان لقيه وخاض معه. فإذا عرف ذلك قرب الخبر إليه كقربه من نفسه حتّى كأنه يراه بعينيه، بمنزلة من راقب الفجر ووجهُهُ للجهة التي بطلع منها، وليس بعد الفجر إلاّ الشمس، فإذا طلعت الشمس زال الشك واللبس. ولايستعان (على ذلك بالوالد إلا إذا كان صالحا، ومما بستعان) (393) به على ذلك مواصلة الأبرار، وملازمة الاستغفار، والصلاة على النبي المختار صلى الله علبه وسلم وكذلك كل ذكر يجمع على الله وينفي عن القلب سواه، كَلا إِلَهَ إلاّ اللّه، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله. وكذلك التمييز بين حب الله تعالى وحب غيره. وكذلك تلاوة القرآن مع التدبّر، وربما يكون سماعه من الغير أقوَى تأثيراً في القلب. والأصل العظيم لذلك كله أكل الحلال، ولكن وإياك والتوغل في طلبه لأنه يدخل عليه وسواسا عظيما. والحزن لاتفارقه ولاتصاحبه، فإن البقاء مع أحدهما يفسد القلب. فإذا كنت محزونا فاستعمل الفرح والسرور، وإذا كنت فرحا فاستعمل الحزن، وعليك بمطالعة كتب المحبين، ثم إذا نظرت مراتبهم في محبوبهم فقل في نفسك هذا الذي بلغ حب

392) هذه الفقرة المكتوبة بين معقوفتين ساقطة من ط. وفيها بدلا منها:
«وصاحب الرحمة ممن انتفع بالشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي المذكور نفعاً ظاهرا كما أخبر بذلك عن نفسه. قال ما معناه. وفتح الله عليّ ببركته فتحا عظيما في العلوم. قال وأوصاني.. »
393) هذه الجملة ساقطة من ك.

المخلوق للخالق، وعليك بملازمة الدعاء والنضرع إلى الله تعالى فإنه لايصفو القلب إلا بالدعاء. انتهَى) (394).

توفى صاحب الترجمة تاني رجب عام ثمانية وعشرين ومائة وألف بمكناسة الزينون.

من حوادث السنة

محاصرة محلة السلطان العثماني للبندقية

وورد الخبر بأن محلة للسلطان العثماني محاصرة للبندقية.

ظهور جسم عظيم غريب في الهواء

وأخبروا أيضا أنهم رأوا فى الجو مخلوقا عظيما محمولا في الهواء رأسه رأس ثعبان ودنبه ذنب سمك، وفى ظهره شيء كالصومعة، ويده يد الإنسان، وفي إحدىَ يديه سيف، وعرضه نحو ستين ميلا، وأما طوله فلا يعلم لأنه بقى يجوز نحو ثلاثة أيام. والله على كل شيء قدير (395).

394) هذه الفقرة الطويلة المكتوبة بين هلالين ساقطة من ط.

395) انفردت *الحوليات* بحوادث هذه السنة. وفي أولها سطران عن وفاة أحمد الولالى حذفناهما لأن ترجمته تقدمت مستوفاة.

العام التاسع من العشرة الثالثة

أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي

فمنهم الإمام الكبير، الصالح الشهير، الولي الخطير، سيدي أحمد بن الإمام أبي عبد الله مَحمد بن ناصر الدرعي. تقدمت ترجمة والده وجده وأقاربه. كان صاحب الترجمة جليل القدر كبير الشأن عظيم الذكر له صيت في المغرب (وكذلك في المشرق) (396) وكان عالما نحويا لغويا مؤرخا يقيد الشوارد، ويحفظ الفوائد، من أهل العناية والشهرة بالولاية. ألف كتاب *الأجوبة*، (وكتابا آخر *في الصلاة على النبي* صلى الله عليه وسلم يقرب من *دلائل الخيرات*) (397) وكتاباً في *رحلته للمشرق* جمع فبه كثيراً من فوائد *الرحلة العياشية*. وله كلام في الطريق وحض على اتباع السنة، وتأكيد في اتباع العلم وتحكيمه. وله أتباع وتلامذة كثيرون بوترون (398) عنه كرامات وخوارق. وكان أراد أن يحج ثانيا في سنة عشرين ومائة وألف، (فصرفه السلطان مولانا إسماعيل عنه (399) ثم من العام المقبل أذن له في الحج، فسافر للحج ولقي مشايخ بالبلاد المشرقية (ممَّن أخذوا عن والده، فأخذوا عنه فينسبون إليه في الطريقة.

ومن فراسته ما حكى لنا بعض أهل الخبر والصلاح من أهل مدينة شفشاون أنهم كانوا يجدون بمحراب بعض مساجدها بولاً وغائطا زمانا فرصدوا فاعل ذلك فوجدوا مجذوبا بالبلاد كان قاطنا بشفشاون يقصد المحراب ويبول فيه ويتغوط. فلما تحققوا أنه فعله شددوا عليه في النهي، فلم يفد فيه نهيٌ حتَّى هموا بقتله واجتمعوا على ذلك، وأشار عليهم إمام المسجد أن يرصدوا وقت مجيء صاحب الترجمة لزاوينهم التي بشفشاون يجتمع بها الفقراء الذين من أتباعهم كان يأتيهم كل سنة.

فقدم صاحب الترجمة فأعملوه بالأمر واسنشاروا معه في شأن المجذوب، فأمعن النظر في ذلك و خلا بإمام المسجد وقال له: لابد أن تصدقني هل تشرب شيئا من الخمر الذي يقال له عندكم رُبّ الفقيهْ اعْمَر/ قال له نعم، فأمر ه أن يتوب من شربه فتاب. وكان إمام المسجد يسربه ويأتي إلى الصلاة بالناس. فلذلك كان المجذوب يقصد المحراب ويبول وينغوطْ فيه، فلما تاب إمام المسجد عن شربه على يد صاحب الترجمة، فمن يوم تاب لم يبل ولم يتغوط المجذوب في المحراب أبداً، وأصلح الله حال الجمبع ببركاته. وكان هذا المجذوب يُدعى بسيدي أبي خَنْشَة.

396) زيادة في *ط*.
397) ساقط من ط.
398) في ط. يذكرون.
399) زياده في ط.

وحكي أن صاحب الترجمة لما سار إلى الحج مع الركب فلقيه رجل بالخلاء وأطرق إلى الأرض ورفع رأسه إلى السماء، فلما رآه صاحب الترجمة فعل ذكل مرّ بيده على وجهه ثم ذهب الرجل. وسأل بعض أهل الركب صاحب الترجمة عن فعل الرجل ، فال لهم إنه قال لي في فعله ذلك مَن نظر إلى الأرضين السبع وما احتوت عليه والسماوات السبع وما احتوت عليه تحقق بدخوله الجنة أم لا ؟ قال فأجبته إن قطع الصراط دخل الجنة) (400).

[أخذ عن والده، وأخذ عنه سادة فضلاء. منهم الولى الصالح الشهير سيدى أبو العباس الشرادي صاحب الزاوية الشهرة بقرب مراكش، والسيد الجليل سيدى حسين المدعو شرحبيل، والولى الصالح سيدى المعطى بن الصالح الشرقي. وقد سمعت عنه أن الورد الذي أخذ عنه هو الذي يخص بعض العامة ممن يرد عليه. وكل هؤلاء تأتي تراجمهم إن شاء الله. وأخذ عنه من لا يحصَى كثرة. وتنسب إليه الآن الطوائف من الفقراء بالصحراء وغيرها. نفعنا الله بجميعهم آمين، وكان لنا بما كان لأوليائه المتقين] (401).

توفي صاحب الترجمة بدرعة (402) عام الترجمة.

محمد بن العربي ابن مقلب الفاسي

ومنهم الأستاذ المحقق المجود المقرئ الفقيه أبو عبد الله محمد بن العربي ابن مقلب الفاسي، أحد الكبراء دينًا وخشية. كان سريع البكاء عند تلاوة القرآن، من أصحاب سيدي عبد القادر الفاسي، وأخذ عنه طلبة فاس القراءات السبع وحدثني بعض العارفين أن صاحب الترجمة كان من الأولياء، وإنما ستر ولايته العلم والقراءة.

توفي صاحب الترجمة بفاس عام الترجمة (403).

من حوادث السنة

قتل نحو المائة من الحباينة

وفي موفى عشرين من جمادَى الثانية من العام قتل السلطان مولانا اسماعيل نحو المائة من الحباينَة لأمر اقتضاه، والأمر لله.

سجن مائة رجل من بني يزناسن بمكناس

وفي الثامن والعشرين من رمضان العام جيء بمائة رجل من بني يزناسن وسجنوا بمكناسة الزيتون - أمنها الله - إلى حين (404).

400) هذه الفقرة الطويلة المكتوبة بين معقوفتين ساقطة كذلك من *ط*

401) هذه الفقرة المكتوبة بين معقوفتين اختصت بها ط.

402) في س: بفاس، وهو خطأ من الناسخ. وسقطت جملة الوفاة من *ط*.

403) سقطت هذه الترجمة كلها من ط

404) انفردت *الحوليات* كذلك بحوادث السنة، وكرر في أولها جزء صغير من ترجمة أحمد ابن ناصر فحذفناه.

العام العاشر الموفي العشرة الثالثة

حمزة بن عبد الله أعيَّاش

فمنهم المرابط الشهير، ذو القدر الكبير، أبو عمارة سيدي حمزة بن العلامة سيدى عبد الله أعـاش. من أهل الوجاهة والثروة، وله اعتناء بزاوية أبيه فى بلادهم أيت عباش، واعتنى بجمع الكتب، إذ فيها ما لا يوجد فى غيرها (اليوم فى سائر المغرب) (405) وتقدمت ترجمة والده سيدي عبد الله المذكور (عام واحد وتسعين من المائة الحادية) (406).

توفي صاحب الترجمة بزاويتهم عام ثلاثين ومائة وألف.

405) ساقط من ط

406) ساقط من المخطوطتين ك و س.

العشرة الرابعة من المائة الثانية بعد ألف

العام الأول منها

سعيد بن أبي القاسم العمرى

فمنهم الفقيه القاضى العلامة المشارك المحقق الفهامة المعقولى الأشهر، البياني الأبهر(407)، أبو عثمان سعيد بن أبى القاسم العمري، التادلي الأصل المكناسي الوفاة والقرار.كان - رضى الله عنه - آية فى النحو والبيان. مَجْبُولاً على محبة أهل (البيت) (408) والولاية والعرفان، يكثر من مخالطتهم والاعتناء بهم، ويوثر حدثهم ومجالستهم، وله قوة على الصدع بالحق في مظان الملوك لا يبالي بما يترتب من ذلك. قد ألجأه الحال إلى مولانا الخليفة السلطان أمير المؤمنين مولانا إسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف الحسني لقضية وقعت له مع بعض أهل الولايات من عصره. فلما رآه السلطان فى نباهته وفصاحته وتحصيله، وحسن إدراكه وتفصيله، أُعجب به كل الإعجاب، وألزمه ملازمة مسجده والتدريس به، وولاَّه قضاء حضرته. وكان لا يستطيع أن يغيب عنه، وجعل السلطان يشاوره في مهمات ما يعرض في ضروريات دينه. وكان كلّ ذلك لا يلهيه عن دينة وقراءته واعتنائه ومخالطته أهل الطريقة ومراسلتهم والورود عليهم. فخالط قبل مخالطته السلطان سيدي أحمد اليمني، وسيدي أحمد بن عبد الله مَعْن، وتربى بهما وتأدب وتهذب، ولم تزده خلطة السلطان إلاَّ محبةً فيهما. وكان قبل ذلك يقرئ مولانا محمد ابن الخليفة السلطان مولانا إسماعيل، وكانوا يترددون إليه ويجتمعون عنده كبراء علماء الوقت، فيوردون مشكلات عويصات جدا فيصدرون فيها عن رأي صاحب الترجمة. وطلبوا منه أن يقرئهم *شرح السعد المطول على التلخيص* للقزويني وهو لم يتهيأ ولا استعد، وقصدوا بذلك إفحامه بين يدي مولانا مَحمد، وكان له خبرة بالفن ذا فطنة قوية، فابتدأه فوراً وتفجر بأنواع التحقيقات، وأحسن التقريرات، بما لم يخطر لهم ببال، فتابوا لله واعترفوا بفضله وكمال علمه، وحددوا نية القراءة عليه على أصلها وحضر درس ذلك جمع من الشيوخ المجتمعين هنالك.

قرأ على شيوخ الزاوية البكرية، وعمدته منهم سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، وعلى طبقته. وأخذ عنه جماعات من فقهاء مكناسة وغيرها، منهم الفقيه العلامة حافظ المذهب في زمانه سيدي الحسن بن رحال المعداني، والفقيه القاضي سيدي أحمد الشدادي، وأولاد صاحب الترجمة، منهم أعلاهم قدرا الفقيه العالم المفتي النوازلي عدل قضاة الزمان سيدي أبو القاسم، والفقيه أحمد، والفقيه النحوي الأديب عبد الرحمان وغيرهم (409).

407) في *ط*: الأكبر

408) ساقط من *ط*.

409) اختصرت ترجمه العميري فى بضعة أسطر في *ط*.

توفي صاحب الترجمة – رحمه الله – بمكناسة ودفن بها عام الترجمة.

عبد الله بن محمد الفاسى

ومنهم الفقيه سدي عبد الله بن الفقيه المؤرخ الصوفى سدي محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. توفي عام الترجمة (410).

عبد الكريم التّرغي

ومنهم سيدي عبد الكريم الترغي أصلا، الدرعى داراً. ممن أخذ عن الشيخ الحسن اليوسى، ورحل للشرق فحج ولقى أئمة أعلامًا، ودخل الشام، ثم رجع واستقر في الزاوية الناصرية يدرس بها ويفتى، وزوّجه الشيخ أبو العباس سيدى أحمد بن ناصر بأخته.

توفي – رحمه الله – في يوم الخميس التاسع عشر من جمادى عام اثنين وثلاثين ومائة وألف، ودفن هناك. وممن أخذ عنه الفقيه العالم قاضي شفشاون سيدى محمد ابن عبد الله الحوات الشريف الموسوي الحسنى ورثاه بقصيدة مطلعها:

إذا ما بدا برقٌ من الجانب المكى ... أرَى شوق سكان المعاهد يحكى (411)

[يقول فيها:

سلِ الطالع الغربيَّ من نحو درعة ... سؤال الشَّجِي المشتاق عن جيرة الأيك

فهل هاج تذكار الحبيب لهم أسى ... بكل حشا نارِ الغضا أبداً تُذكى

كما هاج منا ذاك فقد حُلاحل ... جليل سنيٍّ كان واسطة السلك

لسان العلوم المرتضَى شيخنا الرضى ... بضاهي الإمام الفخر والسعدَ والسبكي

ربّى التقي عبد الكريم الذي سَرى ... إلى الله تلقاه البشائر بالضحك

وهى أكثر من هذا تركنا ما بقي منها اختصارا] (412).

من حوادث السنة

تجديد بناء ضريح مولاى ادريس بفاس

410) ترجمة عبد الله الفاسى ساقطة من ط.

411) ترجمة الترغى أخرت في ط إلى عام 1142 . وليس في ك سوى الجملة الأولى منها. والبيت مكسور الاخر، يستقيم وزنا بإضافة نحو كلمة «أن» أو «إذ» قبل يحكى .

412) هذه الأبيات الستة ساقطة من المخطوطين.

ومن حوادث السنة (413) أمر الخليفة أمير المومنين، وظل الله على المسلمين، السلطان أبو النصر المنصور بالله مولانا إسماعيل بن السلطان مولانا الشريف السجلماسي الحسني بتجديد المسجد المعروف في القديم بمسجد الشرفاء، وهو المدفون فيه الإمام مولانا إدريس بن مولانا إدريس دفين زرهون ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن أمير المومنين الحسن السبط ابن أمير المومنين، وأحد الخلفاء الأربعة الراشدين، علي ابن أبي طالب - رضي الله عنهم - وفاطمة بنت مولانا رسول الله وبضعته صلى الله عليه وسلم في فاس القرويين، فبنَى المسجد والقبة والصومعة (414) على الهيئة التي استمر عليها إلى الآن، وبقيت القبة وتم تسقيفها في آخر ذي الحجة من عام الترجمة، وأمر السلطان بإقامة الجمعة فيه فاستمرت إقامتها إلى الآن. وقد كانت تقام بمسجد الأشياخ من عدوة فاس الأندلس، وبمسجد الشرفاء هذا من فاس القرويين قديماً.

وبناء مسجد الأشياخ قبل مسجد الشرفاء بعام، فهو العتيق، ثم نقلت من مسجد الأشياخ إلى مسجد الأندلس، ومن مسجد الشرفاء إلى مسجد القرويين، فأعطى كل من المنقول حكم المنقول منه، فكان على هذا مسجد الأندلس هو العتيق، وإذا لم يعتبر المنقول منه إلى المنقول إليه فعتيق ما تقام فيهم الجمعة اليوم هو مسجد مولانا إدريس، وجعل عرضها كطولها ستين ذراعا في كل وجه.

انحراف قبلة مساجد فاس

وبعد الفراغ من بنائها بحث في قبلتها الموقت سيدي العربي بن أحمد الفاسي، واستدل بما هو مذكور في تأليف له في ذلك. ولما بلغ خبره للسلطان أمر بتجديدها ثانيا إن صح كلام سيدي العربي المذكور، فاجتمع لذلك أئمة الوقت، منهم شيخ الجماعة أبو عبد الله المسناوي، وأبو علي الحسن بن رحال المعداني، وأبو عبد الله محمد ميارة الحفيد، وأبو عبد الله محمد بن حمدون بناني، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني، وأبو الحسن علي الشراطي، ومن الموقتين رئيسهم العاشي الخلطي، وأحمد بن سنون (415)، والعربي قصارة موقت القرويين، واجتمعوا بمجلس الأحكام الشرعية لدَى القاضي ابن أبي عنان، ومعهم من له الأحكام المخزنية الرئيس أبو علي الروسي، واتفق رأيهم على أن البحث المذكور لا يوجب هدمها وبناءها وان كان البحث صحيحاً، لكن يمكن التقصي عنه بانحراف المصلي، وقد جرى العمل في القرويين بالتنبيه على ذلك، فيقول المؤذن بأرفع صوته بعد

413) أثبتنا حوادث هذه السنة 1131 حسب المخطوطين ك وس. وقد أخرت إلى السنة التالية في كل من ط والحوليات. واختصرت فيهما في نحو صفحة ونصف.

414) هنا في هامش س طرة: «بني المسجد والقبة والصومعة عام 1110».

415) في *الحوليات*: ابن شنوف.

فراغه من الإقامة حرفوا بتحريف الإمام يرحمكم الله. فقبلة الفرويين تقرب من قبلة جامع الشرفاء المذكور، وكنبر من حوامع فاس كذلك، واتفق رأيهم على ذلك لمصلحة، ووافقهم عليه شيخ الجماعة المسناوى، إذ إليه كان المشار في ذلك الوقت فى المهمات من المسائل العلمية، وكتبوا للسلطان أنه لا موجب لهدمها. فلما رأى الباحث ذلك رجع وكتب بخط يده أنه أخطأ فى البحث المذكور، وخطؤه لا لعدم صحة بحثه بل لعدم اعتبار ما ذكروا، وإلاَّ فالبحث في قبلة القروبين وما على سمتها كقبلة مسجد الشرفاء المذكور قدم. وممن صرح بذلك الشيخ القباب، ونصه: وتقليد المحارب التي بالامصار التي نصبها الأئمة إذا لم تكن مختلفة ولا مطعونا عليها من أهل العلم فإنها إذا كانت مختلفة فلاشك أن بعضها خطأ، لأن مكة لا تكون في جهتين ولا نعلم خطؤها من صوابها إلا بالنظر في الأدلة مثل مساجد بلد فاس فإن قبلة القرويين مختلفة لقبلة الأندلس، وقبلة الأندلس أقرب إلى الصواب بالنظر إلى الأدلة انتهَى. وحكى الإمام سيدي أحمد ابن علي السوسي عن سيدي على بن أبي القاسم البطيوي أن سيدي أحمد زروق كان يجلس بالقرويين والناس يصلون ورأى أن ذلك قد لا يسلم له فيها، لأن ذلك لا يجوز من أجل الإمام. قال سيدي أحمد: والذي يظهر لي أن ذلك بالقصد منه لأجل التعليم، و أنه لا تصح الصلاة فيه لكن أشياخه لم يوافقه عليها كبيرهم الإمام القوري، فهو يشدد على من خالف محارب المسلمين، وأوجب عليهم تجديد التوبة، والشيخ زروق لم يقلدهم في ذلك أي فى هذه النازلة لكونه جال البلاد المشرقية متكرراً وعلم بالجهة، وكلام الأئمة في هذه المسألة عريض طويل معروف.

ثم وسع المسجد الخارج عن القبة وأدخل العامل فيه حوانيت (ودوراً) (416) جبراً على أربابها. ثم أقيمت فيه الجمعة، وكان إمامها به شيخ الجماعة أبو عبد الله المسناوى، ثم بنيت صومعته.

ظهور قبر مولاي ادريس بعد تلفه

وقد كان قبر الإمام إدريس غير ظاهر ولا معروف أين هو في أي جهة من مسجد الشرفاء. وسبب إخفائه عدم اعتناء البربر به لما غلب على ولاة فاس من بنيه وعقبه كبني أبي العافية المكناسيين ومغراوة وبني يفران. فلما ضيقوا على الأدارسة وأجلوهم عما قرب من فاس من البلد، وشددوا على شيعتهم وأتباعهم بالأذَى والإهانة حتَّى لم يبق منهم أحد بقرب فاس، وأهملوا القبر الكريم، ولم يجيروا من استجار به، وإذا ظهروا على أحد قام ببعض احترامه بالغوا في إذايته، واستمر فعلهم لذلك حتَّى تلف القبر ولم يبق من يعرف أين هو من المسجد المذكور. وألقَى الله العداوة والبغضاء بين رؤسائهم، واستمر القتال بينهم،

416) زياده في س.

وكثر النهب والخوف والجوع، وخلت البلاد إلى أن طهر الله تعالى البلاد منهم بالملثمة المرابطين، ولله عاقبة الأمور، «*وتلك الأيّامُ نُداولُها بَيْنَ النَّاس، إنَّ الأرْضَ للّه يُورثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِه والعاقبَةُ للْمُتَّقِينَ*».

ولما أراد الله تعالى إظهار قبر هذه البضعة النبوية الذي صاحبهُ أمَانٌ لهذه المدينة التي هي حسنة من حسناته، كالنجوم أمان لأهل السماء، فكان السبق لإظهاره كما هو مكتوب في المرمرة التي موالية له في الحائط، ونص المراد منها، ولمَّا قضَى نحبه، أي الإمام إدريس باني فاس، دُفن بإزاء بلدهم الكبسرة الحرمة الشهيرة بمسجد الشرفاء، ولم بعينوا موضع قبره إلى أن أراد الله تعالى إظهاره رحمة ولطفا خص به هذه الأمة، فاتفق أن اختبر أساس حائط القبلة من الجانب الأيسر، لما عسَى أن يصلح فيه أو يجبر، فعثر على القبر الكريم الأطهر، ووجد اللحد قد أبْلَت اللّيالي رسمه فلم يبق منه إلا قليل، والعظم المرحوم باقٍ بحاله لم يكن للأرض عليه سبيل فحضر إذ ذاك سليله الأكرم، ووليه الذى لا يخفر فيه عهدٌ و لا يُغرم، السيد الشريف الرفيع القدر والشان، أبو الحسن على بن محمد ابن عمران، والوزير الحافظ لودهم، القائم بإظهار عزهم وإثبات مجدهم، الراغب في إحياء سنة جدهم ، الماجد المجاهد أبو زكرياء يحيَى بن زيان، وحضر معهما إمام الفتيا، الفقيه ذو الرتبة العليا، أبو محمد عبد الله العبدوسي، واستشاره فيما ينبغى أن يقام فيه بحق ذلك الضريح الكريم، فأشار أن يعلم بتسنيم، وأن يعتمد في اجتناب وضع النعال عليه واجب التكريم، ووقع الوفق على كتب هذه الأسطر في الحائط المذكور مواربا للضريح المبرور، وأن يكون علامة عليه وبرهانا، وليعود الخبر عيانا، وكان هذا فضلا من الله وإحسانا، وطولا على أهل هذا العصر وامتنانا، حيث ألقَى ببقاء الأثارة من البيت الكريم أمانا، حسبما جاء عن سيدي المرسلين: (أهْلُ بَيْتي أمَانٌ لأهْلِ الأرْضِ) الحديث لا يجهله من اعتنَى بالرواية حفظاً وإتقانا. وكان وجد القبر المذكور، وقت كتب هذه السطور، في شهر رجب المبارك عام واحد وأربعين وثمانمائة. هذا لفظه. انتهَى.

العام الثاني من العشرة الرابعة

عبد العزيز بن مسعود الدباغ

فمنهم الشريف المتبرك به. أبو فارس مولاي عبد العزيز بن مسعود الدباغ الادريسي الحسني، وليس وصفه بالدباغ للحرفة المعلومة، بل ذلك لقب لأهله بفاس وبه يدعون إلى اليوم، جَرى ذلك اللقب عليهم بسبب كما نذكره إن شاء الله. قال في *الدر السني*: لم يعهد لهم الاحتراف بها قط، بل سبب ذلك - والله أعلم - ما وقفت عليه في ظهير لهم بأيديهم الآن تاريخه تسعون - بتقديم الفوقية - وسبعمائة - بتقديم السين -. وفيه الأمر بإعطاء المرتب لهم من مجبى دار الدبغ بسلا حين كانوا بها، فجرى عليهم النسب بلفظ المبالغة من الدبغ لأجل ذلك والله أعلم. وكان قدومهم على فاس من البلد المذكورة أول المائة التاسعة على ما يؤخذ من ظهائرهم السلاوية. وقوله بلفظ المبالغة لعل المراد بالدباغ هنا النسبة المبالغة.

فصاحب الترجمة من هذا القبيل المبارك، وبيتهم بفاس بيت شهير. وقد وصف صاحب الترجمة من شيخنا العلامة الحافظ سيدي أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي بأوصاف العرفان، وحدث عنه بعجائب في أنواع من الكشف وأسرار النبوءة في كتاب سماه *الإبريز، في مناقب الشيخ عبد العزيز* يسعه مجلد، وجله لا يعرف فى سيرة القوم ولا من أوصافهم ولم يذكر ذلك في كتبهم، بل ينبغي ترك المطالعة فيه إلا على التحذير من ذلك المخالفة ما فيه طريقتهم. نسأل الله السلامة والعافية من مثل ذلك. وقد تكلم من تكلم فيما هو أقرب من ذلك مما رواه الإمام أبو الحسن اللخمي الشّطنُوفي (417) الشافعي المصري الذي عرف به الأسيوطي في حسن *محاضرته*، في كتابه *بهجة الأسرار* فيما رواه عن الشيخ عبد القادر بن موسَى الجيلانى الحسني، وأجاب عن كثير مما تكلم فيه الشيخ زروق، والعزّ ابن عبد السلام، وابن حجر الكناني العسقلاني وغيرهم، وكان لصاحب الترجمة في حياته أتباع، ونسب صاحب الترجمة فى الأخذ عن أشياخ لا يعرف أحد منهم نحن و لا غيرنا ممن أدركنا. وذكر أنه لقيهم في هذه الجهات وذكر من جملتهم سيدي عبد الله (418) البرنوي، إن كان المراد به شيخ سيد أحمد اليمنى فقد توفي قبل ولادة صاحب الترجمة، وقدمنا بيان ذلك فى ترجمته عام ثمانية وألف، فالتاريخ يبطل الاجتماع به حيا. وإن أولته بأن ذلك كان غيبا فيبطله أيضا بأنه صرح بذلك ظاهراً. وان كان غيره فلا نعرفه.

توفى صاحب الترجمة عام اثنين وأربعين ومائة وألف، ودفن خارج باب الفتوح قرب روضة الأنوار بين سدي الدّرّاس بن إسماعيل وعلى صالح، وبنيت عليه قبة باقية على حالها إلى اليوم (419).

417) كذا في س وهو الصواب، وصحف فى ك فكتب التنطوفي.

418) صحف أيضا فى ك فكتب: عبد القادر البرنوي.

419) اختصرت ترجمة الدباغ فى نحو نصف صفحة من *ط*

العام الثالث من العشرة الرابعة

العربي بن أحمد بُرْدُلَّة

فمنهم الفقيه العلامة النوازلي المفتّي القاضي الخطيب أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بُرْدُلَّة الأندلسي ثم الفاسي مولدا ووفاة. ولي قضاء فاس والفتوَى بها مرراً وعزل عن كل ذلك، ثم ولي النظر في أحباس فاس. وكان آخره مرة عزل عن القضاء ولم يرجع إليه سابع صفر عام تسعة عشر ومائة وألف، أخذ ـ رحمة الله ـ عن شيخ الجماعة سيدي عبد القادر الفاسي، وأبي العباس المزوار وأضرابهما. وأخذ عنه جماعة من أهل فاس. وكان له معرفة بالعربية والفقه والنوازل [و له أجوبة دالة على ما له من اليد في العلم وكان شيخ] (420) الجماعة بفاس وأكثر مخاطبة السلطان بالكناية، وكان إذا شافهه لا يتكلم بل يقتصر على ما يكتب له بالقلم في الأجوبة والرسائل وغيرها. وله صيت عند أهل وقته وينسبون له أموراً منها ما تناسب حاله من العلم ومنها ما لا تناسبه، والظن به أنه بريء مِمَّا لا يناسبه، ولولا الإطالة لأوردنا من ذلك أشياء كثيرة.

ولد يوم الأربعاء ثاني جمادَى الأخيرة عام اثنين وأربعين وألف، يوم مات الولي الشهير سيدي موسَى دفين جرنيز، وتوفي في رجب عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف، ودفن خارج باب عجيسة من فاس بطرف فدّان الغرباء، وعليه بناء يزار رحمه الله(421).

أحمد بن عبد القادر القادري

ومنهم الفقيه الوجيه الأغر، الخير الدين الحاج الأبر، الأديب الناظم الناثير، ذو الأخلاق والمآثر، أبو الفضل (422) وأبو العباس أحمد بن العدل الفقه عبد القادر بن علي بن محمد القادري الحسني، وَلَدُ حفيد عمّ جدّي (423) لأن جدنا عبد السلام بن الطيب بن محمد بن محمد بن محمد، وصاحب التَرجمة أحمد بن عبد القادر بن علي بن أحمد بن محمد المذكور ثالثا. وتقدم تمام رفع نسبه في ترجمة جدنا عبد السلام المذكور في عام عشرة بعد مائة وألف. وأشهر كنية صاحب الترجمة أبو العباس، وكناه بأبي الفضائل سيدي وفا لمَّا قدِم مصر سنة ثلاث وثمانين وألف. وحج أيضا صاحب الترجمة سنة مائة وألف، وهي الحجة التي ألّف فيها *رحلته*.

---

420) ساقط من س.

421) ترجمة بردلة ساقطة من ك ، متأخرة عن ترحمة أحمد القادري في س، كتبت مختصرة في هامش ك وهي أول ترجمة في العام 1133 في ط.

422) في ط: أبو الأفضال.

423) كذا في ك. وفي س: «ولد حفيد ولد عم جدي». وفي ط: «ولد عم جد جدي». وفي هذه الأخيرة اختصار وحذف عبارات كثيرة في هذه الترجمة.

رحل صاحب الترجمة في طلب العلم إلى الزاوية الدلائية لما اكتمل بدرها، وبلغ النهاية أمرها، حث كانت مرتعا للوفود، ومحل الكرم والجود، ومقصداً للطالب والمطلوب، فحصل لهم بها العلم الظاهر والموهوب. فلقي صاحب الترجمة جماعة من مشايخها فحصل له حظ ونصيب، وأخذ من العلم والعرفان أوفر نصيب.

[أخذ صاحب الترجمة من النساء نحو ثمانية، ولم يطلّق واحدة منهنّ إلاَّ إذا ماتت إحداهن نزوج أخرى مكانها. وتزايد عنده من الذكور ثمانية عشر. وكلهن دفن (كذا) بروضة أسلافهم التي قرب ابن عباد داخل باب الفتوح إلاَّ ولدين منهم فدفنوا معه بالجنان، وهما اللتان (كذا) ماتتا بعده، الأول منهم الفقيه العدل مولاي عبد الله. كان يقرأ الحزب بباب محراب مولانا إدريس، وسكن بدار محبسة على قبر مدفون مع سيدي الحبيب يقرأ عليه يوم الجمعة ويوم الخميس سورة طه. وهي الدار بزنقة ابن ولال براس الشراطين. وكان يؤم بجامع طلوق بسقو العدة من باب السلسة. وخلّف عبد الله هذا ولداً اسمه محمد مات بعده ودفن مع والده وجده. وبموته انقرض عقبه. والولد التالي هو العدل سدي محمد توفي عام 1170 ودفن مع والده في الجنان، ولم يترك سوى بنت ماتت معه في عام واحد ودفنت معه وانقرض عقبها. وكان محمد يقرأ الحزب بباب محراب جامع الأندلس، ويقرأ حزبه ويورّثق بزاوية المخبفة. وأما الإناث فكان عند صاحب الترجمة نحو العشر من بناته دُفنَّ معه بالجنان. منهنّ ابنته أم كلثوم أمها سيبونية، فهي المدفونة خلف ظهره بينه وبينها قبر آخر، وهي التي حبست الدار الثانية عن يسار الداخل للزنقة التي فوق حمام راس الجنان من فاس القرويين على أبناء عمها ليقرؤوا على قبرها كما في وصيتها. ودفن من بناته معه في الجنان ابنته طيبة أمها عائشة بنت مولاى عبد القادر الشريف الطاهرى الجوطى الذي كان بحومة العيون من فاس القرويين. وهذه البنت نزوجها سيدى محمد بن حم طاهر الجوطى فولدت له سيدى عبد الهادى، ومن الإناث عائشة التي تزوجها الشيخ سيدي المعطى دفين بجعد من تادلا، والبنت الثالثة اسمها (   ) تزوجها بحبَي بن محمد بن الطيب] (424)

ولما دخلها (425) الخليفة مولانا أمير المؤمنين الرشيد بن السلطان مولانا الشريف الحسني خرج صاحب الترجمة مسرعا في رفقة فيها سيدي الحسن بن مسعود اليوسي [قاصدين لفاس فمروا على قرية أزْرو فاستضاف أهلها الشيخ اليوسي] (426) ممن كان يفد عليهم للدلاء بقصد التجارات، فاجتمعوا إليه ولم ياتوه بطعام، فعمد الشيخ اليوسي إلى عون كان معه وأحضره للناس، وكان في الرفقة أكابر الدلاء ووجوههم وفقهاء وقضاة،

424) هذه الفقرة المكتوبة بين معقوفين كتب شطرها الأول فقط في هامش ك، وأدمجت بكاملها في صلب س. ولا توجد في ط.

425) يعني زاوية الدلاء.

426) ساقط من ك.

فأكلوا، وشاركهم في الأكل أهل قرية أزرو. فلما رأى ذلك منهم الشيخ البوسي أنشد هذه الأبيات، وهي من نظم الأديب الشيخ عبد الكريم الدغوغي (من بحر البسط):

وقرية لا قِرَى لا بن السبيل بها — نبّاً لها ولأرجاسٍ بها اجتمعوا
لولا أفارِدُها يُعْمرون واردَها — مِن سؤر باردها في ضمنه وجعُ
لقلتُ مَن زار أزْرُو زار مقبرةً — وربَّ مقبرةٍ زُوارُها انتقعوا

فأنشد صاحب الترجمة فوراً بمحضر رفقائه مثلها، وهي:

وإن حللْتَ بها فانزلْ بروضتها — ولا تُقِمْ ساعةً فالخسرُ ممتنع
لقد رأينهُمُ يومَ الخميس ضُحىً — فلم نُنَلْ منهُمُ قوتٌ ولا شَبَعُ
قالوا القضاةُ أتَوْا قلتُ لإكرامِنا — إذا هُمُ في سَويقِ الشيخِ قد طَمِعوا

ثم ارتحلوا ورجع صاحب الترجمة إلى فاس. ولما قصد سيدي الحسن اليوسي زيارة الشيخ أبي يعزى فمر بفاس طلب من صاحب الترجمة أن برافقه لزيارة أبي يعزى وأعطاه بغلة بركبها، فسار إلى زيارة سيدي أبي يعزَى، فزارا ورجعا إلى فاس، فأراد صاحب الترجمة أن ينزل عن الدابة التي أعطاه الشيخ اليوسى يركبها، فقال له سيدي الحسن فهى لك وما قلت لك خذ هذه واركبها حتَّى خرجت عنها لله، فأخذها صاحب الترجمه، وهي التى حج عليها وكانت من سرعان البغال بحيث لا يسبقها إلا القليل. ولما رجع عليها من الحج إلى فاس باعها واشترى بها فرسا، فكان يغزو عليه في سائر بلاد ثغور المغرب منطوعا، وكان يبلى بلاء حسنا في الجهاد، وكان في الشجاعة والفروسية والرمي الغاية، أخذ ذلك عن رؤساء أهل الدلاء في أيام إقامته عندهم.

ولما حج سنة ثلاث وثمانين سمع في أيام إقامته بمصر من الأجهوريسن الشيخ علي نفسه، وعبد الباقي الزرقاني، ومحمد الخرشي، وغيرهم، وبفاس من سيدي عبد القادر الفاسي، وسيدي الحسن اليوسى. ولما رجع من هذه الحجه إلى فاس أخذ في الاجتهاد في العبادة وأعاد فؤائب عشرين سنة، فكان صواما قواما. لزم مسجد زاوية سيدي محمد بن عبد الله مَعْن الكائنة بالمخفية من عدوة الأندلس، فأكثرمن تلاوة القرآن وأنواع الأذكار، وتجرد للعبادة وترك تعاطى الدنيا والأسباب والتجارة، وأكثر من مطالعة كتب القوم واتباع سيرتهم وسلوك طريقتهم: فنال منهم قدما راسخاً. وممن لقيه منهم وزاره ونبرك به سيدي قاسم الخصاصى، وصحب سيدي أحمد بن عبد الله مَعْن وتربَّى به وتهذب وتأدب به حتَّى صار من العارفين، وأولياء الله الصالحين.

ولصاحب الترجمة سجية في نظم الشعر، اقتبس ذلك من شيوخ الدلاء في أيام

اقامته بها. ولا شك أن الأدب شأن أهل الدلاء . وله أنظام بديعة، مشتملة على معاني رفبعة، فمنها: *نظم رجز فبمن هاجر إلى الحبشة من الصحابة*، *ونظم في المساجد التى صلّى* فيها رسلول الله صلى الله عليه وسلم وغبر ذلك. وقد أوردت جملة من أنظامه فى كتابي *الزهر الباسم*. ووُجه إليه سؤال من شرفاء العلم عن السبطبن الحسن والحسبن ـ رضي الله عنهما ـ وعن عقبهما، فأجاب صاحب الترجمة عن جميع مسائل السؤال كما ينبغي.

ومما يستدل به على امتثال أمر شبخه سيدي أحمد بن عب٠د الله معن أن سـدي أحمد رأى صاحب الترجمة خارجا من الزاوية فقال له: ادع لي فلانا لرجل من أصحابه داره في طريقه، فلما وصل لداره دعاه فقيل له لبس هو هنا بل سافر لمكناسة، فسار فوراً لمكناسة وقال له إن سىدى أحمد يدعوك. فلما بلغ وقت الصلاة ولم يظهر صاحب الترجمة في الزاوية، وكانت عادته لايغبب عنها، سأل عنه سيدي أحمد أين ذهب؟ فتشوش عله أهل داره، فجعل سيدي أحمد يهدنهم ويصبرهم ويقول لهم: هل تعرفونه ذا فضول حتّى تتشوشوا عله؟ فإذا من الغد قدم من مكناسة هو والرجل المدعو، فجعل يقول له سيدي أحمد كيف تفعل هذا؟ وصاحب الترجمة يعتذر له. وله فوائد وآداب.

توفي صاحب الترجمة يوم الاثنبن تاسع عشر جمادى الأولى عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف، ودفن بالجنان الموقوف لدفن أصحاب سيدي أحمد اليمني وسيدي أحمد بن عبد الله معن خارج باب الفتوح قرب مصلى العبد لعدوة الأندلس.

أحمد بن محمد ابن الحاج

ومنهم الفقبه أبو العباس أحمد بن محمد بن العلامة أحمد بن العربي ابن الحاج. تقدمت ترجمة والده وجده. كان عالما مجيدا، ومدرسا وحيدا. أخذ عن أببه وجده، وأخذ عنه جماعة، وكان والده يحضر درسه، وكان يحسن العربية ويتقنها.

توفى عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف.

من حوادث السنة

ملحمة كبرى مع النصارَى المحتلين لسبتة

وفي غرة المحرم فاتح عام ثلاثة وتلاثىن ومائة وألف خرج النصارَى من البحر إلى البر من ناحية سبتة ووقعت غزوة عظبمة، وورد الخبر بأن الملحمة العظمَى كانت مع النصارى ـ دمرهم الله ـ ومات من المسلمين نحو الألف وتزحزت المسلمون إلى وراء ونهبت محلة المسلمىن ودخل الرعب والخوف إلى تطاون. تم إن المسلمىن من جيش السلطان مولانا إسماعىل ومن القبائل المغربية رجعوا على النصارَى كرة واحدة وأعانهم المولى جل وعلا وأتخنوا فبهم القتل والأسر حتّى بقي بأيدي المسلمين من النصارَى نحو الثلاثة آلاف على ما أخبر بذلك من حضرها والحمد لله على ذلك.

سقوط طرف من سور فاس الجديد أهلك خلقاً كثيراً

وفي أوائل رمضان سقط طرف من سور فاس الجديد على جماعة وأقوام من أهل فاس الجديد وأهل فاس القديم ومن اليهود وغيرهم من أهل البوادي والحول والقوة بالله.

إيقاع الصلح مع نصارَى الأنجليز

وفي شوال العام أوقع السلطان مولانا إسماعيل الصلح ببن المسلمين وبىن نصارَى الأنجليز، إذ قدم عليه كبيرهم بهدبة كبيرة وتحف وطرف كثيرة وأعطاه نحو مائة من النصارَى(427).

غلاء وقحط ووباء

وفي هذا العام كان الغلاء بالمغرب ـ نعوذ بالله منه ـ وفيما بعده من السنبن اشتد الغلاء وارتفعت الأسعار ووقع مرض في الناس وموت كثبر بمرض وغيره من عدم الأقوات، حتَّى لقد رأيت بالمارستان بفاس ـ أمنها الله ـ الذبن كانوا يجمعون فيه الأموات يجهزونهم فتراكم بعضهم على بعض حتَّى صعدوا من الأرض نحو القامتين كله معمور بالأموات. شاهدت ذلك وأنا صبي في حد التمييز نعوذ بالله وأدام علينا نعمة لا تزول بمنه وفضله(428).

*** —— ***—— تذكرة المحسنين —— *** —— ***

محمد العربي بن أحمد بُرْدُلَّة

الفقيه العلامة البركة الأمثل، الضابط الثقة المتبحر الأكمل، شيخ الجماعة وإمام العصر شهير الديانة والدراية قاضي الجماعة بفاس ومفتيها وخطيب جامعها الأعظم، بل آخر قضاة العدل بها، سيدي محمد العربي بن أحمد بُرْدُلَّة المُدجَّن الأندلسي يوم الاثنين خامس عشر رجب من السنة، ودفن مع جده برضته قرب وليّ الله مَحمد بن الحسن خارج باب عجيسة.

427) حوادث هذه السنة ثابتة فى جميع النسخ باختلاف يسير وقد اعتمدنا نص *الحوليات* لأنه أوفَى

428)هنا فى هامش *ك* طره مفيدة نصها

«يدعى هذا العام بعام خيزُّور لكثرة زرعه فى هذه السنة. ويدعَى أيضاً (عام الصندوق) لأن الناس كانوا إذا رأوا أحداً يحمل الخبز فى الطريق نهبوه له، فكانوا يجعلون الخبز في الصدوق حيث يمرون به إلى الفرن خوفا من النهب. وبلغ الزرع فيه لمد الوقت إذا رخص ثمانية موزونات، وإذا اشتد الغلاء أربعة عشر موزونة».

العام الرابع من العشرة الرابعة

محمد بن عبد الرحمان الفاسي

فمنهم الفقيه العام الصوفي المؤرخ الإخباري الحيسوبي المشارك المنور أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي. تقدمت تراجم جمبع من ذُكر من آبائه. وكان صاحب الترجمة كتير التقييد والتصنيف فى أهل الطريقة، وله فهرسة سماها *المنح البادية*، ذكر فيها أشياخه وإسنادهم في أنواع من العلوم، وعدتهم خمسة عشر: والده وعمه، وجده، وولد عم جده محمد بن أحمد، وأحمد بن محمد بن عيسَى بن آدم الشريف نزيل رباط الفتح، ومحمد بن محمد بن عبد الجبار العياشى، ومحمد بن يوسف العباشي، ومحمد المرابط الدلائي، وأبو سالم العباشي، ومحمد بن عبد الكريم الجزائري، وبالإجازة عن الحكيم محمد بن سليمان الرداني، وعبد الباقي الزرقاني، ومحمد الخرشي، وإبراهبم ابن حسن الكردي، وحسبن بن علي العجيمي.

مثال النعال الشريفة

ووجدت بخط صاحب الترجمة نسب لوالده هذه الأبيات الخمس كتبها فى مثال نعل مقاس على النعل الذي بيد مولاي أحمد طاهر الشريف الحسينى الصقلى نزيل درب الدرج من عدوة فاس الأندلس الذي عندهم الشهادة بخطوط أئمة أنه نعل المصطفَى مولانا محمد - صلى الله عليه وسلم، وهذ الأبيات هي:

نعالٌ بها إذ مَست الأرض شرفت ... بها الأرض عن أفْق السماوات في الفضل
فما مثلُها ذخرُ وهذا مثالها ... طباقُ الَّذي للمصطفَى كان فى الرِّجل
وعند الصَّقلِّيين مِن شرفائنا ... بفاس وجدنَانا فَقِيسَتْ بِذا المثل
وفي السبع والستين والألفِ صنعه ... بِمُحكم إتقانٍ بِشاهدَيِ العدل
وشاهده العمراني وهْو محمدٌ ... وأحمدُ المزوارُ قاساه بالأصل (429)

والذي غلب على ظني أن نعاله صلى الله عليه وسلم أهلكها طول العهد، لأن من وفاته صلى الله عليه وسلم إلى اليوم أكثر من ألف ومائة سنة، فكيف مع هذه المدة يستمر بقاء النعال إلى اليوم ولم يتعد عليهم شيء لأن الأشباح إذا خرجت منها الأرواح تفتي بلا شك. «*كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَه*» تَعَالَى. والموجودات التى لا تفني سبعة، وليس فبها من النعال شيء، وعلى تقدير إن كان هذا النعال مأخوذاً من جلد الإبل فإنه يدخله نوع من السوس

429) هذه الأبيات كذلك فى المخطوطتين ك و س معا.

يقال له بلغه بلدنا العتة، ولو كان مأخوذاً من الحديد لأصابه الدراء ويأكله حتَّى يفنَى. [وأما مكثُ الحديد ولم يفن منه إلا ما لم نفارق معدنه، فإنا فارق المعدن ودخلته الصنعة فيفنَى مع طول السنين، والله تعالى أعلم] (430).

وقد ألف أحمد المقري تأليفا سماه: *فتح المتعال، في مدح النعال*، وذكر فيه روايات(431) مما عند السخاوي والزين العراقي وغيرهما، ولم يعرج على منال ما عند الشريف الطاهري الحسيني المذكور، مع أنه معاصر له بالزمان والمكان، وليس هو مما يخفى عليه. ومنتهى الأمثلة التى ذكرها سبعة، والمنال الذي عند الشرفاء الطاهريين أصغر من الأمثلة التى أوردها المقري كلها. ولعل الشريف كان يخفيه خشية انتزاع الملك إياه من يده. وحدثنى من له بها خبرة أنه رآها واحتذَى الناس عليه كم من مثال. فمن خط بعض أشياخنا ـ رحمه الله ـ: رأيت نعل المصطفَى التي بدار الشرفاء الطاهرين الحسبنبين الصقليين الفاطنين بعدوة فاس الأندلس، فتبركت بها ومسحت بها على أعلى البدن والحمد الله، وتوسلت إلى الله بها في حوائج فما رأيت أسرع إلى الإجابة منها في بعضها، وأنا أرجو الله في الباقي، أوائل سنة أربع وأربعين ومائة وألف.

فلت: وحوز هؤلاء السادات النعل الكريم من غير إرث منه صلى الله عليه وسلم لفوله صلى الله علىه وسلم: (لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَة). وقد سألت فاطمةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عمه ـ رضى الله عنهما ـ أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ ميراثهما من رسول الله صلى الله علىه فأجابهما بهذا اللفظ المروي في الحدىث، فدل ذلك على عدم اختصاص أحد من نسوته وبنته وعمه بشيء من متروكه صلى الله عليه وسلم على وجه الميراث، لأن ما من ألفاظ العموم، وعمل على ذلك الخلفاء، واتفق على ذلك الصحابة، وقد وجَّهوا طلب علي والعباس ما طلب من أبي بكر وعمر بأن المراد أن يقسم المتروك نصفين ينتفعان به على حسب ما ينتفع به الإمام لو ولى قسمه بنفسه، فكره عمر أن يوقع عليه اسم الفسم وبطول الزمان فيظن أنه قسم ميراثه. ومعنَى ما في بعض الطرق أن فاطمة هجزت أبا بكر، قال عياض: انقبضت عن لقائه. فال وليس هذا الهجران المحرم كترك السلام، ومعنَى لم تكلمه لم تسأله حاجة ولم تضطهر إلى كلامه.ولم بأت في كترك السلام، ومعنَى لم تكلمه لم تسأله حاجة ولم تضطر إلى كلامه. ولم يأت في خبرأنها لقيته فلم تكلمه ولم تسلم علىه. قال: وهذا الحديث مُجمعٌ عل يصحته وقبوله من أهل السنة.

فتحصل أن النعل الكريم لم يصر لواحد بالميراث منه صلى الله عليه وسلم فهو عند من هو بيده على وجه الحفظ لجمىع المسلمين، وهو فيه سواء لا على وجه الميراث. وعلى تقدير لو كان على وجه الميراث لا يختص من هو بيده عن غيره من ورثته صلى الله عليه

430) ما بين معقوفتين ساقط من ك وبقى مكانه بياض.

431) بياض فى المحطوطتين.

وسلم إلا بوجه ينجي منهم به، إلاّ أن يكون حائزه اشتراه أو وُهب له من المتصدق به علبه أوّلاً أو بعد انتقال ملك مالكه عنه بالصدقة، أو تعدد واغتنم حائزه التبرك به. ولا بقال إن مثل النعل من التافه الذي بغتفر لحائزه التبرك، لأنه ليس بتافه، بل هو أعظم الذخائر، وما زال ا لناس يغتبطون بمثل النعل والقلنسوة للتبرك بالأهل ومَنْ تُرجَى بركته، فأحرَى ما كان من سيد الأولين والآخرين. ومازال عند الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ حوائجه وآثاره صلى الله عليه وسلم محفوظة للتبرك بها. ففد كان قدحه صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك وهو من عود له حلفة من حدبد، فأراد أنس أن بجعل مكانها حلقة من ذهب أبو فضة ، ففال أبو طلحة لا تغير شبئا صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه. واشتُرى هذا القدح من مبراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف. وعن البخاري أنه رآه بالبصرة وشرب مه، نقله ابن حجر فى *حاشبة الشمائل*. وإذا أشرنا إلى المثال المكتوب فبه الأبيات المتقدمة فلنرسم حطا محبطا به خارجا عن المثال، فيبقى داخل الخط هو قد المثال، لأني رأبت مثالا آخر مقيسا على النعل المتقدم ذكره عند ولد عم أجدادنا أبي العباس الذي تقدمت ترجمته فى السنة قبل هذه . ولنرسمها معا كما ذكرنا ليتبين التفاوت بينهما. وانظر ما سبب التفاوت مع أن كلا من القائسين يظن به التحقيق، والله أعلم وهذه صورتهما (432)

فهذا المثال الذي عند صاحب الترجمة الموجود علبه كتب الأببات بخطه، والسواد كله خارج عن المثال. وهذا في الخط الأول. وأما في الخط الثانى الداخل هو المثال الموجود لعمنا أحمد القادرى، وكلاهما مقيس على نعل الشريف الطاهرى الحسبني، ورسمتهما بموضع واحد ليتبين الخلاف الذي ببنهما، وكل منهما بُظن به التحقق، فالله أعلم ما سبب الخلاف، إلاّ أن يكون المقس علبه أحدُهما أصلاً والآخر مثال عليه عند الشرفاء الطاهرين فأحضر لأحدهما الأصل، ولبسوا على الآخر فأحضروا له المثال وقالوا له هذا الأصل.

وفي عام أربعة عشر ومائة وألف شدد في المغرم على أهل فاس السلطان المنصور بالله مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني، فطلب أهل فاس من الشرفاء الطاهريين الحُسينيين أن بعطوهم النعل النبوي بستشفعون به للسلطان، فحمله بعض الشرفاء المذكورين وساروا معهم إلى السلطان فأحضروه بين يديه ودفعوه له بمكناسة، فعفا على أهل فاس فى تلك التفية (كذا) وأخذ السلطان النعل وأدخله لداره بقصد التبرك، وبنَى قبة بداره معلومة إلى الآن سمَّى قبة النعل ووضع فبها النعل فى كرم، وبقى النعل عند السلطان مدة حياته، ولا أدرى حقيقة ما وقع به بعد وفاته. وكان رجع بعض الشرفاء الطاهرين الحسينيين بطلبون من السلطان رد النعل إليهم، فدفعه بإلطاف وميسور من القول ولم يردّه إليهم، ورجع الشريف إلى فاس بغير نعل. وكان بعض الشرفاء المذكورين يحكى أنهم لم يحملوا للسلطان المذكور أصل النعل وإنما حملوا له مثالا علبه. وتقدم ما نقلته عن شيخنا أنه تبرك به عام

432) لبس فى المخطوطتين كـ و س سوى صورة واحدة، اثبتنا هنا صورة كـ لوضوحها وان كانت كالأخرى غير محققة القياس

ثلاثة وأربعن بعد موت السلطان المذكور، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وتوفي صاحب الترجمة خامس جمادَى الثانية عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، ودفن مع والده وجده بزاويتهم بالقلقليين من فاس القرويين (433).

[حدثني والدي قال: لما مات السلطان مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف السجلماسي الحسني ثار عامة أهل فاس على قائدها أبي علي الروسي وقتلوه وبعد خمود الفتنة بايعوا مولانا أحمد المدعو بالذهبي ابن مولانا إسماعيل المذكور، وسرنا بالبيعة العوام والفقهاء والشرفاء، ودفعناها له بمكناسة. فلما أراد أن يرسلنا إلى بلادنا قال للشرفاء هل فيكم أحد من الشرفاء الطاهريين؟ فكان منهم فينا كاتب البيعة بيده وهو مولانا حمدون بن محمد طاهر وابن عمه مولاي عبد الرحمن، فقلنا معنا منهم اثنان فخرج من الصف أمامنا، فقال لهما وجدت بدار والدي النعل الذي أتيتم به مستشفعين به وخشيت عليه أن يتلف، والآن خذاه واحضره إليهم (كذا) فقالا: لسنا نحن أربابه ونحن الشرفاء الطاهريون الحسنيون الجوطيون أصل الحسنيين، وأربابه الطاهريون الصقليين الحُسَيْنيين (كذا) قال والدي: فانصرفنا عنه ولم يعطهم شيئا. وحدثني بهذا المحضر مولاي حمدون ومولاي عبد الرحمن. ثم ثار العبيد على مولاي أحمد الذهبي وبايعوا أخاه مولاي عبد الملك ثم خلعوه وردّوا البيعة لمولاي أحمد الذهبي المذكور، ونهبوا دار مولاي إسماعيل، وفُقد النعل ولم يعرف أين ذهب. وزعم الشرفاء الطاهريون الصقليون أن من نهبه أتى به لهم وافتدوه منهم وهو عندهم إلى الآن والله أعلم بالصدق في ذلك بعد قول الكذب في خبره] (434)

علي أعَزُّوز

ومنهم السيد المبارك الولي الصالح سيدي علي أعزُّوز، نسب إلى قبيلته لجدين (   ) (435) على لغات البربر وعادتهم في ذلك في الجاري على ألسنتهم. وصاحب الترجمة أصله من أولاد ابن عزوز، وهم رهط بفاس (436)، رحل عن فاس بإخراج عاملها واستقر بجبل زغوان من أعمال تونس، فاتخذ هنالك زاوية ودفن بها بعد وفاته. وله هنا صيت وأصحاب وأتباع وظهرت له كرامات ومكاشفات وخوارق.

محمد بن أحمد بن عبد الله مَعْن

ومنهم السيد الزكي، الفاضل الذكي، ذو الهمة العالية، والنفس المرضية، والأوصاف السرية، والمناقب العديدة، والمكارم المفيدة، أبو عبد الله سيدي محمد بن [المعارف بالله]

433) كل هذه الصفحات المتعلقة بالنعال الشريفة ساقطة من *ط*. وترجمة محمد بن عبد الرحمان الفاسي فيها لا تتعدى بضعة أسطر.

434) هذه الفقرة المكتوبة بين معقوفتين كتبت كطرة في هامش ك، وأدمجها ناسخ س في صلب الكتاب على عادته.

435) بياض في المخطوطتين بقدر كلمة، والعبارة ساقطة من *ط*.

436) هنا في هامش س طرة نصها : «هذا يشهد لما قاله العالم العلامة نائب القاضي في وقته سيدي المفضل بن عزوز في تقييد له في نسبه، ولعله أخذه من هنا. رحم الله الجميع».

(437) سدى أحمد [بن سيدي محمد] (438) بن عبد اله مَعْن. تفدمت ترحمة والده وحده، كان صاحب الترجمة من الساده الكاملبن، ومن أهل الطريقة الواصلين. قال فى *المقصد*: نشأ على أحسن نشأة، ورُبي علي أكمل تربية، مقتصرا على الدار والزاوية لا بعرف سواهما، يؤدبه والده أحسن تأديب، ويعتني بشأنه أتم اعتناء، ويعاهده لا بغفل عنه على ما هو علبه من المروءة والأدب وعلو الهمة، نقرأ الفرآن لا حرفة له سواه. وقد أخبرنى عن شأنه ما يؤول إليه من الصلاح ببصيرنه الربانية، وفراسته النورانية، سيدي أحمد بن محمد اليمنى فقال فيه: أول ما رآه وهو ابن نحو سبع سنين: إنه سيكون رجلا صالحا، بعنى من أهل الخصوصية. وقال فيه والده: إن فبه الخبر [وربما نقول فيه] (439) مسكين، والمسكنة عندهم كنابة عن الصلاح. [وقد صرح فبه هو وسبدي أحمد اليمنى بما هو أعظم من هذا وأخص، طوبنا ذكره لغرض انتهَى بنصه.

قلت: وظهر علي صاحب الترجمة ما أخبر به عنه والده وسيدنا أحمد البمنى] (440) فكان صاحب الترجمة آبة في السخاء والنجدة والعبادة والزهد والورع واتباع السنة والمعارف والآداب. وقام بأمور زاوية أبيه وجده أحسن قيام، وكان يتصدق بجميع ما يحصل له من غلة أصوله. وتعلقت به دبون أنفقها في سبيل الخبر، فلما مات صيرت أصوله كلها في ديونه.

توفي ثالث عشر ذي الحجة عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، ودفن بباب قبة جده الجوفي، فبقي بينه وبين جده موضع قبر.

غضب السلطان على أهل فاس ونزول حجر من السماء

وفى أوائل رجب عام أربعة وثلاثين ومائة وألف غضب السلطان مولانا إسماعيل على أهل فاس غضبا شديدا أسخطه علبهم، كلفهم بإعطاء أربعبن قنطارا من المال الناض، وبعث حمدون الروسي إلبهم لقبضها منهم. وفى تاسع شعبان العام نزل حجر من السماء لم يعهد مثله وبقى بنزل من الزوال إلى الظهر، والله قادر على كل شيء (441).

*** *** **تذكرة المحسنين** *** ***

محمد عبد الرحمان الفاسي

الشيخ الإمام، الحافظ الهمام، خاتمة الحفاظ المحققين المشارك الفرد مؤلف المنح في الأسانيد أبو عبد الله سيدي محمد بن الشخ الأكبر سيدي عبد الرحمان الفاسي بن شيخ الجماعة سيدي عبد القادر. نوفى خامس جمادى النانية من السنة. ودفن من يومه بداخل محراب زاوية جده المذكور.

437) زيادة فى ط.
438) ساقط من ط.
439) ساقط من المخطوطتين.
440) ساقط أيضا من المخطوطنين.
441) انفردت الحوليات بحوادث هذه السنة

العام الخامس من العشرة الرابعة

علي ابن حمدوش

فمنهم السيد الشهير، المتبرك به لدَى جم غفير، أبو الحسن سيدي علي ابن حمدوش دفين جبل زرهون، له أصحاب وأتباع يذكرون له خوارق وكرامات، ويوثرون عنه أحوال (كذا) ومقاومات [وله طائفة الآن ينتسبون له] (442)، ولا يَدَعُونَ زيارته كل سنة، توفي عام الترجمة.

محمد بن الطيب العلمي

ومنهم الأديب النجيب أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب بن أحمد بن يوسف الشريف [الشلوشي] (443) العلمي. وهو فاسيّ الدار والمنشأ والقرار. [وكانت له ملكة في نظم الشعر، فنظم كثيراً منه. فمن جملة ما رأيت له *القصائد العشره في التشوف للبقاع المطهرة*، رتب رويها على حروف المعجم، كل قصيدة بعشرة أبيات إلى تمام الأحرف التي تصلح أن تكون رويا. وله مخاطبات ومؤلفات وضمن غالب شعره في كتابه الذى ألفه وسماه] (444): *الأنس المطرب، فيمن لقيه من أدباء المغرب*، فترجم لاثني عشر منهم. وكثير من الناس يتعجب من نظمه. وله منظومة على حروف المعجم يتشوق بها للمدينة، وله (445) مع الحاج الشرقي والشيخ عمرو وغيرهما. رحل من فاس للمشرق بقصد الحجّ،فمات بقاهرة مصر عام خمسة [أو أربعة] وثلاثين ومائة وألف بعد أن طال تشوقه للحرمين فلم يقدر له الوصول إليهما، بل قُضي عليه.

---

442)زيادة من *ط*.

443) ساقط من *ط*.

444) ما بين معقوفتين ساقط من *ك* و س.

445) بياض بالمخطوطتين بقدر كلمتين. والعبارة كلها ساقطة من *ط*

العام السادس من العشرة الرابعة

محمد المسناوي الدلائي

فمنهم الإمام الكبير، العلامة الشهير، الحافظ المتقن، الدراكة المشارك المتفنن، كوكب السحر الوقاد، العالم [الحجة] (446) النفاد، فارس التعبير، وممارس التحبى، وتاج الكراسى والمنابر، وعين أعيان المشايخ الأكابر، شيخ الجماعة وخاتمة المحققين، ورئيس الهداة والقادة الموفقين، سيدي أبو عبد الله محمد الشهير بالمسناوي بن سيدي مَحمد بن سيدي أبي بكر الدلائى. تقدمت تراجم آباءه المذكورين. كان صاحب الترجمة ـ رضى الله عنه ـ آية في العلوم، وحجة فى صحة الإدراك والفهوم. آخذا بأوفر نصيب في غالب فنونها، لا ينقر المسائل إلا فى سواد عيونها. وقد أعطى ملكة التدريس والفتيا، وسلم له [أعيان عصره] في مراتبها العليا. [ولم يزل منذ بلغ ذلك] (447) مقصوداً للمشكلات، ومعتمدا في النوازل والمعضلات. تلمذ له جميع أهل عصره (448)، وانفرد برئاسة التدريس والعلم في وقته ومصره.

أخذ ـ رضى الله عنه ـ عن جماعة من المشايخ، منهم أبو محمد عبد القادر الفاسى سمع عليه *شمائل الترمذى* قراءة دارية. وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفقاسى حضر لديه في التفسير والحديث والأصول والنحو والبيان، وقرأ عليه بلفظه مبادئ *الكتب الستة*، *والموطأ والشفا*، وأجاز له إجازة عامة في جميع ما يجوز له وعنه روايته، قال فيها ما نصه: وقد أجزته الآن إجازة عامة شاملة بشروطها في جميع ما يجوز لي وعني روايته من مقرو ومجاز ومسموع، ويتصل إسناد شيوخنا بالشيخ ابن غازي، وزكرياء وابن حجر، وفهارسهم شهيرة. وأجزته فيما اشتملت عليه *فهرسة ابن الزبير والمنتوري* [وغيرهما من الفهارس والمشيخات] (449). وأشهر أسانيدنا عن الوالد عن عم أبيه أبي محمد عبد الرحمان عن شيخ الإسلام القصار، عن شيخه الإمام رضوان، عن سُقَّين، عن ابن غازي وزكرياء، عن ابن حجر. ثم قال: قال الشيخ القصار كان شيخنا رضوان كثيراً ما ينشد:

قد رشّحوك لأمر لو فطِنتَ له ... فاربأ بنفسك أنْ تَرْعَى مَع الْهَمَلِ

[ومعنَى رشّحوك أى ربّوك وهيؤوك. قال فى *الصحاح*: الترشيخ أن ترشح الزم ولدها باللبن القليل تجعله فى فيه شيئا بعد شيء إلى أن يقوى على المص.

446) زيادة في *ط*.
447) ساقط من ك و س.
448) في *ط*: تلمذ له مَن يُعتمد من أهل عصره. وهو أوفق
449) زيادة في *ط*.

قال: وتقول فلان يرشح للوزارة أي يربّى ويؤهل لها. وبرشح الفصيل إذا قوي ومشَى مع أمِّه فهو راشح وأمه مرشح. انتهى.

وهذا ماحمله عليه على بن قاسم الطبرى فى شرحه *للامية العجم* للطغرائي التي هذا آخر بيت منها. وقال الصلاح الصفدِي: معناه قرَّبوك وأهّلوك لأمر إن كنت تعلم باطن الأمر في مرادهم منك فاهرب منهم ولا تطاوعهم على ما يرومونه منك إن أردت أن لا ترعَى هاملا. والمعنَى الأول أفصح، والفطنة بالكسر هي الفهم. ومعنَى اربأ بنفسك أي ارفعها عن هذا الشغل، وترعَى مِن رَعَى البعير بنفسه الكلأ، ويقال رعبت البعير أرعاه، والهمل الإبل بلا راع] (450)

[وأخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن الحاج التفسير والحديث والأصول والفقه والبيان والمنطق] (451) وعن عم والده الشيخ أبى عبد الله محمد المدعو المرابط شارح *التسهيل وألفية ابن مالك*، وسمع نحو النصف من البخارى عن سيدي الحسن بن مسعود اليوسي. وعن القاضي محمد بن إبراهيم الهشتوكي الأصل المراكشي *الشفا* وبعض *حواشى السعد والمحلي*. وعن المحدث عبد المالك بن محمد التاجموعتي السجلماسي مبادئ الكتب الستة، *والموطأ*، *والشفا*، وأجازه إجازة عامة. وعن الشيخ محمد بن أحمد القسمطينى مثل ما قرأ على ابن الحاج، وعن أبي عبد الله محمد البوعناني التلمساني، قرأ عليه شرح السنوسي على مقدمته *وصغراه*. وعن جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، وعن جماعة من الشيوخ آخرين نحوالعشرين إيرادهم يقتضي التطويل، ذكر ذلك كله صاحب الترجمة في إجازة منه لبعض تلامذته.

وأخذ عن صاحب الترجمة عامة أهل عصره، من أهل فصره ومصره، منهم أبو عبد الله ميارة الحفيد، والبنّانيان، وأبو العباس الوجّاري، وشيخنا أبو عبد الله الجندوز، وشيخنا أبو العباس احمد بن مبارك السجلماسي، وشيخنا أبو عبد الله محمد الكبير السرغينى وشيخنا أبو عبد الله محمد جسوس، وغيرهم. وتصدر للتدريس بفاس الحديث ومختصر *خليل* وغيره من كتب الفقه والتفسر وعلم الكلام والسير وعلم المعقول. ولما كمل بالبناء مسجد مولانا ادريس بفاس وأمر السلطان باعادة الخطبة إليه وإقامة الجمعة فيه، ولى صاحب الترجمة الإمامة والخطبة والتدريس به، فكان يأتي في خطبته بالعجب العجاب، وبما سحر الألباب، إتقاناً ولفظا، وبيانا وحفظا (452). وكان مرجوعا اليه فى كل أمور العامة والخاصة، وأذعن له مشايخ عامة عصره، فأمره عندهم هو المطاع، ولا يسعهم فيما أفتى به إلا الاتباع، لا ينقل من المسائل إلا عنوانها، ولا يصيب من الجواهر إلا مكنونها.

450) ما بين معقوفتين ساقط من *ك* و*س* .

451) ساقط من *ط*.

452) هنا فى هامش *ك* طرة نصها: «أول خطبة خطبها دعا فيها للسلطان ولمن سعَى فى بناء المسجد من العلماء والصنّاع، ومن أنفق الأموال ابتغاء أجر الله».

ووجه إلى علماء فاس سؤال من الحضرة العالية بالله حضرة مولانا المنصور بالله إسماعيل بن مولانا الشريف الحسني في أمر خلافة ابن الزبير. فأجاب بما يبهر العقول، من التحقيق بالمعقول والمنقول. ورأيت له جوابا عن سؤال في قضية القاضي أبي عبد الله المقري مؤلف *القواعد* مع مزوار الشرفاء يومئذ بفاس الشريف العمراني، وإيراد السؤال والجواب يستدعي طولا، ونورد منه هنا القضية. قال أبو العباس المقري في كتابه *نفح الطيب* ما نصه: ومن أخبار مولانا الجد الدالة على حرمه ما حكاه ابن الازرق أنه كان بحضرة مجلس السلطان أبي عنان لبث العلم، وكان نقيب الشرفاء بفاس إذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من في المجلس اجلالا له الا الشيخ المقري فإنه لا يقوم في جملتهم، فأحس النقيب من ذلك وشكاه الى السلطان، فقال له السلطان هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله الى أن ينصرف. فدخل النقيب في بعض الأيام على عادته، فقام له السلطان على العادة وأهل المجلس، فنظر إلى المقرى وقال له: أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل السلطان -نصره الله- وأهل مجلسه إكراما لجدى ولشرفي؟ ومن أنت حتى لا تقوم لي؟ فنظر إليه المقري وقال له: أما شرفى فمحقق بالعلم الذي أنا أبثه، وأما شرفك فمظنون، ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة؟ ولو علمنا شرفك قطعا لأقمنا هذا من هنا، وأشار الى السلطان أبي عنان، وأجلسناك مجلسه. قال ابن الازرق: وعلى اعتذاره ذلك أن الشرف الان مظنون، فمن معنى ذلك أيضا ما يحكى عنه أنه كان يقرئ ببن يدي السلطان أبى عنان المذكور صحيح مسلم بحضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم، فلما وصل إلى أحاديث الأئمة من قريش قال الناس إن قال الشيخ الأئمة من قريش وأفصح بذلك استوغر قلب السلطان، وإن ورى وقع في محظور، فجعلوا يتوقعون له ذلك. فلما وصل الى الأحاديث قال بحضرة السلطان: والجمهور أن الأئمة من قريش ثلاثا، ويقول بعد كل كلمة: وغيرهم متغلب، ثم نظر الى السلطان وقال له: لا عليك فإن القرشي الآن مظنون، أنت أهل للخلافة، إذ بعض الشروط توفرت فيك والحمد لله. فلما انصرف إلى منزله بعث إليه السلطان بألف دينار انتهى.

وسئل صاحب الترجمة عما في نوازل البرزلي عن ابن عرفة عن ابن عبد السلام من قوله نسب له سبعمائة سنة يثبت في هذا الزمان ضعيف. فأجاب عن ذلك بجواب حسن وإيراده هنا يستدعي طولا.

وسئل صاحب الترجمة عن رجل يدعي المعرفة والفقه قال في حق الشرفاء إن الزمان قد طال وليس على الفروج أقفال والنساء غير مؤتمنات. فأجاب بأن ما ذكره الرجل لا يختص بالشرف كما في *وسيلة الزلفى*، بل هو عام فيمن يريد إثباته لهم. وينبغي أن يعتقد فيهم أن نسبتهم محققة، والمتشكك يلزمه ذلك في نفسه. وفي علمك أن الولد للفراش ويظن بأمهاتهم أنهن من أهل النزاهات والصدق والدين لا تتطرق اليهم التهمة، ومن يريد الطعن قيل له هذا مشترك الالتزام بينك وبين من تطعن فيه، فإن صححته فهو جواب لك ولا يوصف به غيرك.

[ثم إن القول المذكور] (453) وإن كان محتملا في نفسه وجائزا في حد ذاته لا يقدح في حق من ينتسب للجناب النبوي، فإن نسبهم ثبت شرعا، واستفاض نقلا وسمعا، لأن غاية ذلك التجويز العقلي، إلا أن تكون النسبة المذكورة غير ثابتة لمدعيها وحائزها شرعا باعتبار الواقع ونفس الأمر وأنها ظنة أو شكبة لعدم ما يفيد اليقين والقطع، ويصير التجويز المذكور في محل المنع، لاعتبار ما جاء به الشرع، من إجراء الأحكام على مقتضى الظاهر، وترك البواطن موكولة إلى عالم السرائر، فإن النسبة باعتبارها محكوم قطعا بها عند ثبوت موجبها وسببها، فيعامل صاحبها بما يقتضيه ظاهر حاله الرفيع، كما يعامل منتقصُه بالأدب الوجيع، لا سيما إن انضاف الى ذلك الثبوت القرائنُ العاضدة، والدلائل الشاهدةَ، التي تثلج لها الألباب، وترتفع معها تخالج الظنون وخطرات الارتياب، كما يوجد في مشاهر الأشراف، السالمين من معتبر الاختلاف، وبذلك تتفاوت الأنساب من حيث هي في القوة مع اتحاد المنسوب إليه، وكان الشرف مراتب كما هو منصوص عليه، فمنه الجلي والأجلى، والخفي والأخفى. وبحسب ذلك يتفاوت فيه الاعتقاد، ويختلف اطمئنان النفس اليه وتلوح الفؤاد. وهذا التجويز العقلي هو محل كلام ابن عبد السلام وكلام القاضي المقري. قال: ولا ينبغي أن يظن بهما خلافه من التشكيك في الأنساب الثابتة شرعا والقدح في ذويها. وما صدر من القاضي المقري مع الشريف العمراني هفوة لا تناسب مقام أهل البيت ومنصبهم، حيث وجّهه بما يغضب الشريف بمحضر الخاص والعام من أهل الدولة ووجوه المملكة بما يذيب وجوه الكبراء من الخجل، وتسوى دونه طعن السيوف وضرب الأسل، مع ما فيه من تزكية النفس المنهي عنها، على أنه يتوجه عليه من البحث أن يقال له إن شرف العلم إنما هو من حيث هو ثمرته وقبوله عند الله وإثباته عليه، وحصول علو الدرجة به لديه. وذلك أمر مغيَّب عنا، فليس هو بمظنون فضلا عن كونه مقطوعا به، لاحتمال شقاوة صاحبه والعياذ بالله. قال في *لطائف المنن*: ولا يغرنّك في العالم أن يكون أنفع للبادي والحاضر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

والحاصل أنها زلة من عالم كبير، يضل بها عالم كثير، فالله يغفر له. والعجب ممن يذكرها له على أنها من المناقب، وهي من أشنع المثالب. انتهى المراد منه. ونقل تمامه يطول، وهو منوال كثير وفيه خاصة فاس، فانظر تمامه. ويتعين العمل بمقتضاه على الخاص والعام. وفيه شرف العلم باحتمال شقاوة صاحبه وإن كان قائما بالنظر الى ذاته فهو من التجويز العقلي وليس هو حكما شرعا، وإن كان كذلك فلا يقدح في مرتبة العلم، لأنّه يجب تعظيمه شرعا، وله ثمرة موجودة محسوسة ومشاهدة، وهو بثه في الناس وإقامة الدين به بين الأحكام والفتيا التي لا يخلو الزمان ممن يحتاج إليها، ولا مانع من أن يكون مقبولا عند الله

453) ساقط من ك.

تعالى لما في الحديث القدسي (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عبْدِي بِي). والغالب على العلماء حسن الظن بالله تعالى. فتجويز شقاوة صاحب العلم ممنوع، وإن ما سيقع على وفق قدر الله تعالى في الأزل ليس لنا أن نبنى عليه حكما في الظاهر بحيث نترك ما برز في الوجود لاحتمال مخالفته ما سبق في علم الله، وإلا لتعطلت الشريعة، إذ كل فرد وجد من أهل العلم يصح فيه هذا التجويز، فيلزم عليه سقوط العلم مطلقا إلا باعتبار ما عند الله. نعم واجب على كل عالم أن يركن إلى علمه، ويخاف من عدم قبوله وشقاوته وأن يكون من أهل الوعيد، ويكون ذلك شأنه في نفسه، وفي غيره من أبناء جنسه، مع ما تقدم من حسن الظن بالله تعالى، فيجمع بين الرجاء والخوف اللذين قال فيهما العلماء إنهما ما اجتمعا في قلب شيء. وهذا في نفسه، وأما إذا نظر الى غيره فلا يجب عليه إلا النظر بعين الكمال، والتعظيم والإجلال، لحصول النفع به في الحال، إذ لا ضرر في تعظيمه ولو مع الاحتمال. فالحق أنه لا محل للتشنيع على القاضي المقري وإن صدر منه من الغلظة على الشريف العمراني يغتفر له في مثل هذه القضية، وإن لزمه محظور لا ينبغي أن يصدر من مثله، لأن الشريف أغضبه بشكواه للسلطان بعدم قيامه له كما تقدم في حكاية القضية، ثم بعد ذلك شافهه بأمره للقيام له، ووهَّن قدره بقوله ومن أنت حتى لا تقوم؟ وما كان ينبغي لهذا الشريف أن يصدر منه مثل هذا في حق هذا العالم الذي هو كبير علماء المغرب وولي منصب القضاء الذي هو نائب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزّل في منازل الأحكام منزلته، والشريف مِمَّنْ تجب عليه طاعته وتلزمه مبرَّته وتعظيمه. وأولى من يَرْعَى هذه الحرمة سادتنا الشرفاء الذين هم أحق بموروثهم من المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو العلم والصلاح، فينبغي لهم طلبه وتعظيم من يطلبه. وحرص الشريف على القيام له تعرض لما هو منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُقَامَ لَهُ فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار). والعلماء حماة الشريعة، فكأنه رأى زجره على ذلك واجبا عليه.

وأما ما وجهه به من قوله وأما شرفك فمظنون به الى آخره، الشرف على خمسة أقسام. الأول المتواتر تواترا عاما وهو عمود النسب النبوي في الجملة. الثاني المتواتر تواترا خاصا. وهو في قبائل معروفون بأسمائهم في حواضر وقرى وجهات مخصوصة، كل معروف في بلاده، وتواترهم خاص بها، لأن غير بلادهم لا شعور لهم بهم فضلا عن معرفتهم. الثالث: المظنون وهوالثابت بالشهادة المستوفاة لشروط العمل بها، وما في معناها من الأخبار المفيدة للظن، وقد تعضدها قرائن فلتحق المرتبة التي قبلها. الرابع: المشكوك المستوى الطرفين. الخامس: المرجح الشك فيه. فالقسم الأول لا يتعين فيه وإنما يتعين في الأربعة بعده. وأعلى الأربعة القسم الثاني ثم ما بعده مرتبة بعد مرتبة إلى آخر المراتب. فإذا فهمت هذا فإنما كان خطاب المقري لأهل المرتبة المظنون بهم، ولعله ظن أنه من أهلها. وأما التغليظ في قوله: ومن لنا بصحته منذ سبعمائة سنة؟ لا يحتمل لأن المتبادر منه نفي صحة النسب مطلقا قطعا أو ظنا. وقوله لأبي عنان إن القرشية في وقتنا مظنونة لم يصرح بما يدل

على أن ذلك في جميع الأقطار أو عند جمع من الناس، بل في موضع دون موضع أو فى أشخاص دون أشخاص، فيكون كلامه من باب الكل لا من باب الكلية، بمعنى أن الظن فيها محكوم به على مجموع الأفراد لا على جمبعها، ولا شك أنها مظنونة في كثير من المنتسبين لقريش، ومحققة في البعض منهم، على أنك إذا حققت علمت أن تعيين الفرد المنسوب ليس فيها إلا الظن، ولا سبيل للقطع فيه. وقد صرح بذلك سيدى عبد الرحمان بن محمد الفاسى لما قال ابن العربي الحاتمى يعتقد فى أهل البيت أن الله تعالى قد غفر لهم. قال شيخنا شيخ الإسلام القصار: إن أراد تغليب الرجاء في حق من علم تعالى أنه منهم على الخوف فحق، وإن أراد بالاعتقاد الجزم المطلق بأنهم لا يعاقبون فقد ابتدع وخالف أهل السنة. فإن قيل ورد به، قيل ورد به أكثر منها وإن صح في حق فاعلي الطاعات، حتى قال المبتدعة المرجئة لا يعاقب مومن من أهل السنة. وأعدى عدو لأهل البيت من يوهمهم ذلك، بل يذكرهم نحو «يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ»، وإن كان كثير من أهل الظواهر لا تشملهم كما قال كثير منهم، فإن من اعتقد ذلك منهم أو من غيرهم مبتدع، بل مذهب أهل السنة أنهم في المشيئة. انتهى كلام القصار.

وكتب على كلامه سيدى عبد الرحمان بن محمد الفاسي المذكور ما نصه: قف على قوله فمن علم تعالى منهم فأنه تنبيه على أنه لا يقطع به في معين ولا يقطع به أحد لنفسه ولو إلا من كون شرط الوفاة على الإيمان، وهو غيب، لا يقطع به لأحد إلا لمن ميزه النص. وهكذا ينبغى أن كل أحد في كل فضيله وعد عليها في العقبى، فإن شرط ذلك الإيمان عند الله تعالى وهو غيب لا يقطع به لأحد إلا لمن ميزه النص. على أن من تحقق قبضة الحق لا يسكن لوعد، وبه تفهم قول سيدى عبد السلام بن مشيش: وألحقني بنسبه، فإن الظنى[454] مشروط بالديني وهو غيب. وكذا ما ورد في قبول طاعات ودعاء وادخاره فإنما هو فيمن علم منه خاتمة الإيمان وبعدت بذلك إرادته ومشيئته. وأما واحد فى خاصته فلا يصح له الجزم والقطع بذلك لنفسه ولا لغيره. وقد قال شيخنا أبو الحسن: وقد أبهمت الامر علينا لنرجو ونخاف، وذلك سر العبودية، وبذلك تنقطع الآمال إلا من الله تعالى، ويتحقق الرجا والاعتماد عليه لا على الأسبا. نقله عم والدنا فى *كناشه*.

وأما قول ابن عبد السلام المتقدم: نسب له سبعمائة سنة يثبت في هذا الزمان ضعف، مراده -والله أعلم- فيمن لم يكن يعرف به وبعد مرور هذا الزمان من زمن الهجرة قام فادعى به. أما من كان معروفا به أولا واستمر الدعاء له به فلا ضعف فيه. وقد ثبتت أنساب العرب بادِّعائهم بعد ذلك المدة بكثير. وكذلك إذا ظهر من يدعى أنه من قعب مولانا عبد السلام ابن مشيش أو نحو وبيده ما يثبت نسبه إلى مولانا عبد السلام فإن نسبه صحيح

454) كذا فى المخطوطتين ك و س، بالظاء المعجمة، ولعل الصواب: الطيني - بالطاء المهملة -.

لقرب زمنه من مولانا عبد السلام بن مشيش. والقرينة الدالة على ثبوت النسب فيما بين الهجرة والشيخ الذي ثبت نسبه له حيث استفاض صحة نسبه. وأيضا فقد وقع بين الناس من كلام المقري المتقدم بحوث وسوء ظنون وتوهم في آل البيت، فمرضت من ذلك القلوب والعياذ بالله.

وكان صاحب الترجمة في زمنه أكثر الناس تحسينا ظنون الناس فى ذلك، وجال في الأنساب، وعلم بالأحساب، وانفرد بالتحري في هذا الطريق، وممن له القدم الراسخ بهذا العلم والتحقيق. فكان المرجع فيها زمنه إليه، ومعول كل الناس فيما أشكل منها عليه. وحقق أنواعا كثيرة من العلوم، وطالت ممارسته لها فانجلت له عرائس الفهوم، وتتلمذت له شيوخ الزمان، واشتهر فيه بالنقد والإتقان، وألف تآليف عديدة منها: *جهد المقل القاصر، في نصرة غوث الورى الأكابر*، بين فيه أن الشيخ عبد الفادر بن موسى الحسني الجبلاني بزنه كان من المجتهدين، وننزيه عن ما بتوجه عن بعض الحنابلة. ومنها: *نتيجة التحقيق في بعض أهل النسب الوثيق*، اشتمل على مقصودين: التعريف بالشيخ عبد القادر الجيلاني وبعض عقبه، *والقول الكاشف، في صحة الاستنابة في الوظائف*. ومنها *تأليف في القبض والرد على من زغم عدم مشروعيته في النفل والفرض*، وله *أجوبة* كثيرة *وتقاييد* جيدة موقفة عليها منها لو جمعت كانت مجلدا في مسائل من أبواب من العلم يرحل إلى سماعها من أقصى المغرب الى المدينة. وبلغنا أن صاحب الترجمة إذا بحث في تقرير جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني فيقول : اللهم إنه آية من آياتك. وله خطب بلبغة جيدة المناسبة. ولم يكن لصاحب الترجمة اعتناء بالتصنيف لوجود قيام تلامذته فى زمنه بذلك، فتركه لهم واعتنى بالتدريس، فانتهت الرياسة له فيه، وقام به أحسن قيام إلى أن صار إلى رحمة الله ورضوانه.

وكان رضي الله عنه نظيف الثياب، جميل المعارشة، حسن الأخلاق، عالي الهمه، لا يستطيع الكلام في مجلسه الأكابر لهيبته وعظيم سمته. وكان في تدريسه إذا أخذ في تقرير مسألة يأتي على وجوه احتمالاتها، ولاي دع شيئا مما تشتهي بيانه نفوس الحاضرين من أبحاثها، مع جودة التحقيق والتحرير بما يغبط به العقل من النقل، مع اختصار في العبارة، وسرعة فى بسان الاشارة، وبفهمه الحاضر والبادي ومن هو مغبون، وجميع من بالمغرب من اللسون. مجلسه مجلس سكون ووقار، وخشية وتذكار، لا بحسب جالسه أن أحدا أكرم عليه منه، ووسع الحاضرين فى مجلسه بسطه. وله باع طويل فى الرسائل والمخاطبات بمقتضى الحال، وأنظام عجيبة، بمعانى غربية.

وسئل صاحب الترجمة بما نصه: بعد تقبيل اليد وتكميل السلام، على سيدنا الإمام، العلامة الهمام، فليعلم -أبقاه الله وأعلاه- أن الغلام مقبل[455] الأقدام نظم قبل أبياتا لم تَخْلُ من الفصيح، بمكان ضيق ولا فسيح، قال فيها بعد كلام:

بالتطوان لم تلد له شبهــا ... إنهــا عن ولادة لعــفــيــمــة

فزعم بعضهم أن لفظ الولادة فى هذا المحل ليس بسائغ، وذكر أنه ما بلغه أنها لغة. واحتاج العبد الى الجواب، بما يظهر الصواب، فإن أجاب سيدنا فله الثواب، من الملك الوهاب. والسلام فأجاب -رحمه الله-:

وعليكم من المــحب ســلامٌ ... فــائح كــأريج مــسك وندي
مـا حـدا عـبرتي زفـيـر غـرام ... فـسـقى بالدمـاء خـابور خـدي

أما بعد، فالجواب أنه لا مزيد في بطلان الزاعم المذكور، وأن منشأه الجهل والقصور، فإن اللفظ المذكور سائغ في في لغة العرب، وإن جهله ذلك الزاعم المدعي للطلب. ولا يستغرب جهل مثل ذلك في هذه الأعصار، التي عطلت [456] سحائب الجهل فيها على البوادي والأمصار، حتى خفي عن أهلها ما هو في غاية الوضوح ونهاية الاشتهار. ودليل بطلان ما قال، وأن اللفظة شائعة الاستعمال، قول صاحب *القاموس*، الذي هو مقدم في هذا الفن على كل رئيس ومرؤوس: «وولد يلد ولادا وولادة وإلادةً ومولدا». وقد ارتكبه غير واحد من الشعراء، منهم القائل:

وفي قــبض كف المــرء عند ولادة ... دلـيل على الحـرص المـركب فى الحى

وقول غيره[457]:

فــقل لمن يدعي فى العلم منزلة ... علمت شيئا وغابت عنك أشياء

455) هذا ما يقتضيه السياق، وفى ك و س: مقبول وهو تصحيف ظاهر.
456) هكذا في المخطوطتين، ولعل الصواب: عطّت.
457) يظهر أن هنا بتراً فى المخطوطتين معاً

وهذه مسألة قريبة سهلة، وإنما كتبت هذا الجواب لما دل عليه من سعة أخلاق صاحب الترجمة، وللنحاة في حذفها ثلاثة أقوال: قيل مقصور على السماع، وقيل بجوازه مطلقا، وقيل لا يجوز إلا في الإطالة نحو أقام الصلاة. وأشار للثاني في *الألفية* في موضعين من كلامه.

وكان صاحب الترجمة له اعتناء بالتدريس بحيث إذا بدأ كتابا يعتني به حتى يختمه لا يلتمس عذرا إلا إذا نزل به ضروري سماوي، فكان كثير الختم، وكان شعراء الوقت يرصدون ذلك فيمدحونه بالقصائد ويتنافسون بينهم في أي المدح أحسن. ومضمن المدح الثناء على أهل العلم والكتاب المختوم ومؤلفه وفنه، والثناء عليه بضخامة علمه ودقة فهمه، فيمتنع من قراءة تلك القصائد بمجلس الختم استحياء من الله تعالى أن يسمع المدح في نفسه. وكان إذا دخل شهر رمضان بدأ في أول يوم تدريس *صحيح البخاري*، يقتصر في تدريسه على بيان المعاني من الأحاديث التي توافق أحكام مذهب الإمام مالك، ويترك ما سوى ذلك فلا يتكلم عليه. فكان الناس يقصدون حضور ذلك المجلس من البوادي والحواضر لحصول الفوائد منه وسرعة ختمه، ويختمه في اليوم التاسع من شهر رمضان، ولما ختم *المرشد* في قراءته بين العشاءين في ليالي شتاء سنة مدحه الشريف الأديب أبو عبد الله بن الطيب، فمنعه من قراءتها في مجلس الختم على عادته في المنع من ذلك، فأخذ في نفسه عليه حيث سوى بينه وبين غيره، فكتب إليه الشيخ يعتذر له لكرامة النسبة النبوية عليه بما نصه: حيا الله بنسيم رضوانه الطيب، وسقى بغيث رحمته الصيب، الشريف الأرضى سيدي محمد بن الطيب. أما بعد السلام عليك أيها الفاضل، فقد أتحفتني من عرائس فكرك بما أنا دونه بمراحل، لحسن طويتك، وكمال سجيتك:

والفضل عندك في الضمير وإنما ... جود الفتى أبدا بما في الكيس

فاستصغرت نفسي أن يقال فيها ذلك المقال، أو تتحلى بتلك الحلل. ولا سيما في المجامع والحفول، المشتملة على مختلف الآراء ومباينة العقول، مع شنبعتي والله شاهد بأني على النقبض، من جميع ما تضمنه من الأوصاف المدحية ذلك القريض. وأجهل الناس، من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس:

لعمر أبيك ما نسب المعالي ... إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا اقشعرَّت ... وصوح نبتها رعي الهشيم

فهذا موجب المنع من قراءة قصائدكم الرائقة، وإمتاع [458] الأسماع ببدائعها الفائقة. لا غير ذلك مما عسى أن يختلج في البال. أو بوسوس بعض من لا علم له بحقيقة الحال. فإنه محض إفك وزور، بعلم ذلك من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. والله المسؤول أن يعاملك بحسن نيتك، ويجازيك خيرا على بليغ مدحك، بمنه. ولولا الشعر بالشعر ربا، وأنه لا يناسب من ولت عنه مثلي أيام الصبا، لجلوت عليك [459] من عرائسه ما يكون كفاءَ وُدِّك، وأتبتك من نفائسه ما يليق طرازا بحلة مجدك، ولكن الأمر كما قال قائله:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراد الصبا ورواحله

والسلام عليكم من كاتبه محب آل البيت النبوي وغبار نعالهم محمد بن أحمد المسناوي كان الله له. والقصدة من أربعين بيتا ومطلعها:

بشائر ليلى آذنت بوفودها وطالعها أنبا بقرب ورودها
بها الأفق زاه والنجوم زواهر تلوح ونجري في بروج سعودها
وهاذى جيوش الليل تعثر خيفة من الصبح في أديالها وبرودها
وها الفجر يبدو في عساكر أبدت بنصر عزيز أرعبت ببنودها
وها الشمس من بين الغمام تطلعت علينا وهاذي الورق تزهو بعودها
وأنهارُ هذا الروض ها هي قبلت من الغصن الأقدام مثل عبيدها

ومنها:

فلذ بحمى المسناوي والزمه إنه إمام الورى علما وليث أسودها

ولما جدد شباك مولانا ادريس المحيز به على قبره للاحتفاظ من طرح النعال وليميز به القبر، وذلك في حدود سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، أنشد صاحب الترجمة في ذلك أبياتا فقال:

جُعلت لقبر شرَّف اللهُ قدره صيانا بقي عن كثرة اللمس باليد
وما نسبته في ضت (كذا) إلى مجد شباك الضريح المجدد
كنسبة مولى قد أحاط بغيره إلى بدر تلك الحجرة المتوقد
في الدولة الإسماعلية قد نشا في أدنة تاريخ يصحّ بمشهد

458) صحف في المخطوطتين فكتب: وامتاع.
459) في ك : الجاد عليك، وما أتبتناه عن س أنسب.

وكتب صاحب الترجمة على البيت الذي ختم به نظمه وحذفت الياء بعد العين من اسماعيل اللوزن، وهو جائز عندهم. والذي حسب التاريخ ورمزه هو الناظم اللبيب سيدي عبد القادر بن العربي القادري الحسني. ولما مرض مرضه الذ ينوفي فيه أنشد قصيدة يحكي فيها حاله بعد مونه، وأولها:

يارب عطفاً على مُسيءٍ   قد ساقه القومُ للمقابر
فجاء فَرْداً بغيرِ زادٍ   وخلّف الأهلَ والعشائر

الخ. وقد جرى عمل الناس بفاس حين اخراج المبت من داره وإنزاله في النعش يتلون هذه القصيدة وهم مشاة أمام المبت، من بعد موت صاحب الترجمة الذي أنشدها إلى الآن.

والحاصل أن صاحب الترجمة عالم الأقطار المغربية في وقته حجة شهير، محقق كبير، فقيه محدث أصولي بيان مفسر أديب مؤرخ عالم بالأنساب صوفي، آخر النظار بفاس، وممن كان إليهم المرجع في العلوم، واتفق أهل زمانه في قصره ومصره على الاحتجاج به والتلمذ له.

توفي - رحمه الله- يوم السبت سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة وألف، ودفن بعد صلاة العصر من يومه بروضة سبدي العايدي بمطرح الجنة خارج باب الفتوح من مدينة فاس. وكان حفر قبره هناك في حياته قبل موته بنحو ثلاث سنين بعد زن كسب لأولياء السيد يستأذنهم في الدفن فأذنوا له. وبعد الفراغ من الحفر اضطجع فيه وقرأ ما تيسر من القرآن، وبقي يعاهد هذا القبر بالقراءة إلى أن توفي ودفن به. ومن بركة صاحب الترجمة أنه لما عزم على السفر للحج عمُّنا الفقيه أبو الجمال طاهر بن عبد السلام القادري الحسني قال له صاحب الترجمة: إذا كانت لبلة السفر ائتني بالبضاعة التي تصحبها معك للشرق أبيتها عندي، فلم يفضل له على انفاق المؤونة الا سبعة دنانير إسماعيلية، فأتاه بها ليلة الخروج، فأبانها عنده، ومن الصباح ردها إليه على حالها، فأنفق منها فوجد فيها من البركة ما لم يعهده، وذهب وحج ورجع الى داره في أرغد عيش وأحسن مركوب وملبوس[460].

عزوز ابن مسعود

ومنهم الولي الشهير المجذوب سيدي عزوز بن مسعود دفين الطالعة من عدوة فاس القرويبن باب السراجين، فاتخذوها عليه روضة ومزارة. وكان مجذوبا يحكوم عنه كرامات،

460) هذه الترجمة المطولة لمحمد المسناوي احتصرت في أقل من ثلاث صفحات في ط

وإخبارا بمغيبات. وحكى لي بعض الطلبة أن الشريف المجذوب سيدي الحفيد العمراني كان مهما يرى صاحب الترجمة في فاس أخذ في طرده منها ويقول له اخرج لي من مدينتي، فيفر منه ولا برجع عنه إلا إذا أخرجه من المدينة.

قال المخبر: فلقست صاحب الترجمة ذات يوم راكبا على فرس ومعه الطبالون نضربون النوبة في أطبالهم على العادة (461) المعروفة وهم من أصحابه، فرآه سبدى الحفيد العمرانى فلم يزد علبه إلا أن بكى وقال: نعم، الله بربِّح، وانعطف علبه وذهب، فلم ببق بعد ذلك إلا نحو ثلاثة أيام ومات سيدي الحفيد العمراني، رحمه الله.

محمد الكبير بن الطالب ابن سودة

ومنهم الفقيه الخطيب الواعظ سيدى محمد المدعو الكبير بن سيدي الطالب ابن القاضى [العدل](462) سيدي محمد ابن سودة المري. تقدمت ترجمة القاضي المذكور وأبيه وجده في المائة الحادية عشرة. كان صاحب الترجمة خيرا دنيا فاضلا خطب بمسجد الأندلس من فاس، وأجاز له الشيخ حسين العجمي(463) المكى [الذي تقدمت ترجمته عام ثلاثة عشر ومائة وألف، وأجاز له فيها جميع مروياته، وبين له فيها أسانيده، منها الحديث المسلسل بالأولية، كل ذلك بخطه، رحم الله الجميع بمنه وكرمه](464).

461) في ط بدل الجمله الأخيرة: كعاده من يك مهنئاً للفرح.

462) زيادة في ط.

463) في ط: حسن العجمي.

464) ما بين معقوفتين نص ما في ط. وقد اختصر في المخطوطتين. وهنا في هامش س طره طويلة نصها: «ورأيت برسم كبير على الدار (وهي الآن بيد الأشراف الإدريسيين سيدي الطايع وأولاده) للعياسى المجاورة لدار القيطون بضريح وبحرم مولانا إدريس ما نصه. حضر الفقيه الأجل العلامة الخطيب البليغ الأكمل أبو عبد الله سيدي محمد المدعو سيدي الكبير ابن الفقيه الأجل الناظر الأفضل سيدي الطالب ابن سودة المُري وضمن لمولاي الخ ودلك الرسم تاريخه مهل رجب عام اثنين وثلاثين ومائة وألف، وعدولها أحمد بن عبد الرحمن التشديد (كذا) والآخر مبيضٌ محله ليس مكتوبا ونص الرسم: الحمد لله كان مشتركا شركة المفاضلة والشياع بين الإخوان الأربعة الأشراف الأربعة سيدي محمد وسيدى عبد الله وسيدى يحيَى وسيدى أحمد أولاد الشريف الجليل الخ أبي العباس سيدي أحمد بن إدريس الحسنى الجوطي، وأمهم السيدة عائشة المدعوة عشوة بنت الفقيه الأجل العلامة أبي عبد الله سيدى مَحمد ابن سودة المري جميع الدار الكائنة بحومة روضة مولاي ادريس - نفعنا الله به - تجاور دار ابن يوسف ودار الكبيط ودار العياسي، وتعرف في القدم بدار ابن زاكور، تختص الأم المذكورة بنصفها الواحد ويختص السادات المذكورون بالنصف الآخر على السوية، وبقي كذلك إلى أن توفيت الأم المذكورة فورثها أولادها المذكورون. ثم توفي سيدى محمد المذكور فورثه زوجه المصونة السيدة زيروا بنت الفقيه الأجل الحاج الأبر، أبي عبد الله سيدي محمد المدعو الطالب ابن سودة المريّ، وولده منها الشريف الخ إلى أن قال حضر الفقيه الأجل، العلامة الخطيب البليغ الأكمل، أبو عبد الله سيدي محمد المدعو سيدى الكبير بن الفقيه الأجل الناظر الأفضل سيدي الطالب ابن سودة المري وضمن إلى آخر ما قدَّمناه. وأسفل ماكتبنا: الحمد لله يشهد الواضع اسمه بمعرفة الدار الكائنة بحومة الزاوية ضريح مولاي إدريس - نفعنا الله به - المعروفة لورثة العياشي وتجاور دار القيطون ودار ابن زاكور ودار ابن عبد الحليم المعرفة التامة ومعها، يشهد بأنها صارت بالشراء لأمير المومنين مولاى رشيد على يد خديمة الأنصح كان ناظر المورايث في حينه إذ ذاك وهو أبو عبد الله سيدي محمد بن علي ابن سودة المري الخ. تاريخه صفر عام ثمان عشرة ومائة وألف، محمد بن أحمد الجابري لطف الله به، وعلي بن محمد العوني».

عبد الله بن عبد السلام جسوس

ومنهم الأديب البليغ أبو محمد عبد الله بن العلامة عبد السلام جسوس.

تقدمت ترجمة والده المذكور. كان صاحب الترجمة - رحمه الله- له اليد الطولى فى الأدب ونظم الشعر، مع السلاسة وحسن التعبير مشهورا في ذلك[465].

—— *** —— ***—— تذكرة المحسنين —— *** —— ***——

محمد المسناوي الدلائي

الإمام العلامة المحقق الهُمام الحافظ الضابط المتقن المشارك المتفنن أبو عبد الله سيدي محمد المسناوي بن الأستاذ سيدي أحمد بن العلامة سيدي محمد المسناوي نجل الشيخ الشهير العارف الكبير سيدي مَحمد بن الولي الكبير سيدي أبي بكر الدلائي دفين زاويته بالدلاء. وكان وُلد بالزاوية في عام اثنين وسبعين وألف وانتقل لفاس قبل بلوغه مع أهله، وبها قرأ وأقرأ وتعلّم وعلّم وأمّ وخطب بضريح تاج الأولياء مولانا إدريس نفعنا الله به، ودُفن داخل قبة سيدي العايدي خارج باب الفتوح ملاصقاً لجدار القبة وراء ظهر صاحبها.

عبد الله بن عبد السلام جسوس

وبها توفي الفقيه الأديب، النبيه الأريب، سيدي عبد الله بن العلامة الشهيد المحتسب الفريد، أبي محمد سيدي عبد السلام بن الحاج حمدون جسوس.

465) ترجمة عبد الله جسوس ساقطة من ط.

العام السابع من العشرة الرابعة

محمد بن احمد بن الشاذلي الدلائي

فمنهم العالم الأديب، العلامة الأريب، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن سيدى الشاذلي[بن محمد بن الشيخ أبي بكر][466] الدلائي. تقدمت تراجم من عدا والده. كان صاحب الترجمة عالما بفنون الأدب من نحو وبيان ومعان وتصريف وعروض وقواف وأيام العرب، حافظا لكلامهم، له التقدم في ذلك على جمع أهل عصره، شهد له بذلك أشياخه فضلا عن أقرانه، مع مروءة وحياء وكرم نفس وعلو همة ومكارم أخلاق. ومع ما كان عليه من الافتقار [والصبر على الفقر][467] يؤثر العلم على كل شيء، عالما بالتوقيت، كثير الاعتناء بالتقييد. وله أنظام بمعان مطربجة، وألفاظ مستعذبة. [ومن كلامه في علو الهمة، وقد بين فيها حال نفسه:

ما أن يعيبك فقد الحلى والحلل	إن أنت بالهمم الشماء كنت ملى
قد ضل من ظن أن المال يرفع ما	أوهى السؤال بعرض فبه مبتذل
لابارك الله بعد العرض في عرض	الدنيا ولا نلت ما بالعز لم أنل
ورب جاهلة هبت تعاتبني	إن كنت عن غمر عيش مؤثر الوشل
قالت رأيتك ذا قول محبره	أبهى من الروض غب الواكف الهطل
وفي الملوك له كفء فأمهم	حتى بعبدوك ذا خيل وذا خول
ولست أصغى وإن لجت لتعدل بي	عن منهج الصوب بالتعتاب والعدل
وإن من كرمي بخلي بشعري في	تقريظ ذي كرم أو ذم ذي بخل
فلن تراني مديلا ما حببت له	في غير ذكر الوغا والاعين النجل
يابى إبائى وآبائي ويأنف بي	محد أناف ولم يقنع على زحل
نفس الكريم تعاف الورد يصحبه	ذل على ظمأ في الجو مشتعل
لو كنت سائل غير الله لم أسل	غير المذاكي وغير البيض والأسل
ما شمت بارق عضب كنت شائمه	إلا انتجعت به أحيا من السبل

466) ساقط من ط.
467) زيادة في ط.

لا ترض بالعيش في ظل الهوان وخُضْ	لنيل عز غمار الموت والشكل
فليس بدرك بالجبن البقاء ولا	الاقدام يقضي بما لم يقض في الأزل
حلبت شطري صروف الدهر ( )	ومن يسار ومن صاب ومن عسل
فما بطرت لإثراء ولا حسبى	أبدت به خلة تنتاب من خلل
وكنت إن ما بدا لى من غنىً عطل	الفيت من حلى فضل غير ذي عطل
وشي المهنّد يبدو فوق صفحته	بغنسه عن شبة الأعمال والحلل] (468)

أخذ عن أبي عبد الله المسناوي وأقاربه وغيرهم. وأخذ عنه طبقة أشياخنا وحكى لى أحدهم أن علم العروض انقطع مدة تدريسه بفاس ولم يجدوا من يقرئهم إياه حتى دلوا على صاحب الترجمة، فكانوا يقرؤون عليه الخزرجية بباب داره. فأخذوه عنه وحققوه.

توفي – رحمه الله– عام سبعة وثلاثين ومائة وألف. [ودفن قرب سيدى العايدي قرب شيخه المسناوي -رحمه الله-] (469).

468) هذه القصيدة ساقطة من ك وس.
469) زيادة في ط.

العام الثامن من العشرة الرابعة

أبو جيدة محلى

فمنهم الولي الشهير، المجذوب الكبير، سيدي أبو جيدة (470) محلي. كان جوالا سفارا لا يستقر بموضع، ونعتريه أحوال كثيرة فينطق بالمغيبات، وتجري على لسانه حكم وتظهر عليه كرامات، وخوارق عادات. بتأثر بالسماع فتعتريه منه غيبة، شهير الولاية في مدن المغرب: فاس وتازا وتطاون ومكناسة وغيرها. يكون مقيما فإذا أحس بقافلة خارجة اعتراه داعي السفر وينادي في الناس: من يعطي كذا حتى يحضر من يكتلف له بكراء الدابة التى بسافر علىها أو بعضه ويخرج، وهكذا حاله وله كرامات كثيرة.

توفي بتطوان ودفن بها عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف، ودفن بداخلها وبني عليه ضريح كبير تقام فيه الصلوات الخمس، ويتبرك الناس بالدفن في جواره مقصودا للزيارة والتبرك به.

[ومن كراماته ما حكي لنا أن جماعة من أولاد اليهود بتطاون قصدوه بالإذابة كما هو شأنهم في إخفاء المكائد، فأخذ كل منهم إبرة، ومهما قرب منهم نخسه منهم واحد بالإبرة. فلما ناله منهم ذلك قال لآبائهم أنتم وجهتم أولادكم بكيدكم لإذايتي، ولابد من أولادكم الذين آذوني من أن يسلموا، فما بقي منهم واحد إلا ودخل الإسلام، والحمد لله](471).

470) في ط أبو جدة.
471) هذه الفقرة الأخيرة ساقطة من ط

العام التاسع من العشرة الرابعة

إسماعيل بن الشريف العلوي

فمنهم الخليفة السلطان المنصور، أمير المومنين الملك المشهور، أو النصر مولانا إسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف الذي شرفت سجلماسة بأماكنه ودياره، بل وجميع المغرب وجهات أقطاره. وهو ابن محمد بن علي بن يوسف بن مولانا علي الشريف، بن حسن بن محمد بن مولانا الحسن القادم، بن بلقاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد ابن إسماعيل بن القاسم بن الإمام محمد النفس الزكية الملقب المهدي، ابن سيدنا عبد الله الكامل، ابن سيدنا الحسن المثنى، ابن سيدنا الحسن السبط، ابن سيدنا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء البتول بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد نظمت هذا النسب الكريم في رجز متوسلا بجاههم العظيم، وهو مبتدأ من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إمام وقتنا أدام الله نصره:

يا ربنا بالمصطفى الكريم	وقربه من ربه العظيم
وبنته الزهرا وزوجها علي	وبابنها الحسن ذى الفضل الجلي
وبالمثني نجله الأواه	وبابنه الكريم عبد الله
وبالرضى محمد المهدي	والقاسم المعظم الزكي
ثم باسماعيل درة الشرف	وأحمد ابنه بتيمة الصدف
بحسن ثم علي ابنه	ثم أبى بكر العلى في شأنه
عرفة الأرضى الكريم السؤدد	ونجله الفضل أبى مُحمد
ونجله يا ربِّ عبد الله	بالحسن الأسمى الرضى الأواه
محمد فنجله بلقاسم	بالحسن الاعظم وهو القادم
محمد فحسن الأزكى المنيف	فابنه مولاي علي الشريف
بيوسف ثم بنجله علي	وبابنه محمد الأرضى العلي
وبأبى ملوكنا الشريف	من لم نزل في ظله الوريفة
مولاي اسماعيل تاج الدنيا	رتبته واحدة في العليا
يا ربنا وبالعظيم الجاه	سيدنا مولاى عبد الله

رب ونجله أمـيـر المـومنبن	من أيد الله بفـتـحـه المـبـين
سـبدنا مـحـمـد شـمس الزمـان	وروح عـالـم الأنـام فـي الأوان
ظـل إلاهنـا عـلـى العـبـاد	وعـنـه لحـاضـر وبـاد
ورحـمـة الله على المـسـكين	وفـضـلـه لذي الفـوي والدبن
رب بـهـذا النسـب المطهـر	المـقـدس المـعـظم المنور
أدم لـنـا وجـوده وحـفـظه	وهـب لـنـا رضـاك كـل لـحظـه
واجـعـل علينا حـرمـة النبي	بجـاهـه المـعـظم العـلـي
صلى عـلـبـه الله مـادام الدوام	فى كلّ مـا له ابتداء واحـتـتـام] [472]

[كان -رضى الله عنه- إكليل ملوك زمانه، وفريد عقده وأوانه، أقام الله به الجهاد، وأحيـا به الدين بالمـغـرب بعـدمـا باد، وأضـمر به كل ظالم مـعـتـد، وقطع به دابر كل باغ ومعاند] [473] وأعز الله به رسوم الدبن بعد دروسه، وأضحك به وجه الزمان بعد طول عبوسه. وأخمد به الشرور بعد تاجبج نارها. وأحيى به المعالى بعد الأخذ بثارها. وبسط الله له اليد على المغرب فعلت أقداره، ولاحت في الآفـاق شموسه وأقماره، وتكاملت في الحسـن أنجاده وأغواره. وشمخ فـبه ملكه، فدار بالنصر والتـمكبن فلكه. وانـعش به كل الأرامل والأيتام، ورسمت للدين فيـه أئمة وأعلام. وولاه الدهر زمامه، وأكمل السعد واليمن مرامه، فشدا بذكره صادحا، وما أحسن قول من قال فبه مخاطبا له ومادحا:

وأطلت أيام السـرور فـلم بـعـب	من قـال أيـام السـرور قـصـار
وجـبـرت من جَـرَحَ الزمـانُ فكُذِّبتْ	أقـوالُهم جُـرْحُ الزمـانِ جـبـارُ

ومن مفـاخره، وكريم مـآثره، أن هدَّ حصـونا فى المـغـرب للكفرة، وخـرب دبارا لأهل الشرك والفجرة.

[فمنها فتح المهدية بالمعمورة فأخذها عنوة بوم الجمعة ثالث عشر ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وألف، قيل بقتال وفيل بغير قتال وإنما أخذها بقطع المـاء عنها. ومن لطف الله أن لم يمت أحد من المسلمين وغنم من كـان بهـا من النصارى وجعل الله ذلك له من العمل المقبول الذي ينال به رضى الله. ومنها فتح طنجة، ففى رابع وعشرين من المحرم عام

472) هذه الفقرة الطويلة المشتملة على نثر ونظم، المكنونة بين معقوفتىن ساقطة من *ك* و س.
473) ساقط من *ط*.

تسعين وألف وقعت غزوته بها فمات من المسلمين نحو خمسين ومن الكفار نحو ثلاثمائة، وأخذ لهم قصبة منها بأربعة أبراج. ثم في ربيع الأول من عام خمسة وتسعين وألف أخذها من غير قتال فتركها الكفار وهربوا بما قذف الله في قلوبهم من الرعب منه بعد أن خربوا دورها جعل الله له ثوابها من الذخائر التى يجدها بوم لقاه. ومنها فتح العرائش، ففي آخر شوال عام مائة وألف أنزل عليها الجيوش وحاصرها ثم امر بإرسال البارود تحت أسوارها بحفر العملة، ثم أرسلوا فيها النيران حتى تصدعت أسوارها ففتحها عنوة وغنم ما فيها من النصارى. وكان عددهم ألفا وسبعمائة، ومن على أسرهم بالعتق. وفرح المسلمون بهذا الفتح المبارك وصحبهم منه سرور عظيم. ومما قال فى ذلك سيدنا الجد -رحمه الله- هذه القصيدة التى هو مطلعها وذكر فيها الفتوحات المتقدمة ويمدح مولانا صاحب الترجمة:

علا عرش دين الله كل عرائش … وهد بنصر الله حصن العرائش

إلى أن قال فيها:

هنيئا بعز المسلمين وجمعهم … وإذلال أهل الكفر أهل الفواحش
هنيئا بنصر الله أمة أحمد … وإمدادهم منه بجند مباطش
بهذا لهن عيش كلُّ موفق … بهذا ليفرح دائما كلُّ عائش
لنا النصر والبشرى لنا بإمامنا … هِزَبْر الوغا غيظ العدو المناقش
أبى النصر إسماعيل ناصر ديننا … وحامى الحمى بالمرهفات البواطش
زعيم سلاطين الثرى وهمامهم … وسيد أقيال الورى دون خادش
مليك له بمن به صار كلنا … يروح ويغدو في أجل معايش
مبارك ميمون النقيبة في الثرى … له الفتح في أواسطها والهوامش
أباد حصون الكفر بالسيف والقنا … وما أذعنت من قبله لمباشش
فسل عامري معمورة عن فتوحه … وسل طنجة من قبل هذا العرائش
لقد كان دينا فتحها فانقضى به … كذلك ما في الأرض من كل هامش
به سعدت أهل المعارف كلها … فاشرق من جذواه لهفة عاطش
نعم إنَّه من نبعة نبوية … وفرع زكي طيب النشر عارش
لِذاكَ ملوك الأرض طرا تهابه … فكلُّهمُ ما بين مدهى وداهش

ومـــا التـــرك إلا في دواه دهتـــهم	صـــدورهم جـــاشت بأعظم جـــائش
له سطوة فى أرضنا هاشـــمـــيـــة	يذوب لهـا قلب الحـسـود المـخـادش
لك الفـتح مـمـدود فـجـاهد عـدوًنا	وحـشـهم ومـا أوفى لهم كل حـائش
فـلا تخش حـبـا مـا حـسـت فـإنه	لك النصـر عند الملتـقى والنـهـاوش
عليكم من الرحـمـان عـسُ كـلاءة	نصـاحـبكم عند اشـتـداد المـداهش
ودام لكـل المـسـلمـين ظلالكم	ودمنا به فى طـبـبـات المـعـاش

وهي أطول من هذا، ونقدمت بـهامـها عام واحد ومائه لما ذكرنا فتح العرائش في محله] (474).

بويع صاحب الترجمة بعد وفاة أخبه الخليفة مولانا الرشيد في يوم الأربعاء خامس عشر ذي الحجة عام اثنبن وثمانين وألف من الهجرة النبوية بفاس. وكانت تورة أهل فاس القديم عليه بىن عشاء يوم الخميس [أول يوم من حمادى الأولى] (475) عام ثلاثة وثمانين وألف. وفى أخر بوم من جمادى الثانية لجؤوا إليه ورجعوا لدبه فوجدوا فيه كل خير لم يظنوه وهومعدنه وأصله، فعفا عنهم وصفح ولم يمنن علبهم في دلك. فاستكثر الله له الخبر ووقع الصلح بينهم، ورحل عنهم في ضحوة الـثلاثاء النـاسع عـشـر من رجب عـام أربعـة وثمـانين وألف. وتمهد له ملك المغرب من أقصى الظهراء،إلى أقصى وادي نون والساقية الحمراء، ومن البحر إلى أقصى الصحراء قبله. فكثرت عمارنه جدا، وجدد النـاس لأنام العلوم عـهدا، فكانت أسواق العلم فى خلافته عامرة، ونجوم أفلاكه نيرة زاهرة.

توفى -رضوان الله علـيه ورحمتـه- يوم السبت نانى وعشرىن من رجب عام تسـعه وثلاثىن ومائة وألف. وكـان ابتـداء مـرضـه فى نانى يوم من شـهـر جـمادى الأولى من عـام الترجمة. فحجبه (476) صاحبه وصيفه الخصي مرجان، فلم ىره أحد منذ مرض إلى أن مات. فغسله الففيه العلامة سيدي أحمد بن سيدي سعبد العميري، وصلى علبه العلامة سيدي الحسن بن رحال المعداني، وأدخله قبره لبلا. وكان الناس فى حياته ىغبطون به غـاىة ويتخوفون مونه لما برتقبون بعده من الفتن. وكثـر منهم بطلب الله تعالى أن لا ىدرك مـوته وأن يموت فى حياته لما شهدوا فى أىامه من عىش الضعفاء والأيتام، وإقامة الناس لاحياء الضائعين أتم قيام، وإذا تتبعنا أخباره ومآثره فلا ىسعها مجلد. وتفدم ذكر بعض حوادث الأعوام فى أىامه.

474) هذه الفقرة الطوىلة المشـتملة على نىر ونظم أىضا المكتوبه بين معقوفتين مأخوذة عن ط. وقد سقط النظم حمله من ك و س. وكتبت تفاصـيل فـتح طـنحه والمـعـمورة والعرائش طرراً فى هامش ك. وأدمح ناسخ س هذه الطرر فى نص الكتاب كعادته.

475) ساقط من ك

476) فى المخطوطتين :فأجابه، وهو ىصحيف ظاهر. والعباره كلها ساقطة من ط.

من حوادث السنة

ثورة أهل فاس وقتلهم العامل الروسي

ومن حوادث هذه السنة فى صبيحة اليوم الذي ورد فيه الخبر على فاس بموت السلطان صاحب الترجمة قتل أهل فاس قائده بها الرئبس أبا علي بن عبد الخالق بن عبد الله الروسي عامل السلطان على فاس، بما أضمروا له من الحقد لتصرفه فبهم بالمغارم، وأخذ الحق من الظالم للمظلوم، وزجر السفهاء عن أهل المروءة، ولعدم اتخاذه منهم العمال والوتادين والمفردين وأهل الضرب والتجرد، بعد أن حاول مدافعتهم وقتالهم، ونحصنه بالدار المقابلة لباب حفاة مسجد الأندلس، وجمع الوتادبن أصحابه بالعدة فلم يغنه شيء من ذلك، ودخلوا عليه في داره وقتلوه، ومثل به بين الأزقة، وقتلوا من أصحابه من ظفروا به، ولم يفلت منهم إلا من تحصن بالحرمات والاختفاء فى الدور ونحوها، وعددهم نحو أربعة وعشرين. ثم اجتمع أهل فاس على أن يوجهوا اثنين من كل قبيلة من مشاهر الأشراف للسلطان الذي بويع بمكناسة، وهو مولاي أحمد بن إسماعيل بقصد الاعتذار، فتغيظ أولا، ثم لما أعلم بأن الموجهين له من كبار الأشراف فرح بهم وقبل اعتذارهم وشفاعتهم، وبالغ في تعظيمهم واحترامهم، ورجعوا لفاس فرحين. ووقعت هدنة بين الناس عن الحرب إلا أنهم رفضوا جميع ما كان يجري عليهم من الوظائف السلطانية، وحملوا الأسلحة وركبوا الخيل، وضج الناس بالفرح والسرور، واشتغلوا بالملاهي والاجتماع في النزهات والتنقي في اللباس والجلوس أفواجا مقبلين على اللهو واللعب والهذيان فى كل متسع من أزقة فاس. ولم يكن للأحكام السلطانية نفوذ فيها في سائر المغرب، ولبس للسلطان سوى الدعاء على المنابر والاسم، وكمل العام كله على هذه الحالة، وكثر في المغرب الفتن والأهوال، فكان هذا هوالأصل للفتن التى أتت بعده. (477)

وفاة مولاي اسماعيل

وفي ثاني يوم من شهر جمادى الأولى من عام تسعة وثلاثين ومائة وألف ابتدأ السلطان مولانا اسماعبل مرضه الذي توفى منه، وكانت وفاته -رحمه الله- منه فى يوم السبت الثامن والعشرين من رجب العام. فكانت مدة مرضه شهربن وسبعة أيام. (وجعل الله له هذا المرض آخر عمره ليرفعه به أعلى الدرجات. لأنه آخر ما بشاب علبه الإنسان من سده الملك الدبان) وكانت مدة خلافته ستة وخمسون (كذا) سنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يوما، البقاء والدوام لله. وتولى غسله الفقهاء، ومنهم أبو العباس السيد أحمد بن السيد سعبد العمبرى. وكان الذى نقدم إماما للصلاة علبه الفقيه العلامة أبو علي السبد الحسن بن رحال المعدانى. وكل ما قيدته هنا فى هذه الترجمة وغيرها من الحوادث والتواربخ كله وجدته مقيدا بخط من يظن به الثقة، والعلم عند الله تعالى بكل شيء وإليه ترجع الأمور. ومن وفاته

---

477) حوادث هذه السنة من الحوليات. أثبتناها بنصها ولو أن فيها نسناً من التكرار مع ما سبق، للفوائد الزائدة فيها ماعدا ترجمة محمد بن حمدون بناني المذكورة فى آخر حوادث هذه السنة بالحوليات خطأ، حذفناها، وسترد في صلب الكتاب فى السنة التالية.

-رحمه الله- إلى تمام لعام وهي خمسة أشهر وجميع العام الذى بعده كان في ذلك قتال عظيم وحروب، وتراكمت فتن في جميع أقطار المغرب وسفك فى الدماء مما لا يحصى، أفضت الى فناء خلائق لا تحصى، ووقع نهب كثير فى الأموال لا يحاط به، وكاد أن يهلك جميع من فى المغرب لولا لطف الله ورحمته بالمؤمنين. ولكن لا أعقل تفصيل ذلك لصغر سني حينئذ وقلة مبالاتي بتقييده بقرب ذلك. وكذلك في العام الذي بعده أيضا، والحول والقوة بالله، والأمر لله من قبل ومن بعد. ا هـ.

الاسعار وقت وفاة مولاي إسماعيل

وكانت سوم القمح فى حين وفاته ثلاثون موزونة وهى سبع أواقى ونصف للوسق وأقل وأزيد بقليل، وسوم الشعير ثمان موزونات وعشر موزونات للوسق، وسوم الزيت خمسة عشر موزونة للقله. والقوت كله على هذا القياس فسبحان المدبر الحكيم الخبير الفعال لما يريد، لا يسأل عما يفعل، لا إله إلا الله هوالعلي العظيم، القدير العليم الحكيم.

بيعة أحمد الذهبي وقيام الفتن في عصره

وفى غد يوم موته بويع ولده أبو العباس أحمد الملقب بالذهبي على لقب أبي العباس أحمد المنصور الذهبي السعدي. بايعه كافة الجيش من العبيد وغيرهم من الأحرار والوداية وغيرهم من القبائل الجيشة وتابعهم على ذلك الكافة من العامة والخاصة سوى أهل فاس. فإنهم قد تأخرت بيعتهم بعض الأيام حتى قتلوا القائد بو علي الروسي وجماعة من أصحابه بنفس ما وصلهم خبر موت السلطان وبيعة ولده مولاى أحمد. ثم بعد ذلك بعثوا بيعتهم مع جماعتهم فقبل منهم وقال لهم «خيرا» ولم يذكر لهم شيئا آخر. وقتل السلطان بعض أهل الفواحش لأمر اقتضاه، وهدأت الفتن وأربابها، ورجع أهل فاس إلى ديارهم فرحين مسرورين، وبقى فى ملكه نحوا من سنة وأيام، وقع فيها قتال ومشاهد عظام.

—— ***—— ***—— تذكرة المحسنين —— ***—— ***——

السلطان إسماعيل بن الشريف

الملك المظفر المنصور، والجامع لأمر خلافة المغرب المنظوم منها والمنثور، الشريف الهمام مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف أخ مولانا الرشيد المتقدم. وكانت مدته السعيدة خمساً وخمسين سنة ولقد قام على ساق الجد ومهد المغرب غاية المهاد، ووطن المواطن وأمن السبل في سائر البلاد، وجمع شمل المملكة بعد اندثارها، وتلافى بالإحياء جميع أطلالها وآثارها، وشيّد معالم الدين، وقطع دابر أهل الزيغ المتعدين، وفتح ثغور المغرب كلها، وجرد سيف عدله حتى وصل حبلها، ورد مياه الدين لمجاريها، وقاسى الشدائد مع أجلاف المغرب لتجاريها. توفى رحمه الله بعد صلاة الظهر من يوم السبت ثامن وعشري رجب من السنة، ودفن بعد صلاة العشاء داخل حرم الشيخ الشهير، والولي الكبير، مولانا عبد الرحمان المجذوب نفعنا الله به.

العام العاشر من العشرة الرابعة

الحسن بن رحال المعدني

فمنهم الفقيه الكبير، العالم العلامة الحافظ الشهير، صاعقة الفقه المالكي في وقته وصاحب التدريس بمكناسة الزيتون، ونادرة الزمان في كشف الأوهام والتلبيس [478] أبو على الحسن بن رحال المعدانى، أحل أعلام الزمان، وكبراء الأوان، له عارضة كبيرة فى الفقه واتساع في النوازل وتدبر في الفتوى وتدبر فى مجلس الأقران، فكان يبتدئ التدريس فى المدرسة المتوكلية من طالعة فاس عند طلوع الشمس ويتمادى فيه إلى الزوال ولا يضجر ولا يمل ولا يكل مما يلقى عليه من المباحث ولا يعجز عن جواب، وكل ذلك بنقول تحيط بالمرام، وكان حافظا للمذهب المالكي مرجوعا إليه فى فتاويه مستحضرا لفروعه. سمعت ممن كان يحضر تدريسه أنه كان يقول أقدر من حفظه مثل ما للحطاب على *المختصر* مرتين. وكان كثير المطالعة والتدريس والتقييد لا يمل من النظر، دؤوبا على تدريس *مختصر خليل*، له عليه *حاشية* كبرى مشتملة على عدة أسفار متسعة النقل. وله حاشية على شرح ميارة على ابن عاصم. وله تأليف سماه *الإرفاق في مسائل الاستحقاق*. وكان كثير الإنصاف والتواضع سليم الصدر كريم الأخلاق، بعيدا من التصنع مصببا فى الكلام مفضالا جوادا، ولي قضاء فاس العليا، ثم تأخر عنه وأكب على التدريس، وفي آخر عمره ولي قضاء مكناسة فتولى بها قاضيا. وكان ذا عيال يلزمه قدر كثير من الزرع كل يوم، لأنه كان كثير التزوج مطلاقا، فولد عدة أولاد ولم يبق من عقبه إلا رجل واحد. وكان كثير التردد إلى سيدى أحمد بن عبد الله معن، فكان يبالغ فى إكرامه ويذاكره ويكرمه بأنواع الأطعمة المنتخبة، لأنه كان يعجبه التنعم بأنواع الأطعمة في الأكل، فداوم مدة إقامته بفاس على الإتيان إليه لزاويته بالخفية في اخر يوم كل أربعاء ويبيت بها ليلة الخميس ويومه لفراغه من التدريس. وكان أكولا. وقد أخبرني بعض الفقهاء أنه بات عنده ضيفا فأتى بطعام كثير في إناء كبير يشبع جماعة من الناس فأكل الضيف مثل عادته وأكل صاحب الترجمة جميع الطعام الذى بقي وشرب ما يناسبه من اللبن العقيد، فبقي الضيف متعجبا، وبات يطالع إلى أن طلع الفجر، فصلى الفجر والصبح، ثم رجع للمطالعة إلى أن خرج للتدريس، فجلس يدرس إلى الزوال على عادته، وكان مع ذلك قليل النوم لا ينام إلا القليل. وقد اتفق الأطباء على أن كثرة الأكل تورث كثرة النوم، وقلته تورث كثرة السهر.

---

478) كُتب العبارة الأولى في ط: صاعقة العلوم التدريس. وصحفت العبارة الأخيرة في المخطوطين فكتبت فيهما: قال فى كشف الأوهام والتلبيس.

أخذ عن جماعة، منهم الشيخ اليوسي، وجدنا عبد السلام بن الطيب الفادري الحسنى، وسيدي سعيد العمبري، وأبو عبد الله المسناوي، وغيرهم من أهل الفقه. وأخذ عنه من أهل الفقه من لا يحصى، منهم من شوخنا سيدى محمد المدعوالكبير السرغينى، وأبو العباس بن مبارك الفلالي اللمطي، ومن غيرهم سيدي يوسف المجلدى، وسيدي محمد البكرى بن محمد الشادلي الدلائي، وسيدي محمد بن عبد الصادق الفرجي الدكالى، وغيرهم.

مرض بمكناسة الزيتون وابتدأ قراءة *الشفا* وهومريض، والطلبة يدخلون علىه للقراءة بداره، فتوفي تالت رحب عام أربعين ومائة وألف [479].

محمد بن حمدون بناني المحَوْجَب

ومنهم الفقيه العلامة المدرس المفتي النوازلي أبو عبد الله محمد بن حمدون بناني [وكان يعرف بالمحوجب لكونه كان أقرن الحاجبين] [480]، ممن سلم له قلم الفتيا بفاس، وحقق الوثائق وفصولها، وما يتعلق به ويتوفر عليه كالفرائض والحساب وإتقان ألفاظ الرسوم. وله *شرح على خطبة الألفية*، وتقييد سماه *الفوائد المشتمله في جملتي الحمدلة والبسملة*. وكان المرجع اليه بفاس في الفصل بين الخصوم، لكنه ما دخلت لديه قضية إلا ووقع الفصل فيها في الحين، وكان ولي الأحكام الشرعية بفاس حينئذ كثيرا ما يصرف له مفاصلة النوازل، وكان يقبض منهم الأجرة على ذلك، وزعموا أنه كان يقسم الأجرة مع من له الأحكام المشار إليه.

توفي أول ليلة السبت السادس عشر من ذي الحجة منم أربعين ومائة وألف، فيكون من أهل العام قبله، أو في آخر يوم من الشهر أو أول يوم من المحرم فاتح عام واحد وأربعين، والأول أصح، ودفن بروضة الشيخ سيدى محمد مبارة بأقصى الدرب الطويل من عدوة فاس القرويين.

من حوادث السنة

وقعة الخميس بين عدوتي فاس

ومن حوادث هذه السنة [481] وقعة الخميس بين المدينتين فاس الإدريسية وفاس العليا المرينية. وسبب ذلك اللعب بضرب الحجريين الأحداث من كلتا المدينتين بموضع يعرف بسوق السمن عند باب السبع يباع فيه يوم الخميس، فنشب الحرب بين المدينتين. وكان كثير ممن بفاس الإدريسية خرج لسوق الخميس على العادة بأحسن لباسه، وكان ثالث

479) أثبتنا في هذه الترجمة نص المخطوطتين ك و س لأنه أوفى، ولم ننبه على الفقر والجمل الساقطة من *ط*

480) زيادة في *ط*.

481) النص الطويل جدا لحوادث هذه السنة مأخوذ عن ك و س، وقد اختصر في صفحة وربع في الحوليات، وفي ثلاثة أسطر في *ط*.

يوم المولد الخامس عشر من ربيع النبوي، فكسر السوق الأوداية ونهبوه، وسلبوا الناس من الثياب وضربوا الرقاب، وقبضوا جميع من خرج للسوق من فاس الإدريسية وسجن بفاس الجديد، إلا من وجد مخرجا للفرار فنجا. ومن الغد جاء إخوان الأوداية الذي مستقرهم الرياض من مكناسة الزيتون عونا لهم. ثم يوم الأحد وقع الصلح بين المدينتين وسرحوا من سجن من أهل الادريسية بفاس الجديد، فرجعوا لفاس الإدريسية، ورجع أعوانهم الذين أتوا من مكناسة وغيرها لمحلهم. ثم بعد ذلك بيوم كلف السلطان أهل فاس الادريسية بدفع ما كانوا يدفعونه لأبيه من الهدايا والوظائف في كل شهر، وهو الشريف مولاي أحمد الذهبي بن مولاي إسماعيل الحسني السجلماسي، فامتنع أهل فاس الإدريسية من دفع شيء من ذلك قل أو جل. وكان ذلك حيلة من الأوداية لعدواتهم لأهل فاس، فدسوا له من داخله (كذا) بذلك، فشعلت نار الفتنة، وتعاقد أهل فاس الإدريسية مع بني حسن الساكنين بسايس [482]، وقد كانوا بفاس الجديدة قبل الأوداية. فحقد الأوداية على أهل فاس في الصلح المذكور، ونشب الحرب بين المدينتين، ووجه السلطان إلى الأوداية الأنفاض والمهارس، وأمرهم أن يرموا فاس بالكور والبُنب، فرموا فاسا بذلك، ثم حدث من رغب السلطان فسمح، وبعث إلى فاس الإدريسية أخاه مولانا المستضيء بالله، فقدم لفاس ولم يقل إلا خيرا، ثم وجهوا معه للسلطان جماعة من الأشراف وغيرهم بقصد طلب الصلح فسمح وصالح بينهم وبين الأوداية على شرط أن يرسل معهم ولده مولاي أبا فارس بقصد الولية عليهم والسكنى بالقصبة الجديد وقبض البساتين من أيديهم. فلما رجع الأمر بهذا من السلطان صار الأمر إلى عامة فاس فتخوفوا على أنفسهم، فقالوا لا نفعل هذا إلا إذا رحلت المحلة عنا بجميع جيوشها، فأرسل السلطان إليها فرحلت فلم يفعلوا. فخرج مولاي أبو فارس من عندهم في يوم شديد المطر مغضبا عليهم، فوقع في ذلك اليوم حرب مع الأوداية فمات من ناحية الأوداية نحو أربعين ورجلا. ثم بعد ذلك رام أهل فاس الإدريسية الهجوم على فاس المرينية وأخذها من يد الأوداية، واجتمع رأي رؤسائها على الخروج لذلك. فخرج الأندلس بجمع عظيم على باب فتوح وقصدوا فاس العليا من جهة الملاح وباب الجياف[483]، لأن سورها مهتوك، واللمطيون يخرجون من باب الجيسة إليها من الجهة الأخرى، فلم يخرجوا وتربصوا. فهمت الأوداية لذلك وأخلوا قصبة شراقة خوفا من الاستيلاء على من بها وعدم مقاومتهم للحرب عنها، لأن كثيرا منهم غائب في الضياع لجمع أموالهم خوفا من النهب، ودخلهم من ذلك الدهش والرعب، وعاينوا من ذلك شدة عظيمة ما أوهن به أهل فاس الإدريسية وتركوا الحزم والضبط وظنوا أن لا محالة في أخذها. فتأخر أهل النجدة والحزم والحرم المستمرون على الحرب في الحروك، وكان أكثر من حمل السلاح من أهل فاس الإدريسية وتصدر للحرب وخرج اليه الأحداث الذين لا معرفة

482) كتب في المخطوطتين هكذا: باساس، ولعله يقرأ بسديد السين ويلزم حينئذ إضافة لام قبلها.

483) هكذا تكتب في س. أما في ك فكتب: باب الجيف - بدون ألف - هنا وفيما يلي.

لهم به، وإذا أخرج المكحلة يفزع لخروجها، أكرههم على ذلك رؤساؤهم وتأخروا عن الخروج معهم، وتركوا بعضهم يموج في بعض. فساروا إلى باب الجياف فلما رأوا الأوداية أكثر من عددهم، وقلة نجدتهم ولا رئيس لهم على الحرب بل أمره باد بينهم، اختاروا من صنادبدهم نحوالعشرين وخرجوا على باب الجياف. فلما أبصرهم أهل فاس هربوا من غبر قتال لمعرفتهم بهم بأنهم من أهل النجدة، وظنوا أنهم يتبعهم عدد عديد، فتبعوهم قلىلا ورجعوا إلى فاس الجديد خوف الكرة عليهم من أهل فاس. فكان عدد من مات من أهل فاس الإدريسة نحو العشرين، ورجعوا إلى فاس منهزمين. وبقي بأيدي الأوداية أقوام من أهل فاس، فقطعوا رؤوسهم ووجّهوهم لمكناسة الزيتون للسلطان. فاغتاظ السلطان على أهل فاس الادربسة، فوجه إليهم قائده موسى الجراري -بفتح أوله وتشديد ثانيه- بعد أن أمر بتعليق الرؤوس على باب الملاح. وبعث إليه أنفاضا ومهارس، ووقع القتال بين موسى الجرارى وأهل فاس الإدريسبة بوطاء ابن مسفر خارج باب الجيسة، فهزموه حتى كاد أن ببقى بأبدبهم، نم جمع موسى الجراري جيش السلطان والأوداية وأحاط بالبستيون الخارج عن باب الجيسة من كل جهة، فهزمهم أهل فاس عنه، ثم إن موسى الجراري ناول صلحا بين السلطان وأهل فاس، فأنف من ذلك الأوداية فوشوا به إلى السلطان، فلما قدم علبه سجنه، فرجع أهل فاس من مكناسة وعزموا على الحصار. تم إن السلطان سرح موسى من السجن ووجهه بمحلته إلى فاس، فنزل بظهر الزاوية خارج باب المحروق، فانقبض الأوداية عنه، فرحل بمحلته ونزل بين سبو وفاس ولم يناول حربا مع أهل فاس. ومع هذا كله السلطان مقبل على الملذات من الأكل والمشروب والملبوس والمنكوح والمسموع، وكنرت الغازات بين قبائل المغرب، والنهب والقطع في الطرق، وكنر الخوف، وأكل القوي الضعيف، وانقطع السبىل وكثرت إراقة دماء المسلمين.

خلع العبيد أحمد الذهبي ومبايعة أخيه عبد المالك

فلما رأى ذلك الجيش وأحسوا منه عدم النهوض والقيام بأمر المسلمين، وهم عبيد مَشْرَع الرملة الذي جمعهم الخليفة مولانا إسماعيل والد السلطان مولاي أحمد الذهبى، وتركهم بعدد عديد يزعمون أن أقل عددهم ستون ألفا من المقاتلة المرتب لهم الخراج المستقرين بمشرع الرملة، سوى غبرهم الذبن فى سائر بلاد المغرب. فاتفق رأبهم على خلع السلطان مولاي أحمد الذهبى المذكور، فخلعوه وأخرجوه من دار الملك وسجنوه بداره الىى كان بها قبل ولايته الإمارة، وخطبوا بمكناسة بالصحابة فقط من غير ذكر أمىر، وجعلوا أمر الخلافة للعلماء. فلما بلغ الخبر بذلك لفاس، رحل موسى الجراري بمحلته من سبو ورجع لمكناسة، وأهل محلته إلى منازلهم، نم إن من كان من العلماء حاضرا بمكناسة أجمع على مبايعة أخبه أمير المومنين الخلبفة مولاى عبد المالك ابن الخليفة مولانا إسماعبل الشريف الحسني السجلماسي، لنهوضه بأمر الخلافة وحزمه وضبطه وحسن سيرته وسياسته، وكثرة

عدله في الأحكام، ومحبته للمهادنة بين الناس وتأمين الطرق وشجاعته، حسبما شاهدوا ذلك منه قبل في حياة أبيه. وكان بويع له قبل موت أبيه بتارودانت وسائل بلاد السوس وانقبضوا عن بيعة أخيه، ووقع بينه وبين العبد حروب ووقائع ومواقف كان يوجه بهم أخوه اليه على نهر أبي الاعوان وفي غيره، مرة يكون الظفر له وأخرى لغيره، إلى أن مزقهم وفل جمعهم وقتل صناديدهم ولم يقدروا عليه، فتركوا له السوس فانعقدت له البيعة بمكناسة وتبعهم سائر قبائل المغرب، وبعثوا له بذلك وطلبوا منه القدوم عليهم، وذهب أهل الغرب في جم غفير للقائه، وزال عن أهل فاس الحصار وما كان بينهم من الضق وتحكيم من لا خلاق له فيهم، وفرح الناس ببيعة مولاي عبد المالك، وأكثرهم فرحا أهل فاس الإدريسية، لأنهم حركوا معه فكان يحسن لهم ويواسي ضعفاءهم ويصبرهم على ما ينالونه من الأذى من عمال أبيه، فكانوا يثنون عليه ويتشيعون له في حياة أبيه، وطمعوا بولايته تهدينا للبلاد، وتأمينا للعباد، وترك ما كان يضرب على الناس من الوظائف، لأنه كان لا يريد ذلك ولا يجربها على من كان يكون عليه عاملا لأبيه، لأن الغالب على أحكامه العدل، وتيقنوا بعزل من كان من العمال وغيرهم من الجيوش عبيد وأوداية يسعى في ضرر الناس.

وكان عقد بيعته في أوائل شعبان عام الترجمة، وبعثوا بها إلى سوس مع الشرفاء والأعيان، فقدم إلى مكناسة في أواخر رمضان، فهمد جميع الناس، وخمدت جميع الفتن لهيبة مولانا عبد المالك، لما يعلمون من سرعة رأيه وحركته وبطشه بالبغاة، ونجدته وشجاعته في الحرب، ومحبته للهدنة والرفق بالرعية والإنصاف من الظالم للمظلوم. فعند قدومه شرع بقراءة العلم *صحيح البخاري* وغيره، وأرسل لسائر القبائل للاجتماع به فحضروا معه العيد، فأنف جيش عبيد الرملة من ذلك. وكان أكثر الناس حرما لذلك سفيان وبني مالك. وكانوا لما مرض مولاي إسماعيل أعلمتهم زوجته أختهم حليمة السفيانية أم ولده مولاي زيدان الصغير بخير مرضه، فتفقدوا خيلهم وعدتهم وصلحوا شأن أمرهم، كما فعل سائر قبائل المغرب، فجردوا لهم العبيد وساروا إلبهم وأخذوهم على غفلة، فنبهوا جميع أموالهم من الماشية وغيرها، وأثخنوهم بالقتل رجالاوصبيانا ونساءو وثبوا على النساء والأبكار بالوطء. وذلك كله في مرض السلطان وهم لا يمنعون ولا يدفعون لظنهم أن ذلك عن أمر من السلطان. فلما مات السلطان وتحققوا بأن ذلك ليس عن أمره حقد سفيان وبنو مالك علي العبيد، فكانت بينهم وبين العبيد حروب أيام مولانا أحمد، تارة لهم وتارة عليهم، فلما أحضروا في عيد الفطر مع مولانا عبد المالك مع القبائل ورأت ذلك العبيد مع ما كان لهم عليه من الحقد والعداوة بسبب من قتل من كبرائهم في حربه وأرادوا الاستيلاء عليه فنجاه الله منهم، ثم أمر القبائل بأن تعين كل قبيلة منها عددا يركب الخيل ويكون معه جيشا يجري عليهم المرنب كل سنة من بيت المال، وأخرج من الأوداية والمخازنية المتغلبين على الديوان والمشور جماعة منهم أولاد بورويس، وأولاد دليم، والدرابكة، وأولاد خليفة، والشباظمة، والمواريد، وضمهم للشبانات الذين هم باطنته، فانحرفوا عنه، وكان هو منحرفا

عنهم لما بلغه من سوء فعلهم مع الناس وما وقع بينهم وبني أهل فاس، فراسلوا العبيد في الخروج عليه، ثم إن مولانا عبد المالك استفتى العلماء في أمور شنيعة جدا شنعوها على أخيه توجب القتل لمن ارتكبها وفعلها، وكثر الكلام بها على الألسنة، لكن لم يشهد عليهم بذلك، منها طلبوا منه الإنصاف من أخيه مولاي أحمد المذكور بعض أهل فاس من لا سبب لهم في الخروج عليه ولا قدرة لهم على ذلك ولا على حرب من يريد ذلك ولا على مدافعته بقول ولا فعل، فنهبت أموالهم وحطبت أشجارهم، وهدمت دورهم بالبنب، وماتت نساؤهم وأولادهم وآباؤهم وأهلهم بالهدم، مع أن من نسب له الخروج عليه لم يتحقق منه ذلك ولم يثبت عليه، وإنما يدفع عن نفسه الأوداية وغيرهم من الجيش الذين كانوا ينهبون أموالهم ويريدون الوثوب على نسائهم كما فعلوا بالقبائل والبوادي والحواضر، فنسبوا الخروج لهم ليحصلوا ما أرادوا به فيهم، ووشوا بأهل فاس إلى مولاي أحمد ونسبوا لهم الخروج عليه، فقبل منهم ذلك من غير ثبوت لهم بذلك على أهل فاس، فأطلق يدهم عليهم، فخاض العلماء في ذلك ولم تتفق أقوالهم ولا آراؤهم في شيء، فلم يجيبوا عن شيء، واتفقوا على أن التفويض في ذلك للسلطان يجتهد ويحكم باجتهاده. فاستشار في ذلك كاتبه العلامة سيدي محمد بن محمد بن أحمد الفاسي، فأجابه بأنه لم بتمّ موجب قتله بما طلبه به بعض الضعفاء من المومنين من أهل فاس، فرجع عما استفتى فيه العلماء من قتله، وأرسل به الى سجن فاس المرينية، وذلك في شهر شوال المذكور. تم رضي عنه وسرحه من السجن بعد أن أبقاه فيه نحو الجمعة، وأرسله الى بلدهم سجلماسة، وكان مولاي عبد المالك لما بويع بتارودانت والسوس استعمل ولده على سجلماسة ونواحيها، فلما صرف مولاي أحمد إلى سجلماسة فر من الطريق وانحاز لزاوية سيدي سعيد أحنصال من أيت عَطًا. وكان قيم الزاوية المذكورة ممن يشتغل بعلم الحدثان، فأخبر مولاي أحمد برجوعه للملك. فلما سمع العبيد بما أخبره به قيم الزاوية المذكور عزموا على الخروج على مولاي عبد المالك وبايعوا مولاي أحمد المخلوع ثانيا، وأعلنوا بذلك فى صبيحة عيد الأضحى من العام، ومنعوا خطيب الرملة من ذكر مولاي عبد المالك، فخطب بمولاي أحمد، فوصل الخبر لمولاي عبد المالك ثانى يوم العيد، فجمع العلماء وشاورهم في أمر العبيد، فكتب العلماء كتابا للعبيد ينهونهم عن الخروج عليه، وأعلموهم بما في ذلك من المضرة بالمسلمين ومخالفة الشريعة وبالغوا فى تحذيرهم من ذلك، وأرسلوا لهم مع الشيخ الكبير المتبرك به شرقا وغربا حيا وميتا مولانا الطيب بن الإمام سيدي محمد الشريف اليملاحي الحسني العلمي دفين وازان، لأن العلماء لم يأتمنوا على أحد غيره من إذايتهم ووثوبهم بالقتل على من يوصل لهم ذلك الكتاب إلا بالشيخ المذكور لتلمذة[484] أكثرهم له وانتساب رؤسائهم بخدمته، فساعف العلماء فيما طلبوه منه من إيصال الكتاب إلى العبيد، فسار بالكتاب إلى العبيد ودفعه إليهم، فأجابوه

484) كذا في س، وفي ك: لتلامذة.

بميسور من القول بما لم يتبين له منهم الرجوع عما نهاهم عنه ولا التمادي عليه، فلما شهد ذلك منهم رجع إلى وازان وأرسل من غير كتاب مع بعض الفقهاء الذين ساروا معه صحبة الكتاب الى العلماء بالخبر. ثم أخذ مولاى عبد المالك يرسل إلى القبائل ويجمعهم، فجمع منهم عددا كثيرا، وأرسل إلى مولاي الطبب صاحب وازان المذكور ثانيا وأرسله إليهم، فكلمهم عن الرجوع عما أرادوا من خلع مولاي عبد المالك المذكور وبيعة مولاى أحمد ثانيا، وأخبرهم عما يقع بين ذلك من الفتن وقتل المسلمين ونهب أموالهم، وعن النهي الوارد في ذلك. فسار مولاي الطيب إليهم إلى مشرع الرملة وأخبرهم بذلك كله وكلمهم فى شأن ذلك فلم يقبلوا طلبه منهم، ورجع مولاي الطيب المبعوث إليهم ثانيا إلى مولاي عبد المالك وأخبره بامتناعهم عما نهاهم عنه وتصممهم على خلعه. ووصل الخبر إلى مولاي أحمد فأسرع اليهم ووصل فى خلال ذلك مع بوسف احنصال، فلف معهم بني حسن على ذلك وارتحلوا معه إلى مكناسة فعزم مولاي عبد المالك على الخروج للقائهم مع القبائل التى كانت معه واجتمعت علبه، فتهمت (كذا) له الأوداية الساكنون بمكناسة، فرجع عن الخروج إليهم وعزم على قتالهم بها، فجاهر الأوداية بالخروج عليه وبيعة أخيه، وشرعوا فورا في قتال جشه، ولحق بهم العبيد إلى مكناسة يوم الاثنبن رابع وعشربن من ذي الحجة عام الترجمة تم نادى بعض رؤساء العبيد على بعض أبواب قصبة السلطان الموالي للقصبة الخضراء بنصر أخيه مولانا عبد الله. وكانت خناتة بنت بكار المغفري زوجة مولانا اسماعيل هى الساكنة بنلك الدار الموالية لتلك الباب، فلما سمعت النداء بنصر ولدها فتحت الباب من ناحيتها، فبينما الناس يقاتلون بنواحي مدينة مكناسة إذ سمعوا بدخول العبيد القصبة، فسقط في أيديهم وخرج السلطان فارا بنفسه فيمن خف من أصحابه بنحو تلاثمائة، فجنب طريق فاس المشهورة وقدم فاس الأدريسية. ووقع في القصبة نهب عظيم وافتضاح كثير، ونهبوا أموالا كثيرة لا يحصيها الواصف، وأعادوا الغارة على مكناسة بمثل ذلك نهبا وسبيا وونوبا على النساء والأبكار، فالله تعالى يتولى حفهم والحكم فيه، ولا حول ولا قوة الا بالله. وكان ذلك ثاني اليوم المذكور.

ثم إن مولاي عبد المالك ترك رماة أهل فاس بقصبة مكناسة، وكانوا نحو ألفي رجل وفر بنفسه لفاس. فلما أراد الدخول اليها اضطرب رأى أهلها، فمنهم من قال لا بدخل اليها اذ لا مقاومة لنا بحرب العبد [ونحن عاجزون عن المدافعة عنه، وأهلنا بأيدي العبيد، منهم من فر بنفسه، ومنهم من سجن، ومنهم من فال يدخل ونستعن به على حرب العبيد] (485) فإنهم لا يشكون في دخولهم إياها كما لا نسك نحن فيما يقولون ويواعدون به بأنهم ينزلون علبنا ويحاصرون بها حتى يدخلوها علينا ويفعلون بنا ما فعلوا بمكناسة وقصبتها وقبائل

485) ما بين معقوفين ساقط من ك

المغرب، اللهم أن نكون قتالنا على الخليفة الذي هو ببعنه في أعناقنا وطاعته واجبة علينا وهو بين أظهرنا، نقاتل نحن وهو من خرج عليه. فصار من أراد دخوله للمدينة هم الأكثر فأدخلوه، واستوطن دار القيطون من مدينة فاس القرويين. وكما اضطرب رأي العوام في أمر دخوله مدبنة فاس، اضطرب رأي علمائها، فالأكثر قالوا بدخوله فاس. ولحق به من لم يخرج عليه من القبائل وهم جيش سوس نحو العشرة آلاف، ومن أتباعه خدام المشور نحو ثلاثة آلاف بين راجل وفارس منتصبين، فاطلق حيش سوس على قتال الأودابة، فأكلوا ضياعهم وعزائبهم والمتغلبين على بلاد ساسي ونواحبه، وحاصر الأوداية بفاس المرينية وحاول أخذها، فأكثر إخوانهم المستقرون بمكناسة من الاستصراخ بمولاي أحمد وبالعبيد في إغاثة إخوانهم الذين بفاس قبل أن يدركهم فوات الاستيلاء على المدينة، فزغائهم فورا مولاى أحمد ومعه جش، ونزل بوادي فاس بعد أن قبض بمكناسة على الحسن بن عد فائد مكناسة الزيتون، والقائد علي بن بش الزموري، وعلى مرجان الخصى صاحب أببه، ومحمد بن علي قاضى العبيد، ووالى جمعهم وأخرجهم من الحرمات وقتلهم صبرا وصلبوا. وسيأتي خبر حصار فاس إن شاء الله في العام بعد هذا.

——— *** ——— *** ——— **تذكرة المحسنين** ——— *** ——— *** ———

مَحمد بن حمدون بناني المْحُوجَب

توفي العلامة سيدي مَحمد بن حمدون بناني الكبير المعروف بالمحُوجَب أول ليلة السبت سادس عشر حجة الحرام من السنة، ودفن بداخل روضة الشبخ مسارة من الدرب الطويل من عدوةفاس القرويبن.

العشرة الخامسة من المائة الثانية بعد ألف سنة من الهجرة
العام الأول منها
أحمد بن علي الوجّاري

فمنهم العالم الشهير، النحوي الإمامي الكبير، الأديب اللغوي الخطير، الحاذق النبيه، الذكي النزيه، الخير الدين البركة، أبو العباس سيدي أحمد بن علي الوجّاري الأندلسي القضاعي أصلا الفاسي دارا ومولدا. نادرة الزمان علما وعملا ومروءة وتؤدة.طلب منه توليه القضاء أهل فاس والسلطان مولاي أحمد في ولايته عليهم الولاية الأولى لما أخر أهل فاس سيدي علي أبا عنان عن القضاء ودخل الحرمات، فامتنع الوجّاري المذكور من ولاية ذلك واختفى حتى قدم لذلك غيره فخرج. وأخذ علم النحو والتصريف واللغة وأيام العرب وغير ذلك عن جماعة من الشيوخ، وعمدته هو جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. وأخذ عن أخيه محمد العربي بن الطيب القادري. وأخذ عنه العربية من لا يحصون. كان دؤوبا على تدريس *الألفية* لابن مالك، يختمها مرتين في كل سنة أو ما يقرب منها. وكان له مجلس غاص في تدريس العربية بقصده الناس م كل نواحي المغرب لأخذها عنه، فلم يكون يشار لغيره في العربية بعد موت الشيخ المسناوي. وانتفع به جم غفير، وتخرج به غالب علماء فاس وغيرها من الواردين عليها بقصد القراءة. يقتصر في تدريسه على مهمات المسائل وتحرير المشكلات، ويستحضر اللطائف والنوادر والغرائب بنقلها في مجلس درسه مع أنظام وأشعار لائقة بالمقام ترويحا لأهل المجلس. وقد رأيت كثيرا من الناس ممن كانوا يحضرون مجلسه يذكرون ذلك عنه ويستحسنونه. وكان أولا مجلسه بسطح المدرسة الرشيدية، فلما كثر ازدحام القراء عليه وضاق عليهم، وكان يوذيهم حر الشمس في المصيف والبرد في الستاء، رغب أهل المجلس التسخ في التدريس بالقرويين لأجل الوسع، فامتنع من ذلك هضما لنفسه وتوقير المجلس القرويين، إذ كانت عادة فاس قديما لا ينتصب للتدرس بالقرويين إلا من انتهت اليه المهارة في العلم والدين في وقته، فكانوا ينازعون أنفسهم في هذه المرتبة. وقد أفضى الأمر اليوم إلى تساهل كبير، فصاروا يستبقون للتدريس فيها من غير أهلية لمطلق التدريس فضلا عن المهارة فيه، كما قيل.

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبت بماء فعادت بعد أبوالا

ثم إن طلبة مجلس صاحب الترجمة تشفعوا له ببعض الشرفاء أن ينقل لهم التدريس إلى مكان متسع يسعهم، فتسبب الشرفاء في تنفيذ الخراج لصاحب الترجمة من وافر القرويين على أن يدرس بمسجد الأندلس، وتلك عادة مساجد فاس أن تنفذ مصالحها من وافر القرويين مع ما في ذلك من كف الإذاية من بعض ولاة السوء. ثم إن الشرفاء المذكورين تشفعوا لصاحب الترجمة في الأمرين معا: التدريس بمسجد الأندلس، وقبول الخراج، فقبل ذلك وبقي يدرس العربية بمسجد الأندلس إلى أن توفي. ولم يتزوج إلا في آخر عمره، فولد له

ولد ومات بعده من نحو سبع سنين، فلم تستمر له عقب. وكانت له ألفة مع سيدى محمد مولانا الرشيد بن مولانا الشريف الحسنى من باب رأس الشراطين. وكان صاحب الترجمة يلازم مجلس المسناوى في تدريس خليل مع ما له من كلفة التدريس، وكان المسناوي لا يقطع أمرا دون مشورة صاحب الترجمة لترجيح عقله وضبط أحواله، يجزئ النهار كل وقت لما أصرفه (كذا) فيه، لا يتحرك في وقت إلا فيما عن له. وفى قصر الليل يخص الضحى للنوم.

توفي - رحمه الله - ليلة الأربعاء الحادى عشر من جمادى الثانية عام أحد وأربعين ومائة وألف، دفن ظهره بموضع عليه أثر بناء سقاية عن يسار الداخل لروضة سيدي محمد بن عباد خارجها، موافقة أول يوم من يناير في مطر شديد وثلج وريح، ورثاه جماعة من تلامذته، منهم شيخنا العالم الصالح الصوفي البركة، سيدي عبد المجيد بن على المدعو بالزبادي -رحمه الله تعالى-:

مات شيخنا الإمام، وسيدنا الهمام، الدراكة الفهام، الذي من الله به على الأنام(486) لما أراد نفعهم بعلوم الآلة التي هي وسيلة إلى شرائع الأسلام، وجعله مصباحا يزيل عن قلوب الطلبة الظلام، وينتفعون به على الدوام، فلست (487) ترى من فيهم، إلا وعنه عقل الشوارد اليهم، ولا من لبيب أريب، إلا وعنه اقتنى الغريب، ولا من ذي ذوق سليم، وطبع مستقيم، إلا وعنه أخذ طريق الأدب القويم، وكيف يعدل منزاته وبقيم(488)، ولا من نابت الجنان، يميز بين الإساءة والإحسان، إلا ومنه نعلم إصلاح اللسان والبيان، فى ميدان الطروس بالأقلام والبنان، ولا من لامس قط ما الام، إلا ومنه عرف ما يتألف منه الكلام، ولا من حسن العبارة، إلا ومنه فهم الإشارة، ولا من دائم الاهتداء، إلا وبه كان الابتداء، ولا حسن الأشغال، إلا وبه كان له الاشتغال، ولا من كثير التواضع، إلا ومن تأديبه في التنازع، ولا من زائد اللطافة والظرافة، إلا وشرفه بالإضافة، ولا من يريد القطف، إلا وبمجالسه تعلم العطف، ولا من مجيد نجيب، إلا وكان لندائه مجيب، ولا من حسن الإلهام، جيد الأفهام، إلا بما حصل منه بالاستفهام، ولا من ناظر فى نفسه بعين التحقر، إلا ومنه تعلم التصغر، ولا من حكم غطريف، إلا ومنه تعلم المواد والتصريف، وكلا من التكسير والسلامة، والعلة بالصحة والعامة، ولا من سالك أوضح المسالك، إلا ومنه نعلم ذلك، ولا من واف بالمواعد، إلا ومنه أخذ القواعد، ولا من تمسك بالقناعة، إلا وبه اقتدى في الصناعة، ولا من اكتفى بالوقاية، إلا من أخذ منه النفاية، ولا ميز بين النفاية والتفاية، والا وحصلت له به الكفاية، ذلك قدوتنا وسيدنا وعمدتنا أبو العباس سيدي أحمد بن علال الوجَّاري نسبا، اليمنى ثم الأندلسى الغرناطي ثم الفاسي. توفى رحمه الله إلى آخر ما قدمناه. ثم قال: فقلت أرثيه على سبيل الاستطاعة:

486) كذا فى س، وفى ك: الذي آثره الله على الأنام.
487) فى المخطوطتين: فليت. وهو تصحيف.
488) كلمة و«يقيم» غير واضحة فى س وساقطة من ك. وهي التي يقتضيها السياق،

العـــين جـــادت بدمع جـــار   والقلب ذاب أسىً لخطبٍ جـــار
أســفـاً وحُقَّ ليَ التـأسُّف كـيف لا   وأنا المـصـابُ ببـحـري الابحـار
مـا شدّ مـا ألفـيت من فـقـد الأُلى   كُنَّا بـهم مِنْ أربح التُّــجـــار
لهـفى على مـا فـاتني من قُـربهم   وتشـاغُلي باللهـو والمـيـسـار
لو كـان لي بعضُ الحجا للَزمـتـهم   وإذا انفـصلتُ لَزمتُ قـبـرَ وجـار
إذ كل حـــال غَـــبْـــرَ تَيْنِ مناهج   لمَـــهـــالك ومـــراتعِ الفُـــجَّـــار
لو حلَّ وحش الفـبـر فـفـرَ وجـاره   بطلت لشـــادٍ حـــبلةُ الأوجـــار
فـالآن لم يُبْقِ البـعـادُ بمـهـجـتى   ولمـــقـــتلى من ســـاكنٍ أو جـــارِ
للّه صبٌّ غـــصـــهُ الأشـــيـــاخِ قـــد   أسْقَـتْـه كـاسـاً سَـالَ من زنْجـار
للّه قلبُ فـــرقـــةُ الأشـــيـــاخ قـــد   صـارت له في الفـعل كـالمنجـار
هذا وإن خـتـامَـهم مـسكُ الهـدى   بحـرُ النَّدا غـوثُ النِّدا الوَجَّـــارِ
المـاجدُ الأرضى المجـد المـرتضي   المنتـــفي من لبٍّ خـــبـــر نِجـــار
(كـــــذا) أريـحـيٌّ لـم يـزل   سوصي كـمـا يوفي بحق الجـار
مـــا إن رأيتُ بمـــثله في فـــضله   غـــرباً وشــــرقـــاً أو لدَى زنجـــار
بكت الســمـاءُ وطال فـــه بكاؤُها   حـــتَّى رَمَتْ بالوَدْق والأحْـــجـــارِ
وبَكَتْـــهُ أرضٌ وهْي أجـــدرُ بالبـكا   وبكتـــه أطيـــارٌ على الأشـــجـــار
قَـدْ طالَ مـا زانَ المـدارسَ درسُـه   من قُـــبـــةٍ سُـــفلى ومن أجـــار
ولطَالَمـا أدنَى الْعـويصَ إلى الحجَـا   فـبـصـــرُ ســهـلاً وهْوَ م الأوعـار
مـا أنْسَ لاَ أنْسَى مَـجـالسَـهُ ومَـا   يَجْـرِي بهَـا من غـامضٍ أوْ عـار
مـا ذَرَّت الشـمسُ المنيـرةُ دائمـاً   إلا لـهُ نـفـعُ بـلا إضــــــرار
بالبَـشْـر بل بالبِـشْـر بل بالخُلْق بل   بالصَّـفْح عـمَّـا كـان من أوْزَارِ
في مـجلس التـدريس كنَّا أنجـمـاً   هو بـدرُها المـتـــلألئ الأنوار
لا غَــرْوَ إنْ هبّت ريـاحُ أزعـــجتْ   غـيـمـاً أكَنَّ البـدرَ في الأسـنـار
يا هل تَرَى الغـبمَ المـغطَّى بدرَها   يُبــقي بأفق الجـو من دينار
أم هل تراني صـابراً بَعْـدَ النَّوَى   كـلاَّ جـــزعتُ وليس زَنْدِي بوَارِ
مـا لِي على حـمل النَّوَى من طاقـةٍ   عظُم المـصـابُ ومـا قـدرتُ أُوَارِي

مَنْ ذا الّذى بخُلاصةٍ يَشْفي الظَّما — وبأوْضحِ يُطفي لهيبِ أُوَارِ
مَنْ ذَا لأفْعَالٍ وَأسْمَاءٍ وَمَنْ — للنحو حقّقهُ بذي الأعْصَارِ
مَن ذَا لقاموسٍ يَغُوصُ لِيَقْتَنِي — منه الصِّحاحَ وياتى بالاذخَار
مَنْ ذَا لِآدابٍ وكُتْبِ نوادرٍ — ولَمّا بكل الشعرِ من أسْرار
مَنْ ذا لتدريسِ المقامات التي — أرْبَتْ عَلى النُّوارِ والأزْهَار
سيما وكان يَخُصُّها بقراءةٍ — فى فصْلِ نيسانٍ وفى إيثَار
حاز الحلاوةَ والطَّلاوةَ كلَّها — ومن الظَّرافة فاز بالإكثارِ
مَن كان ذا عونٍ على آماله — فأنا أبو العباس من أنصار
لا تعتقد أنَّ الجزيرةَ وحدها — منه خَلَت بل سائر الأمْصَار
هذا النَّوَى قد هاج قلبي فانكوى — هل مِنْ دَوًا للقلبِ والأبصَارِ
ياعاذلي كُنْ عاذِرِي لاَ تَلْحَني — فيما ترَى مِنْ دَمْعِيَ المِدْرَارِ
مَاذَا تَرَى فيمَن مضت أشياخُهُ — وَغَدَا فَريداً كاسفَ الأقْمَارِ
بوجودِهِمْ قد كنتُ في رَغَدَ المُنَى — أجنِى الْجَنَا مِن مطعمٍ أو قَارِ
فَلِمَنْ أبوحُ اليومَ بالشكوَى إذَا — مَا هالَ خطبٌ مُثقلُ الأوقار
إنَّ الذين كرعتُ من حِياضهم — ورفعت في رياضهم أبصارِي
وفهمتُ من أوصافهم ولزمتُ من — آدابِهِم مَا لاَقَ بِالحدفار
وطربت في أنوارهم وركبت في — آثارهم متنافياً حد بار
وغرقتُ فى إجلالهم وشربت من — سلسالِهِم وشُفِبت بالمصطار
ووعَيْتُ عنهم ما تحمَّل خاطري — ورَوَيْتُ عنهم مُسنَدَ الأخْبَارِ
ذَهَبُوا وَخَلَّوْني لِوَجْهي هائماً — ذا حسرةٍ والدمعُ كالخرخار
شوقي إليهم ذُو زيادٍ مثلما — يشتاق خيراً صاحبُ الأخيار
لو كان شيخٌ يُفتَدَى من موته — لَفَدَيْتُهُمُ بالرُّوحِ والأعْمَارِ
لا يُبعدُ الرحمانُ أشياخاً لنا — أفناهُمُ حدثانُ دهرٍ سار
كم قد مَدَدْنَاهُمْ عَلَى لحْدِ الثَّرَى — مَا آبَ منهمْ آئبٌ لِلدَّارِ
في قلبي صَبْرٌ للذي تلقاه من — صَبْرٍ تجرَّعه من الأقْدارِ
ما هذه الدنيا الدنيةُ غيرُ ما — قد شِيبَ بالأقْذاءِ وَالْأقْذارِ

ثَاوٍ بهَا ذُو الجهلِ فِي رَغَدِ الْمُنَى | وبهَا اللبيبُ ملازمُ الأكْدَارِ
كم أذْكَرَتْنِي حالُها طُبِعتْ على | يا خاطبَ الدنيا افْهَمَنْ تذْكَارِ
غرَّارةٌ غدَّارةٌ خدَّاعَةٌ | لدَّاغةٌ لدَّاعَةٌ كَالنَّارِ
مَا إنْ تَدُومُ لِحالةٍ بل لا يُرَى | إلاَّ تقلُّبُها على أطْوَارِ
آلتْ يمِيناً أنَّها طُولَ المَدَا | لا تَسْتَقيمُ لِنَالدِ أوْطَارِ
فإذا يموت المرءُ يوماً زهونا | بلغَ المُنَا منْ سائرِ الأوْطَارِ
علّلْتُ قلبي بابن عِلالٍ بِكُم | لَمَّا اعْتَرَتْني فُرقةُ الأخْيَارِ
المُتَّقين الصَّادقين المُقْتَفَى | بفعالِهم والقادة الأخيارِ
الحائزين الفضلَ أجمعَ والتُّقَى | ما مثلُهم في سائر الأقطار
فَلحِفْتَهُمْ وتركْتَنِي حِلْفَ الأسَى | والدَّمْعُ فى الوَجَنَاتِ كالأسْطَارِ
فسَقَى الإلاهُ ضَرِيحَهُم بِسحائِبٍ | مِنْ رَحْمَةٍ تَنْهَلُّ بالأمطارِ
وَسَقَى ضَريحَ الشيخِ أحْمَدَ مُزْنَةً | قُدسيَّةً مختُومةَ الأعْطَارِ
وَعَلَى الجميع تحيَّةٌ ما غرَّدَتْ | قُمْرِيَّةُ البيداء فى الأبْكَارِ
وأتمُّ ريحانٍ ورَوْحٍ دائمٍ | ما احْتَاجَت الأنْظَامُ لِلأفْكَارِ
وأعمُّ رضْوانٍ وأهْنَى راحةٍ | ما حَنَّ وَحْشُ القَفْرِ لِلأوْكَارِ (489)

ارتكب ناظمها أموراً لا يعتدّ بها إلا من له يد في ذلك، فمنها قوله فى البيت الثامن عشر (490) منها: وهْوَ مِ الأوْعَارِ، أراد وهو من الأوعار محذوف منه نون من، وهي لغة بني خثعم من قبائل اليمن على حد قول الشاعر:

لقد ظفِر الزُّوارُ أقفِيَةَ العِدَا | بِمَا جَاوَزَ الْآمَالَ مِ الأسْرِ والقَتْلِ

ومنها التزام ما لا يلزم في قافية سبعة عشر بيتا من أولها، وفيها أنواع كثيرة من البلاغة ينحقّقها من مارس شيئا من علوم اللسان، فلذلك استوعبنا نقل أبياتها مع طولها. ولصاحب الترجمة منزلة في قلوب الخاصة والعامة من أهل فاس(491).

489) بقيت بعض أبيات هذه القصيدة مكسورة وكلمات منها غير واضحة بسبب تحريف النساخ أو محو أو تمزق فى مواضع من س.
490) فى المخطوطتين: الثانى عشر. وهو تصحيف.
491) اختصرت ترجمة أحمد الوجارى فى صحفة واحدة فى ط وسقط منها فيما سقط هذه المرثية الطويلة.

محمد بن عبد الرحمان الدلائي

ومنهم الفقيه العالم العلامة الشهير، الخطيب البليغ الواعظ المحقق الكبير، الفصيح البليغ الحافظ المؤرخ النسابة الأثير، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن سيدى أبي بكر الدلائي. تقدمت ترجمة أبيه وجده. وكان صاحب الترجمة أحد أعلام الزمان، علماً وديانة، وعلّو شأن، ومنزلة في اللغة ومكانة. ممَّن يحرر العلم ويفيده ،ويحسن النظم والنثر ويجيده، وممن إليه المرجع وعليه في وقته التعويل، في علوم الإنشاء والبلاغة والترسيل. يبهر بفصاحته الألباب، ويأتي في خطبه بالعجب العجاب. وله في ذلك القلم الأعلى، والفضل الأجلى، والقدر الأعلى [تحققت ذلك بما وقفت عليه من أنظامه، وتلقيته ممن مارس حضور خطبه وكلامه] (492)

ألف تآليف، منها تآليف *في السيرة النبوية* مشتمل على جزء يَسَعُ مجلداً، ومنها منظومة سماها *درة التيجان، ولقطة اللؤلؤ والمرجان* جمع فيها مشاهير شرفاء المغرب. وقد أبدَى فيها من حسن العبارة، ولطيف الإشارة، والقيام بالأدب مع الشرفا، ومحبة الرسول المصطفَى، وأوردها من مناهل التحقيق، ومن التصرف العتيق، ما لا يشك عاقل أنه من السحر الحلال، بل لا يخفَى إلاَّ على جهول أومضمر شر تائه في مهاوي الضلال، ممن استولى عليه الجمود، وبلغ إدراكه الغاية في الاضمحلال [والجحود]. ولي أولاً الخطابة في المدرسة المتوكلية بطالعة فاس، ثم وليها بعد ذلك في مسجد الشرفاء بعد موت خطيبها ولد عمه وشيخه سيدي محمد المسناوي، وبقي خطيباً به إلى أن أزعجه الشوق فرحل من المغرب بقصد الحج، وباع داره بسرعة وهيأ نفسه وخرج مع الركب، فأدركته الوفاة بعد أن حج بفور طوافه طواف الوداع. ولما قرب أمره انتقع لونه وجعل يدعو ويقول: اللهم كما أبلغتني بيتك فلا تطردني عنه، اللهم احبسني عنده أو اقبض روحي معه. فلم يملك نفسه للركوب [ولم يمسك نفسه على الدابة، فحمله عليها من كان معه من أهل عشرته لإزعاج الركب بالخروج] (493) فقبض الله روحه بقرب انفصاله عن البيت، فدفن بوادي فاطمة، وأجاب الله دعاءه، وحقق رجاءه.

أخذ عن جماعة، منهم جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، وأبو عبد الله محمد المسناوي، [والشيخ الحسن بن رحال] (494) وغيرهم. فبرع في الفقه واللغة والسير وعلم الأنساب والأدب وغير ذلك. وكان يتنفَّل بالليل ويطول في القراءة والسجود، وفي أيام المصيف يفعل ذلك بعرصة داره، فخرجت زوجته تنظر إليه يوما فرأت ضوءاً مشرقا عليه من

492) ساقط من ك و س.
493) ساقط أيضا من ك و س.
494) ساقط منهما كذلك.

السماء وبقي نحو ما نقرأ. وتخرج به شيوخ من فاس وغيرها. وقد رأيته مرة واحدة في صغري وهو يخطب على منبر جامع الشرفاء وأنا بالباب الموالي لسوق العطارين داخل المسجد، وصوته يبلغ نواحي المسجد كله إذ كان صيتاً جدا ـ رحمه الله تعالى ـ [495]

أحمد بن العربي ابن سليمان

ومنهم الإمام الحافظ المحدث الفقيه العلامة المدرس المحقق النفاع، الذي حصل له من كل فن باع، أبو العباس سيدي أحمد ابن التاجر الخير الديّن البركة سيدي العربي ابن الوجيه النزيه الحاذق الإخباري الحاج سليمان الأندلسي الفاسي، اشتهروا بفاس بابن سليمان، و [عقبه] هم القاطنون اليوم بجزاء ابن عامر من عدوة فاس القرويين، مشتهر بيتهم بطلب العلم والدين والمروءة والحسب. كان صاحب الترجمة أحد علماء فاس، واشتهر بتدريس علم الحديث والسير والتفسير وغير ذلك. حفظ اصطلاح ذلك ومارس كتبه. قرأ على سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، وولده سيدي الطيب، وسيدي محمد بن أحمد القسمطيني، وجدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. ومحل تدريسه بمسجده الذي كان يؤم به، وهو الجامع المعروف بجامع الزليج بين قنطرة الرصيف ورحبة التبن من فاس القرويين، فانتفع به كثيرمن عامة تلك الناحية وخاصتهم وكان مولعا بنسخ الكتب، فإذا أفضى من التدريس والمطالعة بنسخ الكتب، فنسخ كتبا عديدة، فلا تراه إلا مدرسا أو مطالعا أو ناسخا أو مصليا أو تاليا لكتاب الله عز وجل مقبلا على شأنه فيما يعنيه. ومن براعته في ذلك أنه نسخ نسخة من ابن حجر على *البخاري* في سفر واحد، وهو عند حفدته الآن. وممن قرأ عليه ولده الفقيه العلامة المدرس العدل الأرضي أبو عبد الله سيدي محمد، وغيره.

توفي صاحب الترجمة عام واحد وأربعين ومائة وألف، ودفن بداره بجزاء ابن عامر عدوة فاس القرويين ـ رحمه الله تعالى ـ .

محمد الكبير الصقلي الرُّدَاني

ومنهم الشريف الصالح البركة مولاي محمد بن علي الصقلي الحسيني، دعي بالكبير لكبر سنه، وبالرُّدَاني لإقامته بمدينة تاردانت. كان في أول أمره من أهل التجارة حتّى حصل له منها مال كثير جدا، فنُهب له في وقعة مراكش وتاردانت لثورة مولاي محمد بن مولاي إسماعيل الحسني بتلك النواحي، ثم اتبع ذلك بحرق الرسوم التي في مضمنها مَا لَهُ على الناس من الديون اشتملت على مال عريض وقد أفلس الذين هم بذمتهم في نهب الوقعة المذكورة مع من مات منهم في تلك الحروب. فلما صدر منه ذلك توهموا أنه اختل عقله وليس كذلك. ثم تجرد وحدّث الناس عنه بكرامات وخوارق، فكان من الناس من يقبّل يده ويطلب منه الدعاء ويعظمه.

495) أثبتنا في هذه الترجمة ـ كالعادة ـ نص المخطوطتين لأنه أوفى، وألحقنا به جملا مفيدة من ط.

توفي في رجب أو شعبان من عام الترجمة، ودفن بالمزارة التى على رأس الشيخ ابن عباد خارج الروضة داخل باب الفتوح من فاس الأندلس (496)

العربي ابن عيشون

ومنهم المجذوب البهلول المتبرك به الشائع الكرامات، اللائح عليه طرق الملامية (497)، سيدي العربى ابن عيشون الفاسي. حدث عامة أهل فاس وخاصتهم عنه بكرامات، وخوارق وتصرفات، ولهم فيه اعتقاد. وكان يشير لما يقع في آتى الأوقات، ويخبر بالمغيبات. أخذ عن الشيخ مولاي التهامى بن محمد الشريف اليملحي العلمي الحسنى دفين وزان.

توفى قتيلا يوم عاشوراء. وكان قد وقع على مدينة فاس حرب عظيم، أحدقت بها الجيوش من كل جهة، وقصدوا دخولها دفعة، فحاربهم أهل المدينة من أسوارها ولم يخرج عن السور منهم إلا القليل، فهزم الله تعالى الجيوش كلها واستنفذها وجميع أهلها فردهم خائبين. ومن صنع الله ولطفه أن لم يمت سوى صاحب الترجمة، لأنه خرج عن باب المسافرين فأصابته رصاصة فقتلته. وحكوا أنهم منعوه الخروج أولاً خوفا عليه، فقال إن لم تتركوني أخرج لتدخلن على أولادكم العبيد، يشير إلى أنه المتصرف من الله في ردهم عن المدينة، وأنه افتداهم برقبته، هكذا زعم غير واحد والله أعلم بحقيقة ذلك. وتقدم سبب نزول هذا الجيش على فاس، وسيذكر ما آل إليه الأمر بعد ذلك إن شاء الله.

من حوادث السنة

دخول عبد المالك إلى فاس ومحاصرة أخيه أحمد لها

ومن حوادث السنة أنه لما دخل المحرم فاتح السنة، وكان السلطان مولانا عبد المالك ابن مولانا إسماعيل الشريف الحسني دخل مدينة فاس بقصد أن ينصروه ويقاتلوا من خرج عليه مع من بمكث على بيعته من القبائل، وطمع أن يجتمع عليه قبائل المغرب وسوس، فحاول أخذ المدينة البيضاء فاس الجديد المرينية ويستوطنها لأنها دار الخلافة، ويخرج منها الأودابة الخارجين عليه لأنها ليست لهم، وإنما هم فيها إذاية على أهل فاس الإدريسيه. فقاتل الأوداية المتحصنين بها بعد نهب ماهو عندهم خارج عنها من مواش ونحوها في عزائبهم. وأرسلوا صارختهم للعبيد، فجاؤوا مسرعين ومعهم السلطان مولانا أحمد الذهبي ابن مولانا إسماعيل الشريف الحسني، وهم لا يشكون فى دخولهم فاس وعبثهم بأهلها كما فعلوا بمكناسة. ففرّ أهل سوس الذين جاءوا مع مولاي عبد الملك من سوس إذ علموا أن لا

496) ترحمة الصفلي ساقطة من ط.

497) فى ك: الملاحات. وما أثبتناه عن س أنسب.

طاقة لهم بالعبيد الذين جاؤوا بمولاى أحمد فأدرك العبيد البعض من أهل سوس على وادى سبو، فنهبوا لهم كثيراً من أموالهم وبعض العيال وسلم جلهم.

في تاسع المحرم قدم على السلطان مولاي أحمد مَن بقى من جيشه من قبائل المغرب، فأحاطت الجيوش بمدينة فاس كالخاتم. فلما أصبح يوم عاشوراء مبّز جيش العبيد على فاس وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، وقصدوها دفعة واحدة، ولم يخرج لهم واحد من أهل فاس، وإنما حاربوهم من أسوارها فقط. فلم يحصلوا على شيء، فسري عن أهل فاس بعد أن كان داخلهم دهش عظيم. ثم كتب لهم مولاي أحمد رسائل يدعوهم إلى خلع مولاي عبد الملك والدخول فى طاعته، فامتنعوا، وهو في ذلك مساعف للعبيد، وإلا فقد كان حاله إنما بريد الراحة، لكن كان الأمر والنهي للعبيد، ولبس له من الملك إلا الاسم بلا مسمى، وهو تابع لأمرهم ورأيهم، لا يقطع أمراً إلاّ بما يأمرونه به. وبهذا استعذر أهل فاس وامتنعوا من الدخول تحت حكم العبيد. ثم حمي وطبس الفتنة وبقي الحرب سجالا.

قتال بين العبيد والقبائل المناصرة لعبد الملك

تم ورد الخبر بأن سفيان وبني مالك وشراكَة وأولاد جامع والحباينة بأنهم يريدون أن يجتمعوا ويأتوا لنصر مولاي عبد الملك لأنهم بافون على عهدهم ولم يخلعوا بيعته. فوجه لهم العبيد جيشا سار إليهم فاقتتلوا معهم قرب وادي إينول، فانهزمت القبائل وبقي منهم قتلى كثيرون حجزهم الوادي عنهم، ومن جملة من قتل مع القبائل الوزيرالمتولى جمعهم وزير مولاى عبد الملك مولاي المنتصر بن مولاي إسماعيل الحسنى، وحمل إلى فاس ودفن بروضة سيدي الخياط بالدوح من فاس القرويين، قتله الأوداية وأرسلوه مع بعض المسجونين من أهل فاس، قصدهم بذلك ليتحقق مولاى عبد الملك هزيمة جيشه. فحينئذ يئس وانقطع رجاؤه من المدد، وشدد العبيد الحصار على فاس وقطعوا الماء عن عدوة القرويين وأدنوا محلتهم لسورها، ونصبوا عليها الأنفاط والمهارس، ورموها بالكور والبُنب من كل جهاتها، وأحاطوا بها بالاشبارات، فكان بينهم وبينها أقل من رمية مكحلة. وربما كان رصاصهم يبلغ سطح الدور من بعض جهاتها فيصيب من يكون بالأسطحة.

ووقع ضيق عظيم بالمدينة وهدم بالبُنب كثير، وموتٌ من النساء والأطفال ومن لا يستطيع منعها ولا دفعها من الرجال العاجزين عن القتال. واللطف والحمد الله مع ذلك حاصل في جميع الأمور. ونهب أهل المحله المرس الكبير الذي بين سيدي على ابن حرازم وسيدى الحسن الدراوي إلى سور المدينة، وحطبوا الأشجار وتجلدوا وتوقفوا على دخول فاس. وتجلد أهل فاس وأخلوا من المدينة الدور التى يصل إليها الرمى بالكور والبُنب. واقتصروا على سكنى ما لا يصل إليها، ورتبوا الحرس على الأسوار بحيث لا تخلو ممن يعمرها، وحفروا واديا خارج السور محيطا به، وآخر أبعد منه من جهة باب الجيسة، وتجلدوا للمدافعة عن أنفسهم وعن أهل المسكنة من المومنين الذين لا يستطيعون دفعا ولا منعا

العاجزين عن القتال وعن المنع أو القبول بالقول باللسان، متوجهين إلى الله تعالى في اللطف والنجاة وإخماد الفتن، متضرعين إلى الله لائذين بحماه وحمى رسوله وأوليائه. وظهر من ذلك لطف عظيم في أمور عظيمة، وأهل المدينة في ذلك كله يسايرون الجيش ويخرجون له خارج السور ولا يرضون بالاقتصار عليه، وكان جيش عظيم مجموع ما بين العبيد والقبائل حزرُه أزيد من مائة ألف. ثم إن القبائل التي انهزمت باينول أعادوا الجمع ثانيا لنصر سلطانهم والمدافعة عنه ما أمكنوا، وجعلوا يترقبون الفرصة كيف يصلون إليه إلى فاس من الجيش المحيط بها، واستقروا بموضع يقال له تبسة من بلاد الحياينة. وكان العبيد ينهبون زرع الحياينة الذي في أمراسهم ويأتون به للمحلة. فخرج العبيد لنهب زرع الحياينة على العادة فرصدهم القبائل المجتمعة بتبسة واقتتلوا وهزموا العبيد وقتلوا رئيسهم ونهبوا لهم من الدواب ما يزيد على ستمائة. فلما وصل ذلك للعبيد أرسلوا جيشاً منهم ومن الأوداية وتقابلوا للقتال بتبسة أيضا، فغلبهم جيش العبيد وهزموهم، وتفرق القبائل في الجهات ولم يتبع العبيد إلا سفيان لكثرة حقدهم عليهم، حتَّى أدركوا حلتهم بالزيتون المطروح، فأوقعوا بهم وقعة عظيمة من القتل والسبي والوثوب على النساء والأبكار بالوطء والفضيحة، ولم يكفّ السلاح لا عن الأطفال ولا عن الكلاب.

هتك العبيد حرمات شرفاء وزان

فلجؤوا لِحَرَم وزان ظنا منهم أن يتركوهم حيث استحرموا به ويمتنعون، فلم يستحرموه ولم ينفعهم شيئا، واستأصلوا بقيتهم، ونهبوا ديارهم وديار الشرفاء أهل الحرم، ولم يجيروا من استجار بالروضات وغيرها. وكانت هذه الوقعة بوزان على الناس من أعظم المصائب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال تعالى: «*الذين يُوذُون اللّهَ ورسولَه لعَنَهُم اللّهُ*» الآية. قال القاضي عياض: ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقيرُ أهل بيته وبرهم، من إذايته صلى الله عليه وسلم إذاية أهل بيته. وفي *الصحيح*: (فاطمةُ بَضْعَةٌ مِنِّي) الحديث. قال الشيخ زروق: وللجزء من الحرمة ما للكل، وللعبد من الحرمة ما لسيده الذي نسب إليه. انتهَى. وفي الخبر: (سلمانُ منَّا أَهْلَ الْبَيْت)، لأن سلمان كان ليهودي واشتراه صلى الله عليه وسلم وأعتقه، فسلمان من مواليه. وكانت هذه الوقعة بوزان في الخامس والعشرين من صفر.

تشديد العبيد الحصار على فاس

ورجع حينئذ العبيد من وزان إلى فاس وقد داخلهم من العجب ما أطمعهم بالاستيلاء على فاس والبطش بها فأجمعوا على دخولها. ففي رابع عشر ربيع النبوي سردوا جيشهم على أن يدفعوا عليها دفعة واحدة من كل جهة، وعلامة ذلك خروج نفض من كل محلة عند الفجر

على حين غفلة من أهلها. فكان من لطف الله أن أخبر بذلك بعض أهل المخزن [498] بعض من له الصيت بفاس بالصلاح والولاية، فدفع الرسالة التي أتته من المحلة إلى أهل فاس، فباتوا على طهر يرتقبون ذلك. فلما خرجت الآنفاض كان أهل المدينة على حذر، فإذا هم من كل حدب ينسلون إلى أسوارالمدينة، وجاء العبيد بالسلالم كل سلوم يسع العشرة في الدرجة الواحدة منهم. وكانوا حفروا تحت بعض الأسوار قرب سيدي الحاج بودرهم مينة وجعلوا فيها البارود وأرسلوا عليها النار. فمن لطف الله صعد السور بالبارود ورجع لمحله وتعد (كذا) شيئا والحمد لله. فرجع العبيد لفسطاطهم خائبين ولم ينالوا منها شيئا. ولما طلع النهار ووضعت الحرب أوزارها أصبح قتلى العبيد صرعَى على كل ناحية، وأكثرهم بباب الفتوح، وهم عدد كثير. فمن هذه الوقعة يئس العبيد من دخول فاس عنوة واستبشر أهل فاس وزال عنهم الفزع. ثم توجه العبيد إلى الخدع والمكيدة واجتهدوا في إرسال البُنب والكور، وطال الأمر وانقطع من يقوم بدعوة مولاى عبد الملك من كل موضع، فلم يبق لذلك بقبة سوَى فاس، وانقطع منها الصابون واللحم وجميع مايوتَى به من خارجها، إلا أن الزرع والإدام كان بها كثيراً في هذا الحصار.

إبرام الصلح بين العبيد وأهل فاس

وبقي كل من الفريقين مصابراً للآخر حتَّى كان النصف من جمادى الأولى تراسلوا فى الصلح [499] على أن تكون القصبتان والبستونان بأيدي مولاى أحمد، ويجعل فيها من يقوم بدعوته فيهم خاصة، ويكون سلطان فاس مولاي عبد الملك، ويرجع مولاي أحمد إلى مكناسة وجيشه إلى محله، ويخرج مولاي عبد الملك للمحلة يصطلح مع أخيه مولاي أحمد ويرجع إلى فاس، وحينئذ يمكن مولاي أحمد من القصبتين والبستيونين. فخرج مولاي عبد الملك للصلح مع أخيه من ضريح مولانا إدريس صحبة العبيد متجلدا مظهرا عدم الإكراه عليه على الخروج للصلح والملاقاة بأخيه مولاي أحمد، وذلك يوم الخميس الحادي والعشرين من

---

498) هنا فى هامش س طرة نصها: «هو صالح بن صالح الأودي، وكان من أصحاب السخ مولاى السهامي، والمراد ببعض من له الصيت سيدي محمد بن التهامى المذكور كان نازلا بحومة السُرشور.

499)هنا في الحوليات زيادة تفصيل: وفى يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الأولى من العام دخل المدينة الباشا سالم الدكالي ومعه بعض رؤساء الجند من العبيد نحو الخمسين بقصد إبرام الصلح معهم، ودخلوا لقبة مولانا إدريس - نفع الله به - وتكلموا مع أهل المدينة فى الصلح بينهم وبين السلطان مولاى أحمد، وأعطوهم الأمان عن إذنه وأمره وتم الصلح بينهم وأبرموه على ذلك معهم ودخلوا بذلك فى طاعة مولاي أحمد ونصروه وخرج مولاى عبد الملك من الحرم الإدريسى مع الوصفان (بعدما) أمنه الباشا سالم الدكالي وغيره ممن معه من رؤساء العبيد وأعطوه من العهود والمواثيق... منهم ومن أخيه ما لا مزيد عليه. وركبوا خيولهم وخرجوا على باب فتوح، وانقطع القتال وهدأت الفتنة واطمأن الناس وطلعوا إلى مولاى أحمد لفاس الجديد وتلاقوا به وقال لهم خيرا ورجعوا فى أمان الله. وتلاقى معه أخوه مولاى عبد الملك وخاطبه بخير، ورحلت المحلة من الغد وذهبوا إلى مكناسة الزيتون على تلك الحال من الذلة والهوان وسجنوه بدار الباشا امساهل من رؤساء العبيد مدة إلى أن قتل مخنوقا ليلة الثلاثاء الموفى ثلاثين من رجب العام - رحمه الله - وتوفي أخوه السلطان مولاى أحمد بعده بنحو ثلاثة أيام أو أربعة فى الرابع من شعبان العام. قيل إنه كان مريضا، وقيل إنه مات مسموماً، والله أعلم».

جمادَى الأولى. فلقبه أخوه وأظهر له البشر والبرور، ثم قبض عليه وأرسله إلى مكناسة صحبة الباشا مساهل. واشتد المرض بمولاى أحمد.

قتل العبيد عبد المالك وأحمد ابني مولاى إسماعيل

وفي آخر يوم من رجب فشا فى الناس أن مولاي عبد المالك قتل بمكناسة، فسُقط بأيدي أهل فاس وتحققوا أنها مكيدة من العبيد خدعوهم بها. فناصروا حينئذ مولاى أحمد وأعلنوا بنصره. ولما رأى العبيد ما نزل بمولاى أحمد من المرض حملوه فى محفة إلى مكناس وارتحلوا صحبته ولم يطلبوا أهل فاس ما اصطلحوا معهم عليه من إعطاء القصبتين والبستيونين، وبوصوله إلى مكناس مات مولاي أحمد فى رابع شعبان من عام الترجمة، وبقى كثير من الناس من يكذّب بموت مولاى عبد المالك. وقوم يعتقدون حياته وأنه سيجتمع عليه جيش ويظهر. وربما باع بعضهم متاعه إلى أجل ظهوره ويخلصه المشترى فيه أجلا منصرما. فلما تحقق موته بعد موت أخيه مولاي أحمد علم الناس حمق من يزعم أنه حي لم يمت. وفى مدة هذا الحصار واشتغال السلطان بمكائد القتال كثر النهب والفتن بين سائر قبائل المغرب، وكثر القتل وسفك الدماء، فماتت خلائق لا يحصون، وكان أن يهلك جمع من في المغرب من خاص وعام لولا لطف الله المرجو فى الشدة.

البيعة الأولى لمولاي عبد الله بن مولاي اسماعيل

تدارك (الله سبحانه) عباده المومنين بجوده ورحمته، وجمع كلمتهم على بيعة الخليفة الإمام، أمير المؤمنين مولانا السلطان المظفر الهمام، أبى محمد مولانا عبد الله ابن الخليفة المنصور بالله أمير المومنين اسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف ابن المجاهد المثاغر مولانا على الشريف الحسني السجلماسي. فكان طالعه سعيد (كذا) ورحمه الله عم بها القريب والبعيد. اختاره الله من صميم أهل البيت الطاهرين أبناء مولانا رابع الخلفاء الراشدين. أدام الله بهم حماية الإسلام، ومتع المسلمين في ظلهم على الدوام. فبويع الخليفة أمير المومنين مولانا عبد الله المذكور بحضرة مكناسة دار الخلافة، فبايعه كافة الجيش وجميع الناس، ولم يتخلف عنه أحد بعد وفاة أخيه مولاي أحمد في رابع شعبان عام أحد وأربعين ومائة وألف من الهجرة النبوية. وكان حينئذ بتافيلالت فبعثوا إليه البيعة واستدعوه للقدوم إلى المغرب، فوصل إلى فاس مهل رمضان، فدخل فاس بقصد زيارة مولانا إدريس. وكان حمدون الروسي خلفه، وكان عدواً لأهل فاس، إذ كان ولد أخيه قائدهم أبو علي بن عبد الخالق ووثبوا عليه وقتلوه بعد وفاة مولانا إسماعيل. فسبوه خلف السلطان مولانا عبد الله، فأنف السلطان من فعل ذلك به وهو خلفه، وغضب ورجع مسرعا ولم يزر مولانا إدريس. وكان دخوله من باب الفتوح. فلما وقع ما وقع وغضب ترك الدخول لمولانا إدريس والمرور به ومر على القنطرة بين المدينتين على باب النقبة على البليدة وخرج على باب الجيسة وسار إلى

فاس الجديد، فنزل بقبة النصر، فصعد إليه أهل فاس الإدريسية وبايعوه في فاس الجديد. ففرق بين أشراف فاس وطلبتها ألف دينار ذهبا إسماعلية، ثم رحل إلى مكناسة وأرسل لسائر قبائل المغرب ومداشره بإعطاء الخيل والعدة، فدخلهم دهش وأسرعوا في إعطاء ذلك.

امتناع أهل فاس على مولاي عبد الله ومحاصرته المدينة

وفي مهل شوال أرسل لأهل فاس بتسليم القصبتبن والبستيونين لأنهما لجانب السلطنة وليست للرعية وتوعدهم إن لم يفعلوا. وتعددت الرسل بينهم وبينه فامتنعوا على ذلك خوفاً من أن يواخذوا بما أحدثوا بعد موت أبيه، فتجلدوا على الامتناع بعد أن رضوا بإعطاء الوظائف المخزنية التي كانت تلزمهم حياة السلطان مولانا إسماعيل، ويعطون المراهن منهم في ذلك، فأبَى وأبوا. فأرسل لحصارهم الجيش في النصف من شوال، ثم قدم بنفسه وحاصرهم من كل ناحية، واجتهد في رمي البُنب والكُور كأول مرة (500) ، وضيق عليهم وصار يغاديهم بالقتال ويراوحهم، فصابروا وأرسلوا إلى الإمام الولى الصالح سيدى أحمد الحبيب بتافيلالت يستغيثون به ويطلبون الشفاعة فيهم، فأرسل إلى السلطان ولده سيدي حمزة وأخاه الصالح، فوصلوا إليه وكلموه فأبَى إلا أن يعطوا القصبتين والبستيونين. فدخلوا لفاس ورغبوا من أهلها بذل ماطلب السلطان، لأنه أسهل من زيادة معاداته، فأبوا، فخرجوا عنهم وجدوا في الحصار، فتعددت الوقائع معه، ثم إن الزرع غلا بفاس إذ كان أول الحصار على حين فراغ المخازن من الزرع أول دخول فصل الصيف، والزرع كله باق بفدادينه لم يحملوا منه ولا غيره شيئا. فلما اشتد عليهم الغلاء ألقوا بأنفسهم في المهالك وخرجوا في عشية [إلى المحلة] التي قائدها موسَى الجراري بوادى المالح فوثبوا عليه ففر أو هلك واحتَوى أهل فاس على جميع ما فيها ومنفضين عظيمين كانا فيها فجروهما إلى باب الجيسة. ومثل ذلك فعل آخرون من أهل فاس بالمحلة التى كانت بسيدى أبى جسدة، واستبشر ضعفاء العقول بذلك وفرحوا. ثم بعد ذلك بأيام قامت غوغاء من بعضهم فخرجوا إلى السلطان يطلبون منه الصلح، فأبَى أن يترك شيئا من شروطه، وعدّد عليهم فعلاتهم، فعادوا لما كانوا عليه فبقوا مدة. ثم إن السلطان عزم على أخذ القلعتين اللتين خارج باب الجسة فصبحهم قبل طلوع الشمس في غفلة، فاستولى جيشه عليهما، فخرج إليه أهل فاس

---

500) هنا زيادة بيان في الحوليات: «حتّى كان يرميها في كل يوم نحو السبعين من الكور وبما نيف على العشرة من البنب، ومثل ذلك كله فلم يتضرر بذلك أحد من أهل فاس المقاتلين ولا من غيرهم... سوى ذات مرة سقطت بنبة منها يوم جمعة بمسجد إدريس - نفع الله به - والإمام يخطب على المنبر، والمسجد غاص بالنساء على المعارف، فلم يتضرر بها سوى رجل واحد مات بالأقدام من أجل شدة الزحام عند فرار الناس من المسجد، وخرج الناس منه من غير صلاة... وكان الصبيان الصغار يحكون ذلك ويضحكون منه».

في الحين وجدوا في قتالهم حتَّى أخرجوهم منهُما بعد أن أحاطوا بهم، فما أنجاهم إلا أن ألقوا بأنفسهم من الشواهق، واستولوا على من بقي بأيديهم قتلا وأسراراً. فتحقق السلطان أن لا سبيل لاقتحام المدينة. ثم بعد أيام وقع الصلح معه على أن يعطوه ما طلب بشرط أن يؤخر ذلك نحو الشهرين، ويعطوه المراهن على ذلك. فخرجوا بهديتهم وفرح بهم وخلع على كبارهم، وأعطى الشرفاء والطلبة ألف مثقال فضلة دراهم، فوفوه بالشرط وفتحوا المدينة، وأسكن عبيده بالقصبتين والبستيونين، ورحل عنهم لمكناسة دار ملكه، تاسع عشر ربيع النبوي من العام الذي بعد هذا، وهو عام اثنين وأربعين [501].

—— *** —— *** —— **تذكرة المحسنين** —— *** —— *** ——

أحمد بن علي الوَجَّارِي

الفقيه العلامة النحرير، الهمام المشارك الشهير، أبو العباس سيدى أحمد بن على الوجَّارِي، ودفن بالقوس المبني داخل روضة العارف بالله سيدي مَحمد بن عباد رضي الله عنه.

محمد بن محمد الدلائي

والشيخ الإمام العلامة الهمام الجامع لمحاسن الأوصاف أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان الدلائي، حصل له شوق مزعج فباع داره ومالا بدمنه وتوجه لبيت الله الحرام صحبه الركب السعيد، فلما وصل إلى مكة المشرفة وحصل منها مرغوبه وتم حجه وطاف طواف الوداع تغير حاله وجعل يقول في دعائه: اللهم كما أبلغتني بيتك فلا تطردني عنه. اللهم أجلسني عنده أو اقبض روحي معه، فخرج وهو كذلك لم يملك نفسه للركوب فحمل، وبنفس انفصاله عنه توفي ودفن بوادي فاطمة.

501) حوادث هذه السنة الطويلة من ك و س وقد اختصرت في نحو صفحتين في *الحوليات*. وفي بضعة أسطر في ط.

العام الثاني من العشرة الخامسة

إدريس المشاط

فمنهم الفقيه العالم الأستاذ القاضي سيدي إدريس [بن المهدي] (502) المشاط (503) به دعي، [المنافي، هكذا هذه النسبة عند قبلته، وقد رأيتها في رسوم قديمة مؤرخة بسنة خمس وستين وتسعمائة مجردة من غير زيادة وصف عليها في رسوم متعددة بعد ذلك التاريخ، وهي ليست محصورة في القرشي عبد مناف ابن قُصي بن كِلاب، لأن النسب له لم تصل إليه إلا من أحد أولاده الأربعة: هاشم، وشقيقه المطلب، وعبد شمس، ونوفل، فيقال هاشمي، ومطلبي، وعبد شمسي، ونوفلي. هذا هو المتعارف. وإذا قيل في أحد هؤلاء مَنَافِيّ فلابد من البيان من أي أولاد عبد مناف هو. هذا هو المعروف المذكور عند النسابين. وعبد مناف أيضا في بني عبد الدار، ولكن نسبة هذا عبدري لا منافي، لشهرة عبد الدار. وعبد مناف أيضا في بني مخزوم، وهو والد السيد الأرقم الصحابي من السابقبن الأولين. ونسبة هذا مخزومي لا منافي أيضا. وعبد مناف في بني تميم الأردم، وهو عبد مناف بن سعد بن جابر بن كثير بن تميم الأردم. ومناف معروف في بني دارم من بني تميم. وعبد مناف في بني سلول، وهو عبد مناف بن قيس بن حبشية بن سلول. كل هذا من جمهرة *ابن حزم* وغيرها. وقال الرشاطي: وفي عامر بن صعصعة عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة. انتهَى. فنسبة صاحب الترجمة محتملة لكل من ذلك على حد السواء، إلاّ أن يتبين ترجيح إلى أحد ممن ذكر...] (504)

ولِيَ صاحبُ الترجمة قضاء تادلا وخطبة مسجد الأندلس ثم سافر للحج، فتوفى عام الترجمة، ودفن بعجرود [من طريق الحجاز قرب مصر] (505).

محمد بن إدريس العراقي

ومنهم [الشريف الكبير] العالم النحوي [الشهير، المدرس الإمام، المحقق الهمام، أبو عبد الله] (506) مولاي محمد بن ادربس العراقى الحسينى [أحد أئمة النحو والعروض

502) زيادة من ك و س
503) في هامش ك طرة نصها: «كاتب مولاي أحمد الدهبي ابن مولانا إسماعيل الحسني».
504) ما بين معقوفتين ـ وهو معظم الترجمة ـ ساقط من *ط*، مُثبت في *ك* و س.
505) ساقط أيضا من ط، ثابت في مخطوطي ك و س.
506) ساقط كذلك من *ط*.

بفاس. كثر فيها تدريسه فأفاد كما استفاد، وانتفع به الحاضر والباد. ألف تآليف عديدة موجودة في مبيضتها بخط يده، وقفت منها على شرح على أرجوزه شيخه عبد السلام الفادري أخرجنه من مبيضته وهو على ملكى الان فى علم السر، وشرح على الجرومية أيضا، وحاشية عليها أيضا، وشرح على لامية الأفعال، وشرح على الجمل، وشرح على ألفية العراقى فى اصطلاح الحديث، فكتب منه يسيراً ولم يكمله، وتقييد على شمائل الترمذى، وكثيرمن المقيدات، وقد وقفت على الجميع عند ولده شيخنا مولاي إدريس] (507) فأخذ عن جماعة من شيوخنا كالإمام سيدي محمد بن سيدي عبد القادر الفاسى، وجدنا عبد السلام بن الطيب القادرى الحسني وغيرهما. وأخذ عنه عامة مَن أدركنا، وتولى درس النحو بمسجد القرويين بالكرسي الذى عن يمين الداخل لها من باب الكتبيين.وتوفي فى العشرين من ربيع الثاني عام اثنين وأربعين ومائة وألف، ودفن في روضة ابن عبد الرزيق قرب سيدي أبى غالب من حومة سَرِيوَة داخل باب الفتوح عدوة فاس الأندلس. وله أولاد وأحفاد كلهم علماء نبلاء بارك الله فيهم، ولهم مصنفات لم يؤلف فيها مثلهم. ورثاه الأديب اللغوى النجيب سيدى عبد المجيد بن على المدعو بالزبادى فقال:

ألا فى سبيل الله ماذا بلاقى   فؤادُ محبٍّ مولم بفراق

507) ما بين معقوفتين ساقط من ط، مثبت كله فى صلب س، وبعضه فى طره لد .

سل النجم هل ذاقت مآقي مآسيه ... وهل لي من بعد الفراق تلاقي

دهتني دواهي الدهر بغتا وفجأة ... بفسحة بين ما بينا من فراق

فقلبي كئيب مستهان متيم ... وعيني كسا الدمع منهل سواقي

وكيف وشمسُ الأفق قد حال لونها ... يمرّ الضحى أجمع في محاق

وأما السما فاغبرّ واربدّ لونها ... ومن بعد ذا جاءت بغيث دفاق

ولما رأتني ساهرا هاجَ ما بها ... فسحّت وعيناها بدمع مراق

وما ذاك إلاّ منْ أساها وحُزْنِها ... على المرتضى الأرضى الشريف العراقي

من اختار ضمّ العلم للحلم والتقى ... إلى سيرة مثلى بغير شقاق

قد اختصّهُ الرحمانُ بالنحو كلّه ... وما قد حوى من غامض ورقاق

وعلم عروض والقوافي وشبهها ... وأشياء هذي من معاني دقاق

إلى علم دين عاملا بحدوده ... إلى غير هذا من علوم رقاق

هو العالمُ العلامةُ العَلمُ الذي ... حوى المكرُمات مع رفيع المراق

وحاز النُهَى والفضلَ والعدلَ والتُقى ... وحاز السُّها في رفعة وتراق

ومَنْ لستُ أنسَى دائما حُسْنَ درسه ... ولو بلغتْ روحي لأدنى تراق

محمدٌ الأسمَى ابنُ ادريس نجل مَنْ ... لهم نسبةٌ أربتْ على كلِّ راق

أولئكَ قومٌ ينتمون لسيّد ... سرى ليلةً للقُدْس فوقَ بُراق

رسولٌ أتى بالدين والحقّ والهُدى ... فكان لداء الجهل أنفق راق

عليه صلاةُ الله مع آله الألَى ... على حبّهم (كذا) ضربت رواق

وإنّي لمَوْقُوفٌ على باب ربّهمْ ... على وُدّهم أفْنى وَغيري باق

وإنّي لمَوْصُوفٌ بخدْمَة بيتهمْ ... وإنّي لهُمْ رقٌّ بغَيْر إباق

أآل رسُول اللّه دمْعي عليكُمْ ... تناثرَ من طَرْفي لفرْط اشتياق

ونَظْمي رثَاكُمْ في بَديع نظامه ... لَئالِئ سمْط نُظّمتْ في سيَاق

وَإنّي لَحسَّانُ المديحِ وإنّني ... لَخَنْسا رثاء رُوحُها في سياق

ولكنّني في ذا المقَامِ مقصّرٌ ... ويُعْذَرُ صبٌّ في عَناء وساق

لقد فُقْتُمُ آلَ الرسولِ سِواكُمُ ... وسُدتُم بإحْرَازِ خِصَال سِبَاقِ

فماذا عَسَى المخلوقُ يبلغُ جهده ... ولوْ جَا بتوْجيهٍ وحُسْن طبَاقِ

فتربوه طُولَ المَدَى بفراقكُم وجاهله مَا إنْ لدَيَّ خلاق
أمَولاَيَ عبدَ القادرِ بْنَ مُحَمَّدٍ ابن إدريسَ إن الصَّبر للأمن راق
افترنى صبي إخواننا رضىً (كذا) فلو يقبل الإفدا فُدى بيواق
فما الدَّهْر والأنامُ إلاَّ كَمَا نَرَى ممَاتُ حَبيبٍ أوْ فِرَاقُ رِفَاقِ
وإن الإمامَ الحبرَ إنْ غَابَ شَخْصُهُ فإنَّ الثَّنَا باقٍ لِيَومِ المَسَاقِ
سَقَى اللّه أرضاً حَلّها بِهَوَاطِلٍ مِنَ الرَّحَمَاتِ صَوبُهَا بانْدفَاقِ
عليه تَحيَّاتٌ شَذَاهَا مُمسَّكٌ بِعَفْوٍ وغَفْرٍ مَا لَهُ مِنْ نَفَاقِ (508)

عبد القادر بن محمد بن إدربس العراقي

قوله أمولاي عبد القادر هو وَلَدُ صاحب الترجمة توفي أواسط جمادى الأولى عام اثنين وأربعين ومائة وألف.

[إدريس العراقي ـ الحفيد ـ]

والموجود الآن من أولاد صاحب الترجمة العالم المحدّث أبو العلاء مولاى ادريس المولّى روايات السير بالكرسي الذي بباب محراب القرويين صباحاً ومساءً، والمنذري بعد صلاة العصر، والحلية قبله بكرسيين بالقرويين أيضا، والإمامة بمسجد السمارين بالرصيف من فاس القرويين.

محمد بن محمد الفاسي

ومنهم العالم العلامة المشارك الفهامة المدرس النحرير الخطيب القاضي أبو عبد الله سيدي محمد بن سيدي محمد بن العلامة سيدي محمد بن المحدث سيدي أحمد ابن الصوفى سيدي يوسف الفاسي. تقدمت تراجم مَنْ عَدا والده. كان صاحب الترجمة من الحفاظ المتقين، عذب العبارة، حسن الإشارة، ممن له عارضة اللسان في التدريس والخطبة والفتوَى، ولي قضاء فاس الجديد المرينية، ثم أُخِّرَ عنه، ثم ولي الإمامة والخطبة بمسجد مولانا إدريس بزرهون، ثم [ولاه] (509) أمير المؤمنين الخليفة مولانا عبد الله بن المنصور باللّه السلطان مولانا إسماعيل الحسني(510) الخطبة والإمامة والتدريس بمسجد قصبة دار الخلافة بمكناسة. أخذ عن سيدي محمد بن أحمد القسمطينى، وجدنا عبد السلام بن الطيب القادري،

508) هذه القصيدة ـ كمعظم الترجمة ـ ساقطة من ط.
509) ساقط من س.
510) في ط: أن خطب بالسلطان مولانا إسماعيل، تم خطب بولده مولانا عبد الله

وعن شريكه بالأخذ عنهما سيدي محمد المسناوي. [وأخذ عنه كثير من طلبة فاس وغيرهم] (511). وتوفي ثاني جمادى الأولى عام اثنين وأربعين ومائة وألف، ورثاه سيدي عبد المجيد الزبادي فقال:

نارُ الفراقِ أخي أبَت أنْ تَنْطفي — والموتُ للأخْيَار حقّاً يَصْطفي
عطفاً على رَمقي ولنْ وتلطُّف — فعَلَيَّ هذا البَيْنُ لَمْ يَتَعطَّف
فالجسمُ لم تَبْرَحْ بذوبُ تأسفاً — والعينُ تَهْمي بالدموعِ الذّرف
والسقْمُ يجرى في الجوانح والْحَشَا — والقلبُ متبولٌ بوَجْدٍ مُتْلف
أفهل يُساعدُني امرؤٌ في ذا الْجوَى — والوجدِ والأشواقِ أم لم يُسعف
كلاً يُساعدني لبيبٌ مُنصفٌ — ويلومُ في ذا الوجدِ مَنْ لم يُنصف
فأعوذُ بالرحمان من جزع النَّوَى — وأعوذُ من شرّ الفراق المُرجف
شاهدتُ يوم البَيْنِ هَولاً هائلاً — يُنسيك من أهوالِ هَوْلِ المَوْقف
بمحمد بنِ محمدِ بنِ محمدِ بـ — ـنِ أحمد بن أبي المحاسن يوسف
مَن حاز كلّ فضيلةٍ وجلالةٍ — حقاً كما نال الجمال اليوسفي
العالم العلامة الحبْر الذي — وافَى على أعلى السنام الأشرف
مَن قولُه في الحق سيفٌ صارمٌ — يُغنيك عن حَمْلِ الظُّبا والمشرفي
طودُ الفهوم يحلُّ كلَّ عَويصَةٍ — فى كل علمٍ رائقٍ مُستظرف
بحر العلوم طويلها ومديدها — وعريضها وبسيطِها المُستظرف
ما شئت منها سَلْ يُجبْك بَديهَةً — بالحق والتحقيق لم يَتوقف
ضمَّ الفروعَ إلى الأصول وخاض في — بحر المعاني سابحاً لم يَتلف
ناهيك من شهْمٍ سَريٍّ ماجدٍ — كَلفَ الجميلَ وغيرَه لم يكلف
كلف النَّدا والحِلمَ والإعراضَ عن — مَن قد جنَى كلفاً بغير تكلُّف
ألِفَ الفصاحةَ والبلاغة والبَرا — عَة فى العُلوم وغيرَها لم يَالف
وإذا تراهُ وعنده فى درسه — طُلاَّبُ علم قلتَ يابدرُ اخْتَف

(511) ساقط من ك و س.

لوْ أنَّهُ أهْدَى إلى بدر السَّمـا — لتمامه فَضْلَ السَّنَا لَمْ يَخْسِف
ناداهُ داعي الموتِ هل مِن مُشفقٍ — للقائه لَبَّى ولم يستنكف
وهواهُ لو يُفدَى لكنتُ فداءَه — مَن نَفدِه بالروحِ ليس بِمُسرِفِ
صَبْراً أبا حفصٍ على ما قد عَدا — فينا من الأحزانِ ما لم يُوصف
لكن رأينا الصبرَ أحسنَ جُنَّةٍ — عند الكروب بها اكتفَى مَن يكتفي
فتخذته حصْناً لكلِّ ملمَّةٍ — فمَن استجار به مِن البلوى شُفي
اللّهُ يُعْظِمُ أجرَنا ويُمِدُّنا — بالعفو والغُفْرانِ واللطف الخفي
وعلى أبي عبد الإله محمَّدٍ — أزكَى سلامٍ مُتحفٍ ومُشرِّفِ
ما ارتاح للألحان صَبٌّ مُنشداً — نارُ الفِراقِ أخِي أبَتْ أنْ تنطفي(512)

الحسين بن محمد بن علي ابن شرحبيل الدرعي

ومنهم السيد الأبر، العالم الصالح الأنور، أبو محمد الحسن بن محمد بن علي ابن شرحبيل الدّرعي [اشتهر تلقيبه بجده](513) أحد أصحاب الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر ومرافقه في رحلتيه الحجازيتين(514). ولد سنة تسع ـ بمثناة ـ وسبعين ـ بموحدة ـ وألف. كان صاحب الترجمة متفننا في علوم عقلية ونقلية، وشارك شيخه أبا العباس [ابن ناصر] (515) في شيوخه، [وقرأ على أبي العباس الهشتوكي واستفاد منه](516) له على صغرى السنوسي شرحان اثنان، وثلاثة شروح على سيف النصر لشيخه أبي العباس ابن ناصر، [وجمع مناقب شيخه أبي العباس ابن ناصر](517). توفي بزاويته بسوس الأقصَى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف.

حوادث هذه السنة

الصلح بين مولاي عبد الله وأهل فاس ورخص الأسعار

وفي مهل ربيع الأول النبوي من عام اثنين وأربعين ومائة وألف (518) ابتُدئت الكلمة

512) هذه المرثية ساقطة من *ط*، وقد لفقنا أبياتها بحسب ما استطعنا، إذ بعض أسطارها ناقصة من *ك*، وبعض ألفاظها مقلوبة أو محرفة في كل من *ك* و س.

513) ساقط من *ط*.

514) في *ط*: في رحلته الحجازية ـ بالإفراد ـ.

515) ساقط من *ك* و س.

516) ساقط من *ط*

517) ساقط كذلك من *ط*. وفي بعض ألفاظها مخالفة لمخطوطتي *ك* و س.

518) حوادث هذه السنة ساقطة من *ط* ومن *ك* و س. وأثبتناها نقلا عن *الحوليات* (ص 35 ـ 36)

بين الخاصة من فريق من أهل المدينة وبين السلطان مولانا عبد الله بإيقاع الصلح فتوسلوا به. وبعده بنحو أربعة أيام خرجوا إليه مع العلماء والأشراف وبكساوي الصالحبن والصبيان (من) المحاضر بألواح القرآن وكتب الحديث ومصاحف القرآن والرغبات والرهبات، فتلاقوا به بوادي فاس، فأقبل عليهم وقال لهم «خَيراً» ووعدهم به وسامحهم وعفا عنهم في كل ما كان بينه وبينهم، وقضَى لهم جميع ما طلبوه منه، ومكنوه من مفاتح القصبتين والحصنين المسميين بالبستيونين، ورجعوا من عنده فرحين مسرورين مستبشرين. وكان سوم القمح قد انتهى في مدة الحصار إلى ست أواقي للمد، وبعدما وقع الصلح بين أهل فاس وببن السلطان ونصروه رجع إلى تسع موزونات للمد. ثم زاد إلى ست أواقى كما كان في أيام الحصار لقلته لا لغير ذلك. وذكر عنه أنه صيَّر في أمد الحصار على قتال مدبنة فاس ثلاثة آلاف قنطار من المال، ونحو ألف قنطار من البارود، ومثل ذلك من البُنْب والكور(519).

- *** —— ***— **تذكرة المحسنين** —— *** —— ***——

مَحمد بن محمد الفاسي

العلامة الحافظ الأفضل، الدراكة الخطيب الأمثل، الماهر النحرير، بديع الحفظ والتحرير، سيدي مَحمد بن الفقيه سيدي محمد بن الإمام القاضي سيدي محمد بن إمام المحدثين سيدي أحمد الفاسي بمكناسة الزيتون عن غير عقب فى ثانى جمادى الأولى من السنة، ودفن بروضة الولى سيدي أحمد ابن خضراء.

مَحمد بن إدريس العراقي

وفي العشرين من ربيع الثاني الإمام النحوي الهمام العلامة المحقق المدفق أبو عبد الله مولاي مَحمد بن الشريف البركة مولاي إدريس العراقي الحسني.

519) فى *الحوليات* بعد هذا ما يوجد في حوادث سنة 1143 فى ط و ك و س. وهو خطأ من ناسخ *الحوليات*.

العام الثالث من العشرة الخامسة

تمهيد البلاد للسلطان مولاي عبد الله

استهلت هذه السنة والخليفة أمير المؤمنين السلطان مولانا عبد الله ابن أمير المؤمنين السلطان مولانا إسماعيل الحسنى مبسوطة يده في المغرب على جميع مدنه وقراه وقبائله ومداشره [بسطاً مؤيداً بنصر الله وتأييده][520]، وهو في دار الخلافة بمكناسة يخرج لملاقاة جميع من يرد عليه ويتهيأ لكل ذي شكية صباحاً ومساء، ولا يستطيع أحد أن يحول بينه وبين كل ذي شكية قبل الوصول إليه، وأموره مضبوطة وأحكامه نافدة، وأجرى الناس على ما هم عليه في المنازل على ما قرّره والدُه. وكذلك أبقَى الناس في تولي الخطط، فلا يستطيع أحد أن ينازع أحداً في خطة وليَها هو أو أبوه أو جده في عهد أمير المؤمنين السلطان الخليفة مولانا إسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف الحسني، ولا في مرتَّب من حبس أو صدقات الصالحين أو غير ذلك، وهو في ذلك كله يحافظ على إحياء ولايات والده. وبسبب ذلك كان أهل الجانب العظيم كالأشراف والمرابطين والعلماء في أقوَى منعة وأعز رفعة، ومن يخرق على أحد عادة في ذلك أصلا.

توجه خناتة بنت بكار إلى الحج

مع حفيدها سيدي محمد بن عبد الله

ثم إنّ أمه السيدة الجليلة الفقيهة الفضيلة خناتة بنت السيد الوجيه الفاضل النبيه الحاذق في الأخبار، ومن لاَذ به يُجار، ولا يصل إليه عار، حتّى في الفيافي والقفار، سيد قومه وعميدهم وفارسهم ومانعُهم الشيخ بكار، المغفري، التمست من ولدها أمير المؤمنين مولانا عبد الله الحسني التوجه للشرق بقصد الحج، فأجابها لذلك، وهيَّأ لها جميع ما تحتاجه، ووجه معها ولده خليفتنا الآن بالمغرب أمير المؤمنين السلطان المنصور بالله، المؤيد فيما أولاه، مولانا أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل الحسني فحج معها، فكانت في هذه السنة المباركة حجته، [وحمدت بتوفيق الله في كل حركة وجهته، وزار جده المصطفى الرسول، واتصلت الفروع مشاهدة بالأصول. ولله در من قال في مثل ذلك:

إن قيلَ زُرتم بِما رجَعْتُم ... يا أكْرَمَ الخلقِ ما أقُولُ
قُولُوا رَجَعنا بكلِّ خيرٍ ... واجتمع الفَرعُ والأصولُ

ولهذين البيتين حكاية، وهي أن بعض الأشراف زاروا قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فأنشد البيت الأوَّل منهما، فسمع البيت الثاني من الروضة المشرفة جواباً له. وهما

520) زيادة في ط .

بالقاف المعقودة في السؤال والجواب. وتقدمت هذه الحكاية عام اثنين ومائة وألف. وقد أنعم الله على المغرب بمولانا سيدي محمد الذي هو سلطانه، وأشرق في جميع أقطاره بحمد الله يمنُه وأمانه](521) أدام الله للمسلمين وجوده، وأصحب النصر عساكره وجنوده، ومتَّع المسلمين بحياته، وكان الله له في حركاته وسكناته. [ولم نقف على وفاة أحد من العلماء ولا الصالحين في هذا العام](522).

رخص أسعار القمح وسوء العلاقات

بين السلطان مولاي عبد الله وأهل فاس

وفي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف (523) نزل المطر الغزير ورجع سوم القمح إلى أربعين أوقية للوسق. وسبب رجوعه إلى هذا السوم أن السلطان مولانا عبد الله بعث خديمه القائد علي بن عبُّو الشاوي المدعو ولد المجَّاطيَّة لنهب زروع أهل فاس وغيرهم الكائنة داخل المدينة. فكان يدخل على الديار ويأخذ كل ما يجد فيها من القمح، فكف الناس عن شرائه بسبب ذلك فوصل سومه بعد ذلك إلى مثقالين للسوق وأقل وأكثر بشيء قليل. وكان قصده بذلك - والله أعلم - إتلاف الزروع في المدينة ليرتفع سومها ويهلك أهلها أو غير ذلك، فعامله الله بنقيض مقصوده، ويفعل الله في عباده من ذلك ما يشاء. وجعل يقتل أهل الديوان من عظماء العبيد ورؤساء الجيش وأكابر القبائل من الأحرار. وقتل نحو سبعة عشر رجلا من رؤساء رماة أهل فاس الذين كانوا معه في الحركة، وأمر بمحمد بن يوسف منهم فجُرَّ بالمحلة في أرجل البغال. وولَّى على مدينة فاس حمدون الروسي فهدم أسوارها ونقل أبوابها لفاس الجديد.

---

521) ما بين معقوفتين ساقط من ك وس

522) زيادة من ط

523) الفقره التالية منقولة عن *الحوليات* لانفرادها بها.

العام الرابع من العشرة الخامسة

محمد بن عبد الرحمان ابن زكري

فمنهم الشيخ العلامة النحوي أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمان ابن زكري الفاسي المولد والمنشإ والوفاة. [أخذ عن سيدي محمد بن عبد الله دفين وزان، ثم عن ولده مولاي التهامي، ثم عن ولده سيدي محمد الطيب] (524) ومما وصفه به شيخنا سيدي عبد المجيد بن علي الزبادي ما نصه: الشيخ الإمام، الحبر الهمام، الثقة الحجة، السالك من مناهج الدين أوضح محجة، الحافظ الضابط الثبت، الحسن النعت والسمت، العلامة الفهامة الدراكة المشارك، الذي لم يَعُقْه عن الانفراد بدائرة وقته متدارك انتهَى المراد منه. وللناس فيه آراء، والذي عندنا أنه قوي محقق حسبما عرفناه من تقاييده التي سمعناها من أشياخنا الذين أخذوها عنه. وشرحه لألفية الجلال السيوطي المسماة *بالفريدة* شاهد بذلك، وكذا حاشيته على *أوضح ابن هشام* الذي أوصلها إلى المفعول المطلق ولم يكملها، وشرح *النصيحة الكافية* للشيخ زروق، وشرح *الصلاة المشيشية*، وشرح *الهمزية* وشرح *الحكم* لابن عطاء الله، وشرح *القواعد الزروقية*، وتعليق على *صحيح البخاري*، وتفسير *لمواضع من القرآن*، *والفوائد المتبعة، في العوائد المبتدعة*. وله في *النحو والبيان والمنطق والأصول* والفقه والتصوف تقاييد، وله أنظام كثيرة(525). هذا الذي نسب له شيخنا تلميذه سيدي عبد المجيد الزبادي، ونسبوا له تآليف أخرى مضمنها تفضيل العجم على العرب، ولم أقف على شيء منها، وقد في الرد على ما وصفوا لي تقييد، فانظره إن شئت.

وسمعنا (526) سماعا مستفيضا أنه ألف تأليفا في أفضلية العجم على العرب، ولم نر من شيوخ وقتنا من أهل الدبن إلاَّ مَن يعيب عليه ويُشنع عليه غاية التشنيع، وهو جدير بذلك، لأن العرب لهم مزية على غيرهم من الخلق برسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الإمام التِّنَسي: وخالفت في ذلك طائفة من أهل الأهواء يقال لهم الشعوبية، وهم فرقتان: فرقة تدَّعي التسوية، وفرقة تدعي تفضيل العجم على العرب، فبادر علماء الإسلام بالرد عليهم برسائل حسان انتهى كلام التنسي بحذف منه.

قلت: وأدلة أفضلية العرب على العجم معلومة مشهورة في الكتاب والسنة. ولم يبق فيمن خرج عنها إلاَّ الحكم بما يحكم على أهل الأهواء، ولنورد هنا ما تيسر لنا من أدلة أفضلية العرب بعد تعريف الشعوبي من هو. قال عبد الحق الإشبيلي الأزدي المالكي فى

---

524) ما بين معقوفتين ساقط من *ط*، ثابت فى صلب س، وفى هامش ك كطرة.

525) جل هذه المؤلفات غير مذكورة في *ط*. وفيها إضافة: « قصيدة فى المدح النبوي عارض بها همزية البوصيري وشرحها ونكت فيها على البوصيري مسائل يروم نقدها عليه، ويأبَى الله ذلك. وسيتبين أمره فى ذلك إن شاء الله هنا ».

526) من هنا يبتدئ رد المؤلف القادري على شعوبية ابن زكري فى نحو 13 صفحة لا توحد إلا فى طَ وحدها.

مختصر اقتباس الأنوارللرشاطي، قال في مختصر العين: الشعوبي هو الذي يُصغّر أمر العرب. وحكى الهروي عن الليث قال: الشعوبي الذي يصغر أمر العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم، ثم قال إن الشعوب من العجم كالقبائل من العرب. انتهى كلام عبد الحق، أنظر بقيته. وفي القاموس: والشعوبي محتقر أمر العرب وهم الشعوبية. وقد ألف زين الدين العراقي تأليفا سماه: محجة القرب بمحبة العرب. قال شهاب الدين الخفاجي فى شرح الشفا: وفيه ردّ على الشعوبية انتهى.

قلت: وأدلة الرد على الشعوبية في السماعيات كثيرة، أخرجها أهل الصحة وغيرهم. فمن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه فى صفته صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِى كُنتُ فيه). قال الشهاب القسطلاني: والمراد بالبعث نقله في أصلاب الآباء أباً فأباً قرناً فقرناً حتَّى ظَهَرَ فى القرن الذي وُجد فيه، أي انتقلت أولاً من صلب ولد إسماعيل، ثم من كنانة، ثم من قريش، ثم من بنى هاشم. فالفاء فى قوله قرنًا فقرنا للترتيب في الفضل على سبيل الترقي من الأب الأبعد إلى الأقرب فالأقرب، كما فى قولهم خذ الأفضل فالأفضل، واعمل الأحسن فالأجمل انتهى كلام القسطلانى. وأخرج الترمذي وحسنّه ورجالُ سنده على شرط الصحيح إلاَّ بزيدَ بن أبي زياد أخرج له مقرونًا عن العباس بن عبد المطلب:

... قُلْتَ يَا رَسولَ الله إنَّ قُرِيشًا جَلَسوا يَتَذَاكَرُونَ أَحْسَابَهُم بَيْنَهُم فجعلوا مَثَلَكَ كَمَثَلِ نَخْلَةٍ في كَبْوَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فقَالَ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللّٰهَ خَلَقَ الخلق فجعلنى مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ثمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ فَأَنَا خَيْرُهُم بَيْتًا وَخَيْرُهُمْ نَفسا).

قال المنوي في شرحه *الكبير للجامع الصغير*: فالحديث صريح فى تفضيل العرب على العجم. وأخرج الترمذي وحسنه أيضا عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَاسَلْمَانُ لاَتُبْغِضْنِي فَتُفَارِقَ دِينَكَ، قلتُ يارسُولَ الله كيف أبْغِضُكَ وَبِكَ هَدَانا الله. قَالَ تُبْغِضُ العَرَبَ فَتُبْغِضُنِى). قال الترمذي إثر الحديث المذكور: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شجاع بن الوليد، وبيَّن محل الغرابة فيه بقوله لا نعرفه إلا من حديث شجاع. وشُجاع هذا هو ابن الوليد الشكونى.

قال الذهبى فى *التهذيب*: المحدث الصالح، ثم نقل توثيقه عن ابن أبي خيثمة وعبد الخالق بن منشور، ولا يضر تفرد الثقة لأن التعدد ليس بشرط فى الصحيح على المعتمد عند علماء اصطلاح الحديث كما فى محله. وأخرج الطبرانى والبيهقي عن أبي نعيم ابن عمر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللّٰهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بني آدَمَ، وَاخْتَار مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ وَاخْتَارَ من مُضَر قُرَيْشًا وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاخْتَارَنِي من بني هَاشِمٍ، فَأَنَا مِنْ خِيَارٍ إِلَى خِيَارٍ). فما حسنه الترمذي فى الحديثين

المتقدمين قد ارتقى عن مرتبة الحسن إلى الصحة بكثرة طرقه المشار إليها هنا وفيما نذكره بعد. وقد صرح ابن حجر في *النخبة وشرحها* بهذا فقال: وبكثرة طرقه يصحح، وإنما يحكم له بالصحة عند تعدد الطرق لأن للصورة المجموعة قوة تجبُر القدر الذي قصَّر به ضبط راوي الحسن عن رواي الصحيح. انتهى. فشواهده رواها عدة من الصحابة بروايات كثيرة، فرواية العباس بن عبد المطلب عند البيهقي وأبي نعيم، ورواية عبد الله بن عباس أخرجها أبو نعيم في *الدلائل* والطبراني والبيهقي وابن حبان والحاكم في *المستدرك*، والطبراني *في الكبير*، وابن مردوية والمرهبي والصابوني وابن عمر العدني في مسنده، ورواية أنس بن مالك أخرجها البيهقي وابن عساكر من طريق مالك بن أنس والحاكم في *المستدرك*، والطبراني في *الأوسط*، ورواية ربيعة بن الحارث أخرجها الحاكم، ورواية المطلب بن أبي وداعة أخرجها الترمذي وابن مردوية والبيهقي، ورواية واثلة بن الأسقع عن الترمذي ونذكرها قريبا، وكلها تدل على أفضلية العرب على من عداهم إمَّا نصًّا أو ظاهرا، وقد نقلها العلماء في كتبهم كالحافظ زين الدين العراقي في *محجة القرب*، والحافظ السيوطي في *خصائصه الكبرى* *وجامعيه الكبير والصغير*، فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجعه، ولولا فرط الطول لجلبنا ألفاظها، وهذا كله في مطلق العرب الجامع للقحطانية والعدنانية وغيرهم، وأما الخصوص منهم فالنصوص في أفضليتهم مخرجة في الكتب الصحاح ولا يسع أحداً إنكارُها. فأخرج مسلم في *صحيحه* عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللَّه اصْطفَى كنَانَةَ منْ وَلَد إسْمَاعيلَ، واصْطفَى قُرَيْشًا منْ كنَانَةَ، واصْطفَى منْ قُرَيْشٍ بَني هَاشِم، واصطفَاني منْ بَني هَاشم). وأخرجه الترمذي أيضا في *كتاب المناقب من جامعه* وصححه أيضا عن واثلة بن الأسقع مرفوعا بزيادة: (إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى منْ وَلَد إبْرَاهيمَ إسماعيلَ، واصطفَى منْ وَلَد إسمَاعيلَ بَني كنَانة) الحديث بتمامه المتقدم. ومما هو صريح في فضل العرب الإسماعيلية ماورد في كثير من الأحاديث في فضائل الأعمال، فمنه ما رواه الإمام أحمد بإسناد حسن عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لأنَ أقْعُدَ أذْكُرُ اللَّهَ وأكبِّرُه و أحْمَدُه وأسبِّحُه وأهَلِّلُهُ حتَّى تطلعَ الشمسُ أحَبُّ إلَيَّ من أن أُعتقَ رَقَبَتَيْن منْ وَلَد إسماعيلَ). وما رواه الطبراني في *كبيره* عن أبي الدرداء: (مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلاَة الصُّبْح وهُو ثَانٍ رجْلَيْه قَبْلَ أنْ يَتكَلَّمَ لاَ إلَه إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ ولَه الحمدُ يُحْيي ويُميت بيَده الخَيْرُ وَهوَ على كُلِّ شَيء قَدير عَشْرَ مَرَّات كَتَبَ اللهُ لَهُ لكُلِّ مَرَّة عَشْرَ حَسَنَات ومَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئات وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَات وكُنَّ لَهُ في يَومه حرْزاً منْ كُلِّ مَكْرُوه وَحَرَسًا منَ الشَّيْطَان الرَّجيم وكَانَ لَهُ بكُلِّ مرة عتق رقبة من ولد إسماعيلَ ثمن كل رقبة اثنا عشر ألفاً، ولم يلحقه يومئذ ذنب إلا الشرك بالله. ومن قال ذلك بعد صلاة المغرب كان له مثل ذلك). وهذا النوع كثير، راجع ترغيب المنذري وغيره تقف عليه. وفي *صحيح مسلم* عن أبي هريرة أن نسيبة من بني تميم كانت عند عائشة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم (اعتقيهَا فَإنَّهَا منْ وَلَد إسْمَاعيلَ). وأما ما ورد في الأنصار فقوله صلى الله عليه وسلم: (لاَيُحبُّهُمْ إلاَّ مُومنٌ ولاَ

يُبْغِضُهُمْ إلا مُنَافِقٌ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ) وقوله صلى الله عليه: (آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ وآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ). وقال لهم: أنتم أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ) قالها مرارا. وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ادْعُ اللَّه أَنْ يجعل أتْبَاعَنَا منا فقال: (اللَّهُمَّ اجعل أَتْبَاعَهُمْ منهُمْ). وقال صلى الله عليه وسلم: (وفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ)، وقد افتخروا بمبايعتهم عنده، فقال قائلهم وذاك في غزوة الخندق:

نحن الذين بايَعُوا محمدا على الجهاد ما حَيينا أبدا

فأجابهم صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيْشَ الآخرة، فأكْرِمْ الأَنْصَارَ والمُهَاجِرَة). و قال صلى الله عليه وسلم: (أوْصيكُمْ بالأنْصَارِ فَإنَّهُمْ كَرِشي وعَيْبَتي (527) وقَدْ قَضَوْا الَّذى عَلَيْهِمْ وبَقِيَ الَّذي لَهُم فاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ). وقال: (فَإنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ ويَقِلُّ الأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا كَالمِلْحِ فِي الطَّعَامِ فمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أمْرًا يُضِرُّ فيه أَحَداً أو يَنْفَعُهُ فَلْيَقْبَلْ من مُحْسِنهِمْ وَلْيَتَجَاوَزْ عَن مُسِيئهِمْ). و أما غير الأنصار فقال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إلاَّ أَكَبَّهُ اللَّهُ على وجْهه في النَّارِ ما أقَامُوا الدِّين). وقال صلى الله عليه وسلم: (قُرَيْشٌ والأَنْصَارُ وجُهَيْنَةُ ومُزَيْنَة وأسلمُ وأشْجَعُ وغِفَارُ موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله). وقال صلى الله عليه وسلم: (لايَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْش مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثنان ونزل القرآن بلسان قريش).

والروايات في هذا المعنى كثيرة، ولكن اقتصرت هنا على ما في *الصحيحين* أو أحدهما. وأيضا فإن أعظم جيشه صلى الله عليه وسلم والمقاتلين معه في الحروب والوقائع العظيمة هم العرب وإن كان معهم غيرهم فقليل، وحاربوا آباءهم وأبناءهم وقتلوهم في مرضاة الله ورسوله، وبايعوه صلى الله عليه وسلم على الموت دونه، واختصوا بهذه المزية دون غيرهم من جميع من كان حينئذ على وجه الأرض، وأثنى الله عليهم بذلك فقال تعالى:«*للفُقَرَاء المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا من دِيَارِهِمْ وأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً من الله وَرِضْوَاناً* » الآية . وقال صلى الله عليه وسلم في أهل بدر: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الله اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ) راجع لفظ تمامه في البخاري وأيضا فإن سادة هذه الأمة الذين هم العشرة سادات الأمة بالإطلاق كلهم من العرب. وكون المقاتلين والمقتولين عرب أيضا لم يخرج من قاتلهم عن المزية، ووقائعهم في أهل الشام والعراق ومصر وغيرها معلومة معروفة. وأين بنو إسرائيل وسائر العجم من هذه المزايا. وأيضا فإن من الفقهاء من يفرق في أخذ الجزية والاسترقاق بين العرب والعجم، ويفرق بين حكم نصارى بني تغلب وبين حكم سائر أهل الكتاب في الجزية.

527) أراد أنهم بطانته وموضع سرّه وأمانته، والذين يعتمد عليهم في أموره. انظر *النهاية*، لابن الأثير (مادة كرش).

قال ابن راشد: الجزية توخذ من أهل الكتاب والمجوس من العجم باتفاق، ولاتوخذ من قريش ولا من المرتدين باتفاق. فأما المرتدون فإنهم ليسوا على دين يُقَرُّون عليه، لقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ) وأما قريش فقيل لمكانتهم من النبى صلى الله عليه وسلم انتهَى. نقله المواق، ونقل اللخمى وغيره عن ابن وهب أن الجزية لاتوخذ من مجوس العرب، ونقل عنه الباجى والمازري عدم أخذها من العرب مطلقا لا بقيد المجوس. وأما الاسترقاق فيجوز على مذهبنا استرقاق جميع العرب، ومنع ابن وهب استرقاق قبائل قريش والأنصار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار، نقله السنهورى وغيره. ودليل قول ابن وهب ما سبق للبخاري، وليس هذا هو دليل المسأله، بل الدلائل تقدمت.

ومع ما قررنا فلا يجوز تنقيص مَن ليس من العرب أو من كان قريب عهد بكفر هو وسلفه وحقره بمجرد ذلك، ولاسيما إن ظهر عليه وصف معظم شرعا كالدين والعلم، فإن هذا من الباطل والظلم. وقد قال صلى الله عليه وسلم: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ) الحديث. وقال عليه السلام في خطبة الوداع: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ) الحديث. وقال عليه السلام في خطبة الوداع: (إن الله حرم عليكم دماءكم) الحديث. وقال عليه السلام: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ ولاَيَخْذُلُهُ ولاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ صلى الله عليه وسلم. بِحَسْبِ امرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حرام دَمُهُ وعِرْضُهُ ومَالُهُ)، رواه (   ) [528]ونصوص ذلك كثيرة.

استنكار تعيير حديثي العهد بالإسلام

وأعظم من ذلك يعييرُ قريب العهد بالإسلام فيقولون لمَن عُلِمَ قُربُ عهده بالإسلام: يا إسلامي، وقصدهم به للتعيير بالكفر الذي هو قريب عهد به، وأحدثوا له ألقابا أخرى، وذلك لايحل، بل الواجب التسوية بين المسلمن في كل الحقوق، بل يتأكد على أهل الهمم العلية زيادةُ اعتناء بهم والحرصُ في جبر خواطرهم حتَّى يرضيهم أبلغ الإرضاء، ولا يلزم من هذا أن يخالطهم فى الأمور المتعلقة بنفسه، فإنَّ له الخيار في التحري عن ملاقاتهم هم وغيرهم وجميع من يتخيل فيه عدم السلامة من خلطته، فلا يلزمه الإنكاح منهم وإليهم، كما لايلزم لغيرهم ذلك كأعيان الحواضر لأهل البوادي لأسباب، ومن أوضحها عدم الموافقة في المالوفات، فإن لكل فريق أعرافا مخصوصة به. ونص ابن الحاج على أن ذا الصناعات الدنية ليس كُفؤاً لمن هو من أهل المروءات والصنائع الجليلة، نقله عنه ابن عرفة. والنظر في الكفاءة في أمور، منها الجاه كما في كلام ابن الحاجب. قال ابن رشد: والمراد به المنصب انتهَى وقد تقرر أن للعرب جاهًا على غيرهم، فلا يلزم من اعتبار هذا كله النفرقة بين المسليمن، مع أن كل صنف من الناس له مألوفات وعوائد تُباين عوائدَ غيره، فإذا خالفها

528) في هامش المطبوعة الحجرية: بياض بالأصول هاهنا.

تفاقم ضرره، فلكل واحد أن يعتبر ما يناسبه و ماتطيب به عشرته مع زوجته أو زوجه، فلا يكون من اعتبر هذا وإن التزمه أبداً مُفرقا بين المسلمين. ولئن فرضنا السلامة من كل هذه الآفات في الذي هو حديث عهد بالإسلام فلا يلزم أهل الشرف مناكحته للمعرة اللاحقة لهم في ذلك، وقد صرح جماعة من الفقهاء منهم القاضي عبد الوهاب بأن للناس مناكح قد عرفت لهم وعرفوا بها. وما وقع في المدونة بأن المولى كُفْءٌ للعربية لقوله تعالى: «*إنَّ أكْرَمَكُم عندَ الله أتْقَاكُم*». رَدَّهُ اللخمي بأن الآية لا مدخل لها هاهنا، لأن مضمنها الحال عند الله في الآخرة، ومنزلة الدنيا وما يلحق به المعرة غير ذلك، نقله بهرام وغيره، وكما يجب على العربي التحرز من استحقار العجمي وتنقصه بسبب حدُوث إسلامه، فكذلك يجب على العجمي عدم مؤاخذته بما التزم في نفسه من الأشياء التي شرعها له الشرع. ويجب عليه كذلك أن يحترز من الغض من العربي و كراهيته بسبب خروجه من جنسه، فإن كلا من الفريقين فيه أنفة من غيره، لكن هي في العجم أشد شيئا في المدن التي في بلاد العجم، وتعصبهم لأبناء جنسهم أشد التعصب أمر مشاهد، ولهم تفريق بين في ذلك بين المسلمين، فلا تجد من هو منسوب لعلم أو صلاح من جنسهم يقاوم أحداً غيرهم من غير الذي هو من أبناء جنسهم. وزادهم في ذلك إغراء ما سمعوه عن صاحب الترجمة حتى أدخل عليهم داء عضالا في دينهم زيادة على أنفة نفوسهم، وتفاقم ذلك إلى هوس وتخلبط ينبغي الإعراض عنه، ولكن لم ينقل لنا عنه ذلك بطريق متصلة، وإنما عندنا مجرد السماع، فإن كان مُبَّرءاً منه فهو مرادنا وهو الظن به، وإن كان صحيحا عنه فالله يغفر له ويكرمنا وإياه برحمته.

وأما ما ذكره الشيخ أبو عبد الله مبارة الأكبر في كتابه المسمى *بنصيحة المغترين في التفرقة بين المسلمين* فأمره قريب، وكثير مما اشتمل عليه حق وصدق، ولكن له فيه تحامل. وقد يتوجه له من العذر من أن جهلة أهل زمنه أغضبوه، إذ كانوا أشداء على هؤلاء القوم الذين هم حديثو عهد بالإسلام، وما كان يسوغ لهم إذاينهم بما أجروا عليهم من العوائد التي لا تلزمهم شرعا، بل يجب زجر مَن ظلمهم بذلك ونهيُهم عنه، والحق أحق ما قيل، وما كان الواجب إلا معاملتهم بمقتضَى أخوة الإيمان والإسلام ومراعاة حرمة النبي فيهم عليه السلام. وهذا الحكم متقرر في جميع من خرج عن العرب، سواء كان من بنى إسرائيل أو من غيرهم. وقوله تعالى في خطاب بني إسرائيل: «*وأنّي فضَّلْتُكم على العالمين*» وقوله تعالى: «*ولقَد اختَرْناهُمْ على علْمٍ على العالمين*». لا يقتضي تفضيلهم على العرب حتى يعارض ماتقدم، لأن هذا التفضيل كما قال المفسرون إما أن يكون على عالم زمانهم فقط دون من بعدهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم من الأنبياء، وإما أن يكون بأشياء مخصوصة من المن والسلوى وما ذكر معهما وهو عشرة بينها المفسرون. ولا يلزم من التفضيل بأشياء مخصوصة التفضيلُ مطلقا. قال ابن عطية: في آية البقرة وفي الكلام اتساع. قال قتادة وابن زيد وابن جريج وغيرهم: المعني على عالم زمانهم الذي كانت فيه النبوءة المتكررة والملك، لأن الله تعالى يقول في أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«*كُنتُمْ خَيرَ أمَّة أُخرجتْ للناس*» وقال في الآية التي بعدها: «*تأمُرُون بالمَعْرُوف وتَنهوْنَ عن المُنكرِ وتُومنُونَ بالله*» إن قدرنا فضيلة بني إسرائيل بخصوصية كثرة الأنبياء وغير ذلك، فالعالمون عموم مطلق، وإن قدرنا تفضيلهم على الإطلاق فالعالمون عالمو زمانهم، لأن أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بالنص. انتهى. وقد أطبق عليه من رأينا من المفسرين، ولا يصح تعميمه على إطلاقه، وإلا لزم تفضيلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الملائكه لأنهم من العالمين، وهو باطل قطعا، أما تفضيل عمومهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفر، وأما تفضيل خصوصهم عليه وهم الأنبياء الذين كانوا منهم فبدعة.

ولانزاع بين أهل السنة في أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل المخلوقين الأنبياء وغيرهم ولهم على ذلك أدلة كثيرة جدا، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (وبِيَدي لواءُ الحَمْدِ يَوْمَ القيَامَة) و قوله: (آدمَ فَمَنْ دُونَهُ نحتَ لوائي يومَ القيامة» ومنها حديث الشفاعة المخرج في *الصحيحين* في أهل الموقف إذ ياتون الأنبياء فكلُّهم يقول نفسي نفسي حتى يأتوا محمداً فيقول أنا لها، قف على لفظه بتمامه، ومنها أنه أول شافع وأول مُشفع، ومنها أن الله تعالى أقسم بحيانه في قوله سبحانه: «*لعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفي سَكْرتهِمْ يَعْمَهُونَ*»، ومنها أن الله تعالى ناداه بأحب أسمائه وأسنى أوصافه فقال تعالى: « *يا أَيُّهَا النَّبيء، يا أَيُّهَا الرَّسُول*» وهذه الخصِّيصَةُ لم تَثْبُت لغيره صلى الله عليه وسلم، بل ثبت أن كلاًّ منهم نودي في القرآن باسمه، كقوله يا آدمُ، ياموسَى، يا هارون، يانوح، ياداوود الخ. وفيها أن كل معجزة لنبي انقضت بزمانه، ومعجزة سيدنا محمد وهي *القرآن* باقية إلى يوم الدين. وهذه الأدلة موجودة كثيرة، ولولا الإطالة لجلبنا منها جملة وافرة. وقد ألف في هذه المسألة عز الدين ابن عبد السلام تأليفا حسنا سماه كتاب *السول في تفضيل* الرسول، وقد أقنع فيه من نقول الأدلة وتوجيهها على أنواع مختلفة، وعليه جرى أقوال العلماء خلفا وسلفا. قال ابن زكري في محصل المقاصد:

رسولُنا أفضلُ بالإطْباقِ ... مِنْ كلِّ مخلوقٍ على الإطْلاقِ

ثم إن صاحب الترجمة خالف هذا كله وتمذهب بمذهب الشعوبية فيما حُكي لنا عنه، ومما يدل ما حكي عنه قولُه في مطلع همزيته التي ساجل بها همزية الشيخ البوصيري:

ربَّنا للحبيبِ منك الجزاءُ ... تَقتضيه الأرواحُ والأجزاءُ

وقد نكّث به على قول البوصيري في أول همزيته:

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الأنبياءُ ... يا سماءً ماطاوَلَتْها سماءُ

وصرَّح في أول شرحه لهمزيته المذكورة بشيء من ذلك فلينظره من أراده وليحذره. وقد أطلنا هنا رجاءَ أن لا يُبتلي بما ابتلي به مسلم. ومما يتأكد بيانه هنا قوله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثةٌ يُؤتَونَ أَجْرَهُم مَرَّتَين رجل منْ أَهْلِ الْكتَاب آمَنَ بنَبيِّه وَ أَدْرَكَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فآمَنَ به واتَّبَعَهُ وَصَدَّقَه فَلَهُ أَجْرَان، وعَبدٌ مملوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّه وَحَقَّ سَيده فله أجرَان، ورجلٌ كانت عندَه أَمَةٌ فغذَّاها فأَحْسَنَ غذَاءَها ثم أَدَّبها فأحسن تأديبَها وعلَّمها فأَحسنَ تعليمَها و تَزَوَّجها فلَه أجران). أخرجه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة.

قال القرطبي: الكتابي الذي يضاعف أجره مرتين هو الذي كان على الحق في شرعه عقداً وفعلا إلى أن آمن بنبينا صلى الله عليه وسلم، فسوجر على اتباع الحقّ الأول والثاني انتهَى.

قال ابن حجر في *الفتح* بعد نفله: ويشكل عليه أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل: (أَسْلمْ يُؤْتكَ اللَّهُ أَ جْـرَكَ مَـرَّتَيْنِ) ، وهرقل كـان مـمن دخل في النصـرانيـة بعـد التبديل، وأعطي هرقلَ الأجر مرتين لكونه كَان مومنا بنبيه ثم آمن بمحمد صلى الله علىه وسلم، وهو موافق لقوله تعالى: «أُولَئكَ يُوتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَيْن» ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر له من جهة إسلامه ومن جهة أن إَسلامه يكون سببا لإسلام أتباعه. واستنبط منه شيخنا شيخ الإسلام أن كل من دان بدين أهل الكتاب كان في حكمهم في الذبائح والمناكحة، لأن هرقل هو وقومه ليسوا من بني إسرائيل، وهم ممن دخل في النصرانية بعد التبديل، وقد قال له ولقومه يَا أَهْلَ الْكتَاب، خلافا لمن خص ذلك بالاسرائيليين وبمن علم أن سلفه دخل في اليهودية أو النصرانيةَ قبلَ التبديل والله أعلم انتهى وقال الداودي ومن تبعه إنه يحتمل أن يتناول سائر الأمم فعلوه من خير كما في حديث حكيم بن حزام أَسْلَمت على ما سَلَفَ من خير، وهو متعقب، لأن الحديث تقيد بأهل الكتاب فلا يتناول غيرهم إلا بقياس الخير على الإيمان. وأيضا فالنكتة في قوله آمن بنبيه الإشعارُ بعلة الأجر، أي أن سبب الأجر الإيمان بالنبيئين، والكفار ليسوا كذلك. ويمكن أن يقال: الفرق بين أهل الكتاب وغيرهم من الكفار أن أهل الكتاب يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى: «*يَجدُونَهُ مَكْتُوبًا عنْدَهُم في التَّوراة وَ الإنْجيل*» فمن آمن به واتبعه منهم كان له فضل على غيره، وكذلك من كذَبه منهم كان وزره أَشَد من وزر غيره. هـ. وقال المهلب: جاء النص في هؤلاء الثلاثة لبنبه فيه على سائر من أحسن في معنيين، أى فى أى فعل كان من أفعال البر.

قلت: وهذا يؤيد ما قال الداودي من تمكن حمله على من فعل خيرا من أهل الكتاب انتهى كله *حاشية* العلقمي على *الجامع الصغر*. وقال قبله: فإن قلت: هل بختص ذلك بمن كان في عهده عليه السلام أو يستمر إلى يوم القيامة كالخصلتين الأخيرتين؟ قلت: ذهب الكرمانى إلى الأول، والبلقينى إلى الناني، قال ابن حجر وهو الأظهر، والمرأة كالرجل في ذلك هـ . وقال ابن المنير: مومن أهل الكتاب لابد أن بكون مومنًا بنبنا صلى الله عليه وسلم

لما أخذ الله علهبم من العهد والميثاق، فإذا بُعث فإبمانه مستمر، فكبف يتعدد إيمانه حتّى يتعدد أحره؟ ثم أجاب بأن إيمانه الأول بأن الموصوف بكذا وكذا رسول، والثاني بأن محمدا هو الموصوف، فظهر التغاير فثبت التعدد. قال شيخ بعد نقله: ويحتمل أن يكون تعدد أجره لكونه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم، فحصل له الأجر الثاني لمجاهدة نفسه على مخالفة أنظاره هـ. وقال قبله أيضا: وقال شيخنا هو شامل لليهود والنصارَى كما دل عليه سبب نزول قوله تعالى: «*أولَئكَ يُوتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَيْن*» نزل في جماعة منهم عبد الله بن سلام ورفاعة القرظى، وهما من اليهود، وسلمان الفارسي كان نصرانيًا خلافا لمن خصه بالنصارَى هـ. ومن رفيع قدره علبه السلام أن الله أخذ على كل نبي أنَّهُ إن أدرك زمانه يُومن به ويكون من أنصاره، وقد أوضح هذا المعنَى التاج السبكى فى تأليفه المسمى *بالتعظيم والمنة*، وفي قوله *لَتُومِنُنَّ به وَلَتَنْصُرُنَّه*، فكل أمة تابعة له صلى الله عليه وسلم وهو أسُّ نظامها، وبدر تمامها، وفارسُ أعلامها، ولا تنفع إلا الاستغاثة به في كل ما عسر على المرء من عيوب نفسه كالكبر وحب العلو والجاه.

وقال نعالى: «*تلكَ الدَّارُ الآخرة نَجْعَلُهَا للَّذينَ لاَ يُريدُون عُلُوًّا*» الخ. وأصل الادعاءات كلها حب العلو. وفى الصحيحين والنسائى واللفظ للبخاري عن أبي هريرة: قيلَ يَا رسولَ اللهِ: (مَنْ أكْرَمُ النَّاس قال: أتْقَاهُم. قالوا لَيْس عَنْ هذا نَسْألُكَ، قال فعن مَعَادنِ العَرَب تَسْألُوني خيَارُهُم في الجاهليَّه خيارُهم فِي الإسلام إذَا فَقِهُوا)انتهى. قال القرطبي: وفي حديث آخر كمعادن الذهب والفضة، وهو مثل وجه التمثيل أن المعادن نشتمل على جواهر نفيسة وخسيسة، وكل معدن يُخرج ما فى أصله، وكذا الناس يظهر على كل ما في أصله، فمن له شرف فى الجاهلية فأسلم لم يزده الإسلام إلا شرفًا، فإن تفقه في الدبن وصل الغاية في الشرف لاجتماع أسباب الشرف كلها، وعلبه يصدق خيارُهم فى الجاهلبة الحدبث، وقال الأُبِّي بعد نقله المقصود إنما هو بيان الخيار في الإسلام لا الخيار في الجاهلية لأنه لا يترتب عليه أحكام، فيتعين أن خياركم في الإسلام مبتدا، وخياركم فى الجاهلية الخبر. انتهى.

قلت: وفيه نظر، إذ لا يتعىن، لأن قوله خياركم في الجاهلية هو المبتدأ وخياركم في الإسلام هو الخبر بالشرط الذي في قوله إذا فقهوا، فإن لم بفقهوا لم يكونوا خياراً. هذا هو الظاهر. قال النووي يعنى أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهليـة إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس. ثم قال النووي: والفضيلة فى الإسلام بالتقوَى، لكن إذا انضَم إليها شرف النسب زادت فضلا. وفقهوا - بضم القاف - على المشهور، وحكي كسرها، أي صاروا فقهاء عالمين بأحكام الشريعة الفقهية. فإن قيل ما قدرتم من أفضلية العرب على العجم ينافيه أحاديث وردت وهي مذكورة في كتب العلماء، منها قول جابر: خطَبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أواسط أيام التشريق خطبةَ الوداع فقال: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إنَّ رَبَّكُم وَاحدٌ وَ إنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ لاَ فَضْل لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجمِيٍّ ولا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عربي ولاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ولاَ

لأَسْوَدَ على أَحْمَرَ إلاَّ بالتَّقْوَى. إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّه أَتْقَاكُم. أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ. قَالُوا بَلَى يَارَسُولَ اللَّه، قَالَ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ) الحديث رواه البيهقي. ومنها حديث عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" (إنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذه لَيْسَتْ بِسَبَابٍ عَلَى أَحَدٍ وإنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ، لَيْسَ لأَحَدٍ فَضْلُ عَلَى أَحَدٍ إلاَّ بالدِّين أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ. حَسْبُ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَخِيلاً بَذِيًّا). وحديث أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (انْظُرْ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلاَ أَسْوَدَ إلاَّ أَنْ تَفْضُلَهُ بالتَّقْوَى) وحديث أبي هريرة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ اللَّهَ أذهبَ عَنْكُمْ غبية الجاهليَّة وَفَخْرَهَا بالآبَاء. النَّاسُ بَنُو آدَمَ وآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، مُومِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فاجِرٌ شَقِي، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ برِجَالٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّه مِنَ الجِعْلاَنِ الَّتِي تَدْفَعُ النَّتْنَ بِأَنْفِهَا).

قلنا كل هذه الأحاديث لا تصلح للاحتجاج. أما حديث جابر الأول وهو قوله خَطَبنا فرواه البيهقي وقال في إسناده بعض من يُجهل ونقله المنذري. وأما حديث عقبة بن عامر فقال المنذري رواه أحمد والبيهقي كلاهما من رواية من رواية ابن لهيعة، وابن لهيعة هذا هو عبد الله الحضرمي قاضي مصر، قال الذهبي في *مختصر التهذيب* العمل على تضعيفه، وقال ابن حجر له في التدليس: اخْتَلَط في آخر عمره وكثر عنه المناكر في روايته، وقال ابن حبان: كان صالحا ولكنه يدلّس على الضعفاء. وأما حديث أبي ذر قال المنذري رواه أحمد ورواته ثقات مشهورون إلا أن أبا بكر بن عبد الله المزني لم يسمع من أبي ذر. وأما حديث أبي هريرة فسكت عنه المنذري وقال أخرجه أبو داوود والترمذي والبيهقي بإسناد حسن، وقد علمت أن درجة الحسن نازلة عن الاحتجاج، وذكر ابن حجر مثله في كتاب المناقب من شرحه للبخاري عن ابن عمر قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال: (أما بعدُ يا أيُّها الناس، فإنَّ اللهَ أَذْهَبَ عنكم غببية الْجاهليَّة وفَخْرَها بالآباء. يا أَيُّها الناسُ مومنٌ تقيٌّ كريمٌ على الله، أو فاجرٌ شقيٌّ هيِّنٌ على الله، ثم تلا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ الخ). قال ابن حجر ورجاله ثقاة إلا أن ابن مردوية ذكر أن محمد ابن المنبري رواية عن عبد الله وجاء عن موسَى بن عقبة، وإنما هو موسَى بن عبيدة، وابن عقبة ثقة، وابن عبيدة ضعف وهو معروف برواية موسَى بن عبيدة. انتهَى كلام ابن حجر.

فإذا تقرر هذا تبين أن لامعارضة بين هذه الأحاديث وبين الأحاديث المتقدمة في الدلالة على أفضلية العرب لقصور هذه المعارضة لها وضعفها لأن المتقدمة مشتملة على الصحيح وغير ذلك مع كثرتها. فإن كان مراد صاحب الترجمة أن لا يُهانَ واحد من المسلمين من أي جنس كان ولا يحقر ولا يبغض منه ولايترفع عليه ولا يؤذي بشيء لم يلزمه شرعا ولا يُتطاول عليه بالنسبة العربية وغير ذلك فصحيح. وهو واجب على كل مسلم، وبه ندين الله، وهذا ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى: « النَّبِيءُ أَوْلَى بالمُومنينَ» وفي الحديث المشهور: (والذي نَفْسِي بِيَدِه لأَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُومِنٍ مِن نَفْسِه، اقْرَؤُوا إِ ن شِئْتُم:

النَّبِيءُ أوْلَى بالمومنينَ من أنفسهم) الحديث. ولا يُعَيِّرُعمن هو حديث عهدٍ بالإسلام بشيءٍ مما يؤذيه إلاَّ مَنْ لا حَيَاء فيه. ولقد رأيت منهم أقواما خيرين دينين ولهم مروءة، ولابغضٌ منهم إلاَّ مَن لا أخلاق له ومَن لا يبالى بدينه. وإن كان مراد صاحب الترجمة إنكار محبة العرب ونفي مزيتهم، سيما من صحت فيهم الأحاديث كالأنصار وقريش وأهل البيت ومن في معناهم، فقد ابتدع بدعة شنيعة، ويُحكم عليه بما يُحكم على أهل الأهواء، وقد تقدم بيانه.

وأمّا التمسك بهذه البدعة بأنَّ مَن كان حديث عهد بالإسلام ومن فى معناهم دليلُ أفضليتهم بأنهم من بقايا بنى إسرائيل فيهم أولاد الأنبياء عليهم السلام كسيدنا موسَى وسيدنا هارون وسيدنا زكرياء ونرفُعُهم بذلك على العرب وغيرهم من الأمة، فهذا من الضلال المبين والهوس الذي ليس فيه إلاَّ الخروج من الدين، لأنه غير ممكن إلا فمن هو مميز بالنص من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كزوجه أم المؤمنين صفية كما صح بذلك الحديث. وأما غيرها ممن لا نُميّزهُ النص فلا يمكن ثبوته ولا يوجد في ذلك إلاَّ مجردُ الادعاء والتوهم، لأن هؤلاء الأنبياء عليهم السلام كانوا قبل زمان الإسلام بقرون كثيرة وسنين متطاولة بعيدة، وكما لا يوجد نقل صحيح مما قبل الإسلام إلاَّ بالخبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكذلك نقل النسب لأنه نقل بالخبر ومندرج فيه. وقد قال الحافظ ابن حزم وغيره من أئمة هذا الشان: نقل الثقة عن الثقة يبلغ به المصطفَى مع الاتصال بخصوص المسلمين دون جميع الملل، أما مع الارسال والاعضال فيوجد فى اليهود لكن لا يقربون من موسَى قربنا من نبينا حيث يكون بينهم وبينه أكثر من ثلاثين نفسا، وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق انتهَى كلام ابن حزم. على أن هذا النقل المتوهم إنما هو يحكى عن اليهود ومَن في معناهم ممن دخل فى أهل الكتاب، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُم) كما في *الصحيح*. قال العارف ابن أبي جمرة عليه: ومنع الفقهاء تصديقهم مرة واحدة كان ذلك فى كتبهم أو غيرها من الشهادة. ثم قال بعد كلام: فحصل من كلا الوجهين العمومُ لعدم صدقهم على الاطلاق، وهذا هو الحكم وعليه السلف انتهَى. وقال ابن سيرين إن هذا الأمر دين فانظروا عمن يأخذوا (كذا) دينكم، وقال عبد الله بن المبارك الإسناد من الدين، ولولا أن الإسناد من الدين لقال من شاء ما شاء، ذكره مسلم فى خطبة صحيحه. وقد حذّر العلماء من الإسرائليات وتركوا رواية مَن كان يخالطها مخافة إدخال شيء منها في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد بالغ العرب في حفظ أنسابهم وخصوصا بنى هاشم من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن، ونقلوه بشهادة أئمة كل زمان، ومع ذلك لايوجد ما هو مسلّم إلا القليل بالنسبة لما لا يسلم منه، مع اعتناء المؤلفين فى التاريخ بذلك والتنبيه عليه في كتبهم، إلى غير ذلك مما ليس هذا محله. فكيف يعتبر بما هو بمجرد الادعاء أو بالاستناد إلى شبهة كافر معلوم بالتبديل والتغيير والتلبيس من أول نشأته، فلا حول ولاقوة إلا بالله. وهذا ما ظهر في تقرير حكم المسألة في الخارج. وأما الإنسان في خاصة نفسه سواء كان عربيا أو

غبره فلا يطمئن لشيء ولا تسكن نفسه لمزية وإن كانت له فيها منزلة بمقتضَى الظاهر، فإن الأمر عند الله تعالى مغيبُ عنا، ولا نتحقق درجة من درجات التعظيم من شرف وعلم وولاية إلا بحسن الخاتمة. قال العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي: ينبغي لكل أحد له فضيلة وُعد عليها في العُقبَى أن لا يقطع بذلك لنفسه، فإن شرط ذلك الإيمان عند الله، وهو غيب لا يقطع به لأحد إلاَّ مَن ميزه النص. على أنّ مَن تحقق قبضةَ الحقِّ تعالى لا يسكن لوعد وُعد به، وبه تفهم قول سيدي عبد السلام بن مشيش: وألْحقْني بنسبه، فإن الطيني مشروط بالديني، وهو غيب. وكذا ما ورد في قبول الطاعات والدعاء. وادخاره فإنما هو فيمن علم منه خاتمة الإيمان ونفذت بذلك قدرته ومشيئته. وأما أحد في خاصته فلا يصح له الجزم والقطع بذلك لنفسه ولا لغيره. وقال شيخنا أبو الحسن: وقد أُبْهِمْتَ علينا الأمر لنرجو ونخاف، وذلك سر العبودية، وبذلك تنقطع الآمال إلا من الله، وبتحقق الرجاء والاعتماد عليه انتهَى كلامه. ولم تزل هذه أحوال الناس من وجوه العرب وعظماء الأخيار من أهل البيت وغيرهم، فقد كان سيد أهل البيت سيدنا الحسن بن علي - رضى الله عنه - حليمًا ورعا فاضلا دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله وقال: والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني أنْ أَليَ أَمْرَ أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أن تُراق في ذلك محجمةُ دم، فعوضه الله تعالَى مُلك الآخرة بأن كان هو أول الأقطاب، وجعل الخلافة في عقبه الشريف، وأظهر الله عليهم بركة ذلك، رحمنا الله بفضله آمين) (529).

مَحمد بن أحمد بن محمد ميارة

ومنهم العالم العلامة المشارك المحقق الدراكة الفهامة (أحد أعلام الفقهاء، وأكابر النبهاء، وأفاضل الوجهاء) (530) أبو عبد الله سيدى مَحمد - بالفتح - بن أحمد بن الشيخ (شارح العاصمية) (531) سيدي محمد ميارة الفاسي، تقدمت ترجمة جده المذكور عام اثنين وسبعين وألف. كان لصاحب الترجمة تحقق في العلوم العقلية، ودراية تامة في العلوم النقلية، وحفظ في النوازل، وكان إليه المرجع في فتاوي فاس وحوادثها، وكان موثوقا به في سائر أموره (عند الخاصة والعامة) (532) ولي أولا الشهادة في أوقاف المساكين، ثم ولي النظر في مُحاسبة نُظار سائر الأحباس. وكان يتعاطَى الشهادة، مقصوداً في مهماتها، مُعتمداً في مسائلها، وكلّ ما كان يرجع فيه للعلماء بفاس لا يجاوزه. (وأخبرني من حضره مع السلطان الخليفة أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل الشريف الحسني السجلماسي وهو يقول له: افصلني مع إخوانك، يعني أهل فاس، إذ كانوا حينئذ لا يُذعنون إلى أحكامه، وقد صرحوا بمخالفته في أمور، فقال له إني لم أسمع كلامهم، يريد أَن القاضي لا يحكُم إلاّ إذا سمع كلام الخصمين معا، والسلطان أحدهما، والآخر هم أهل فاس وهم

529) هنا ينتهي البتر الموجود في س و ك، وهو المتعلق برد المؤلف على شعوبية ابن زكري

530) ما بين معقوفتين ساقط من ط

531) زيادة في ط.

532) ساقط من ك و س.

غائبون. قال المُخبر، وهو والدي الخياط بن محمد القادري الحسنى وهو الذي أخبر المؤلف بهذه الحكاية بمحضري،: فدخلني دهش حتَّى أترقّب البطش بنَا لمَا واجهه به مع ما هو عليه من شدة البطش ونفوذ الكلمة وصولة الملك وكثرة الأتباع. كاَن لَه في السبع سنين الأولى من خلافته من الأتباع ثلاثون ألفا. وكان والي فاس الرئيس الروحي يستشيره في حوادث ولا يثق إلاَّ به، فكان لا يحيد عن الحق في شيء معلوم ذلك منه) [533] وكان صاحب سمت حسن وذكاء وفطنة تامة، وكان مهابا محببًا للعامّة والخاصة. توفي رحمه الله في خامس عشر المحرم عام أربعة وأربعين ومائة وألف، ودفن بمقبرة جده بأقصَى درب الطويل عدوة فاس القرويين.

من حوادث السنة

رحلة السحاقي الحجازية

ومن حوادث هذه السنة [534] (أن ألّف الشرقي السحاقي رحلة في حج خناتة حسنة جداً، وكانت فقيهة من القراء، تُحسن القراءات السبع، قرأت على الكاتب السيد محمد المكي الدكالي، توفي في أوائل العشرة العاشرة من الثاني عشر بعد ألف (كذا). والسحاقي توفي بعد الخمسين ومائة وألف) [535]. وكان رجوع أم مولانا المنصور بالله أبي محمد عبد الله بن مولانا إسماعيل الحسني مع حفيدها المنصور بالله أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله الحسني من الحج، واليمن والسلامة يصحبهما، والبركة والخير معهما.

حركة السلطان لأيت يمور

حركة السلطان لأيت يمور، وأتَى فيها بيوسف الحنصالي الذي كان سببا في القيام على أخيه مولاي عبد المالك فقتله شر قتلة ومنع من دفنه حتًى تمزقت أعضاؤه، فعل به ذلك لئلا يتوهم ضعفة العقول من أصحابه أنه لم يمت لأنه كان يخالط علم الحدثان. وقد حُكي لنا أنه قال له حين قتله: أردت أن لا أقتلك لكن خفت أن أتركك يقال إن جنونك غلبني. وقويت رهبة السلطان في قلوب الناس، وعظمت همته، وضخم ملكه، وصار له المغرب كالزيت، وقتل الطغاة من سائر قبائل المغرب، وشدد المغارم على أهل فاس أمر يطول شرحه [536]، ولم يخرج منهم إلا الشرفاء والمرابطين والطلبة، فأخذ منهم إلا الشرفاء والمرابطين والطلبة، فأخذ منهم مالا كثيرا مع الحركة إلى سبته.

---

533) ما بين معقوفتين ساقط من ط، ثابت كله في صلب س، وبعضه في هامش ك، لعله بخط ابن عم المؤلف، محمد بن الحياط القادري صاحب التقاييد التاريخية المشهورة وفيما عدا ذلك نختلف ألفاظ المخطوطتين مع ط في بعض الألفاظ والتراكيب.

534) حوادث هذه السة سافطة من ط.

535) ما بين معقوفتين لا يوجد إلا في س وحدها

536) في هامش ك و س طرة نصها. أخذ جميع الزرع ولم يترك لهم سوَى ربع وسق على يد قائده ولد المجاطية ابن موسَى المجاطي صاحب الطابع، وكان عامل فاس عبد اللطيف بن عبد الله الروسي، فلم يعلم ما أخذه المجاطي من فاس من الررع، فسأل السلطان الروسي عن ذلك فلم يجد عنده علماً فقتله، وولى مكانه محمد بن علي ويشى الزموري فأخذ من أهل فاس من الأموال والمغارم والوظائف ثمانية وعشرين ألف مثقال فضة من عشر أواقي. ولا حول ولا قوة إلا بالله

محنة تجار مع فاس مولاي عبد الله [537]

وبعث – مولاي عبد الله – قائده عبد الرزاق بن على ويسي الزموري لفاس وقبضهم في المال أجمعين، وجعلهم في السجن وكلفهم بدفع المال فورا. فمنهم من أعطى عشرة آآلاف مثقال، كالحاج حدو ابن زاكور والحاج على الحريشي والحاج محمد الزربهني والحاج عبد الرحمان اللبار، ومنهم من أعطى أربعة آلاف مثقال، ومنهم من أعطى ثلاثة آلاف مثقال إلى الخمسمائة مثقال وهكذا. وعم ذلك جميع وجوه الناس وفُتنوا بذلك غاية الفتنة حتَّى دفعوا على ماقيل قنطار [538]. وعشرين قنطارا من المال. وبعد ذلك بشهرين أو ما يقرب منهُمَا قتل السلطان مولانا عبد الله عبد اللطيف الروسي، وبعث القائد محمد وعلى ويشي أخا عبد الرزاق المذكور، وجعل أيضا يقبض التجار على السروج، فمنهم من أعطى ألفين مثقالا، ومنهم من أعطى ألفا، ومنهم من أعطى خمسمائة إلى المائة مثقال إلى الخمسين مثقالا. وبعد الفراغ من قبض حق السروج جعل يفرض الهدية التي كانت تعمل له من الشهر إلى الشهر، وهو يقبض أهل المدينة ويعذبهم على ذلك بالسجن والضرب المؤلم الموجع الشديد، والناس معه في العذاب الأليم. وكان يقبض النساء ويسجنهم ويضربهم (كذا) الضرب الفاحش، ويباشر ذلك الأرذال، والفساق من أصحابه الأنذال. ودام ذلك الأمر على الناس نحو السنتين إلى أن فر هو و أصحابه من فاس بانقضاء دولة مولانا عبد الله من الملك. وحُكي عمن يوثق به أنه قتل في مدة خلافته هذه من المخلوفات سبعة آلاف، وقتل كبراء الدولة من العبيد وغيرهم من أحرار القبائل.

تذكوة المحسنين

مَحمد بن أحمد مَيَّارة

العلامة الهمام سيدي مَحمد بن أحمد مَيَّارة ضحوة الجمعة خامس محرم من السنة.

محمد بن عبد الرحمان ابن زكْرِي

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر صفر توفي العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان ابن زكْرِي.

---

537) النص التالى انفردت به *الحوليات*، (ص 37) وقد ورد فيها - فى هذه السنة والتى قبلها - أن خناثة بنت بكار رأت في حجها من ثراء الفاسيين ورفاهيتهم ما أحفظها «فأغرت بهم ولدها السلطان مولاي عبد الله، وحرضته على أخذهم ونهبهم بكلام يوغر الصدور، ويثير النرور».

538) كذا فى الأصل ولعل الصواب: مائة قنطار

العام الخامس من العشرة الخامسة

محمد الطيب بن مسعود المريني

فمنهم الفقيه الأديب، صاحب النظم العجيب، والنثر الغريب، المؤرخ النسابة الأرفع، العالم الصوفي الأنفع، أبو عبد الله سيدي محمد الطيب بن مسعود المريني (539)، من كبار الأدباء، وأعيان الفقهاء النجباء، وله تمسك بأهل الصلاح، وانحياش (540) لجانب الطريقة الصوفية، فألف تآليف، منها: *تبصرة الغافل وتذكرة العاقل*، جمع فيه من المواعظ والحكم ما ينبىء عن حاله من الفضل والعلم، ورتبه على خمسة عشر بابا، وقبله أعيان الوقت ومدحوه وأحسنوا الثناء عليه وعلى كتابه، فمنها ما كتبه عليه العلامة الصالح البركة الأنور أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان التادلي ما نصه:

الحمد لله الكريم الفتاح، عظيم العفو والفضل والسماح، فاتح أقفال الصدور، بمفاتيح السرور والأفراح، خص نسيم الأسحار بطبب الهبوب، فأحيا به القلوب، وأراح الأرواح. سقى بساتين أسرارهم، بعرف طيب أذكارهم، فعبق عن أنوارهم وفاح، وفَّقَ مَن شاء من عباده المومنين، لخدمة عباده الصالحين، فغاصوا بينات الأفكار، في تناهي التذكر والأذكار، واستخرجُوا دُرَرَ علوم أغنى سماعها عن نغمة الأوتار، و اقتطعوا من حدائق الفهوم أزهارها فبلغوا بذلك الأوطار، ورفعوا عن ذوات الحجب والأستار، وافتضُّوا من عرائس منح الله تعالى لهم حسناء الأبكار. والصلاة التامة المباركة على الواسطة لهم في كل مجد وفخار، الطيب المحتد والنِّجار، أشرف المخلوقات كلها براً وبحراً وسائر الأقطار، سيدنا ومولانا محمد النبي الهاشمي الطاهر المختار، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين، والرضى عن صحبه الأكرمين، وخصوصا المهاجرين والأنصار، وعن التابعين ومَن تبعهم باحسان في نفع المسلمين إلى انقضاء الآجال والأعمار، صلاة وسلامًا يتعاقبان ما تعاقب الليل والنهار. وبعد، فإن أخانا في الله وحبيبنا من أجله الفقيه النجيب الأريب الأديب خديم أهل الله، والمحب في جناب رسول الله، ذا العقل الثاقب، والقلب السليم المراقب للعواقب، حائز قصب السبق في الخلق الدنيوي والديني، أبا عبد الله محمد الطيب المريني، لما الهمه الله طريق الهدَى وسلك به سبيل الرشد وأعانه ووفقه، وأفصح لسان قلبه وأطلقه، ألف هذا الكتاب الذي عَثَر فيه على الصواب، وسحر بحسنه العقول والألباب، وجمع فيه عين المطّولات باختصار في أبواب، وسمّاه *باعانة القاصدين، وسراج نزهة المريدين*، وطلب مني أن أكتب عليه ما يوجب بيانه، ويظهر استحسانه. وسعادة المرء استعماله. قال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يُرِدِ

539) هذه الترجمة الطويلة لمحمد الطيب المريني ساقطة كلها من ط.

540) في ك: وانحياز ـ بالزاي.

اللّهُ به خَيْراً يَسْتَعْمِلْه) ، ويحمد الله المستعمل على ما استعمل فيه ممَّا فيه من رضى الله و صفاءَ قلب غيره وَقلبه، وسمعنه من أوله إلى آخره بِسرد مؤلفه ظنًّا منه أني ممن يحسن السباحة، في تلك البحار والسياحة، ولاسيما في هذه الصحاري والقفار، ولم أسد ولو خلت الديار. ولله در القائل:

إِذَا هَلَكَتْ أُسْــدُ الْعَــرِينِ وَلَمْ يَكُنْ   لهـا خَلَفُ فِي الجيلِ ساد الثَّعَالِبُ

ولما رأبت سؤاله إلحافًا، أولينه إسعافا، فوجدت كتابه كما يُظن بمؤلفه من النباهة والعقل، ويشهد له ما جمعه من الحكايات والروايات والأحاديث النبويات، والنقل من الداوين الصوفية وغيرها التي لا يحصيها وبلهم إلـها إلا النادر القليل، فقلت فيه أبياتا وإن لم أكن ممن يحسن الشعر من الطويل:

جمعت كتابًا في العلوم مباركا   جليلاً كثيرَ النفع للخير مرشدا
صحيحًا به الخيراتُ لاحت وأشرقت   بأنوارها تُبدي الرشادَ إلى الهدا
يفيد الورَى علمًا وحلمًا وحكمةً   وبشرح بالأسرار للناس أفيدا
تباركَ مَا أولاك مولاك ذو العطا   ونسأله أن لا تزالَ مُسدَّدا
هو البحر في علم الحقيقة فائضُ   ولكنه يَرْوي زُلالا مبرَّدا
ويخرج منه الدرُّ يسطَعُ نُورهُ   وغوصُه أهل المكارم والندا
فكن شاكراً خَبْرَ الإِلَهِ وبره   تَنَلْ فوق ما قد نِلْتَ علمًا وسُؤْددا

إلى آخره، فقد أطال.

وممن كتب على التألبف المذكور سدي الحاج أحمد بن علي الجرندي ما نصه:

يقول كاتبه الراجي عفو مولاه، الغارق في بحار خطاياه، أحمد بن علي الجرندي هداه الله سواء الطريق، وأوقفه على عين الصواب والتحقيق. قد طالعت (من) هذا الكتاب الحفيل ما أعجب، وحتَّم شكر مؤلفه وأوجب. قد اشنمل على أسلوب غريب، وحسن ترصيف وترتبب، جمع فيه ما افترق في المطولات، وضم أحاديث الوعظ للآيات، ومزج الماء السُّلاف، وحاد فبه عن التكلف والاعتساف، فبرز موضوعا غريبا، قرّب فيه المحتاج تقريبا، بنتفع به الشادي والمبتدي، ويتفطن لرموزه ذو القريحة المهتدي، فمطالعُ أنواره قد بزغت ساطعة، وحجج مسائله قد ظهرت باهرة قاطعة، فجزاه الله على هذا الوضع جزاء حسنا، وعوَّضه نفائس من الثواب ومِنَنا، ووفَّقنا وإياه لِمَا يُحبُّه ويرضاه، ويجعلنا ممن بتَّقيه

ويخشاه، بجاه نبيه الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ومما كتب على التأليف المذكور الفقيه العلامة المدرس سيدي محمد بن محمد المشاط ما نص الحاجة منه:

لمّا طالعت نبذاً من تأليف الأديب الأريب، سيدي محمد الطيب الدرّاكة النجيب، المسمى *بتبصيرة الغافل، وتذكرة العاقل*، وجدته قد وافق اسمه مسماه الخ. وكتب عليه جماعة من أعيان الوقت يطول جلب كلامهم. كالفاضي سيدي على بن أحمد الشدادي، وشيخنا العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناني، والمفتي النوازلي سيدي محمد بن حمدون بناني الملقب بالمحوجب، وغيرهم، وله تأليفان في فضل الأذكار وأنواعها وكيفية العمل بها، أحدها اسمه *نزهة الأفكار، في أنواع الأذكار*، وفيه قصائد جيدة من نظمه فى نحو الاستغفار (والطلاب) [541] والتصليات، والآخر اسمه ( )[542] وله *ديوان* مجموع فيه أنظامه موجودُ الآن بأيدي الناس يُتداول، وله *مقامة* في مدح سيدي أحمد بن عبد الله معن ، وأثنَى فيها على جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، ومما مدح فيها به كتابه *المقصد* قوله: لامُوا عليك وما دروا بالمقصد ورأوا ملامي للسلامة مرتدي

وتقدمت لصاحب الترجمة الكتابة مع الخليفة أمير المؤمنين السلطان مولانا إسماعيل، ثم ولاّه النقابة على أشراف المغرب والتقديم على جمعهم والفصل بينهم في الخصوص، فآل أمره إلى أن تنكر له السلطان وأمر بقتله، ثم إن الوزير الرئيس عبد الله الروسي أخفاه عن السلطان وأظهر له أنه قتله، وبقى بداره مقتصراً عليها، وسبل الله عليه ستره في الحقيقة ومنعه وكفاه ما أهمه ببركة حبه في أوليائه وأهل بيته. وكان من أهل الدين المتين، والمحبة في أهل بيت سيد النبيئين، وأولياء الله الصالحين، والانحياش [543] لجانب العلماء العاملين، وكان من أهل الولاية، والتعلق بسبب الهداية، فصحب الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، ثم لما طال أمره جعل يتعاطى الشهادة في سماط عدول فاس. وكان أهل المروءة يقصدونه لمواساته مع ما له من جودة اللفظ وحسن التبليغ في الوثائق لعرضة (كذا) قلمه وعلمه بالنوازل، فانتعش أمره ولم يستطع أحد أن يبلغ أمره للسلطان من شوكة الروسي إلى أن توفى السلطان رحمه الله و أسكنه من الجنان فسيحه، فقتل أهل فاس قائدهم أبا علي الروسي كما ذكرنا وزاكّ [544] قاضى فاس سيدي علي بن

541) زيادة من س.
542) بياض في الأصول بقدر ست كلمات.
543) في ك: والانحياز.
544) بمعنَى التجأ واحتمَى في اللهجة المغربية الدارجة.

أبي عنان في مولانا إدريس. وقتلوا أيضا المحتسب الطالب أحمد المحمودي، وكان من أهل العدل لا ضرر ولاضرار، فاتفق أهل فاس على أن يولوا صاحب الترجمة الحسبة لعلمه بها والقيام بحقها وثقته وورعه، ولما رأوا من عدله في ولايته النقابة، فطلبوا منه ولاية الحسبة فوليها وصلحت تلك الخطة بولايته، وسار بسيرة العدل. ثم تعرضت له عوارض عزل نفسه عنها ورجع لتحمل الشهادة مقصودا مشهوراً إلى أن توفي بفاس عام خمسة وأربعين ومائة وألف، ودفن خارج باب الجيسة حوز سيدي مسعود الشراط أحد أبواب مدينة فاس القرويين.

علي بن أحمد الحريشي

منهم (العالم المدرس) [545] الوجيه أبو الحسن على بن أحمد الحريسي - بضم أوله وفتح ثانية فياء تحتية ساكنة على صيغة المصغر بياء النسب - الفاسي داراً ومنشًا وقراراً. أخذ عن سيدي عبد القادر الفاسي وولديه أبي زيد سيدي عبد الرحمان وسيدي محمد. كان لصاحب الترجمة إقدام على التصنيف، فشرح الموطأ للإمام مالك. والشفا للقاضي عياض، وشمائل الترمذي، واختصر الإصابة، ونفح الطيب، وتخريج أحاديث النصحة وبعض أهل عصره لم يذعنوا له ولم يسلموا له، وأكثروا عليه من القيل، حتَّى قال فيه عبد الله بن العلامة سيدي عبد السلام جسوس منظومة، منها:

قُل للحُريشي الجهولِ الذي ... يزعمُ أنْ صَنَّفَ شَرْحَ الشِّفا
نَسَخْتَ شُرُوحَ الأُلى سَلَفُوا ... ولَفْظَهم في نقولها حرفا
قَصَدْتَ أنْ تَمْحُوَ آثَارَهُمْ ... فَمَا عَدا أنْ زدتَّهمْ شَرَفا
فقل لِمن بيتني المنازل (كذا) ... ونسودْ من سُخفك الصُّحفا
فليس ذا وكرك فادْرُج فَلَنْ ... تَعْدُوَ قدراً لك قد عُرفا
حسبُ الشفا القاضي الشهابُ الّذي ... قَضَّضَهُ اللّه لهُ واصطفا
وحسبه الدّلجي وتالِفُهُ ... كذا ابنُ مرزوقٍ لِما شنّفا
إنْ صَرْصَرَ البازي فلا ينبغي ... للدِّيك ما يعنُوه أن يهتفا
فاضرب بما أَلّفته بحجايا (كذا) ... يا من رأى أن نَعْتَلي فاختَفا
والبيت بالبيت معْ زمزم ... والحجرُ الأسود ثمّ الصَّفا
لو علِمَ القاضي أبُو الفضلِ أن ... ستستطيعُ الشّرحَ ما ألّفا
أو علِمَ إمامُنا مالكْ ... أن الحُريشي شارحُ لاختفى

545) زيادة من ط.

وحذفت من هذا النظم ما فيه زيادة أغراض ومبالغة فيه، لأن بين الناظم ووالده وبين صاحب الترجمة عداوة لا حاجة في إيرادها ولا في تعيين سببها. وما أشار به الناظم إلى قصور صاحب الترجمة عن هؤلاء الأعلام المذكورين في النظم كالشهاب (546) والدَّلْجي (547) وابن مرزوق (548) لاشك فيه لأنه اشتهر عند أهل العصر بأن لا يجابه لقصور لسانه عن تحرير العبارة (كذا) وعدم ممارسته للعلوم التي يفتقر التدريس إليها، وكونه لم يظهر لشرحه فائدة مع وجود شروح من ذكر. وقد سمعت ممَّن أثق به أنه حضر بعض أعياد السلطان بمكناسة مع جماعة من علماء الوقت فأحضر صاحب الترجمة شرحه للشفا وناوله لسيدي لحسن بن رحال المعداني فطالع منه ما تيسر ثم قال له: لم نعثر فيه على شيء من كلامك حتّى نعلم صحة قولك من بطلانه، وإنما نقلت كلام الشُّراح خاصة ولم تقل أنت شيئا (549) .
واستجازه شيخنا سيدى أحمد بن مبارك السجلماسي عن سيدي عبد القادر الفاسي، عن عم أبيه سيدي عبد الرحمان، عن القصار، (عن سيدي رضوان، عن سُقَّين، عن زكريا ء، عن ابن حجر بسنده إلى البخاري، فإن ذكر هذا السند تبركًا فمسلم، وإن كان بقصد اتصال روايته ففيه نظر) (550) لأنه لم يتصل بالسماع، بل تخللته الإجازة في مواضع كما في فهرسة القصار المذكور (551) .

توجَّه صاحب الترجمة للحج، وتوفى بالمدينة، ودفن في البقيع الشريف عام الترجمة.
وكان يتردد للرئيس عبد الله الروسى ودفع له ولده الفقيه عبد القادر فاستخدمه الروسى كاتبًا عنده لجودة خطه وحسن ترسيله وحرصه على القيام بذلك المقام، فنال صاحب الترجمة من الوجاهة بسبب وقوف ولده في تلك الباب الغاية بحيت نفذ الاحباس الموقفة على كراسي التدريس بغير أن يكون لذلك التدريس أهلا ودفع بخدمة ولده للروسى عن نفسه وأهله إذاية أهل الشُّرط والتكليف والتقية من عمال فاس. وما ذكرت هذا تنقبصا منه (552) .

---

546) يعنى شهاب الدين أحمد بن حسين بن رسلان الرملى الشافعى المتوفى عام 844 صاحب التعلقة الجيدة على الشفا.
547) يقصد شمس الدين محمد بن محمد الدلجى الشافعى المتوفى عام 947 مؤلف كتاب الاصطفا لبيان معانى الشفا
548) يريد أبا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني المتوفى عام 781 المعروف بالخطيب.
549) هنا في هامش ك طرة نصها: «الأولى أن يشرح بما يظهر له من كلامه، ثم ينقل ما دعته الحاجة إليه، وإلا فلا يكون شرحاً، وإنما يكون جمع مجموعاً فيه كلام غيره».
550) ما بين معقوفتين ساقط من ك و س.
551) هنا في هامش ك طرة أخرى نصها: «وقد سمعنا صحيح مسلم دراية عن شيخنا مولاي إدريس العراقي عن الحريشي هذا بهذا السند».
552) ترجمة الحريشى في ط مختصرة خالية من المنظومة الهجائية والتعليق عليها، ومن القسم الأخير المتعلق بالاتصال بحاكم فاس الروسي.

أحمد بن يوسف الفاسي (553)

ومنهم السيد الفقيه أحمد بن يوسف بن العلامة سيدي محمد بن بوعسرية بن علي ابن العارف سيدي يوسف الفاسي. تقدمت تراجمهم. ولد عام واحد وسبعين وألف، وتوفى عام خمسة وأربعين ومائة وألف بتطاون، وبها دفن بزاويتهم.

أحمد بن عبد الرحمان الفاسي (554)

ومنهم الوجيه سيدي أحمد بن الحافظ أبي زيد عبد الرحمان بن سيدي عبد القادر الفاسي. تقدمت ترجمة أبيه وجده. كان صاحب الترجمة رئيس حرمهم بعد وفاة أخيه سيدي محمد ووليّ زاويتهم الكائنة بحومة القلقليين، فأدرك بذلك الوجاهة وصار معظما ملحوظًا مقصودا في الحاجات والنوائب، ويتحصن به من البلاء والمصائب، مع سخاء ومروءة.

ولد عام تسعين - بتقديم التاء - وألف، وتوفي عام خمسة وأربعين ومائة وألف، ودفن بزاويتهم بالقلقليين من فاس القرويين.

—— *** —— ***—— **تذكرة المحسنين** —— *** —— ***——

أحمد بن عبد الرحمان الفاسي

الفقيه سيدي أحمد بن الإمام سيدي عبد الرحمان بن الشيخ الأكبر سيدي عبد القادر الفاسي، في واحد وعشري ربيع الثانى من السنة، ودفن بالزاوية.

553) هذه الترجمة ساقطة كلها من ط.

554) وهذه الترجمة أيضا لا توجد فى ط.

العام السادس من العشرة الخامسة

أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني

فمنهم الفقيه الصوفي الأثير، الناظم الناثر الأديب الشهير، أبو العباس سيدي أحمد ابن الفقيه عبد الوهاب الوزير الغساني النِّجار، الأندلسي الفاسي الدار . كان رضي الله عنه له مشاركة، وله معرفة في علوم الحديث والسير والتاريخ والأنساب وطريقة الصوفية، أعجوبة الزمان في صنعة الإنشاء والترسيل، وممن عليه فيها المدار والتعويل، يسحر الألباب، ويأتي بالعجب العجاب، وله عارضة متسعة في التأليف، فألّف كتبًا عديدة، جامعة مفيدة، فمنها: حاشيته على الكلاعي بلغ فيها إلى خلافة أبي بكر وتوفي قبل إكمالها، وشرحُ على الهمزية، وشرح على البردة في مجلد كبير، وقد التزم فيه كلام الأليوري والعقباني والشطيبي بعد شرحه بما يظهر له. أرخ تمامه وكان الفراغ منه عند طلوع فجر يوم الأربعاء الثالث والعشرين من جمادى الثانية عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف، وهو شرح مفيد جدا. وتأليف في مناقب سيدي أحمد بن عبد الله سماه المقباس *في فضائل أبي العباس، وجلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي*. وله مقصورة في مدح سيدي أحمد بن عبد الله، *وشرحها* في سفرين، *وشرح الحزب الكبير* للشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي، وشرح *صلاة مولانا عبد السلام* بن مشيش، *وعوارف المنة فيمن شُهد له بالجنة*، وقصيدة مدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أهل الطريقة بعده إلى شيخه سيدي أحمد بن عبد الله الذين هم واسطة وسندُ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو مائة بيت، *وشرحها*. ومطلع هذه القصيدة:

أحْمَدُ مَنْ عَمَّ الورَى فَضْلُهُ   سبحانَهُ المُعطِي بغير سؤال

يزيدُ الإيمانَ في قلوب مَن   شَاءَ هُداهُ ربُّنا ذُو الجَلال

وله *تقييد* في التعريف بسيدي محمد المسناوي الدلائي، *وتقييد* في التعريف بجدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. وله أنظام كثيرة، ورسائل برع فيها، وله خُطب، كثير التقبيد في أنواع العلوم ونحو ذلك، وكان مبرزاً للشهادة مقصودا فيها، وله ملكة ومهارة في كتابة الوثائق على اختلاف أنواعها وكثرة اتساعها، ما شيئت من فصاحة وبيان، وضبط وتحقيق وإتقان. ولما توفي الفقيه الخير الدين الأريب اللبيب أبو الحسن سيدي علي الخميري الأندلسي إمام زاوية سيدي محمد بن عبد الله معن التي بالمخفية من فاس الأندلس، ولى صاحب الترجمة الإمامة بها، فكان يصلي بها الأوقات الخمس. وكان ممن يحضر الصلوات بها سيدي أحمد ابن عبد الله معن، وسيدي أحمد اليمنى، فلهذا كان يقال لصاحب الترجمة إمام الأحمدين، وكان يسرد بها *صحيح البخاري* بعد صلاة العصر، ويختمه

في كل رمضان ختمة مخصوصة. وكان فصيحا فكان يورق *كتاب الكلاعي* في السير بين العشاءين، وهو الذي صلّى على الأحمدين، وكان عادة أصحابها إذا مات أحدهم يشيعون جنازته من داره إلى الجنان الذي اتخذه أصحاب سيدي أحمد بن عبد الله معن لدفن موتاهم خارج باب الفتوح أحد بابى عدوة فاس الأندلس، ثم يصلي عليه إمام الزاوية من غير مرور به للقرويين والأندلس ليصلّى عليه بهما. وكان يُرافق سيدي أحمد بن عبد الله إذا سار لبعض ضرورياته. فقد أخبرني شيخنا سيدي محمد الكبير بن محمد السرغيني أن صاحب الترجمة أخبره أنه مرّ مع سيدي أحمد بن عبد الله مرة بسوق الخميس لبعض المقضيات، ولما رجع اختار سيدي أحمد ابن عبد الله المرور على باب الحديد فاراً من ازدحام الناس عليه، وكان لا يحب الشهرة، فلما مروا بالمحجّ المذكور خرج معهم اليهود جماعة فجماعة يقبلون يدي سيدي أحمد بن عبد الله، فقال سيدي أحمد لصاحب الترجمة هذا جزاء مَن يفرُّ من المسلمين، كراهةً لما تسلط عليه من اليهود. وبقي صاحب الترجمة إماما بالزاوية إلى أن مرِض فاستناب غيره في الإمامة، وكان يصلي بها إلى أن توفي. أخبرنى ولد أخيه العدل الأفضل، الأوجه الأمثل، سيدي عبد السلام بن عبد الوهاب الوزير، وتقدمت ترجمة والده، أن عمه صاحب الترجمة ولد حدود سبعين وألف، وتوفي ثاني ربيع الأول عام ستة وأربعين ومائة وألف، ودفن بالساحة المزلجة المتصلة بقبة، سيدي محمد بن عبد الله معن خارج باب الفتوح أحد بابي عدوة فاس الأندلس [555].

الحسن الصنهاجي

ومنهم سيدي لحسن الصنهاجي، لا معرفة لي به ولا بحاله دفين (في دار براح زعموا أنها له على يد صاحبه سيدي أحمد بن محمد الوراق الصقلي الحسيني) [556] برحبة الزبيب بين مسجد الرحبة المعلق ومسجد العقبة الزرقاء المعلق أيضًا الأسفل، واتخذت الدار التى دفن بها مقبرة ويتبرك به الآن.

555) ترجمة أحمد بن عبد الوهاب الوزير هذا مختصرة فى ط بأقل من نصف ما هنا المنقول عن ك و س.
556) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

العام السابع من العشرة الخامسة

محمد المُدَرَّع

فمنهم الولى الصالح البركة العابد الزاهد الورع الفقيه الأستاذ المقرئ المجود المحقق الأنصح الأنفع، أبو عبد الله محمد المدعو المدرع، الأندلسي النجار، الفاسى القرار. كان متجرداً للعبادة والذكر لا يفنر عنه أصلاً، وكلما كلمته أجاب لا إله إلاّ الله ملازماً لمسجد الأندلس أو القرويين، متبحراً في التصوف محققاً فى الطريقة، مرتبة أوراده لا يغفل عنها، وجهته كلها لمولاه، لايدع مراقبته في علانيته ونجواه. أخذ طريقة القوم عن العارف المحقق سيدي محمد بن أحمد الدريج التطاونى (557)، وهوحرّرها وتأدب وتربي بالشيخ سيدي أحمد بن عبد الله وسيدي أحمد اليمني، وشاركه فى الأخذ عنهما. وتوجه للحج فلقى مشايخ ورأى منهم أمراص عظيماً. [وحُكى عنه أنه لما كان فى المواجهة النبوية أحسّ بذاته انحلت حتّى صارت كالماء لما أدركه من عظيم المواجهة النبوية، وبقي طريحاً فإذا بشَيخ من شيوخ الشرق جعل يده على بعض مفاصله فانجمع ورجع إلى ما كان عليه وقال له: مالك يا مغربي؟ إن الرجال تُقيم هنا أبداً ولا يظهر عليهم هذا، وجعل كلما جعل يده على موضع من جسده رجع إلى معتادة حتى انجمع كله، فكان يقول: لا أنساها له أبداً، لأنه أغاتنى. وحج مراراً. وفي عام ثمانية وعشرين ومائة وألف صحبه في طريقه للحج والدي وعمي القاسم فانفصلا عنه وتركاه مجاوراً بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام] (558). وكان لصاحب الترجمة أصحابٌ وأتباع وجلساء يرافقونه سفراً وحضراً، إذ كان شديد الاعتناء بزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش، وبقي كذلك يزوره كل عام إلى أن توفي. وكان قبل ذلك شديد الاعتناء بزيارة سيدي أبي يعزَى. [وحدتني والدي غير ما مرة أنهُ خرج وجماعة من الأشراف أهل فاس، منهم من أبناء جنسنا أبي وعمي قاسم وابن عم أبي عبد القادر بن العربي، وأبناء عم جدنا محمد وعبد الله بن أحمد مع صاحب الترجمة في ركب من الزائرين لسيدي أبي يعزَى، إذا هم في بعض الفلوات ضلّوا عن الطريق، وكان المحل مخوفاً جدا، فجعل بعض الأشراف يسب سيدي أبا يعزَى أقبح السب ويقول له تتركنا تائهين ولا ترشدنا للطريق، فأخذ والدي يزجره عن ذلك، فبينما هم كذلك إذ أقبَل عليهم فارس راكباً على فرسه، فلما رآهم قصدهم بالجري على فرسه، فلم يشكّوا في الهلاك لظنهم أنه مُدلٌ للّصوص. فلما وصل إليهم سألهم من أنتم؟ فقالوا نحن زائرون سيدي أبا يعزَى، فأكب على أيديهم وأرجلهم يقبلهم ويطلب منهم الدعاء، فقالوا له ما شأنك؟ فقال كنت نائماً في خيمتي الساعة، فرأيت رسول

557) كذا فى ك و س. وفى ط: التطوانى.

558) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو جالس كهيئة القاضي وقوم يتحاكمون إليه، فلما قربت منه قال: أين أبو يعزَى؟ فجاؤوا به إليه صلى الله عليه وسلم وأبو يعزَى كالمقبوض في أيديهم فقال له صلى الله عليه وسلم: أتترك أولادي يتيهون وهم جاؤوا يزورونك؟ اذهب إليهم وأرشدهم للطريق فهم في الشعبة الفلانية الشعبة التي وجدهم فيها، فخرج أبو يعزَى وأخذني من يدي وقال لي: اذهب إليهم وأرشدهم للطريق، فجئت إليكم، وصاحب الترجمة في ذلك كله يتبسم، وبقي الفارس المذكور يطلب منهم الوصول إلى محله فأبوا إلاّ أن يبلغوا لمحل زيارة أبي يعزَى، فذهب معهم إلى أن زاروا وزار معهم ورجع بهم على حلته وأكرمهم. وهذا من غيرته صلى الله عليه وسلم على ذريته واعتنائه بأهل بيته][559]. ولصاحب الترجمة اعتناء بزيارة الصالحين، وله نظم جيد في أكثر صالحي فاس وقفت عليه بخطه، وأيضا بخط الأديب محمد بن علي بن إبراهيم الدكالي المدعو بغازي. [ومن رسائله هذه الرسالة التي نذكرها، كتب بها لبعض الشرفاء: إلى سيدنا حفظك الله ورعاك، وطهر قلبك من شهواتك وهواك، ورزقك من التوفيق ما يزجرك وينهاك. أمّا بعد. أما آن لك سيدي أن ترجع إلى مولاك؟ أما تخشى أن يراك حيث نهاك؟ أما تختشَى من سطوته وانتقامه؟ أما تخاف من عذابه وعقابه؟ أما لك عقلٌ يزجرك؟ أما لك حياء يمنعك؟ أما تراقب ربك المنان، ذا الطول والإحسان؟ اتبارزه بالمخالفة والعصيان؟ ورحم الله القائل:

إذا لم تَصُنْ عِرضاً ولم تَخْشَ خَالِقاً ... وَتَسْتَحْيِ مَخلوقاً فَما شِئتَ فَاصْنَعِ

أما ترَى الشيب دخل بمفرفك ولحيتك، وأنت في تهاديك وغفلتك؟ أما تَرى العمر ينهب، والذّنبُ يكتب؟ ورحم الله الشاعر:

نسيرُ إلى الآجال في كلِّ ساعة ... وأيامُنا تُطوَى وهُنَّ رواحلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصِّبا ... فكيف به والشيبُ في الرأس شاملُ
تزَوَّدْ مِنَ الدنيا بزادٍ مُبلِّغٍ ... فعُمْرُكَ أيامٌ وهنَّ قلائلُ

لكنَّ النفس أمرها عسير، وفي مخالفتها جهاد كبير، فإنّ رِضَى الملك القُدوس، في مخالفة النفوس، وما استولت عليه فهو في سجن الهوَى محبوس، ومن تغافَل عن دائمه، أبس من دوائه. فاطلب سيدي التوبة من الله في جميع أوقاتك، فهو الكريم الذي لا يخيّب آمال الطالبين. قال جلّ من قائل: «إِنَّ اللّهَ يُحبُّ التَّوابِينَ وَيُحبُّ المُتَطهِّرين». والسلام][560]. قرأ على جدنا عبد السلام بن الطيب القادري، وسيدي محمد القسنطيني ، وسيدي

559) ما بين معقوفتين ساقط كذلك من ط.

560) هذه الرسالة ساقطة أيضا من ط باستثناء الأبيات الثلاثة.

محمد المسناوي، والجرندي، وكان يُجَود القرآن بحرفى نافع والمكي. توفى سنة الترجمة ودفن متصلا بقبرسيدى الغرابلى بالقليعة قرب سيدي محمد القالب فى يوم كثير المطر، وبُني عليه قوس، وترك ولده الطالب الأنجب أبا عبد الله محمد توفي حدود الأربعين ومائة وألف[561]

من حوادث السنة

ثورة العبيد على السلطان مولاى عبد الله

ففي يوم الثلاثاء منسلخ ربيع الثانى [562] ثار العبيد على أمير المومنين السلطان المظفر الهمام مولانا عبد الله ابن المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا إسماعيل الشريف الحسني بسبب مَن قتل منهم صبراً من الذين غَدَرُوا أخاه الخليفة السلطان مولاي عبد المالك ودَسُّوا له مَن فتله، فأخذ بثأر أخيه وأكثر القتل من رؤسائهم حتّى كاد أن يستأصل كبارهم وطغاتهم بعد أن وضع المغارم الثقيلة خصوصا مدينة فاس، فكاد أن بفلس أهل الثروة [563] منهم، ولم يحاش عن هذه إلا الشرفاء والمرابطبن والطلبة فإنهم كانوا في زمنه فى عز ومنعة وتوقير واحترام، وتبجيل وإعظام. ثم إن السلطان مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل الشريف الحسنى لما ثار عليه العبيد أجمع على الفرار، فأرسل إلى العبيد مائة قنطار من الفضة يرىد بذلك حل كلمتهم. فأخذوا وفرقوها فى مصالحهم لحربه وازدادوا بها قوة ونفروا منه، وأمرُ الله ومرادُه فوق ذلك. فحمل ما رفدته دوابّه من المال وذهب إلى تادلا، فنزل على مَرْس أبى الأعوان الذى هو هناك مجموع لبيت المال، فنادَى بإباحته في بالقبائل، فأخرجَه الناس واستعانوا به على المسغبة التى نزلت في تلك السنة فى ذلك البلد، لأن تلك السنة كان اليبس بمراكش وحوزها. ثم دحل السوس فنزل بموضع يقال له سوشاوة، فأطال المقام بها، وسيأتي تمام ذلك إن شاء الله.

مبايعة العبيد لمولاي على بن مولاي إسماعيل

تم بعد مسيره السوس أعلن العبيد بنصر أخيه السلطان أمير المؤمنين أبي الحسن مولاي على ابن الخليفة أمير المؤمنين المنصور بالله مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني، فقاموا بدعوته، وإلى التمسك بطاعته، وتابعهم أهل المغرب في ذلك لما كانوا فيه من ضيق المغرم والتكليف بما لا طاقة لهم به، فأسقط عنهم ذلك، ففرحوا لسقوط المغرم عنهم كأنهم خرجوا من الرَّحم إلى الدنيا أو العيش بعد الموت، فأرسل العبيدُ، وأهل المغرب فاس وغيرها وكلهم تابعون لَلعبيد بالبيعة إلى مولاي على وهو بتافلالت، ففدم إلى فاس ودخل دار الملك من فاس المرينية يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادَى الأولى من السنة. وفي يوم

561) ولده هذا غير مذكور في ط، ويظهر أنه وقع تصحيف فى تاريخ وفاته.

562) حوادث السة ساقط كلها من ط، ثابتة في ک و س.

563) فى ک: التورب.

الخميس بعده توجه لمكناس فدخلها غدوة يوم الجمعة وصلّى بجامع دار الخلافة بالقصبة، وخطيبها وإمامها هو قاضي القضاة سيدى محمد الطالب بن عبد الواحد أبي عنان، فقدم ذكر السلطان عن ذكر الصحابة عسَى أن ينال بما ابتدعه منزله عند السلطان، فلما فرغ من الخطبة قدم غيره للصلاة، ولما فرغ منها عزله لفعله ذلك وولّى مكانه القاضي العميري. ثم نظر في خزائن المال فوجدها خالية قفراء إلاّ ذهباً بها أعطاه للعبيد، ولم يف مرتبهم الذي كانوا يقبضونه في نصف كل سنة عادة، فكمل لهم مائَتَي قنطار [564] من تنافيذ على الناس التي خصتهم لكمال راتبهم. وكان الخليفة السلطانَ مولايَ عبد الله الحسنى لما أراد السير إلى سوس دفن المال الذي لم يخضره من يحمله من الدواب في الأرض و أخفاه بأجمعه هو وما سلم من نهب القصبة بعد وفاة والده، ثم أخرجه هو بعد ذلك بسنين كما يأتي ذكر ذلك إن شاء الله.

إسناد السلطان مولاي علي قيادة فاس إلى مسعود الروسي.

ثم إن مولاي علي ولّى على فاس القائد مسعود الروسي، فكلفهم بإخراج خمسمائة من الرماة وقتل الحاج أحمد بودة اللمطي رئيس اللمطيين بعد موت مولانا إسماعيل ممَّن وثب على دار أخيه أبي علي بن عبد الخالق الروسي وقتله، فقتله بأخيه، وكان يميل إلى مولاي عبد الله، لأن السيدة خناته بنت الشيخ بكار المغفري أم مولانا عبد الله تشفعت في بودة لمَّا قتل ولدُها مولاي عبد الله الفئة الباغية من رؤساء فاس، فاجتمع رؤساء أهل فاس بعد صلاة الجمعة وأعنوا أصواتهم كصوت واحد قائلين: نحن بالله وبالشرع، فكان من ذلك ضجيج وصياح. فلما سمع ذلك مسعود الروسى خرج من فاراً خوفاً على نفسه فبلغ خبرهم لمولاي علي فتغيظ وأرسل من يستفهم حالهم، فتعدّدت الرُّسُلُ بينه وبينهم فى أمر يطول ذكره. [خرج أولاً الشرفاء مستشفعين إليه ليمهل أهل فاس حتّى يعينوا الرماة ثم لم يفعلوا، فأراد حصارهم فلبسوا عليه الأمر فأخرجوا الخيام وأنزلوها، بموضع المُصلّى خارج باب الفتوح ومعهم بعض (السلاكَط) يلبّسون عليه أنهم يُخرجون المحلة والأمر خلاف ذلك، ثم وجهوا له شرفاء فاس مستشفعين ليُمهلهم حتّى يجمعوا الرماة، وعلّلوا له ذلك بتعذر قلة ذات اليد لاستيفاء راتب الرماة، فأمهلهم شهراً ثم إنهم لم يفوا له بذلك، وقال للشرفاء إن أتيتموني ثالثاً مستشفعين فيهم سأسجنكم مكبلين مسلسلين. فلما لم يفعلوا له بعد الشهر أراد إرسال جيش لحصار فاس فطلبوا ثانياً من أعيان الأشراف التشفع فيهم، فخرج جمعٌ مَن خرج في المرتين اللتين قبل هذه، وهم بين الخمسين والستين، فقبض عليهم وسلسهم وكبّلهم وهم من جميع الأعيان الذين ذكرهم صاحب *الدر السني*، فلم ينج منهم إلا والدي اختفَى في الطريق لأنه كان أخبره بعض رؤساء العبيد بأن السلطان يقبضهم لا محالة فاختفَى ونجّاه الله ورجع إلى فاس يخبر بقبضهم] [565]

---

564) هنا فى هامش ك طرة نصها: «بلغ صرف الذهب في هذه السنة ثمان أواق عدة للمثقال المسبوك».

565) ما بين معقوفتين مكتوب فى هامش ك كطرة، وقد أدمجه ناسخ س فى صلب الكتاب، وهو عبد السلام بن الخياط القادري صاحب التقاييد التاريخية.

ثورة الفاسيين على مولاي علي ومحاصرة فاس

فأمر السلطان قواده بمحاصرة فاس، فنزلوا لحصارها أواخر شعبان من سنة سبع وأربعين، فشنوا الغارات على فاس وحصروها، فأقبل ضعفاؤها ومن ليس له قدرة مع رؤسائها للمنع وللدفع عن نفسه من المؤمنين العاجزين من الناس والرجال واليتامى والأرامل وأهل البيت على الدعاء إلى الله والتضرع والتشفع بكتاب الله في هذا الشهر رمضان آناء الليل وأطراف النهار، فتداركهم الله بلطفه الخفي المرجو بعد الشده، وذلك أنه أمر عبيد الرملة بتوجيه جيشهم لحصار فاس فامتنعوا ونهوه عن حصار فاس وقال له رئيسهم سالم الدكالي: إن حصار فاس ينهض الفتن بالمغرب ويكثر النهب والغارات بين القبائل فتنقطع الطرق ويشتد الغلاء، ونكون الكرَّةُ لأخيك مولانا عبد الله عليك، فرجع عن ذلك وأمره قواده بالرحيل عن حصار فاس، وكان أهل فاس أسقطوا اسمه من الخطبة في مدة الحصار واكتفوا بذكر الصحابة فقط. فلما رحلت المحلة عنهم خطبوا به كما كانوا عليه. وكان سجن جماعة من أعيان شرفاء فاس وعلمائها الذين جاءوه يطلبون العفو ويمهل أهل فاس في الرماة حتّى بعينهم وعطائهم، فامتحنهم محناً عظيمة وهو يهددهم بالقتل والتجريد من الثياب المدة بعد المدة، فلما نهاه العبيد عن حصار فاس وارتحل الجيش عنهم بعث شرفاء فاس إلى الشيخ الولي الصالح المتبرك به شرقاً وغرباً حيا وميتا سيدى محمد المدعو الطيب بن الإمام سيدي محمد الشريف اليملحي الحسني العلمي صاحب وازان من بلاد مصمودة الغرب رسولاً يطلب منه أن يتشفع في أهلهم المسجونين عند السلطان للعبيد يأمرون السلطان بتسريحهم فوجه مولاي الطيب المذكور الرسول بنفسه إلى العبيد، فأجابوه إلى ذلك وبعثوا الباشا الحوات أحد رؤسائهم إلى السلطان بعدم موافقة العبيد على فعله بالشرفاء، وهددوه إن لم يسرحهم من سجنهم إلى فاس ير منهم ما يكره، فأطلق فوراً الشرفاء والفقهاء، ووصلوا إلى فاس ورزق الله المطر في هذه السنة فصح فيها الزرع وجميع المواشي والأتمار، وجاء على أكمل حالة، ولم يضع منه لأربابه شيء، واستمرت العافية إلى تمام السنة (566)

—— *** —— ***—— تذكرة المحسنين —— *** —— ***——

محمد المْدَرَّع

الشيخ الذاكر البركة سيدي الحاج محمد المْدَرَّع الأندلسي. كان الشيخ المسناوي يُجله ويعظمه ويستخلفه في إمامة الصلاة، وكان كثيرا ما ينشد.

نسيرُ إلى الآجال في كل لحظةٍ … وأيامُنا تُطوَى وهي مراحلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصِّبا … فكيف به والشيبُ في الرأس شاعلُ
تزودْ من الدنيا بزادٍ مبلِّغٍ … فعُمْرك أيامٌ وهن قلائلُ

دُفن رحمه الله بروضة قرب ضريح الولي سيدي محمد بن الطالب برأس القليعة داخل باب الفتوح أحد أبواب فاس.

566) وردت حوادث هذه السنة في الحوليات محتصرة، إلا أنها تحتوي على إشارات تاريخية مفيدة.

العام الثامن من العشرة الخامسة

محمد الكَنْدُوز

فمنهم الشيخ الشهير، العلامة النحوي الكبير، الحافظ الضابط. اللافظ المُعبِّرْ المحصل المحقق الصالح البركة المتفي الموفق الزاهد الأورع، المدرس الأنفع، شيخنا وشيخ أشياخنا أبو عبد الله محمد بن الحسن الجندوز المصمودي [567] ولم تزل البركة في المصامدة من قدم الزمان، فقد حكي في *المنهل الأصفى* [568] عن الشيخ علي اللجائي وغيره أنَّ المصامدة فيهم بركة، لأنهم وَفَد [569] منهم رجلٌ علي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحُكي عن غيره أنهما رجلان. قال وذكر لي قوم أنهم سبعة وأن قبورهم موجودة إلى الآن هـ . وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّم البعض منهم بلغة البربر [فانظره، وصاحب *المنهل الأصفي* هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي الشريف الحسني التلمسانى] [570]

كان صاحب الترجمة ـ رضي الله عنه ـ من العلماء العاملين، ومن الصلحاء الفاضلين، له عكوف على تعلُّم العلم وتعليمه، واسع الخلق، كريم النفس، طيب اللقاء، حسن اللهجة، واضح المَجَجَّضة. فمن كريم خلقه أنه لا يستنكف عن القراءة على مَن هو أضغر منه سنّاً ومنزلة، بل يتبع الحكمة ما أمكن، فهي أبداً ضالتُه، حريصاً على الفهم وإدراك الدقائق. وبرع في النحو وكان مشاراً إليه فيه، أحد أعيانه، معلوم في تحقيقه وإتقانه، يقوم على *ألفية ابن مالك* بشُروحها وحواشيها، ويستحضر الكثير من تحقيقات الدّماميني في *شرح التسهيل*، ومثل ذلك من شرح الرضَى على *كافية ابن الحاجب*، وغيرها من كتب العربية، ويحفظ كثيراً من الأدب والحكم واللغة وأيام العرب ماهراً في جمع ذلك مقبلاً على التدرىس، وله فيه لسان فصيح ونبليغ بليغ، مجلسُه مجلسُ أبهة ووقار، لا يستطيع أحد أن يجلس فيه إلاّ مُشمِّراً عن ساعد الجدّ، وله فيه مهابة وجلالة، وعلوّ مكانة، لا يسع أحداً الجلوس في مجلس إقرائه إلاّ مطرقا مستمعاً مصغاً مستجمعا. ومع ذلك فله اعتناء بالمساكين والضعفاء و أهل الدين، فيتنازل في علو شرفه، ويباسط في منعة قدره، وكان عذب الفكاهة، أربَى على أهل زمانه بالمهارة في علم العربية وسعة الخلق وهضم النفس.

---

567) هنا في هامش ك و س طرة نصها: «أخذ طريق القوم والأوراد عن شيخنا مولاي الطيب ابن محمد الشريف العلمي الحسني دفين وزان

568) هنا أيضا في هامش ك و س طرة أخرى يتأكد أنها من إنشاء عبد السلام بن الخياط القادري صاحب التعاييد التاريخية، وربما كانت بخطه في ك نصها: «مؤلف هذا الكتاب المسمى *بالمنهل الأصفى* هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي الشريف الحسنى التلمسانى، نقل عنه الحكاية بتمامها حد والدنا فى كناشه محمد العربى بن الطيب القادري الحسنى، لأن ابنته فاطمة هى أم والدي الخياط بن محمد بن علال القادري الحسني. ونقل هذه الحكاية أيضا العلامة الشهاب الخفاجي في *شرح نسيم الرياض*.

569) في ط وُحد، وهو تصحيف

570) ما بين معقوفتين ساقط من ك وس.

وكان مفتقراً ومع ذلك لا يتمادَى لشيء من الأسباب وغيرها. وكان محباً لآل البيت عظيم المودة لهم ممن يُوثرهم بنفسه وماله. وقال لي هذه مدة من اثنين وأربعين عاما وأنا في قراءة العربية وودت لو اقتصرت في العربية على ستة أعوام منها، وجعلت ستة وثلاثين في قراءة فنونٍ من علوم أخرى، فإيَّاك أن تفعل كما فعلت، فعليك بالمشاركة في العلوم، وذلك بقرب سنة وفاته [571]

أخذ عن شيوخ المغرب، كالشيخ المسناوى وطبقته، وتخرج به جماعة. [وقال فبه شيخنا العلامة سيدي عبد المجيد الزبادي فيما وجدته بخطه ما نصه: الفقيه النبيه، الناقد النزيه، الحافظ الدراكة الفهامة الذي قطع في التعلم والتعليم لباليه وأيامه، نحويّ عصره، وشيخ أرباب العربية في قطره ومصره، الجميل الاتصاف، بجميل الأوصاف، كالحلم والإنصاف، والإسعاد والإسعاف، والديانة والصيانة والعفاف هـ . ثم قال: قرأت عليه من *مختصر السعد* إلى الفن الأول، وحضرت عنده في مجلس *ألفية ابن مالك* نحو الثلث منها هـ . وكان متين الدين، قوي الورع واليقين، دؤُوباً على الذكر لا يفترعنه مهما انفرد عن الطلبة والتدريس] [572] .

قرأت عليه *ألفية ابن مالك* ختمة كاملة، تم أخرى بلفظي إلى النداء، و*مختصر السعد*، ونحو الثلث من مختصر *خليل* بكلام الزرقاني، وينقل من *التوضيح*.

توفي عشية يوم الخميس الثالث من المحرم عام ثمانية وأربعين ومائة وألف بفاس، ودفن في عرصة لأبناء بعض أشياخه الشرفاء أهل وازان، اتخذ فيها مقبرة لهم قرب زاويتهم التي بالشرشور من فاس القرويين، ولما دفن خارج قبة ابن شيخه مولانا النهامى، وهو الشيخ البركة الولي الصالح المراقب الكثير الإنفاق وإطعام الطعام للضعفاء والمساكين وإكرام أهل البيت المتبرك به حياً وميتاً سيدي محمد بن الشيخ مولانا التهامي، لم يرض بذلك الطلبة وذهب بعضهم للشرفاء أهل وازان وزنا من جملتهم، وطلبنا منهم يتركنا نحمله لمحل آخر، فطُلب من الطلبة أن يتركوه على حاله، ثم تردد الكلام من الطلبة فقام بعض إخواني في الأخذ على شرفاء وازان [وهو محمد بن علال القادري الحسني دفين رأس الجنان] [573]وقال لهم عينوا لنا الموضع التى تريدون حمله إليه. وكان الطلبة من أفراد المدارس ليس لهم مواضع، فأجبت القائل أنا بأن يختار الطلبة في الرواضي الثلاث التي لقبيلنا وهو داخل باب الفتوح، فأجابني بأن تلك المقبرة ذات ستر بالجدرات ومتصلة بالعمارات، ورواضينا بَرَاح لا جدرات لهم ولا تحافظ ولا ستر لمن يريد زيارته من النساء، فكما أشار إليه ابن الحاج في *المدخل*،

571) هذه الوصية ومقدمتها اختصرت فى سطر في ط

572) ما بين معقوفتين ساقط من ط

573) ما بين معقوفتين مكتوب كطرة فى هامش ك، وأدمجه ناسخ س فى صلب الكتاب.

فقلت له ننقله لجنان أصحاب سيدي أحمد بن عبد الله معن، فقال لي أوقفهُ أصحابه على دفن موتاهم، وهذا ليس من تلامذته، وهو من بلاد هذا الشرف (كذا) ومن تلامذتهم، وكان يعيش بما يجرونه علبه من عطائهم من الفرض والتطوع، ولما مات أقام تجهيزه ودفنه، فمن فعل معه شيئاً من هذا منكم؟ فلم نجد له جوابا وتركناه على حاله. وكان في جنازته موفف عظيم لم يتخلف عنها أحد من عامة فاس وخاصتها، ورثاه بعض تلامذنه، وهو شحنا الأديب اللغوي الناظم سيدي عبد المجيد الزبادي بقوله:

قَضَى في سبيل الله جَمُّ الفَواضِلِ ... محمدُ الجندوزُ بحرُ الفضائلِ
حقيقٌ لأهل النحوِ سكبُ دموعِهِمْ ... على فقده والدمعُ لَيْسَ بطائلِ
فَمَنْ لتَآلف النحاة يُبينُهَا ... ويُعرب ما فيها لكلِّ مُسَائلِ
ومَن لفُهوم الطالبينَ يدلُّها ... على الحقِّ إن رامتْ جوابَ مَسَائلِ
إذا لمَ يلُح لابن الحُسين بمجلسٍ ... مُحَيّاً فَمَا في الدرسِ خيرٌ لسائلِ
لقدْ عَزَّ إتيانُ الزَّمانِ بمثله ... فيا لزمانٍ قد أتَى بنَوازِلَ
على مثله يُبكَى ولا يُسأَمُ البُكَا ... فَأعظِمْ بمَفقُودٍ وأَشْددْ بنَازِلَ
ويوم نواهُ غَمٌّ حَرٌّ مُصابه ... قلوبَ ذوي الألبابِ دونَ الأَراذِلَ
علَى رَمسِهِ[574] منّي السلامُ مصاحباً ... لرحمة مولانا الكريم المُواصلَ

ولما رأى تقصير أهل الأدب من تلامذته عن رثائه قال أيضا معتذراً عنهم:

وقوله «غَمٌّ حَرٌّ» هو رمز لعام وفاته، وذلك أن الغين المعجمة مع الراء ألف ومائة، والمليم مع الحاء المهملة ثمانية وأربعين[575].

يابنَ الحُسين بنحوكُمْ حَسُنَتْ ... عقولُنا وكَذا الأذهانُ والفكَرُ
إن النُّحاة (غَدَوا) منْ هَوْلِ بَيْنِكُمُ ... رَامُوا الرِّثَا فَنَسُوا الذي ذكَرُوا[576]

أبو جيدة بن محمد المشّاط المنافي

ومنهم الأديب الموقت العدل شيخنا سيدي أبو جيدة بن محمد المشاط المنافي. كان موقتاً بمنار مسجد الأندلس، قائما به وبضبطه، حريصاً على مهمات المسجد المذكور. وكان يقوم على روضة الجادري في التوقيت، وعلى ألفية ابن مالك ويعتني بمطالعة ابن هشام. مات في سنين شبابه، في التاسع والعشرين من جمادى الثانية عام الترجمة، ودفن بقرب باب الحمراء داخل باب الفتوح عدوة فاس الأندلس، وترك ولداً مات صَغيراً. قرأت عليه

574) في ك: على مثله. وما أثبتناه من س أنسب.
575) البيتان مكسوران في المحطوطتين، وقد احتهدنا في إصلاحهما بما يظهر أنه أقرب إلى الأصل.
576) النص الأخير من هذه الترحمة كله ساقط من ط

الجرومية، وألفية ابن مالك إلى الاشتغال، عامله الله برحمته وفضله [577]

محمد السوسي

ومنهم الولي الصالح العَلَم الواضح، سيدي محمد السوسي، أحد أعلام الأولياء، والأكابر الأصفياء، له قَدَمٌ راسخ في الطريقة، وإدراك تام في الحقيقة. أخذ عن سيدي أحمد اليمني، وسيدي أحمد بن عبد الله. رحل لزيارة سيدي محمد بن سعيد نزيل عراضة من طرابلس، لأنه تلاقَى بالشيخين المذكورين، قال وأما أنا فأغناني الله عن الأخذ عنه. وقال لبعض أصحابه: أُحبِّ فقراء الزمان ولا تطمع فيهم، لأن الله أغناك عنهم بشيخك. وكان بعض أصحابه ساكناً بمجَاورة أبي علي الروسي والي شرطة فاس، فلما عزم أهل فاس على الفتك به خاف وأتَى صاحبه هذا، فضمن أن لا يدخل أحد داره على شرط أن لا ينهب شيئاً من متاع الروسى. فلما فتكوا به جعل وتادين الشرطة يتسورون سطح داره للاختفاء بها من أهل فاس ليلاً بقتلوهم، فنهب ولده مكحلة وشكارة بارود بإخفاء من والده، فكسر أهل فاس باب الدار وهجموا عليها لطلب الحرس، فكان من لطف الله أن اعتذر عنه أحدهم وأخرجهم من الدار، فذهب لصاحب الترجمة فأخبره بما وقع فوجده مغضباً عليه وقال له: أليس التزمت أن لا يدخل دارك من نَهَبَ الروسي شيئا، فرجع لداره وألح عليهم فأقروا له وأخرجوا له مكحلة. وكان صاحب الترجمة يأوي مع سيدي أحمد اليمني حتَّى مات، فنزل بمسجد سيدي دراس بن إسماعيل بمصمودة عدوة فاس الأندلس، فكان ذلك من سعادة مؤذنه سيدي محمد الصنهاجي. ثم رحل للمشرق فمات بالشام عام الترجمة، وبُنيت عليه قبة، فهي من أعظم مزاراتهم [578]

من حوادث السنة

خصب ورخاء

وفي عام ثمانية وأربعين وألف [579] أعطَى الله تعالى لعباده الخير، وأنزل الله المطر الغزير الذي لم يُعهد (مثله)، وفرح الناس بذلك، وحرث الناس بفاس وبالغرب كله، وكانوا يظنون أنهم يرفعون صابة كثيرة لم يعهد مثلها، والناس بذلك فرحون مطمئنون. وفي سادس ذي الحجة من آخر العام حين قربت الصابة للوجود، قدِم مولانا عبد الله من سوس ونزل بتادلا، فوقع في الصابة فساد حسن قدومه ولم يكن منها كائنة [580].

577) ترجمة أبي جيدة كلها ساقط من ط. وبعدها أقحمت في المخطوطتين سطور تتعلق بتحركات العبيد، صربنا عنها صفحاً.

578) هنا فى ط إقحام ترجمة قاسم ابن رحمون المتوفى عام 1149 وقد اعتذر المؤلف فى آخرها عن ذكرها ـ خطأ ـ ضمن عام 1148. وهى في ك و س آخر السنة الموالية

579) حوادث هذه السنة ساقطة من ط.

580) هذه الفقرة القصيرة المتعلقة بالخصب والرخاء منقولة عن الحوليات (ص 38 ـ39) التى انفردت بها. وأما الفقرة الثانية الطويلة المتعلقة بتنافس السلطانين مولاي عبد الله ومولاي علي وتناحر أنصارهما فهي من ك و س، ومضمونها فى الحوليات مع اختلاف يسير لم نر فائدة في تتبعه.

تنافس وتناحر بين السلطانين مولاي عبد الله ومولاي علي

ومن حوادث السنة أنه في شهر ربيع عام الترجمة تجهز عبيد مشرع الرملة للحركة لسوس متبعين السلطان مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل، وتولى القيام بذلك كبيرهم الباشا سالم الدكالي، فبلغوا حاحا وعجزوا عن الإقدام عليه وهو بتارودانت لهيبته وخوف بطشه، فطالت إقامتهم وقلت عليهم الميرة، فانقلبوا راجعين لنحو ثلاثة أشهر من خروجهم. ثم بالقرب من ذلك ورد الخبر أن مولاي عبد الله نزل تادلا، فأخذ أخوه مولاي علي في التأهب لقتاله وبعث للعبيد يعلمهم بخروجه، فوعدوه بالقدوم عليه، وعسكر بجيشه مع الأوداية وغيرهم خارج مكناسة، فبقي يرصد قدومهم عليه حتَّى عيد الأضحَى [581] جاءه المنادي بانهم خلعوه ورجعوا لطاعة خليفتهم الأول أخيه أمير المومنين مولانا عبد الله ابن المنصور بالله مولانا اسماعيل بن الشريف الحسني، فارتحل مولاي علي سريعا وفر فوراً فأصبح من ليلته على ضفة واد فاس، فطلب من الأوداية القيام معه فأغلقوا دونه الباب، ثم ارتحل فورا فنزل بقنطرة سبو حتَّى قضَى أصحابه من فاس ما يحتاجون إليه، وأخرج له بعض أهل فاس خبزاً لأصحابه، ثم ارتحل عشية النهار متوجها لناحية المشرق، فبقي بين عرب أهل المشرق، ثم نودي بنصر مولاي عبد الله في المغرب وجميع أقطاره، فانقسم الناس فرقتين: فرقة فرحت غاية الفرح لأن الطرقات منذ خرج عنه أهل المغرب وهي فاسدة، ولم تمض الأحكام لمولاي علي دون أمر العبيد في شيء، وهذه الفرقة هي الشرفاء والمرابطون والطلبة والفقراء الضعفاء الذين لم تلزمهم وظيفة المغارم، وفرقة نكدت وفزعت وكرهت ولايته عليهم مخافة أخذهم بما فعلوا، وهذه الفرقة منهم الذين سعوا في الخروج عليه ومن أظهر في الأرض الفساء و أهل النهب والقطع والتعدي والغصب، ومن كان يناله شيء من المغارم خاف أن يرجعوا لما كانوا علبه، فإنّ مولاي على لم يجر عليهم ذلك إلاَّ أمراً يسيراً منه. ومن هذا العام حدث الكره والعداوة بين العوام وأهل البيت إلى الآن. وكان بقصبة تادلا القائد مولود الجبيلي الوديي مع بعض العبيد عاملاً على تلك البلاد، فلما قدم مولاي عبد اله بلاد تادلا أغلقوا القصبة ليلاً يريد الدخول إليها ظناً منهم أن الأمر لم يرجع إليه، فلم يلبثوا إذْ وردت عليهم الارسال بأن العبيد وأهل المغرب نصروا مولانا عبد الله ورجعوا إلى بيعته وخلعوا أخاه مولاي علي، فسقط في أيديهم وطلبوا الأمان لأنفسهم من السلطان، ثم رجع لداره موهماً لهم أنه يريد بعض مقتضياته، فضرب نفسه برصاصة من كابوس أطارت نحبه، فحملوا شلوه للسلطان كذلك فاشتد غيظه على من بقي فقتل ممن كان بالقصبة نحو سبعين رجلاً، ثم جَاء العبيد للقائد بنحو ألف ومعهم الشرفاء والعلماء فبشرهم بالخبر وأعلن لهم أن سبب ما وقع ببنهم وبينه هو سالم الدكالي، فوعدوه أن ياتوه به وسامحهم فيما صدر

581) في ك: حتّى جاء عيد الفطر.

منهم، وأعطاهم مالاً وأمرهم بالرحيل في الحين، فارتحلوا وانلاس على وجل ومخافة من انحلال الأمر.

فلما رجعوا لمحلهم مشرع الرمل وجدوا سالم الدكالي وجميع من باشر معه الخروج على مولاي عبد الله مجتمعين معه وخلعوا مولاي عبد الله ثانيا وأعلنوا ببيعة السلطان سيدي محمد بن الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين مولانا إسماعيل بنمولانا الشريف الحسنى السجلماسي المدعو ابن عربيّة، وبعثوا بذلك لفاس ومكناسة وسائر بلاد المغرب يدعونهم لبيعته، وإلى التمسك بدعوته، فاجتمع عبيد الزنقة وغيرهم من عبيد مشرع الرمل الذين لم ينكثوابيعة مولانا عبد الله ولم يريدوا الخروج عنه، فآل الأمر إلى القتال بين الطائفتين، فغُلب سالم الدكالي وطائفتُه، ففر إلى مولانا إدريس الأكبر دفين زرهون في جماعة من الرؤساء أصحابه، فأخرجه العبيد وقيّدوه في الحديد ومعه أصحاب ووجهوهم إلى السلطان مولانا عبد الله، فسجنهم أياما ثم أمر بإحضارهم فأحضروا بين يديه، فعدّد عليه فعلاتهم وقتلهم صبراً، وذلك في أول المحرم فاتح عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ثم قصد الدخول لدار الملك بمكناسة، فنزل قربها بموضوع يقال له بوفكران، فكان من أمره ما يأتي في العام بعد هذا [582].

*** *** **تذكرة المحسنين** *** ***

أحمد بن محمد خان العثماني

مات خامس عشر الدولة العثمانية السلطان أحمد بن محمد خان، وكان تولّى بعد خلع أخيه ووجه العساكر نحو العجم، وسقاهم كؤوس الندم، وبعده فعل أموراً مخلة فعزم القوم على خلعه، فلما علم ذلك خلع نفسه بعد ولايته سبعاً وعشرين سنة، وبقى بعد الخلع ستة أعوام ومات في هذه السنة.

582) حوادث هذه السنة كما وردت هنا متفقة إجمالاً مع ما في الحوليات.

العام التاسع من العشرة الخامسة

محمد العياشي الرحماني

فمنهم الفقيه الإمام العالم الزاهد الورع العابد الولي المتجرد سيدي محمد العياشي ابن علي مرزوق الرحماني، من رحامنة سوس، كما في فهرسته بخطه. كان شهير الولاية يقصده الناس كثيراً للتبرك به وهو كثر البعد منهم مُقلٌّ للكلام معهم جداً. سكن سنين بمدرسة الواد من عدوة الأندلس، وله كرمات، منها أن بعض المترفهين (583) مرض له ولد وكان عنده بمنزلة فأشرف على الهلاك فقصد صاحب الترجمة وطلب منه الوقوف إلى الله في شفاء الولد، فقال له ائتني بمائة مثقال نُسفَ ولدُك، فأتَى له بها في الحين، فأخذ منها عشر موزونات فدفعها لمقدم المدرسة وأمره أن يشتري منها للطلبة خبزاً،وردَّ الباقي من المائة مثقال كله لصاحب، فرجع لداره فوجد الولد قد عوفي من مرضه.[ومنها أنه بلغ عنه لبعض المنتصبين لإطعام الفقراء المتصفين بالولاية قال صاحب الترجمة إن الرجل هو الذي يخرج الرصاص من سجنه كالمدفع أو كلام بمعناه، فعاب عليه ذلك، فاتفق أن ورد صاحب الترجمة على الذي عاب عليه كلامه ضيفاً فلما أنزلوا له الطعام امتنع صاحب الترجمة على الذي عاب عليه من أكله، فألح عليه فقال له بسرعة: ما يعرفون إلا أن نعسبوا على الناس كلامهم ولا يدرون ما يطعمونهم، فعزم صاحب الطعام على صانعه النائب عنه أن يبين له أمر طعامه، فأخبره أن اللحم الذي في الطعام من كبش وجده ضالاً فالتقطه إلى أن يتبين صاحبه، فلم يظهر مالكه ولم يحضر عند ورود المضيف في الحين غيره وتعذر جلب غيره لضيق الوقت، فذبحه النائب على أنه إذا ظهر مالكه يؤدي له آخر أفضل منه، ولم يخبر بالأمر المنوب عنه] (584)

أخذ صاحب الترجمة عن مشايخ كثيرين حسبما تضمنته فهرسته، أخبرني من رآها بمصر ولم أقف عليها، منهم سيدى عبد الرحمن مولاي كرزاز، ورحل إلى الحج فحج وتوفي في إقامته بمصر في رابع عشر المحرم عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ودفن بالقرافة منها إزاءَ ابن أبي جمرة. أخبرني بعض الحجاج أن ببنهما نحو ذراع، وحضر جنازته جم غفير من أهل مصر وغيرها، لأنه ظهرت له في إفامته بها خوارق وكرامات.

أبو بكر بن محمد بن محمد الخديم الدلائي

ومنهم الفقيه الولى الصالح الوجيه، المشارك النبيه، المقصود لحل المشكلات، سيدي أبو بكر بن محمد بن محمد المدعّو الخديم ابن الشيخ سيدي أبي بكر الدلائى. كان صاحب الترجمة من الأولياء المجتهدين في العبادة والدين، يسافر في فصل الربيع والخريف

583) في ط أنه والي فاس.

584) ما بين معقوفتين ساقط من ط ص 38 ـ 39

لزيارة الأولياء ولقاء المشايخ، يحضر مجالس العلم بفاس على كبر سنة دؤوباً على الذِّكر وتلاوة القرآن ومطالعة كتب التصوف، وتربَّى وتأدب بالشيخين سيدي أحمد اليمني وسيدي أحمد بن عبد الله معن، وكان سيدي أحمد ابن عبد الله يستشيره في الأمور المهمة لأنه كان له عقل ودهاء وفراسة. وحج في رفقة شيخه سيدي أحمد بن عبد الله، واستفتاه شيخه في الدخول للروضة المشرفة فأجاب بقوله: أما الدخول من جهة الشرع فجائز لا بأس به، وأما من جهة الأدب فهو أعرف، يعني لا، فقدَّم الشيخ الأدب ورجع عن الدخول. وقوله جائز موافق لقول خليل في مناسكه ونصه: واحرص أن يكون ركوعك في الروضة تجعل المنبر على يمينك والقبر عن يسارك، والأحسن من الروضة العمود المخلق، ثم تتقدم إلى القبر. القابسي وأبو بكر بن عبد الرحمن وغيرهما ولا يتلصق به انتهى. قال ابن الحاج: وينبغي له أن لا يدخل من داخل الدرابزين التي هنالك، لأن المكان محل احترام وتعظيم، فينبه العالم غيره على ذلك هـ. ولما حج صاحب الترجمة وأراد أن يُجاور بالمدينة أخذ عنه العهد سيدي أحمد بن عبد الله على أن يرجع لفاس وقال له نريد أن يبقَى أولادي في حجرك، فأوفَى بعهده معه ورجَع لفاس ولزم صحبته إلى أن توفى سيدي أحمد، فبقى صاحب الترجمة يقوم بمصالح الزاوية والجل من أولاد سيدي أحمد تحت طوع يديه وكثر من أصحابه مجتمعين عليه، وهو كالأب الشفيق لجميعهم في البحث عنهم والسعي في مصالحهم والنصح لهم، وتوصيل المنافع وتلقى الخلائق. وكان له جاه عند ولاة الوقت السلطان فمن دونه، فكان مُجاب الكلمة فيهم مقبول الشفاعة، وله دراية تامة بسياستهم. وتزوج ابنة سيدي أحمد اليمني قيل بإشارة من والدها، وورث من أبيها مالا كثيرا، بنَى لها داراً بازائها عرصة. وكان أخوها أبو عبد الله محمد يأوي إليه شياطين من الأنس يدلونه على المسائل القبيحة، فكان صاحب الترجمة ينهاهم، فلما لم ينتهوا سلط على بعضهم بعض الولاة، فاغتاظ لذلك الأخ المذكور فشكاه لبعض قواد البربر ووشوا به للسلطان وأنهوا إليه أنه يتشبه بالسلطان وبنَى في داره على شكل بناء السلطان وغير ذلك مما يغتاظ منه الملوك، فأوغروا صدر السلطان عليه فأمر بسجنه فسجن ونقف ما بداره ونهبت عزائبه وماله من الماشية، ثم إن الله تعالى تداركه بلطفه فسرحه السلطان عن قريب، وأمر برجوع جميع مانُهب له، وسجن السلطان القائد أبا علي الروسى المباشر لنهبه حتَّى يعطه مانهب له فرده له. وكان أبو علي الروسى نهب أيضا دار سيدي عبد الرحمان ولد سيدي أحمد بن عبد الله معن التى بالمخفية فرد له ذلك أيضا. وكان كير ممن أكثر فيه القول والقيل ورموه بمواجهه أهل ادنيا والولاة وعدم المبالاة بالمساكين وابن السبيل، إذ كان يغلق عليه داره ولا يأذن لأحد في الدخول عليه لأهل الدنيا والوجاهات ونحو ذلك، وأمَا الفقراء والمساكين وابن السبيل فلا يتوصلون له، فكان لايفعل معهم ذلك ويتستر منهم ويتغيب، لأن أهل هذه البلد لهم حدة فى البحث فى أمور لاتتعلق بمنفعنهم ولا بضررهم، وليس لهم من العقل ما ينحجزون به عن أعراض الناس، فيسرعون إلى هتكها كثيرا، وقلَّ من تخالطه أو تباشره فتسلم من إذايته. وصاحب الترجمة في كل ما وصف به

فباجتهاده مصيب، أخذ من الحق بأوفر نصيب. وفي الخبر مرفوعاً وعلى العاقل أنْ يكونَ عارفاً بزَمَانه مُقْبلاً عَلَى شَأنه هـ . [ثم إن صاحب الترجمة كان في زمان القائد محمد بن علي الزموري الذَي كان ينهب أموَال أهل فاس فخاف أن يأذن لهم في الدخول عليه فيشكو له به فيتسبب له ويقول إنك مشتغل بغيرك وبنهبه، كما سعوا به أولا ونهب داره وعزائبه أبو علي الروسي، وفي الخبر: المومن لا يُلدغُ من جُحْر مَرَّتَـن] (585). والمراد بمعرفة الزمان معرفةُ أهله وكيفية الخلوص من الإذاية من جانبه وجانبهم حتَّى لا يؤذيهم ولا يؤذونه، ولبس ذلك إلاَّ بالانقطاع عنهم والبعد منهم مع مباشرتهم ظاهراً ونصفية القلب عنهم باطنا، ومراعاة حرمتهم سرا وعلانية. وهذا في حق مَن سكن هذه المدينة، أعني مدبنة فاس، أكبد جداً، فصاحب الترجمة ممن يُقتدَى به في ذلك لمعرفته بالطريقة، وبحثه عن المسائل العارضة له في كل أموره، وأخذه في كلها بالعلم عن أهله. وكان مؤدباً بأدب أهل الطّريقة الصوفية، عالماً متبحراً حافظا للسير معتنياً بأخبار الخلق دَرِباً على الأمور، جرت عليه العوائد والغرائب، وجال في البلاد فبلغ السودان. سمعت من العلامة سيدي عبد السلام الولاَّلي أن صاحب الترجمة أخبره عن سفره حيث كان قاصداً للسودان، فإذا الرفقة التي كان معها بتهيؤون لحمل الحجارة وأخذ العصا كحالة من يلقى اللصوص، فإذا هم قصدوا سلحفاة وهي كبيرة تماثل صورة البقرة فجعلوا يضربونها حتَّى فتلوها فإذا هي أنثَى، فجعلوا بملؤون الظروف الكبار من بيضها، قال لأنهم بتداوون به كبيض الدجاج إلا أنه من غير صفرة فيه، وفيه زفرة، وقسموا لحمها وأطراف ظهرها وفرحوا بذلك غاية. فقدم على بعض الأولياء من العباد بتلك السواحل، فأقام معه نحو ستة أيام ولم يتكلم معه كلمة، ثم لما أراد الانصراف قال له: يا سيدي ودِّعني لله فإني أريد الرجوع، فقال له هلاَّ جلست معنا فإننا استحسنَّا رفقتك؟ فقال له: لا طاقة لي بذلك، لأن شيخي عهد لي بالرجوع إليه بالمغرب، فقال لي على بركة الله، وأوصيك بأمر، قال فقلت له وما هو؟ فقال لي: التسليم، وإياك أن تنازع الله في فعله.

وتوفي صاحب الترجمة ليلة الجمعة خامس عشر جمادى الأولى، عام تسعة وأربعين ومائة وألف، عن أربعة (كذا) وتسعين سنة ـ بتقديم التاء ـ فتكون ولادته في حدود ثمان وخمسين سنة وألف، ودفن في قبة سيدي أحمد اليمني شيخه متصلاً به من جهة الغرب التي بالجنان الذي اتخذوه مقبرة خارج باب الفتوح من فاس الأندلس. وسمعت والدي الطيب بن عبد السلام القادري الحسني يقول: إن صاحب الترجمة هو وارث حال سيدي أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله مَعْن، وسيدي أحمد بن عبد الله هو وارث حال سيدي قاسم الخصاصي، وسيدي قاسم الخصاصي، هو وارث حال سيدي محمد بن عبد الله معن، وهو وارث حال العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي صاحب زاوية القلقلين من فاس القرويين والان غار هذاالماء ولا ندرى أين ذهب هـ وأخذ سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي الذي

585) ما بين معقوفتين ساقط من ك ثابت في س.

اختط زاوية القلقلين [586]، عن الشيخ القصار، عن سيدي رضوان بن عبد اله عن التباع، وأمرني والدي برثائه فقلت:

إذا لم تَجُدْ عيني بوَبْلِ السحائب ... فَمَا هي إلاَّ من حَجارِ الكتائب
وإن لم تكُن تهمي الدماءَ جفونُها ... فما عَرَفَتْ قَدْراً لخَطْرِ المصائب
ولو أنْصَفَتْ حقاً لمن حَانَ فقدُهُ ... لما أبْصرَتْ غيرَ الدُّجَا والغياهب
اتُبصرُ عينٌ بعدَ فَقْدِ ضيائها ... وإنسانُها قد ناله كلُّ صائب
وأوْدَى بها الدَّهرُ الخَؤُونُ وعَاقَها ... وأغربها عن أهلها والأقارب
خليليَّ إنَّ الدَّهرَ قد جلَّ خَطْبُهُ ... بما قد حَوَى من معجباتٍ عجائب
فكَم شَيَّدَ الأطْلاَلَ بَعْدَ عَفَائها ... وكَمْ حَطَّ من عالٍ مُداني الكواكب
فلو كانت الأرواحُ يوماً وقايةً ... لَمَا نَالَ ذَا عزٍّ صَفَاحُ الغَواصب
هو الموتُ لاَ ينجُو امْرُؤٌ من نبَاله ... ولو رَصَّ بالبنيان من كلِّ جانب
فعش مَا تَشَا مَا أنتَ أولُ هالَمٍ ... ولا اخرٌ قد عصَّ من حقٍّ صائب
ودُمْ في نعيم العزِّ إنَّكَ واردٌ ... مكاناً به تُجلى أمورُ العواقب
لَئنْ وافت الأيامُ قَصْدَكَ والْمُنَا ... وَوَفَّى لك الإقبالُ نيلَ المَئارب
فَقد عَلَّت الوُرَّادَ صرفاً عن الظَّمَا ... وفازتْ بريَّا منْ هنَاء المَشَارب
ووافتْ بمَا تهْوَاهُ في ظلِّ جَنَّةٍ ... مع الحبِّ في تلك البقاعِ الخصائب
فكانَ المُنى ممَّن تَقَدَّمَ فيهمُ ... مُعزاً مُجلاً وافياً للرَّغائب
لقد حَازَ في المجد المُؤثَّلِ مَنْزلاً ... وَحَلَّ مَكاناً من أعَالي المَنَاصب
فَيَا للثَّرَى فَاقَ الثُّريَّا مجادَةً ... بِمَا ضَمَّ من جسمٍ عبيقِ الأطَايب
كريمُ السجايا واسعاً في المواهب ... عزيزَ العطايا فاخراً في المناقب
سَميُّ صفيُّ المصطفى وأمنيه ... أبو بكرِ الأسمَى السَّنيُّ المَراتب
فكم رَاضَ في رَوْضِ المَجادة مَنْهلاً ... وَعَلَّ رحيقاً سائغاً للشَّوارب
وكم قد رَوَي وردَ الحقيقة وارْتَوَى ... وخَاضَ بها بحراً طَميَّ الغوارب
وفازَ بتقوَى الله سراً ومُعلناً ... وحَاز مقاماً عندَ أكرمِ واهب
تَحلَّى بحلْي يُوسُفِيٍّ مَحَاسنٍ ... بَهِيٍّ جمالٍ فاخراً في المَناقب
وقد ضَمَّ سرَّ الأحْمَدَيْنِ مُتابعاً ... فنَال به كلَّ المُنَا والمطالب
فتلك شموسٌ أشرقتْ من مَشَارقٍ ... وعمَّ سَنَاهَا في جميعِ المَغَارب
لَئنْ لم أنَلْ تلك المشاهدَ منهمُ ... فَمن ذكرهمْ أرْجُو سَنيَّ المَواهب
كَساهم إلهُ العرش منْ خِلَعِ الرِّضَى ... وَوَالَى عَليهم آنفاً كالسواكب

586) في هامش ك طرة نصها: «أخذ سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي الذي اختط زاوية القلقليين عن الشيخ القصار، عن سيدي رضوان بن عبد الله، عن التباع» وقد أدمجها ناسخ س في صلب الكتاب.

ولازَالَ فى أسْمَي البُروجِ شهابُهُم يَغَارُ إلَى عليـاك كلُّ مشاقب
ومنّي صلاةٌ كلما لاحَ بارقٌ على أحمَدَ المختار من نسل غالبَ
وأصحابِهِ والآلِ والعشْرَةِ التي تَنَاهَتْ لنيل المجدَ أعلَى المَناصِبَ

والمراد بالأحمدين سيدي أحمد اليمني وسيدي أحمد بن عبد الله معن(587)

عبد القادرابن الصِّنيٍّ التَّازي(588)

ومنهم الفقيه العالم الشهير سيدي عبد القادر بن الصني القاطن بتازا ودفينها. كان له صيت بها، ولم أقف على كلام أحد فيه فنورده فبه، ولم أرهُ . توفي أواخر شعبان عام تسعة و أربعين ومائة وألف بتازا، وبها دفن.

الحاجَّة المَلْوَانيَّة

ومنهم المرأة العابدة الزاهدة السيدة الحاجة الملوانية. كانت ذات الكرامات الظاهرة، والأنوار الباهرة، والإلهامات العرفانية، والمواهب الرحمانية، من الصالحات المجتهدات، ورُزقت من التوفيق والإعانة على المشاق ما لم يتفق لفحول الرجال، ولا يقدر عليه إلا المجتهدون الكُمَّال. ظهرت لها كرامات وخوارق، وتحدث الناس عامة وخاصة بخصوصتها، وقد حجت من المغرب سبعًا وعشرين حجة مشيًا على أقدامها، ولا تكون إلا فى مقدم الركب بحيث لا يقدم عليها في السير أحد قوة منها، ولا تأكل من عند أحد شئا، وإن ألحّ عليها أحد في قبول شيء من الطعام أو الماء أو غيره قبلته منه وأعطته بيدها في الحين للمساكين. فإذا عرض عليها أحد الشرب في وفت العطش، وفي أشد ما يكون الحر وغيره تأبَى من قبول ذلك مع عزة الماء جداً، ومنهم من بقول لها وهبت لك جميع القربة وهي مَلْئَى بالماء لله عز وجل، فإذا علمت صدقه قبلتها منه ونادت فى المساكين، فإذا اجتمعوا لها سقتهم منها حتى تفرغ بتمامها في الحبن ، هكذا كان دأبها في سفرها. وكانت تحج وترجع للمغرب وتدخل لفاس، فإذا تكلم معها أحد ممن له خبرة ومعرفة بالتصوف وبشيء من طريق القوم أبدت له من المعارف ما لا بعرفه. لما قَرُبت وفاتها جاورت بالمدينة فماتت بها فى حدود عام الترجمة، وهو عام تسعة وأربعين ومائة وألف.

قاسم ابن رَحْمُون

ومنهم العارف الكبير، الشيخ الشهير، الولي الصالح الخطير، الكثير التلامذة والأنباع، الموصوف بالولاية والانتفاع، ذو البحر الزاخر، والمَدد المنواتر، أبو محمد مولاي قاسم بن محمد ابن رحمون (589) الشريف الحسني من أولاد ابن رحمون النازلين ببعض

587) هذه الترجمة المطولة لأبي بكر الدلائي اختُصرت فى ط في نصف صفحة فقط.

588) هذه الترجمة ساقطة من ط

589) أدرجت هذه الترجمة فى ط - خطأ - في سنة 1148 - كما سبقت الإشارة إلى ذلك وهي فى ط مختصرة فى بضعة أسطر.

مداشر جبل زرهون وبواديه، وهم ينتسبون إلي الشرف، ولا أعلم من أي فريق من الحسنيين هم، (إلاَّ أنهم من الرحامنة النازلين بواد السدد من بلاد الهبْط قرب جبل صرصر، وهم فى عداد الموارسة من أهل الغرب، وتارة في عداد سفيان) وليسوا هم من أولاد ابن رحمون العلميين الذين هم من بني الإمام محمد بن إدريس بن ادريس. وصاحب الترجمة لم يستمر له عقب لا من ذكر ولا من أنثَى، ولا له قرابة كذلك، وبعضهم ينتسب إلى القرب منه، والله أعلم بحقيقة ذلك. قال خليل في *المختصر* : وفي التوارث بالإقرار وليس ثَمَّ وارثٌ ثابت خلاف. ولي معرفة بصاحب الترجمة، لكن لم تدلني على بيان حال، واستفاض عندي بيان حاله عن جماعة من الثقات المعتد بهم عند قضاة فاس في قبول الشهادات وتلقيها من الناس، وهم من أصحابه الذين طالت ملازمتهم له، فحدثونا عنه بكرامات وخوارق للعادات كثيرة لا تحصَي. وكان ممن يطلب عليه الغنى بالله، وينطلق لسانه بالدعوى من غير احتشام، فيدعي بحق عن حق، ويصرح لنفسه بالتصريف التام والتمكين فى المقامات والأحوال، وأصحابه لا يرون تقديم أحد عليه من أهل زمانه، وإن لا يدرك أحد مقامه إلى شيخه، إذ كان تصريف صاحب الترجمة في حباة أشياخه بحث لم يخرج قط عن حكم التقلبد عن شيخه مدة حياته. فإذا مات له شيخ أخذ عن وصيه بعده حتَّى مات فى حياة شيخه إذ كان دأبه ذلك وكان صاحب الترجمة تعتريه الأحوالُ مع ملا زمة السنة، لاسيما عند الاجتماع ومداولة الأذكار، والإنشاد في مدح أولياء الله الأبرار، ومدح مولانا محمدٍ رسول الله المختار، فيحمي وطيسه عند سماع ذلك ويستعمل السماع هو أو يأمر به أصحابه، ويحصل لهم اللذة عند مداولة الذكر أو غيره فينادي هو أو يأمر من أصحابه من يفعل ذلك بأن يقول: من يشتري مني ادراك كذا فيعطيني كذا، فيحصل له ذلك لا محالة، نحو إن شفا الله لك مريضة فعليك لي أداء بدنة، وإن رزقك الله مائة دينار فعليك لي عشرة دنانير. قالوا فيشترون منه ذلك بما قال فيصدقه الله فيه ولا يمكر به فيه، ذلك دأبه، ويصرف الثمن المقبوض منهم باجتهاده إما في إكرام بعض الأصحاب أو في بعض ما يجب عليهم من الإنفاق والمصالح لهم وفي إعانتهم على زيارة دار شيخه وشيخهم، وفي مصالح نفسه، لأنه كان لا شيء له أولاً، وكان حرفته الحياكة طرازاً ينسجُ بيده، ثم كُفي عن ذلك. وسبقت له قراءة فكان من العارفين. ومع وصفه بجميع ما ذُكر لا يخرج غالبًا عن السنة، وأقواله كلها موافقة لكلام القوم، فمن قرأ كتبهم وسمع كلامه يقول كل ما يخاطبني به أو يأمر بفعله أو يفعله نجد له شاهدا في كتبهم.

والحاصل كل ماذكرته لك عنهم فهو ضروري عندهم متفقون عليه، وأخباره يطول استقصاؤها في هذه الترجمة، ينبغي أن يفرد لها ديوان. أخذ صاحب الترجمة أولاً عن شيخه الإمام سيدي محمد بن الشيخ مولاي عبد الله الشريف اليَمْلحِي العلمي دفين وزان من بلاد مصمودة الغرب، بواسطة مقدمه على تلامذته الذين هم بفاس الشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي دفين زاويتهم التي بالشرشور من فاس القرويين. ثم بعد وفاة سيدي محمد المذكور

أخذ عن وصيه وولده الشيخ مولاي التهامي بن محمد دفين وازان أيضا. ثم بعد وفاته أيضا أخذ عن وصيه وأخيه الشيخ المتبرك به شرقا وغربا في عصرنا سيدي محمد الطيب بن سيدي محمد المذكور. وفي حياته توفي صاحب الترجمة، وهو الذي أَذِنَ له وولاه على أصحابه أهل فاس إلى أن توفي سابع ذي الحجة متم عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ودفن بدار بَراحًا اشتراها هو قرب وفاته بقصد أن يدفن هو بها فدفنه بها أصحابه إمضاء لقصده بأقصَى درب منية من حومة النجارين، ولها باب آخر بزقاق الحجر من فاس القرويين. ثم اشتري بعض قرابته بعد وفاته نائبًا عن أصحابه داراً أخرى تجاورها وهي التي دُفن بها سيدي القُلّيز وزادها فيها أصحابه وبنوها زاوية وجعلوا عليها أوقافًا تُقام بها الأوقات وقراءة أحزاب القرآن، ويدرس بها العلم في فصل الشتاء بين العشاءين، ويورق بها صباحا، ولكل ذلك أوقاف، ولها كتب محبسة وثريا ومصابيح، وهي اليوم أعظم من جميع زوايا فاس اتباعًا واجتماعًا على مداولة الهيللة واستعمال الرقص والسماع وقراءة الأحزاب المامور بها من شيخه المذكور، ولها صيت بفاس، تباع فيها القبور بثمن غال لا يدركه إلا من له وُسعٌ في المال. فلذلك ترك الدفن فيها أصحابه الذين سعوا في اتخاذها زواية وفي بنائها، لأن قريبه منعهم من الدفن بها إلا بالشراء منه وأخذه هو ثمن القبر، فتركوا الدفن بها والكلام معه عليها، وجعلوا هجرتهم في ذلك لله ورسوله، فجمع من ذلك أموالاً، وما أظنّ أن يكون له منها شيء، ولله عاقبة الأمور. إن الأرض لله يُورثها مَن يشاء من عباده، والعاقبةُ للمتقين. واللّهُ يَرِثُ الأرضَ ومَنْ عليها وهُو خير الوارثين.

من حوادث السنة

خروج أهل فاس لملاقاة السلطان مولاي عبد الله ببوفكران

لما نزل السلطان المنصور بالله مولانا عبد الله بأبي فكران من عمل مكناسة في محرم فاتح عام الترجمة تهيأ للقائه أهل فاس بأشرافهم وعلمائهم وكبارهم ورماتهم، فلقُوه حيث ذكر، فعاتبهم على عدم الإسراع للقائه مع من لاقاه بتادلا، وعلى قتل مَن قتلوا في ولاية أخيه السلطان مولاي علي، وهم قوم كانوا أصحاب قائده عليهم محمد بن علي بن يشّي الزموري، فانتخب من كبارهم الذين لهم الحلّ والعقد في أمرَ المدينة لا من أهل المروءة ستة عشر رجلا [590] وقتلهم صبراً، وصرف باقي الرماة أهل المدينة ولم يتعرض لهم بسوء قولاً ولا فعلاً [591]، وولّى عليهم قائده محمد بن علي المذكور، وهو عامله عليهم في أخذ المال منهم قبل خروة العبيد عليه، فرجع جميع من كان عنده ومنعوا القائد محمد بن علي المذكور

590) في هامش س طرة بخط محمد بن الطالب ابن سودة المتوفى عام 1334 هـ، نصها: انظر هل هم أولاد يزرور رهط سيدي عبد الله يررور، فإنه قتل منهم في يوم واحد 16 رحلا، والسابع عشر هو العبدوني، كذا أخبرني بعض المسنين الذين ألفو...»

591) وفي نفس النسخة طرة أخرى سفس الخط· «وكذلك أخبرني أن قتل السلطان مولاي عبد الله ثلاثة العربي الغرناطي، ومسعود قصاره، من الأندلس برحبة الزبيب، والعربي الذيب من اللمطيين، كان لهم درب بوحاج باللمطيين».

من الدخول لفاس، فنزل بالقصبة الجديدة منها إذ كان فيها عبيد السلطان وخاصته إذَّاك، وتكررت الرسل بين القائد وأهل فاس.

عصيان أهل فاس ومحاصرة مدينتهم
ثم مقتل القائد مسعود الروسي

ثم كتب للسلطان بامتناعهم، فوجه إليهم قائده أبا بكر الأوديّي، فصبَّحهم في خامس وعشرين من صفر، فأغار على سرحهم، وكان شاع فيهم أن السلطان وجه إليهم قائداً آخر فطلب سلبًا كثيراً، وانقطعت السبل ونودي من قبَل السلطان بالوعيد الشديد لمن دخل مدينة فاس بالميرة، فبقوا محاصرين إلى مُهلّ ربيع الأول، فأرسل السلطان القائد مسعود الروسي واليًا على فاس لما شاع عنهم أنهم إنما كرهوا محمد بن علي، وأما غيره فهم راضون به أيًا ما كان، ففرح عامة الناس بدخوله لخمود الفتنة ولإطفاء نار الغلاء، فدخل الروسي دار أخيه بعدوة فاس الأندلس، فجعل الناس ياتون للسلام عليه، وكثر الازدحام عليه وهو داهش لا يدري ما يحلُّ به، ثم في الحين دخل عليه من جرَى في الفتن فقتلوا بعض أصحابه بين يديه، وخرج هو فاراً لدار بعض الأشراف مُحترما ومختفيا. فلما كان من الليل اجتمع رأيهم على قتل القائد الروسي أخذاً بثأر أخيهم بودة، إذ كان هو قتله في زمن ولايته لمولاي علي، فأخرجوه من المحل الذي كان به وقتلوه، وأصبحوا على أشد ما يكون في حصارهم، وغلا الزرع فكان من نحو ثمان موزونات للصاع النبوي، وقل الإدام وانقطع اللحم، واستمروا على حصارهم، ومكث أهل فاس على الإعلان بنصر مولاي عبد الله والخطبة به على المنابر.

مبابعة الفاسيين سيدي محمد ابن عربية

وفي آخر ربيع الأول أجمع أهل فاس على عدم قبول دعوة مولاي عبد الله أصلا والقيام بدعوة أخيه سيدي محمد المدعو بابن عربية، وكان مختفيا عندهم، وأوغر صدره في الحين أهل فاس على شيعة مولانا عبد الله، وهم الشرفاء والطلبة والزوايا، ووشوا له بمن ذُكر بأنهم لما أراد أهل فاس القيامَ بدعوته مع سالم الدكالي فمنعوهم من ذلك وقاموا بدعوة مولاي عبد الله في مقابلتهم، فخافوا أن يكون الظفر لمولاي عبد الله على سالم الدكالي ويقتله ويرجع على أهل فاس، فتركوا القيام بدعوة سيدي محمد وتبعوا مَن قام بدعوة مولانا عبد الله. فلما قتل مولانا عبد الله سالمًا الدكالي ولم يتم الأمر لسيدي محمد خاف على نفسه وفرّ لفاس من مكناسة، واختفَى بفاس إلى أن كان ما ذكر إلى الآن، فأخبروه بحال مَن ذكر، فنُودي بفاس ببيعة السلطان الجليل، ذي القدر الكبير، أمير المومنين أبي عبد الله الغالب بالله والمتوكل عليه سيدي محمد بن الخليفة الكبير المجاهد في سبيل رب العالمين أمير المومنين المنصور بالله أبي النصر مولانا إسماعيل بن السلطان مولانا الشريف الحسني السجلماسي. واجتمع أهل المدينتين فاس الإدريسية والجديدة المرينية على بيعته، فكتبت له البيعة بفاس وجُعلت في خزانة مولانا إدريس، ونودي بذلك في سائر البلاد المجاورة لها، وبُعث بالخبر إلى عبيد مشرع الرمل، و أمر بحصار محمد بن علي قائد أخيه ومن معه

بالقصبتين والبستيونين، وذلك فى أول جمادى الثانية. فلما وصلت ارساله إلى عبيد مشرع الرمل اجتمعت فرقة سالم الدكالي ونادوا ببيعته فقامت الفرقة الأخرى فى مقابلتهم، ووقع القتال بينهم، فغُلب أصحاب سالم الدكالى، ثم وقع الصلح واتفق جميعهم على بيعة سيدي محمد ابن عربية وبعثوا ببيعتهم له لفاس، فورد ذلك لفاس يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الثانية وفرّ من القصبة القائد محمد بن علي ومن معه، ولم يكن بينهم وبين من حاصرهم من جيش السلطان قتال ولا رمى بكور أو ببُنْب ولا حفر مِـنَة ولا طمع فى الاستيلاء على المدينة، لأن السلطان أو صاهم بعدم ذلك وقال لهم إن ذلك لا يفيد فى فاس شيئًا، وقد بلغت في الحصار الآخر الذي قبل هذا الجهد وما حصل لي من ذلك إلا تضييع الأموال والمشقة، وإنما يُذعنُ أهلُها للطاعة بقطع الميرة عنهم، فنادَى في القبائل بذلك وقُطعت الميرة عن فاس، فنال أهلها المساكبن والضعفاء الذين لا يقدرون على الدفع عن أنفسهم من رؤسائها شيئا شدة من الغلاء والجوع. ومن الغد فَرّ محمد بن على والجيش عن فاس، وخرج السلطان سيدي محمد لفاس الجديد فدخل دار الملك منها ومعه الاوداية. وفي عشية هذا اليوم ورد الخبر لفاس من مكناسة أن السلطان مولاي عبد الله احتمل أمه وعياله وحشمه وجميع ذخائره وأمواله وارتحل من مكناس. وكان لما أراد الخروج من مكناسة إلى تادلا حيت وصله خروج العبيد عليه دفن الأموال والذخائر التي لم تحضره الدواب لحملها، وترك أمه وعياله بدورهم. فلما رجع إلى مكناسة وأراد الرحيل منها حمل جميع ذلك وترك دار الملك قفراً.

وفي الحادي والعشرين من الشهر ارتحل سيدي محمد من دار الملك من فاس المرينية ودخل دار الملك بمكناسة فوجدها قفرا فارغة حتَّى من الزرع، وليس عنده ما يقوم به عيشُه فضلاً عن مصالح عيال الجيوش وليس بمكناسة ونواحيها شيء ممن يمشي على أربع، إذ كان مولاي عبد الله لما رحل من مكناسة أمر من تابعه من البربر بشنٍّ الغارة على جميع نواحي مكناسة وسايس فلم يتركوا لأحد شيئا. والذي أزعجه على الخروج من مكناسة أنَّ جميع مَن بها وبأحوازها من العبيد خرجوا عن دعوته ونادوا بنصر سيدى محمد مع متولي القيام بذلك منهم الباشة ابن النويني، فوجه لحربهم جميع جيشه وأتباعه مع أخيه الفارس الأنجد، البطل الأرشد، مولانا الرشيد ابن أمير المومنين مولانا اسماعيل الحسني، فوقع القتال بين الفريقين كان الظفر فيه للعبيد بعد أن وقع نهب فيهم وفتن، ومات في القتال مولاي الرشيد وابن النويني. ثم اتبع من كان بمكناس من العبيد مولانا عبد الله ليفتكوا به، فلما نزلوا عين اللوح أرسل الله تعالى عليهم أمطاراً كثيرة وأرياحًا وأصابهم برد شديد حتَّى كادوا أن يهلكوا فرجعوا خائبين قصدهم، وكسر الله شوكتهم بذلك عنه بغير قتال.

انحباش البربر لمولاي عبد الله
وانتصارهم على جيش سيدي محمد من العبيد

وفي شوال أكثر أتباع مولانا عبد الله من البربر الغارة على سايس وغيره من البلاد

الموالية لجبال البربر، ففرَّ مَن كان يلي جبال البربر فخلا جميع تلك البلاد . ثم شَنَّ الغارات البربرُ على من يمر بالطرقات، وأكثروا النهب في سائر البلاد التى يقدرون على الوصول إليها من كل جهة، وقاموا بدعوة مولانا عبد الله فى سائر جبالهم، واتخذهم بطانة له. ففى هذا الوقت بدأ انتعاشهم، فكان ظهورهم على يده، فلما رأى مولانا عبد الله فرار الناس من البربر وخلو البلاد التي تليهم، نزل جبل غمرة الموالي لبلاد سايس، وانقطعت الميرة عن فاس الإدريسية من كل ناحية، من غارات البربر على ما حولها، وحبس الله المطر عنها وعن حوزها، فارتفعت الأسعار. فلما رأى سيدى محمد ما أصاب الناس من كثرة النهب استدعى العبيد والقبائل للحركة إلى بلاد البربر وقتالهم عسى أن يكون في ذلك المهادنة وتأمين الطرق وإصلاح الأمة، وليس بدار الملك ما يقوم به عيشه فضلاً عن مصالح عيال الجيش، ولم يكن أجرى في أيام ولايته مكسا ولا معونة، لا في حاضر ولا باد، فأجاب الناس لما دعاهم إليه عبيد الرمل والقبائل، فخرج ونزل ببطبط، تاسع عشر ذي القعدة، واجتمع عليه الناس العبيد والأوداية وأهل فاس وسائر قبائل الغرب، ثم وقع القتال بين جيش سيدى محمد من العبيد وجيش مولانا عبد الله من البربر، فانهزم جيش سيدى محمد من العبيد واتبعهم البربر فراسخ، واستولى البربر على محلة العبيد بما فيها، فقويت شوكة البربر بذلك وضعفت شوكة العبيد. ثم رجع سيدي محمد لفاس وزار مولاي إدريس أوائل ذي الحجة، فوجد بمولاي ادريس ابن عمه الشريف الوجيه الحاذق في الأخبار مولاي الحسن الشريف الفضيلي الحسني السجلماسي، فواجهه بكلام فأجابه بمثله، فأشار إلى وجهه بيده التي أصابته فيها رصاصة كما يأتي إن شاء الله. وخرج من زيارة مولانا إدريس ونكب جماعة من أشراف تافلالت.

(وفى إقامته تلك الأيام جاء إليه من قال له إن هنا عريفة من عرائف مولاي عبد الله ساكنة بدار من حومة جرنيز من مدينة فاس الإدريسية عندها ذخائر كثيرة مدفونة. فأمر قائده حاكم فاس وهو الشريف مولاي عبد المجيد بوطالب مع بعض المقدمين على رماة الجيش بفاس بالبحث عن ذلك والطلب الأحث فيه، فبحثوا في ذلك فوجدوه مبنيا عليه ولوجهه، فحفروا ذلك البناء فوجدوا كثيرا من الذهب المطبوع ومن الدراهم السكية وكثيراً من أساور الذهب والفضة وكثيراً من الجواهر واليواقيت وسكاكين كثيرة بجبائر الذهب وكوابس محلاه وكساو وغنسات وغير ذلك من الأثاث الفاخرة والذخائر النفيسة عند هذه العريفة المذكورة من ذلك بنحو اثني عشر ألف متقال، فأعطى بعض ذلك للقائد المذكور وللمقدمين من الجيش، ورجع لمكناسة بجل ذلك يستعين به على رواتب الجيش من الوصفان وغيرهم) (592).

وبعد ثلاثة أيام خرج لمكناسة وبقيت الناس في غارات البربر كذلك إلى أن خرج سيدي محمد لحربهم الثاني من منتصف المحرم كما ياتى إن شاء الله خبره في عام خمسين

592) هذه الفقرة المكتوبة بين معقوفتين انفردت بها الحوليات (ص 45).

بعد هذا، واستمر ارتفاع المطر وزادت الأسعار، وأشرف جميع من في المغرب على الهلاك، ولله عاقبة الأمور [593].

كسوف كلي

وفي ليلة الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى من العام، والمدينةُ مازالت محصورة وكان لها في الحصار مدة من شهرين وثمانية عشر يوما، كسف البدر كسوفا كليا، وكان ذلك في الثلث الآخر من الليل، وبقي نحو أربع سوائع ونحو درجين وعاد لحاله. [594]

وباء عظيم بمصر قضَى على كثبر من المغاربة

وورد الخبر قبل ذلك بأيام من مصر في البحرعلى تطاون في كثير من البراوات أنه ضاع من المغاربة أهل فاس وغيرهم بالوباء من أعيان التجار وغيرهم كثير من الناس، وزعموا أنه ضاع بمصر وأحوازها من أهلها ستمائة ألف وستون ألفا من الخلق بهذا الوباء، وخلت الإسكندرية ورشيد وغيرهما من المدن والقرى، والأمر لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

تغلُّب مولاى المستضيء بن اسماعيل على سجلماسة

وفي أوائل رجب العام بعث السلطان سيدي محمد أخاه مولاي سليمان خليفة عنه لتافلالت وبعث معه من المحلة ما ياتي له بالعيال من تافلالت، وجاوزوا تازا ومنها ذهبوا لتافلالت. وبعد ذلك بأيام خرج السلطان سيدي محمد بن اسماعيل مع العبيد حاركًا لأخيه مولاي عبد الله لعين اللوح. وحين سمع مولاي عبد الله بخروج أخيه السلطان سيدي محمد مع العبيد من مكناسة قاصدا إليه فر من ثمة وأمعن في دخول الجبل. ورجع السلطان سيدي محمد بسبب ذلك لمكناسة ولم يلق قتالا. وكان الرماة من فاس قد خرجت لتلحف بالسلطان فوجدوه قد رجع لمكناس فردهم لفاس فى عافية الله وحفظه. ولما رجع السلطان سيدي محمد لمكناسة بعث خلف اعْديِّل وألزمه بإعطاء عشرة آلاف مثقال فأعطاها وقبض من وجوه أهل مكناسة مثلها وأعطوهاَ كل واحد منهم على قدر حاله وماله. ودفع ذلك كله راتبا للعبيد، ولايفيد فيهم شيء من ذلك. وفى منتصف شعبان العام قدم على السلطان سيدي محمد بن إسماعيل العيال من تافلالت مع من بعثه وراءهم وأخبروا أن خليفته أخاه مولاي سليمان لم يدخل قصبة سجلماسة لأنه وجد أخاه مولاي المستضيء قد تغلب عليها وسبقه إليها ومنعه من دخولها، وحماه أخوه الآخر وأعانه وهو مولاي زين العابدين. ولما أُخبر بذلك السلطان سيدي محمد غضب لذلك غضبا شديدا و أمر بقبض كل من يوجد من أصحاب مولاي

---

593) حوادث سنة 1149 فى الحوليات تتفق فى معظمها مع الحوادث المذكورة هنا نقلا عن ك و س، إلا أنها تخالفها فى بعض الجزئيات، وتضيف معلومات جديدة لذلك رأينا إثبات نصها - على طوله - للمقارنة عند الاقتضاء.

594) هذه الفقرة والفقرات الخمس بعدها كلها عن الحوليات (ص41 - 46) لانفرادها بها.

المستضيء ومولاي زين العابدين. فقبض جميع من وجد منهم فقتل منهم البعض وأبقى البعض مقبوضا، وأمر بقبض الأشراف السجلماسيين القاطنين بفاس، فأكلت زروعهم ونُهبت ديارهم، ونهبت جميع أموال التجار من أهل تلمسان من الفنادق والديار، كل ذلك في تلك الأيام وبعد ذلك انقلبت بسبب ذلك الأحوال. هذا كله ومولانا عبد الله يدور عند قبائل البربر بقرب جبال فازازا إلى حوز غمرة إلى البهاليل إلى سهب عشار، والأوداية خائفة منه ومن البربر الذين معه، ونقلوا عزائبهم ومواشيهم قرب فاس الجديد خوفاً عليهم.

قدوم ركب الحاج، ومحنة التاجر عديل

وفي منتصف شهر دي الحجة العام قدم ركب الحاج سالماً، وجاءوا بما معهم من السلع لم يفقدوا في الطريق منها شيئا بنهب ولا بغيره، إلا أن الحاجة التي كانت عندهم مشتراة في المشرف بمثقال مثلا كانت تساوي لهم سبع أواقي ووجدوا الخواجة اعْديِّل مسجونا عند السلطان سيدي محمد بن اسماعيل وهو يطالبه الأموال الكثيرة، وكان ابن (عمه) الحاج الطيب هو شيخ الركب الذي قدم وحلف السلطان للخواجا اعديِّل إن لم يأت ابن عمه شيخ الركب الحاج الطيب المذكور ليذبحنّه. فجاءه ابن عمه المذكور وقدم مع الحاج لمكناسة بهديته وهدية الحجاج وتلاقى بالسلطان واستعذر له فقبل منه هديته ومعذرته، وسمح لابن عمه الخواجا وسرحه من السجن وقال له: قد سرحته وسمحت له لأجل وصول ركب الحجاج إلي والتبرك بهم.

إغارة خيل المغافرة على فاس

وفي الحادي والعشرين من ذي الحجة العام جاءت خيل المغافرة الذين هم من شيعة مولاي عبد الله مع القائد بوبكر بن بوزيد بن العربي الوديي وغاروا على دول أهل فاس من جهة باب الفتوح وذهبوا بما وجدوه من بقر وغنم ودواب وغير ذلك.

نهب الزرع واشتداد القحط

وأمر السلطان سيدي محمد بن إسماعيل بنهب جميع من يظهر عنده الزرع بمكناس وبزرهون وفاس. فكانوا يدخلون لدار هذا اليوم ومن الغد يدخلون لدار الآخر وبعده لدار غيره، ويأخذ المسخرون في ذلك جميع ما يجدونه من ذلك وغيره ويحتفظون بكثير ولايبلغون له إلا القليل. وكثر الظلم بسبب ذلك وظهرت السياب بفاس في الليل، فكانوا يقلعون أبواب الدروب ويدخلون على الناس في ديارهم بالأربعين رجلا وأكثر بفناراتهم وعدتهم وآلات حربهم، ويأخذون جميع ما يجدونه فيها من زرع وأثاث وغر ذلك ويقتلون من يريدون قتله، ويدخلون أيضا على الناس في الزرائب داخل المدينة ويأخذون أيضا ما يجدونه فيها من بقر وغنم. وكل يوم يقطعون على سراح المدينة وينهبون جميع ما يجدونه عندهم ولا يقدر أحد أن يُغيث أحدا، أو يدافع عنه لا في ليل ولا في نهار، فأخيفت السبل وقطعت الطرق جهاراً، وأعلنت الوداية بقطع الطريق وصار جميع حوزية فاس كلها تقطع الطريق على المارة كالحجاوة وبني راشد وشراقة وأولاد جامع والبربر والحياينة، ولا بقى أحد يدخل لفاس ولا

يخرج منه، وقلَّ المطر في ذلك العام ولم ينزل قط إلا مرتين، وغلت الأسعار بسبب ذلك فبلغ سوم القمح في شهر ذي الحجة منها ستة أواقي للمد، وسوم الشعير إلى أربع أواقى للمد. ولم يجد أحد بما يشتريه من غلبة الفساد وكثرة الكساد فى السلع، لأن التي كانت تساوي عددا صارت تساو نصفه أو أقل ولم يوجد من يشتريها أيضا لا بقليل و لابكثير من كثرة قطع الطرقات وغلبة الفساد وشدة الغلاء وقلة الأمطار، وقاسَى الناس من ذلك الشدائد العظام من انقطاع ظهور اللحم وقلة الإدام. ولم يزل الأمر في شدة وازدياد وماتت بالضيعة رقاب كثيرة. وارتفعت الأسعار لأجل الفتن وقلة الأمطار، وبلغ القمح نحو ثمان موزونات للصاع النبوي، وفر الناس من المدينة لأجل ذلك كل فرار، والحول والقوة بالله.

——— *** ——— *** ——— **تذكرة المحسنين** ——— *** ——— *** ———

الحسن الصنهاجي

السيد الجليل أبو علي سيدي الحسن الصنهاجي، كان من أصحاب الولي الكبير سيدي أحمد ابن ناصر، قدم على فاس فأكب عليه الناس وذكروا له كرامات وأموراً. دفن بروضته عن يمين المنعطف من العقبة الزرقاء لرحبة الزبيب من عدوة فاس القرويين وذكره ابن عيشون ولم يذكر له تاريخاً فيمن لم يقف لهم على تعريف.

العام العاشر من العشرة الخامسة

محمد ابن عيسَى الميسوري

فمنهم الشيخ العالم الأستاذ المقرىء [المجود الصالح الناصح المبارك] (595) المدرس النفاع [المنقطع المتبتل] (596) شيخنا وسيدنا محمد المدعو بن عيسَى لا نعرف له لقبا سواه، وهو من قرية ميسور، كان مشاركا في كثير من العلوم، مجرداً للإقراء، وسكناه بمدرسة الواد من عدوة فاس الأندلس، وتدريسه بها وبمدرسة الصهريج نيابة في الثانية انتفع عليه كثير من طلبة فاس المبتدئين، قريب التفهيم لهم، تدريسه في النحو والبيان والمنطق والكلام والقراءة والتوقيت والفقه، لايطلب منه أحد تدريس كتاب فيما ذُكر إلا أجاب إليه، حسن الصوت في قراءة القرآن، مُغفل عن كثير من عوائد الدنيا، مقصود للتبرك والصلاح، زوجته أمُّه ودفعت عنه الصداق، ثم في ليلة البناء لم يستطع أن يفارق كتبه خوفا عليهم من النهب من سكان المدرسة. فلما علم أهل المرأة أنه لا مراد له في التزوج طلبوا منه طلاقها فطلقها ولم يتزوج بعدها. أخذ عن مشايخ فاس، منهم جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، وغيره. ولما اشتد الغلاء بفاس خرج منها فاراً بنفسه مع الطلبة إلى المشرق، فمرض في الطريق قرب وجدة ومات هنالك عام خمسين ومائة وألف (597).

علي بن أحمد الأغصاوي

ومنهم البهلول المُولَّه المتبرك به سيدي علي بن أحمد الأغصاوى حامل السلل، كان يقال له سيدي علي مولى السلل. ويظهر من حالته الاستغراق والتوله وكل ما يحتاجه يحمله معه من الخبز والماء مزموما بالقصب، وعلى ظهره سلة أو اثنتان فيها ما يحتاجه لنفسه، ومعه مصحف مزموما بالقصب والخيط، هكذا دأبه سار أو أقام، كثير الزيارات للمقابر والطواف بها. حدَّث الناس عنه بكرامات وخوارق. مأواه بمسجد سيدي دراس بمصمودة عدوة فاس الأندلس إلى أن مات في غلاء فاس عام الترجمة، ودفن بباب الفتوح.

إدريس بن محمد العراقي

ومنهم الشريف الوجيه المؤرخ النسابة الإخباري أبو العلاء مولاي إدريس بن محمد العراقي الحسيني. كان يحضر مع شرفاء فاس في المواسم مع السلطان، وكان له لسان طويل في الكلام، فكان علماء فاس ينكرون خروجه معهم لذلك. وكان له مروءة وعقل تام. ومن مآثره بناء مسجد بإزاء داره بفرن شط من فاس القرويين، وحبس عليه أوقافا إعانة للإمام

595) زيادة من ط.

596) زيادة من ط كذلك.

597) لا يختلف مضمون هذه الترجمة في ط عن ك و س إلا اختلافا يسيراً في الألفاظ، ونقص خبر الزواج والطلاق من ط.

والمؤذن ومرتب لقراءة حزب القرآن. توفي يوم الجمعة سابع صفر عام خمسين ومائة وألف، ودفن بروضة سيد أحمد الشاوي بحومة الجرف من فاس القرويين بشراء القبر له من بعض أهلنا بحكم التنفيذ العام بمنافع الضريح إلينا وما يتعلق به [598].

آمنة الساكمة

وفي اليوم الحادي عشر من محرم الحرام فاتح عام خمسين ومائة وألف توفيت المرأة الصالحة آمنة الساگمة، ودفنت بمأواها الذي كانت تأوي إليه وتبيت فيه بإزاء البرج الجديد من فاس العليا، وكانت لها جنازة حافلة حضرها الجم الغفير من الناس [599].

الحاج علي جسوس

وفي آخر رجب توفي شيخ الركب السيد الحاج علي جسوس أخو الفقيه العلامة المرحوم السيد الحاج عبد السلام جسوس، رحم الله الجميع بمنه وكرمه آمين. [600]

من حوادث السنة

حركة السلطان سيدي محمد لبلاد البربر وانهزامه

ففي منتصف صفر [601] أمر سيدي محمد عبيد الرمل وقبائل المغرب بالحركة معه للبربر الخارجين عنه الذين ينهبون من جاورهم في البلاد، وكان إبان إفراك الزرع، فخرج العبيد فأكلوا كل ما مروا به من الزرع وتركوا الأرض قاعًا صفصفا، فنزل مكناس مع القبائل المجتمعة مع السلطان، ولحقهم أهل فاس والأوداية، وخرج سيدي محمد بالجميع من مكناسة فنزلوا ببطيط، ثم نزلوا على قرية صفرو، فاعتصم أهلها بأسوارها وبذلوا طاعتهم له وطلبوا العفو لأنفسهم حيث كانوا لم يدخلوا في طاعة سيدي محمد، فسمح لهم ورحل السلطان بمن معه، فنزل على قبيلة المزدغ فتحصنوا بمعقلهم وقاتلوا مَن دنا منهم من الجيش وجرحوا، فأظهروا لهم الميل عنهم حتّى استأمنوهم، فولّوا عليهم واستباحوهم قتلا ونهبا، فوقع فيهم والعياذ بالله أمر شنيع، ثم رحل سيدي محمد في طلب مولاي عبد الله ومَن قام بدعوته من البربر، فمر ببلاد غمارة فلم يترك جيشه داراً إلا وهدموها، وما مروا بشجرة إلا وقطعوها، ولا مالاً إلا ونهبوه، وتركوا تلك الجبال خرابا بَلاَقِع. ثم ساروا على فعلهم كذلك إلى أن وصلوا إلى بلاد آيت عياش، فخرج المرابطون أولاد سيدي عبد الله أُعيَّاش ومعهم صبيان المكتب بألواحهم مستشفعين في البربرو وتضرعوا لسيدي محمد في العفو وذكروا له أن مولاي عبد الله سار لتافلالت وأن البربر انحازت عنه وطلبوا منهم أن بطلبوا العفو عنهم ودخلوا فى دعوته، فأبَى قبول شفاعتهم فيهم، وشمر لقتال البربر واتباعهم في رؤوس تلك الجبال، وطمع

598) هذه الترجمة ساقطة من ط.

599) هذه الترجمة لا توجد إلا في الحوليات (ص 47)

600) هذه الترجمة لا توجد كذلك إلا في الحوليات (ص 55)

601) في الحوليات (ص 47) أن الخروج لهذه الحركة كان في اليوم الآخر من الشهر - المحرم - أو في مهل صفر بعده، وساق أثناء ذلك محنة شرفاء فاس المتخلفين عن الحركة مع السلطان والمغارم الفادحة التي فرضت عليهم.

فى الاستبلاء عليهم وتقدم لحربهم بنفسه من غير تعبئة، فأصيب برصاصة هشمت عظم ذراعه في الحين فى اليد التي لطم بها وجه ابن عمه المستحرم منه بضريح مولانا إدريس، ونجا عن قرب من الهلاك بعد اليأس من الحياة، فانهزم جيشه لجرحه فى الحين، ومات في القتال بينهما أموات كثيرة، وأمر جيشه بالرحيل فوراً، ورجع إلى الغرب فأخذ البربر فى أعقابهم ونهبوا كثيرا من الدواب الحاملة للأثقال للمحلة والسلطان، ولحقوا بذلك إلى مولاي عبد الله وهو بتافلالت، وأعلموه بجرح أخيه ورجوعه للغرب، وطلبوا منه الرجوع لبلادهم لاتباع أخيه سيدي محمد. وكان مولاي عبد الله سئم المقام فى بلادهم ولا رأى منهم نصحا له، وإنما مرادهم النهب فقط لا الهدنة وتمهيد الطاعة، فرهبهم مولاى عبد الله بعد أن تبين له مرادهم.

انقطاع الطرق وارتفاع الأسعار
وانتشار النهب والخراب بفاس

ورجع سيدي محمد لمكناسة واستقر بها، وانقطعت الطرق بالكلية، وارتفعت الأسعار فبلغ القمح نحو ثلاث أواق ونصف قديمة للصاع النبوي، وجعل اللصوص يهجمون على الناس فى ديارهم ليلاً ويقتلونهم ويستغيثون فلا يغاثون. وبلغ النهب في النهار إلى باب الدور التى بأطراف المدينة، فلا يستطيع أحد أن يخرج عن وادي عدوة الأندلس ولا عن باب القصبتين ولا عن الحفارين من فاس القرويين. وانعدم الحطب من فاس فأكثر الناس الهدم في الدور لأخذ الخشب لطبخ ما يتقوتون به، وخلا من السكنَى نحو الثلثين من فاس بالجوع والفرار عنها. وتخرب أكثر من ذلك من دورها وحوانيتها وغير ذلك، وأخرج العدو الكافر الزرع من بلاده للمسلمين من البحر في تطاون ونواحيها، فخرج أهل فاس لجلبه إليهم فاشتروه منهم، فكان والي تلك البلاد الباشا أحمد بن علي بن عبد الله الريفي يباطن البداوة وغيرهم من أهل الإبل الذين يحملون في الطرق بأن لا يحملوا لأهل فاس شيئا، وفي الظاهر يأمرهم بالحمل إلى فاس وينصح فى ذلك بلسانه، فتعذر على الناس جلب الزرع لفاس وطال بعد ذلك نحو ستة أشهر حتَّى وصل للريفي أن أكثر من بفاس الذين لهم عيال كثيرون لا يقدرون على حملهم لبلاد أخرى من قلة الزاد والتناول وحفظ المروءة ماتوا عن آخرهم بالجوع، فسر بذلك في الباطن، ولا أغني الناس مال ولا متاع، فعرف كثير من الناس من أهل الأموال ضاعوا، وكل مَن حفظه الله ونجا من أهل فاس فعن مشقة، وبلغ سوم القمح في هذه المدة ست أواقي للصاع النبوي، ودخل الركب النبوي لفاس فلم يشعروا به إلا بعد وصوله لدور فاس، وأتَى بزرع معه من طرابلس فانحط القمح إلى نحو سبع موزنات للصاع النبوى، وسار أهل فاس بإبلهم إلى تطوان فحملوا عليها الزرع وأتوا به لفاس حيث تحققوا ما بطنهم به الريفي، وأخبرهم البداوة بذلك، وتدارك الله تعالى عباده باللطف الخفي المرجو بعد الشدة وبقي الأمر كذلك إلى تمام عام خمسين.

طلوع مولاي عبد الله إلى تادلا، وتنكبله بأهل فاس المقيمين بمراكش

وفي شوال خرج مولاي عبد الله من تافلالت وذهب لتادلا ثم لقصبة مزم بأيت عتاب، واجتمعت عليه قبائل تلك الناحية وأهدوا له، وجاء أهل تارودانت بعد أن قُتل بها القائم في تلك الناحية محمد بن عبد الله السوسي كان زعم أنه المهدي صاحب الأمر، قُتل فى حرب هوارة من عرب سوس، ثم أرسل مولاي عبد الله إلى مراكش فقبض أهل فاس الذين بها واستولى على أمتعتهم ونالتهم محنة، ثم عفا عنهم وأطلقهم، وهو مقيم بالمزم ينتظر جواب العبيد لدعوته، فانصرفوا عنه إلى أخيه مولاي المستضيء بالله كما سنذكره في العام بعد إن شاء الله تعالى.

قتل التاجر بوجيدة برادة

وفي عشية يوم الأربعاء الحادي والعشرين من الشهر(602) أمر السلطان سيدي محمد ابن اسماعيل بقتل التاجر الأرضَى الحاج بوجيدة بن محمد برادة، فقطع رأسه وعلق بباب الجديد من مكناسة الزيتون أمنها الله. وكان قبضه قبل ذلك وكلفه بإعطاء المال وأمر بتغريق ذمته وأُخْذ جميع ماله، وبيعت أصوله بأجمعها. وكان السبب في قتله أن كبير اللمطيين محمد الذيبَ قال للسلطان إن الحاج محمد يَزْرُور وأبناء عمه تعرضوا له على برادة المذكور، فحلف السلطان إن لم يأت إليه أولاد يزرور لمكناس لملاقاته ليقتلنَّ برادة المذكور. ثم إنهم لم يأتوا إليه فقتل برادة - رحمه الله - فى هذا الغرض الفاسد، والنظر الكاسد، ظلما وعدوانًا، والملاقاة بينهم عند الله.

فتنة بين قاضي فاس وأحد العدول.

وفي أوائل صفر المذكور وقعت حكاية كبيرة بفاس، وهي أن بعض العدول كان ينتمي إلى النسب العلى بقال له مولاي عبد العزيز البوزيري، كان له خصام مع بعض إخوانه ووصلوا لمجلس القاضي الفقيه السيد يعيش بن الرغاي الشاوي إذ كان قاضيا حينئذ بفاس. فظهر للقاضى فيما بيد العدل الشريف المذكور أنه زور وتلبيس، فوبخه القاضى على ذلك وتخاصم معه. ومن الغد وقت صلاة الظهر جاء عبد العزيز بخنجر تحته فسله من غمده وضرب الفاضي به، فلم يصله فمسكه القاضى بيده واعشقه (كذا) واجتمعت عليه الناس وضربوه ضربا فاحشا، وجاءوا به حاكم البلد فأطافه في الأسواق. ثم كتبوا بذلك للسلطان سيدى محمد، وكان نازلا بجيوشه قريبا من صفرو، فبعث أربعة من العبيد وأُعَرَّاص أخا الحاكم وأخرجوه لباب الفتوح وضربوه برصاصتين وقُطع رأسه وعلق بباب الفتوح، والحول والقوة بالله.

---

602) هذه الفقرة والفقرات الست بعدها كلها من الحوليات التي انفردت بها دون سائر النسخ.

مقتل مولاي سليمان بن إسماعيل

وفي ثالث عشر صفر المذكور قدم مولانا سليمان بن إسماعيل على أخيه السلطان سيدي محمد وهو نازل بمحلته بحوز صفرو من مدينة تازا ومعه عبيد تازا ومكناسة وزرارة وغيرهم من القبائل الجيشية بحالة حزم وضبط. وحين وَصَلَ للمحلة السلطانية تلقته جيوش العبيد عن آخرهم وعملوا ملعبا جيدا بالبارود فرحًا به وبمحلة إخوانهم الذين معه غاية الفرح، فساء ذلك السلطان سيدي محمد وغاظه وتغير منه، وقتل رجلاً من أخواله شاوي النسب كان يحمل له المظل. ومن الغد أخذ السلطان جميع ما كان لأخيه مولاي سليمان مما أتَى به من تازا من هدية بقر وغنم ومال، وعزل من أصحابه المسخرين الذين كانوا معه بتازا يحملون المكاحيل أمامه ومن المزاريق والمظل والدواب والخزانة من الطعام وغير ذلك وقال له: «اذهب في حال سبيلك إلى مكناسة الزيتون!» وفي ليلة السبت الخامس عشر من الشهر قدم مولاي سليمان المذكور من المحلة من عند أخيه السلطان لفاس فوجد باب الفتوح مغلوقا، فجاء لباب المحروق ودخل منه لفاس ومعه بعض إخوانه وبعض أصحابه، فحين وصل قرب باب القصبة القديمة ضربه بعض اللصوص برصاصة أصابته على ضلعته ووقفت بشاكلته. وزعموا أن أخاه السلطان أتبع له من ضربه وذلك عند آخر الثلث الأول من الليل. ونهبوا جميع ما كان معه، وأدخل للقصبة القديمة، وبقي حيا تلك الليلة واليوم بعدها. وفي الليلة الثانية عند الآخر من الليل خرجت روحه. ومن الغد وهو يوم الأحد سادس عشر من الشهر دفن بروضة الشيخ سيدي أبي بكر بن العربي نفع الله به. وأخبر عنه مَن يوثق به من أهل تازا أنه كان قد كسر الحرمات على الزوايا من أهل الجانب الرباني وأخذهم ونهب أموالهم وقتل في تلك المدة التي تخلّف فيها نحو الثلاثين نفسا. وكانت تلك المدة نحو ثلاثة أشهر. وكان أظلم من أخيه وأعتَى وأطغَى من غيره، غفر الله لنا وله. وكان يتمسك بخدمة الولي الصالح أبي العباس الشيخ سيدي أحمد الحبيب ـ نفع الله به ـ، وحيث كان يجود بنفسه قال لمن حضره «يا فلان بلغ سلامي إلى الشيخ وقل له إني على محبته وخدمته عفا الله عنا وعنه».

مقتل قاضي فاس يعيش بن الرغاي الشاوي

وفي ليلة الأحد أول يوم من ربيع الأول النبوي من العام، دخل السياب على الفقيه القاضي السيد يعيش بن الرغّاي الشاوي بداره من حومة الدوح، فقتلوه بالرصاص ونهبوا داره وسلبوا أهله وعياله وأولاده، ولم يتركوا من ماله شيئا بداره ومثلوا به، وأخذ الله الحق فيه بسبب الشريف عبد العزيز الذي قُتل على يده بباب الفتوح، وهو قتل بين أولاده وعياله، وبينهما من الموت شهر واحد أو ما يقرب منه. ويقال إن أهل الشريف المذكور ذهبوا إلى السياب وتشفعوا إليهم في أخذ ثأرهم من السيد يعيش المذكور فأتوا إليه وقتلوه كما ذُكر والله أعلم كيف كان هذا الأمر كله، فسبحان مصرف الأمور القادر على ما يشاء، ولا يظلم ربك أحداً.

بيعة مولاي المهتدي بن إسماعيل بسلا

وفي خلال هذه الأيام بعث السلطان أخاه مولاي المهتدي إلى مدينة سلا عاملاً له ونائبا عنه فيها. ثم إنه دعا لنفسه فبايعه أهل سلا والرباط والصُّبّاح من بني احسن والبعض من الجند ونصروه علانية وخطبوا به في الرباط وفي سلا نحواً من ثلاث جمع أو أربع، وبقي كذلك نحواً من شهر. ثم إن العبيد بالرمل اجتمعت كلمتهم على حَلِّ ذلك، فبعتوا لعبيد جناوة الذين بقصبة الرباط (603) أن يقبضوا على مولاي المهتدي المذكور وعلى من معه. فقبضوه وجاءوا بهم لعبيد الرمل، فقتلوا البعض من أصحابه، وأتوا به مكبولا لأخيه السلطان سيدي محمد. فأمر به إلى السجن فسجن بمكناس، وبقي مسجونا أياما قلائل وسرحه، والأمر بيد الله.

انتهاب الأوداية بتامسنا

وفي هذا الشهر بلغ الخبر عن الأوداية الذين كانوا رحلوا لسوس وذهبوا بأولادهم ونسائهم وأموالهم مع السيد العسال أن قبائل أهل تامسنا لما توسطوهم النزلة داروا بهم وقاتلوهم وغلبوا عليهم، فقتلوا منهم ونهبوهم وأخذوا لهم مالا كثيرا، ومنهم من نُهب له نحو من ثلاثين قنطارا من المال، ومنهم من نُهب له أقل وأكثر، كل ذلك بحسب الوسع والرفاهية، وتركوهم حفاة عراة جياعا، فوصلوا لمراكش كذلك وقد أخذ الله الحق فيهم عما كانوا جاروا على المسلمين وتجرؤوا بقطع الطرقات عليهم وعلى فاس وأحوازها، ولا يظلم ربك أحداً.

زلزلة بفاس ورخص الأسعار

وفي التاسع عشر من ذي القعدة العام المذكور وقعت زلزلة عظيمة بعد العشاء الأخيرة بساعة، والله لطيف بعباده. وفي أوائل ذى الحجة العام جاءت أيضا القوافل الكثيرة من ملوية وتطاون أيضا بالزرع ونزل المطر ورخصت الأسعار حتّى بلغ الزرع ستة أواقي للمد.

603) «قصبة كناوة» ـ من قصبات العبيد الاسماعيلية ـ توجد بمدينة سلا خارج باب سبتة بجوار ضريح الشيخ أبي موسى الدكالي على شاطئ البحر، وما تزال أسوارها وأطلالها قائمة حتى اليوم

فهرس الجزء الخامس

من

موسوعة أعلام المغرب

مرتب على حروف الهجاء

حسب الاسم والنسب والشهرة

فهرس الجزء الخامس من موسوعة أعلام المغرب

ـ أ ـ

ملحوظة : "أبو" و"ابن" تعتبران في الترتيب.
و"ابن" في البداية بالهمزة (ا ب ن) وفي الوسط بدونها (ب ن).

سنوات الوفيات		أرقام الصفحات

Dictionnaire
des
Célébrités Marocaines

établi et coordonné

par

Hajji Mohamed

Doyen honoraire de la Faculté des Lettres

Université Mohammed V - Rabat

TOME 5

1101 - 1150 H / 1690 - 1737

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI